MOSTAFAALADWY.COM

التَّسهيل لتأويل التَّنزيل

تفسير

سُورَة ٣

في سؤال وجواب

MOSTAFAACADEMY

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

MOSTAFAALADWY.COM

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

MOSTAFAABDO.COM

الكلمة	معناها
﴿رَبِّ﴾	الرب هو: المالك المتصرف.
﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	السماء والأرض وما بينهما (أو: كل ما خلقه الله).
﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	يوم الجزاء؛ وهو: يوم القيامة.
﴿نَسْتَعِينُ﴾	نطلب العون.
﴿ٱهْدِنَا﴾	وفقنا ـ ألهمنا ـ ثبتنا.
﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾	الطريق.
﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	الذي لا اعوجاج فيه.
﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾	اليهود.
﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾	النصارى.
(آمين)	اللَّهمَّ استجب وتقبَّل.

س: سورة الفاتحة، هل هي مكية أو مدنية، وما الدليل على ذلك؟

ج: سورة الفاتحة سورة مكية على الراجح من أقوال أهل العلم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] وهذه في سورة الحجر، وسورة الحجر مكية بالإجماع (نقل ذلك القرطبي) وقد فسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[١].

وكذلك كان فرض الصلاة بمكة، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا صلاة لمن**

(١) وهو في «الصحيح» كما سيأتي تخريجه إن شاء الله.

tasfiyatalarabi.com

لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١].

MOSTAFAALADWY.COM

(١) وهو في «الصحيحين»، وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

أسماء سورة الفاتحة

س: اذكر بعض الأسماء التي أطلقت على سورة الفاتحة.

ج: من هذه الأسماء: فاتحة الكتاب[١].

- ومنها: أم الكتاب[٢].
- ومنها: أم القرآن[٣].
- ومنها: الحمد، أو الحمد لله رب العالمين[٤].
- ومنها: الصلاة[٥].
- ومنها: (السبع المثاني والقرآن العظيم)[٦].
- ومنها: الرقية؛ لأن أبا سعيد رَقى بها.
- ومنها: الشافية؛ لأن اللديغ شُفي بها بإذن الله، إلى غير ذلك، والله أعلم.

MOSTAFALADY.COM

---

(١) وهذا لا خلاف فيه بين العلماء؛ لأن الكتاب فُتح بها، ولقول النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»، وسيأتي تخريجه إن شاء الله، ولغير ذلك أيضًا.

(٢) وقد ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه... ما رقيت إلا بأم الكتاب، وسيأتي إن شاء الله، وهو في «الصحيح».

(٣) وذلك لقول النبي ﷺ: «**أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» وهو في «الصحيح» وسيأتي.

(٤) لقول أنس: صليت خلف رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين، وهو في «الصحيحين»، وسيأتي.

(٥) للحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي...**» وهو في صحيح مسلم، وسيأتي.

(٦) وذلك لما تقدَّم في (٣).

تفضيل بعض سورة القرآن على بعض

س: هل يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض، اذكر باختصار ما يدل على ذلك[١]، وكذلك هل يجوز تفضيل بعض الآيات على بعض؟

ج: نعم يجوز تفضيل بعض سور القرآن على بعض؛ لقول النبي ﷺ لأبي سعيد ابن المعلى: «**لأعلمنَّك أعظم سورة في القرآن**»، وأخبره النبي ﷺ بأنها الفاتحة[٢].

❁ ولقول النبي ﷺ عن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]: «**والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن**»[٣]، أما الآيات فكذلك أيضًا يجوز تفضيل بعضها على بعض، فقد قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[٤] [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: «**ليهنك**[٥] **العلم أبا المنذر**»[٦].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

دفع إشكال في نزول الفاتحة

س: ظنَّ بعد العلماء أن جبريل عليه السلام لم ينزل بالفاتحة إنما نزل بها ملك آخر غيره، اذكر مستند القائلين بذلك وبيِّن مدى صحته، ومدى سلامة هذا

---

(١) والإطالة لها موطن آخر إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٧) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالّها، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن**».

(٤) يريد آية الكرسي (كما في الروايات الأخر).

(٥) أي: هنيئًا لك بالعلم يا أبا المنذر.

(٦) أخرجه مسلم مع «النووي» (٦/ ٩٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا.

MostafaDaw.com

الاستدلال.

ج: مستند القائلين بذلك: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: «**هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلااليوم، فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**»(١).

وهو حديث حسن، وهذا مستند القائلين بأن ملكًا نزل بها غير جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي هذا الاستدلال نظر، فإن الملك نزل يبين فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، أما جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد نزل بالقرآن كله، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣، ١٩٤] والله تعالى أعلم.

بعض فضائل سورة الفاتحة

س: اذكر بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الفاتحة.

ج: من هذه الأحاديث الصحيحة:

۞ ما ذكره أبو سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني النبي ﷺ فلم أُجبه(٢) فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: «**ألم يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]؟**» ثم قال لي: «**لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**» ثم أخذ بيدي، فلمَّا أراد أن يخرج

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٩١ مع النووي).

(٢) في رواية للبخاري (٤٦٤٧) فدعاني فلم آته حتى صليت، فقال: ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

Mostafalaw.com

قلت له: ألم تقل لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[(١)].

❁ ونحوه مختصرًا: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»[(٢)].

❁ ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنَّا في مسيرٍ لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيدالحي سليم، وإن نفرنا غُيَّب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل منَّا ما كنَّا نأبنُهُ برقية فرقاه فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا له: أكنت تُحسن رقيةً أو كنت ترقي؟! قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب. قلنا: لا تُحدثوا شيئًا حتى نأتي، أو نسأل النبي ﷺ. فلمَّا قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: «وما كان يُدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لي بسهم»[(٣)].

❁ ومنها: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ إلا اليوم فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤)، وفي عدة مواطن من «صحيحه» وأبو داود (حديث:٣٥١)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٧)، وورود نحوه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري (٥٧٣٧) وفيه: أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بماءٍ فيهم لديغ - أو سليم[(١)] - فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إن في الماء[(٢)] رجلاً لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ[(٣)] فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا، حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجرًا. فقال رسول الله ﷺ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله».

MostafaBadawy.com

سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[(١)].

❁ ومنها: قول النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[(٢)].

❁ ومنها: قول النبي ﷺ: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين؛ فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدَّم من ذنبه»[(٣)].

❁ ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج (ثلاثًا) غير تمام»، فقيل: لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مَجَّدَني عبدي، - وقال مرة: - فوَّض إليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[(٤)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٩١).

(١) العرب تطلق على اللديغ سليمٌ تفاؤلًا بالشفاء.

(٢) أي: من أهل هذا المكان الذي به ماء.

(٣) أي: مقابل عدد من الشياه (وهي الغنم).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٤/ ١٠٠ مع النووي)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح٨/ ١٥٩)، والنسائي (٢/ ١٤٤)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٠١ - ١٠٢).

MOSTAFABADAWY.COM

معنى بسم الله الرحمن الرحيم

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

فمنهم من قال: إن المعنى: أقرأ باسم الله، أو أبتدئ قراءتي باسم الله.

❁ ومنهم من قال: ابتدائي القراءة باسم الله.

❁ ومنهم من قال: إن معنى (بسم الله) أي: بالله، أي: بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه، قاله القرطبي.

❁ ونقل عن بعض العلماء قولهم: إن معنى قوله (باسم الله) يعني: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، قال: وهذا تعليمٌ من الله تعالى عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها؛ حتى يكون الافتتاح ببركة الله ﷻ.

❁ وقال بعضهم: إن كلمة اسم زائدة، واستشهدوا بقول لبيد بن ربيعة:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر[1]

والمعنى: ثم السلام عليكم، واسم زائدة.

لكن تعقب الطبري قول من قال هذا ووصفه بالفساد واختار في شرح بيت لبيد وجهين:

---

(١) بيت الشعر للبيد بن ربيعة في قصيدة وجَّهها لابنتيه، وفيها:

تَمَنَّى ابنتَايَ أن يعيشَ أبُوهما ... وهَلْ أنا إلاَّ من ربيعة أو مُضَر

ثم قال:

فقُومَا فقولاَ بالذي قد علمتُما ... ولا تَخْمِشا وجْهًا ولا تَحْلِقا شَعَرْ

وقولاَ: هو المرءُ الّذي لا خليلَه ... أَضاعَ، ولا خانَ الصديقَ، ولا غَدَرْ

وقال:

إلَى الحَوْلِ، ثم اسْمُ السَّلام عليكُمَا، ... ومن يَبْكِ حَوْلا كاملا فَقَد اعتَذَرْ

MOSTAFABAKRY.COM

الوجه الأول: أن المراد بالسلام اسم من أسماء الله تعالى، فمعنى قوله: (ثم اسم السلام عليكما) أي: ثم الزما اسم الله وذكره بعد الحول (وهو السنة)، ودعا ذكري والبكاء عليَّ؛ لأن من بكى سنة كاملة على شخص فقد اعتذر (أي: أدى ما عليه إن كان عليه شيء ولا لوم عليه بعد ذلك).

والوجه الثاني: في قوله: (ثم اسم السلام عليكما) أي: تسمية الله عليكما، كما يقول القائل للشيء يراه فيعجبه: (اسم الله عليك) يعوِّذه بذلك من السوء، فكأنه قال: ثم اسم السلام عليكما من السوء. والله تعالى أعلم.

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فهذه بعض أقوال العلماء فيه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدَّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدَّم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها، وسبيلاً يتبعونه عليها، فبه افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم، وكتبهم، وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: (بسم الله) على ما بطن من مراده الذي هو محذوف.

ونقل القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **عن العلماء:** أن (بسم الله الرحمن الرحيم) قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم لعباده إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حقٌّ، وإني أَفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري...

س: هل ثبت أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم؟ وما هو وجه القائلين بذلك؟

MostafaAbdo.com

ج: لا أعلم دليلاً على أن لفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم، لكن قد قال بذلك بعض أهل العلم، ووجه قولهم يتمثل في الآتي:

أولاً: أنه اسم لله ﷻ لم يتسم به غيره، كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[1] [مريم:٦٥] ولذلك يُثنَّى ولا يُجمع.

ثانيًا: أنه يوصف بجميع الصفات، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ...﴾ [الحشر:٢٢ - ٢٤]

وكما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إِنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا»[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ...﴾ [الأنعام:٣]

وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

اللغة المولدة

MOSTAFALAWY.COM

---

(١) على أحد الوجوه للعلماء في تفسير الآية الكريمة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (حديث ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر» اللفظ لمسلم. وفي رواية: «من أحصاها دخل الجنة».

س: يُقال لمن قال: بسم الله مبسمل، ويُطلق بعض العلماء على (بسم الله) البسملة، وهي لغة مولدة، اذكر شاهدها من الشعر، وأمثلة أخرى لها؟

ج: أما شاهدها من الشعر، فما نقله القرطبي عن عمر بن أبي ربيعة حيث قال:ومن أمثلة اللغة المولدة: (هلَّل) الرجل، إذا قال: لا إله إلا الله، و(سبحل)، إذا قال: سبحان الله، و(حمدل) إذا قال: الحمد لله، و(حيفل) إذا قال: حي على الفلاح، و(طبقل) إذا قال: أطال الله بقاءك.

❀ ❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد، أم لهذا معنى ولهذا معنى آخر؟

ج: لأهل العلم هنا قولان: فمنهم من يقول: الرحمن والرحيم بمعنى واحد، لكن الجمهور على التفريق، وأن (الرحمن) خاص الاسم عام الفعل، و(الرحيم) عام الاسم خاص الفعل، بمعنى أن (الرحمن) مختص بالله ﷻ لا يجوز أن يسمى به غيره،كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:١١٠]، فعادل الاسم الذي لا يشركه فيه غيره، وقال: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة ﷻ[1].

وقد تجاسر مسيلمة الكذاب - لعنه الله - فتسمَّى برحمان اليمامة، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب، فألزمه الله تعالى نعت الكذاب لذلك، وإن كان كل كافر كاذبًا فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علمًا يُعرف به

(١) قاله القرطبي، وكذا قال الذي بعده إلى قولنا قاله القرطبي.

ألزمه الله إياه[١]، قاله القرطبي.

فالرحمن اسم خاصٌّ بالله سبحانه لا يشاركه فيه غيره، وهو اسم عامٌّ في جميع أنواع الرحمة[٢].

---

(١) وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ولمَّا تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمان اليمامة كساه الله جلباب الكذب، وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب.

(٢) قال بعض العلماء ولهذا قال الله ﷻ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩] وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، والله أعلم.

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

... فربنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة، فأما الذي عمَّ جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحمانًا لهم به، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه[١] كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤، والنحل:١٨]. وأما في الآخرة فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانًا في تسويته بين جميعهم جل ذكره في عدله وقضائه فلا يظلم أحدًا منهم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتِ من لدنه أجرًا عظيمًا، وتوفى كل نفس ما كسبت.

---

(١) وكان ذكر قبل ذلك: الإفضال والإحسان إلى جميعهم في البسط في الرزق، وتسخير السحاب بالغيث، وإخراج النبات من الأرض وصحة الأجسام والعقول، وسائر النعم التي لا تحصى التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون.

فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته الذي كان به رحمانًا في الآخرة، وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته الذي كان به رحيمًا لهم فيها، كما قال جل ذكره: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به، وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيمًا لهم دون الكافرين، فما وصفنا آنفًا مما أعدَّ لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الأماني.

تنبيه: ورد حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ قال: قال عيسى ابن مريم: «**الرحمن: رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم: رحيم الآخرة**» وهو ضعيف، وورد أيضًا: «**رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**» وهو ضعيف كذلك.

MOSTAFAADV.COM

أما (الرحيم) فهو اسم لله ﷻ ووصف أيضًا للمخلوقين، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [براءة:١٢٨].

لكن (الرحيم) قال الجمهور: إنه خاص الفعل؛ بمعنى أنه رحيم في جهة المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ورحمته بالمؤمنين تتمثل في أمور؛ منها: اللطف بهم وهدايته إياهم، ونحو ذلك.

ولا يعكر على هذا نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وذلك لأن صورة الرحمة هنا تفارق صورتها في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] فإذا قلنا: إن المراد بالناس عموم الناس، فصورة الرحمة - والله أعلم - تتمثل في تأنيه سبحانه بهم، وعدم الاستعجال بإنزال العذاب عليهم، بل يستأني بهم ويفتح لهم باب التوبة... والله أعلم.

س: اذكر بعض أسماء الله ﷻ التي لا يجوز أن يتسمَّى بها غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبعض الأسماء التي يجوز أن يتسمى به غيره ﷻ.

ج: أما الأسماء التي لا يجوز أن يتسمى بها غير الله ﷻ:

فمنها: (الله - الرحمن - الخالق).

أما الأسماء التي يجوز أن يتسمَّى بها غير الله ﷻ:

فمنها: العزيز: فقد قال الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الحشر:٢٣].

وقال إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف:٨٨].

وقال نسوة في المدينة: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف:٣٠].

MostafaDev.com

❁ ومنها: المؤمن: كما قال تعالى عن نفسه: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ [الحشر:٢٣]

وقال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(١).

وقال عليه السلام: «أخبروني عن شجرة مَثَلُها مَثَلُ المؤمن»(٢).

❁ ومنها: الملك: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ﴾ [الحشر:٢٣].

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ...﴾ [يوسف:٥٠، ٥٤].

❁ ❁ ❁ ❁

MOSTAFAALABWY.COM

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

(٢) بهذا السياق أخرجه مسلم (ص ٢١٦٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وأصله في «الصحيحين» البخاري (حديث ٦٢)، ومسلم (حديث ٢٨١١).

بسم الله الرحمن الرحيم هل هي آية وهل يجهر بها في الصلاة الجهرية

س: هل (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) آية من سورة الفاتحة ومن غيرها من السور أم لا؟

ج: أما (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)، فابتداءً هي بعض آية من سورة النمل إجماعًا؛ لقول الله تعالى: ﴿ . . . إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل:٣٠].

وهي ليست آية من سورة براءة كذلك.

أما بالنسبة للفاتحة، فلأهل العلم قولان:

❁ فمنهم: من يرى أنها آية من سورة الفاتحة، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧]، وفسر النبي ﷺ (السبع المثاني والقرآن العظيم) بالفاتحة[1]، ولا تكمل الفاتحة سبع آيات إلا إذا اعتبرت البسملة آية منها.

ولأن البسملة أثبتت في المصحف وكتبت بخطه ونُقلت نقله.

❁ ومنهم: من يرى أنها ليست آية من الفاتحة؛ لقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي...**»[2] الحديث فلم يُذكر فيه بسم الله الرحمن الرحيم.

❁ واستدل بعض العلماء على أنها ليست آية بتكرير لفظ الرحمن الرحيم، بعد قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢].

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٧)، وسيأتي.

(٢) أخرجه مسلم، وسيأتي إن شاء الله.

Mostafa.com

❁ أما بالنسبة لغير الفاتحة من السور فكذلك للعلماء قولان:

❁ منهم من قال: هي آية من كل سورة لما رواه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت عليَّ آنفًا سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١ - ٣]»(١).

❁ ومنهم من قال: ليست آية من أي سورة؛ لأن الله تعالى أول ما أنزل على نبيه ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ...﴾ الآيات [العلق:١ - ٥]، ولم يذكر البسملة، بل قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: «اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ [العلق:١ - ٥]» والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من يرى أن البسملة آية من كتاب الله ﷻ هل يجهر بها في الصلاة عند قراءة الفاتحة إذا كان إمامًا في الصلاة؟

ج: الأمر في هذا قريب، فمن رأوا أنها آية من الفاتحة لهم وجهان:

الوجه الأول: أنه لا يجهر بها، لما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

❁ وفي رواية لمسلم من حديث أنس أيضًا: صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم(٣).

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٦ مع الفتح)، ومسلم (مع النووي ٥/ ٩٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجها مسلم رحمه الله (مع النووي ٤/ ١١٠).

ARABALADY.COM

هذه أقوى حجج هذا الوجه[(١)].

الوجه الثاني: أنه يُجهر بها، وحجة هذا القول:

أولاً: كونها آية منها فلا معنى للإسرار بها دون غيرها.

الثاني: ما رواه النسائي[(٢)] من طريق نعيم المجمر قال: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن، حتَّى إذا بلغ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **[الفاتحة:٧]** فقال: آمين. فقال الناس: آمين. ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس في الاثنتين قال: الله أكبر وإذا سلَّم؛ قال: والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ.

وهذه أقوى حجج هذا الوجه[(٣)].

---

(١) **لكن هذا تعقب من وجوه:**

أولها: أن قوله في الرواية الأولى من أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] معناه: أنهم يفتتحون الصلاة بسورة الفاتحة قبل غيرها من السور، فمراده بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاتحة، كما يقال: قرأ النبي ﷺ في صلاة العشاء بـ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥] أي: بالسورة التي فيها ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ ونحو ذلك، وليس فيها تعرض لنفي البسملة أو إثباتها، هذا من ناحية.

* أما من الناحية الأخرى وهي قوله في الرواية الثانية: فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فهذه الرواية وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنه تكلم فيها من ناحية تصرف راويها، فذكر عدد من أهل العلم أن بعض الرواة تصرف عند رواية حديث أنس المتقدم من أنه ﷺ كان يصلي خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، فظن الراوي أنهم لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، فأخطأ ظنه، وإنما المراد أنهم يفتتحون القراءة (أو الصلاة) بالفاتحة على ما قدمنا في أول كلامنا، والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه النسائي (٢/ ١٣٤).

(٣) وقد تعقب هذا الحديث (حديث نعيم المجمر عن أبي هريرة) بأن الذي استنكر على أبي هريرة (كما في طرق الحديث الأخرى) هو التكبير، فقال له القائل: ما هذا التكبير يا أبا هريرة؟ فقال: إني لأشبهكم صلاة بصلاة رسول الله ﷺ» قالوا: إن مراده التكبير بالدرجة الأولى، لقولهم له: (ما هذا =

وثم أدلة أُخر لكل وجه فيتضح أن الأمر في هذا قريب.

والعلم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مشروعية ابتداء الأعمال ببسم الله الرحمن الرحيم

س: ذكر البسملة عند ابتداء الأعمال مشروع ومستحب، اذكر جملة مواطن شرعت فيها التسمية بأدلتها؟

ج: وردت جملة من الأدلة على ذلك نورد منها ما يلي:

❁ شرعت التسمية عند ابتداء الطعام، فقد قال النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة: «**يا غلام، سم الله...**»[(١)].

❁ وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول: «**بسم الله**»[(٢)].

❁ وقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه...**»[(٣)] الحديث.

=التكبير يا أبا هريرة؟!) وفي ذكر التسمية نزاع من ناحية إثباتها حديثًا، فالرواة الأكثر رووا الحديث عن أبي هريرة بدونها، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٥٢١ مع الفتح)، ومسلم (١٣/ ١٩٢ مع النووي)، وغيرهما من حديث عمر ابن أبي سلمة رضي الله عنه، قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك**» فما زالت تلك طعمتي بعد.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٦٢ المسند) من حديث رجل خدم النبي ﷺ ثماني سنين.

(٣) أخرجه مسلم (١٣/ ١٨٧ مع النووي) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدهما**».

MOSTAFAADAWY.COM

❁ وأكد النبي ﷺ على ذكر الله فقال: «**من نسي أن يذكر الله ﷻ في أول طعامه فليقل حين يذكر: بسم الله أوله وآخره، فإنه يستقبل طعامًا جديدًا أو يمتنع الخبيث مما كان يصيب منه**»(١).

❁ وشُرعت التسمية على الذبيحة كذلك، قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ...﴾ [الأنعام:١١٨، ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

❁ وقال النبي ﷺ: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل**»(٢).

❁ وقال النبي ﷺ: «**... ومن كان لم يذبح حتَّى صلينا فليذبح على اسم الله**»(٣)

❁ وقد سمَّى النبي ﷺ وكبَّر وهو يذبح(٤).

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (حديث رقم ٤٦١)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٦٣١ مع الفتح)، ومسلم (١٣/ ١٢٢ مع النووي)، وغيرهما من حديث عباية ابن رفاعة عن جده أنه قال: يا رسول الله، ليس عندنا مُدًى(١) فقال: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل ليس الظفر والسن**»، أما الظفر فمدى الحبشة، وأما السن فعظم.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٦٣٠ مع الفتح)، ومسلم (١٣/ ١٠٩)، وغيرهما من حديث جندب بن سفيان البجلي قال: ضحينا مع رسول الله ﷺ أضحاة ذات يوم فإذا أُناس قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة، فلما انصرف رآهم النبي ﷺ قد ذبحوا قبل الصلاة، فقال: «**من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أُخرى، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله**».

(٤) أخرج مسلم (١٣/ ١٢٠ مع النووي) من حديث أنس رضي الله عنه قال: ضحَّى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، قال: ورأيته يذبحهما بيده ورأيته واضعًا قدمه على صفاحهما، قال: وسمَّى وكبَّر.

---

(١) أي: سكاكين.

MOSTAFALABIB.COM

❁ وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إن قومًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا. فقال رسول الله ﷺ: «**سموا الله عليه وكلوه**»(١).

❁ وشُرعت التسمية على القوس الذي يُرمى به للصيد، فقد قال أبو ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنا بأرض قوم أهل كتاب نأكل في آنيتهم، وأرض صيدٍ أصيد بقوس، وأصيد بكلبي المعلم والذي ليس معلَّمًا، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك؟ فقال: «**أما ما ذكرت من أنك بأرض قوم أهل كتاب تأكل في آنيتهم، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها، وأما ما ذكرت بأنك بأرض صيد فما صدت بقوسك فاذكر اسم الله ثم كل، وما صدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله ثم كل، وما صدت بكلبك الذي ليس معلمًا فأدركت ذكاته فكل**»(٢).

❁ وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعراض فقال: «**إذا أصبت بحده فكل، فإذا أصبت بعرضه فقتل فإنه وقيذٌ فلا تأكل**» فقلت: أرسل كلبي المعلم؟ قال: «**إذا أرسلت كلبك وسمَّيت فكل**» قلت: فإن أكل؟ قال: «**فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك إنما أمسك على نفسه**» قلت: أرسل كلبي فأجد معه كلبًا آخر؟ قال: «**لا تأكل فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسمِّ على الآخر**»(٣).

❁ وتشرع التسمية في الصباح والمساء، فالله عَزَّوَجَلَّ يحفظ بها، فقد قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع**

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٩٤ مع الفتح).
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٦٢١ مع الفتح)، ومسلم (١٣/ ٧٩ مع النووي).
(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٣٠٩ مع الفتح)، ومسلم (٣١/ ٦٧ مع النووي).

اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء»[(١)].

❁ وتشرع التسمية كذلك عند دخول البيت، فقد قال النبي ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله[(٢)] عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[(٣)].

❁ وتشرع التسمية عند إغلاق الأبواب وتخمير الآنية (أي: تغطيتها)، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا وأطفئوا مصابيحكم**»[(٤)].

❁ وتشرع التسمية على الوضوء، لقول النبي ﷺ: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»[(٥)].

❁ وتشرع التسمية عند الجماع كذلك، فروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٦٩)، وأحمد (١/ ٦٢) وعزاه المزي للنسائي في اليوم والليلة.

(٢) في رواية لمسلم أيضًا: «**إن لم يذكر اسم الله عند طعامه.. وإن لم يذكر اسم الله عند دخوله**».

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣/ ١٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٨٨)، ومسلم (مع النووي ١٣/ ١٨٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وهو صحيح لشواهده، وانظر الكلام عليه في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة.

MOSTAFAADIY.COM

وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد لم يضره شيطانًا أبدًا»[(١)].

❁ وتشرع التسمية عند النوم، فقد قال النبي ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»[(٢)].

❁ وتشرع التسمية عند الرقية، فقد روت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى رقاه جبريل قال: «**باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد، إذا حسد وشر كل ذي عين**»[(٣)].

وكذلك روى أبو سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ فقال: «**نعم**»، قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفسٍ أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»[(٤)].

وقال النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص الثقفي لما شكا وجعًا إلى رسول الله ﷺ يجده في جسده منذ أسلم: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[(٥)].

❁ وتشرع التسمية عند وضع الميت في القبر كذلك، فقد قال النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح٩/ ٢٢٨)، ومسلم (مع النووى١٠/ ٥).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح١١/ ١٢٥)، ومسلم (١٧/ ٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (١٤/ ١٦٨ مع النووي).

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ١٤ / ١٧٠).

(٥) أخرجه مسلم (١٤/ ١٨٩).

«إذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ»[(١)].

❁ وتشرع التسمية في صدور الرسائل والاتفاقيات، فقد قال الله تعالى: ﴿... إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، وأرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هرقل فيها: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى...**»[(٢)].

وكذلك قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم....**» الحديث[(٣)]

❁ وتشرع التسمية عند ركوب الدابة؛ قال تعالى: ﴿..وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

❁ وتشرع التسمية عند الوقوع من على الدابة، فعن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان، فقال: «**لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب**»[(٤)]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٧)، وأبو داود (٣/ ٥٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/ ٤٧)، ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٢/ ١٣٨ مع النووي) من حديث أنس رضي الله عنه أن قريشًا صالحوا النبي ﷺ - فيهم سهيل بن عمرو - فقال النبي ﷺ لعلي: «**اكتب باسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل: أما باسم الله فلا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال: «اكتب من محمد رسول الله»** قالوا: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال النبي ﷺ: «**اكتب من محمد ابن عبد الله**» فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاء منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله: أنكتب هذا؟ قال: «**نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا**».

(٤) أخرجه أبو داود (٥/ ٢٦٠)، وابن السني (في عمل اليوم والليلة ٥١٠)، وأحمد (٥/ ٥٩، ٧١).

MOSTAFALABIB.COM

❁ وكذلك أثبتت التسمية في أوائل سور القرآن الكريم[١]، وأول ما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١] [٢].

❁ ❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

(١) وهل هي آية أم لا؟ انظره في سؤال مستقل مع جوابه في هذا الكتاب.

(٢) يتضح ذلك من الحديث الذي أخرجه البخاري (حديث رقم٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المأموم وقراءة الفاتحة

س: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم في الصلاة الجهرية؟

ج: في هذا نزاع بين أهل العلم، فالجمهور يرون أنها لا تجب مستدلين بحديث: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**»(١) وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وبحديث: «**وإذا قرأ فأنصتوا**»(٢).

واستدلوا أيضًا بأن أبا بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدرك النبي ﷺ راكعًا فركع معهم في الصف ولم يأمره النبي ﷺ بالإتيان بركعة جديدة بل قال له: «**زادك الله حرصًا ولا تعد**»(٣).

أما القائلون بأن القراءة تجب على المأموم حتى في الجهرية فاستدلوا بحديث: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»(٤)، وجملة أحاديث على شاكلته، وأجابوا عن حديث: «**من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة**» بأنه ضعيف، وعن الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] بأن استثنوا الفاتحة من ذلك ورأوا أن للمأموم أن ينازع بالفاتحة خاصة، أما زيادة: «**وإذا قرأ فأنصتوا**» فهي شاذة، أما حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو من أقوى المشوشات على هذا الرأي فهو ثابت صحيح لكن بعضهم أجاب عليه بأن الرسول ﷺ قال: «**لا تعد**»، والله تعالى أعلم.

(١) وكل طرق هذا الحديث متكلم فيها.

(٢) هذه الزيادة عند مسلم، وهي منتقدة عليه انتقدها الحافظ الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من أهل العلم، والأمر كما قالوا.

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٣) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) وهو حديث ثابت في الصحيحين وغيرهما وتقدم تخريجه.

noorsunnah.com

س: ما معني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؟

ج: أجمع ما جاء فيها (مما اطلعت عليه) قول ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح المكلَّفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخرًا.

❁ ومن أهل العلم من يقول: إن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر فتقديره قولوا: الحمد لله رب العالمين، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ[1] كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧] أي: أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم[2] وقد نصر هذا القول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره، ومن المناسب أن نأتي بكلامه تامًّا لما سينتفع به بعد في التفسير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: فإن قال لنا قائلٌ: وما معنى قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علَّمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره إذًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وهو عز ذكره معبود لا عابد؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمدٍ

---

(١) أي: الحرم.

(٢) على قول لبعض المفسرين.

(٣) نقل القرطبي وابن كثير عن ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: الحمد لله.

Mostafawy.com

رسول الله ﷺ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلامًا، قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه، ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علَّم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مما علمهم الله جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه، وذلك موصول بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكأنه قال: قولوا هذا وهذا.

فإن قال: وأين قوله: (قولوا) فيكون تأويل ذلك ما ادعيت؟ قيل: قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها - إذا عرفت مكان الكلمة ولم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت - حذفُ ما كفى منه الظاهر من منطقها، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت قولاً أو تأويل قولٍ كما قال الشاعر:

وأعْلَمُ أنني سأكُونُ رمسًا[1] إذا سَارَ النَّواعجُ لا يسيرُ

فقال السائلون لمن حَفَرتُم فقال المخبرون لهم وزيرُ

قال أبو جعفر: يريد بذلك: فقال المخبرون لهم: الميت وزير فأسقط الميت إذ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك، وكذلك قول الآخر:

وَرأَيتِ زَوْجَكِ في الوغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

وقد عُلم أن الرمح لا يُتقلد به وأنه إنما أراد: وحاملاً رمحًا، ولكن لما كان معلومًا معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن إظهار ما حُذف منه وقد يقولون

---

(١) الرمس: قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القبر المسوى عليه التراب، يقول: أصبح قبري يزار أو يناح عليه، ورواه الجاحظ (سأصير ميتًا) وهي لا شيء، والنواعج جمع ناعجة، وهي الإبل السراع نعجت في سيرها، أي: سارت في كل وجه من نشاطها.

للمسافر إذا ودَّعوه: (مصاحبًا معافًى) يحذفون (سر، واخرج)[١] إذ كان معلومًا معناه وإن أسقط ذكره.

فكذلك ما حُذف من قول الله تعالى ذكره: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] لما عُلم بقوله جل وعزَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] ما أراد بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من معنى أمر عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن إبداء ما حُذف.

❀ ❀ ❀

س: هل هناك فرق بين (الحمد) و(الشكر)؟

ج: بعض أهل العلم لا يفرق بين الحمد والشكر، وأن الحمد والشكر بمعنى واحد.

وكثير من أهل العلم يفرقون فيقولون:

إن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة[٢] والمتعدية.

أما الشكر فلا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

---

(١) ونحو هذا قول سليمان عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي: توارت الشمس بالحجاب، وقولنا للمسافر: (مع السلامة) أي: اذهب مع السلامة، أي: مصحوبًا بالسلامة.

(٢) في الحقيقة إنني لا أعلم دليلاً يحدد بالضبط ما هي الصفات اللازمة والصفات المتعدية ولا أعلم أن هناك اتفاقًا كذلك للعلماء في هذا الباب، والذي يبدو لي أن سعة علم العالم تجعل هناك بعض الخلاف في تحديد الصفة اللازمة والمتعدية، فمثلاً اسم (القيوم) قد يرى شخص أنه لازم (لقلة علم هذا الشخص) لكن إذا علم (أن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وكما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الروم:٢٥] اتضح له أن اسم (القيوم) متعدٍّ إلى الخلق كذلك، والله أعلم.

MOSTAFAADAWY.COM

أفـــادتكم النعمـــاءُ منـــي ثلاثـــة يـــدي ولســـاني والضـــمير المحجبـــا

ومعنى هذا الكلام أن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفات لازمة وصفات متعدية فـ(الحي) مثلاً اسم يحمل صفة لازمة لله ﷻ و(الغفور) مثلاً اسم يحمل صفة متعدية للخلق، أي: يغفر لهم، فقولنا: الحمد لله ثناءٌ على الله سبحانه لكونه الحي ولكونه الغفور ولِغير ذلك من الصفات، فقولنا: (الحمد لله) ثناء على الله لصفات الكمال المتفرد بها اللازمة له سبحانه، وقولنا: (الشكر لله) ثناء على الله لمغفرته لنا، ولأنه يرزقنا ويرحمنا ويشفينا ويستر علينا وينصرنا ويهدينا ويشرح صدورنا...

وقد يكون شكرُنا لله ﷻ بأن نصلي له أو نسبحه أو نحج ونعتمر أو نتصدق ونجاهد ونصوم ونسعى و.. ونحو ذلك، فيكون الشكر باللسان والجنان والأركان، والله أعلم.

فعلى ذلك فـ(الحمد) ثناء على الممدوح من غير سبق إحسان، و(الشكر) ثناء على المشكور بما أولى وأعطى من الإحسان، ويكون الحمد بالقول على ما قدمنا، ويكون الشكر بالجنان واللسان والأركان كما قدمنا أيضًا.

فعلى ذلك يكون الحمد أعم من ناحية، والشكر خاصًّا من هذه الناحية، ويكون الشكر عامًّا من ناحية أخرى والحمد خاصًّا منها، ولتوضيح ذلك نقول: إننا نحمد الله لكل صفاته اللازمة والمتعدية فنحمده لأنه الحي القيوم المجيد الفعال لما يريد، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفور الشكور...

إلى غير ذلك من جميع صفاته، فمن هذه الناحية يكون الحمد عامًّا والشكر منها يكون خاصًّا إذ شكره على صفات الإحسان لكونه الرزاق الغفار الشافي

noorpdfbooks.com

الهادي ونحو ذلك، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى نشكره بصلاتنا وصيامنا وتصدقنا على الفقراء وحجنا وجهادنا وتصديقنا بقلوبنا وبألسنتنا و... فالشكر عام هنا ومن هذه الناحية الحمد يكون خاصًّا فيكون باللسان.

والله تعالى أعلم والحمد لله والشكر لله.

❁ ❁ ❁

س: قال بعض العلماء: إن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هي كلمة كل شاكر، اذكر ما يدل لهم على ذلك.

ج: استدلوا على ذلك بقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وبقول نوح عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وبقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]

وبقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾ [الإسراء: ١١١].

وبقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وبقول الله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]

وبقول داود وسليمان عليهما السلام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وبقول العاطس إذاعطس: (الحمد لله) [١].

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١٠/ ٦٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قالك «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل:

❁ وأن الحمد لله يقولها الشخص إذا أوى إلى فراشه، فإن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**»(١).

❁ ويقولها الخطيب في خطبة الجمعة(٢).

❁ ويقولها الشخص إذا رأى رؤيا يحبها(٣).

❁ ويقولها الشخص إذا انتهى من طعامه وشرابه(٤).

❁ ويقولها الشخص إذا لبس جديدًا(٥).

❁ ❁ ❁ ❁

=**يهديكم الله ويصلح بالكم**».

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٣٧).

(٢) أخرج مسلم (مع النووي٦/ ١٥٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال: كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول...

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ١٢ / ٣٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها**،...» الحديث.

(٤) أخرج مسلم (مع النووي ١٧ / ٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»، وأخرج البخاري من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه - وقال مرة - إذا رفع مائدته - قال: «**الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور**» وقال مرة: «**لك الحمد ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغني ربنا**» وفي رواية: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا**» أخرجه البخاري (مع الفتح٩/ ٥٨٠).

* وأخرج أبو داود (٤/ ١٨٧) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «**الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجًا**».

(٥) أخرج أبو داود (٤/ ٣٠٩) عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه إما قميصًا أو عمامة ثم يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**»، وهو صحيح.

noorsalaby.com

س: حَمَدَ الرَّب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفسه في الكتاب العزيز فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] فهل يجوز لشخص أن يثني على نفسه؟ وهل يجوز أن يثني على غيره؟

ج: لا يجوز للشخص أن يحمد نفسه فقد نهى الله ﷻ عن مثل هذا فقال ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩].

وكذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يبالغ في الثناء والإطراء على شخص، وذلك لأن رجلاً ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى رجلٌ عليه خيرًا، فقال النبي ﷺ: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**» يقوله مرارًا: «**إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكي على الله أحد**»(١).

❁ وعن أبي معمر قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب، وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب(٢).

لكن يجوز للشخص أن يثني على نفسه وأن يثني على غيره من غير إطراء لعلة من العلل كما فعل عثمان عند محاصرة القوم له، وذكرهم بما صنع من حفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة، وكما أثنى رسول الله ﷺ على عددٍ من أصحابه رضي الله عنهم.

وهذا وذاك محله إذا أُمنت الفتنة ولم يخش من الثناء فسادًا وإنما رُجي

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٨٦)، ومسلم (١٨/ ١٢٧ مع النووي) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٨ / ١٢٧).

Nostrabooks.com

بالثناء انتفاعًا للشخص المُثنى عليه ولغيره، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض معاني كلمة ﴿رَبِّ﴾.

ج: تطلق كلمة (رب) على معانٍ منها:

❁ الرب بمعنى السيد، ومنه قول يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، وقوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف:٤١].

وقول النبي ﷺ في بيان أشراط الساعة: «**وأن تلد الأمة ربتها**»(١).

ومنه أيضًا قول لبيد بن ربيعة:

وَأَهْلَكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَةَ وابنَه ... وربَّ معدٍّ بين خَبتٍ وعَرْعَرِ

يعني برب كندة: سيد كندة؛ قاله الطبري.

❁ والرب يطلق على المالك: ومنه قولهم: رب البيت، ورب الإبل.

❁ ويطلق الرب على المصلح والمربي، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [النساء:٢٣] فسميت بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها.

❁ ويطلق الرب على المعبود، ومنه قول الشاعر:

وثم معانٍ أُخر لكلمة (الرب).

هذا وقد قال عدد كبير من أهل العلم: إن الألف واللام متى أُدخلت على (رب) اختص به الله ﷻ، وإن حذفتا منه صار مشتركًا بين الله ﷻ وبين عباده، فيقال: الله رب العباد، ويقال أيضًا: زيدٌ رب الدار.

---

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم٨) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

MostafaLadwa.com

فعلى هذا لا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة كقولهم: رب البيت، ورب الدار...

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو سيد الخلق ومالكهم ومربيهم ومصلحهم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما هي أقوال المفسرين في المراد بالعالمين؟

ج: أما العالمين فهي جمع عالم، والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالجيش والرهط والأنام ونحو ذلك من الأسماء التي هي موضوعة على جمع لا واحد له من لفظه، قاله الطبري.

ونحوه قاله ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله ﷻ.

وقال الطبري أيضًا: والعالم اسم لأصناف الأمم وكل صنفٍ منها عالم، وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم[1] ذلك القرن وذلك الزمان، فالإنس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان، والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق، كل جنس منها عالم زمانه، ولذلك جُمع فقيل: عالمون، وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والعوالم أصناف المخلوقات في السموات والأرض وفي البر والبحر، وكل قرنٍ منها وجيل يسمى: عالمًا أيضًا.

قلت: فالحاصل أن كلمة العَالَم أو (العالمين) قد تأتي عامة وقد تأتي بمعنى خاص.

❁ فالعالمين تطلق أحيانًا على السموات والأرض وما فيهن وما بينهن،

---

(١) وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١٦٣) أنه قال: كل صنف عالم.

Mostafadawr.com

ودليل ذلك قول موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لفرعون لما سأله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال له موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٣، ٢٤].

❁ وأحيانًا تطلق العالمين على الإنس والجن فقط، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] فلم يكن نذيرًا للبهائم ولا للطيور.

❁ وأحيانًا تطلق العالمين على البشر كقول لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦٥].

❁ وأحيانًا تأتي خاصة فيقال: عالم الملائكة - عالم الجن - عالم الحيوانات، إلى غير ذلك والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: العالم مشتق من ماذا؟

ج: بعض أهل العلم يقولون: إن العالم مشتق من العلامة لأن وجود العالم علامة على وجود خالقه.

وبعض العلماء يقولون: العالم مشتق من العلم، والقول الأول عليه الأكثر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه إيراد قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٣] عقب قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وقد تقدمت في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١]؟

MOSTAFALADAWY.COM

ج: بعض أهل العلم يرى أن ذلك لاتباع الترهيب بالترغيب، فقالوا: إن قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه نوع ترهيب فعُقِّب بالترغيب في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وممن قال بهذا القول القرطبي وغيره، فقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصف نفسه تعالى بعد ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ترهيب قرنه بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته وأمنع، كما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**»(١).

❁ وقال صاحب «فتح البيان» صديق حسن خان: .. وقيل: فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور، وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها، وأنه هو المتفضل بها على خلقه.

❁ هذا ومن رأى من أهل العلم أن البسملة ليست آية من الفاتحة لم يرد عنده إشكال إذ أن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] ليس مكررًا.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالدين في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؟

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٥٦).

ج: المراد بالدِّين في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء[1] أي: جزاء الناس على أعمالهم وحسابهم عليها خيرًا كانت أو شرًّا، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور:٢٥] أي: جزاء أعمالهم بالعدل والحساب على تلك الأعمال.

ومنه أيضًا قول الكافرين: ﴿...أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥٣] أي: مجزيون ومحاسبون، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار:٩].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:٨٦] يعني: غير مجزيين بأعمالكم ومحاسبين عليها.

ومنه قول الشاعر:

وَاعلَمْ وأيقِن أن ملكَك زائلٌ ... وَاعلَمْ بأنك ما تدينُ تُدانُ[2]

---

(١) وللدين معان أُخر فيطلق على الإيمان والإسلام والإحسان دين؛ لقول النبي ﷺ لأصحابه لما جاء جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان و..: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] ويُطلق الدين على الحج، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، على قول لبعض المفسرين، ويطلق الدين على الطاعة، ويطلق على العادة والشأن، ويطلق على الداء، ويطلق على حكم الملك كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦] وله معان أخر تأتي في مظانها إن شاء الله.

(٢) ذكره المفسرون في تفاسيرهم ومنهم الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على الطبري:.. بعض الكلابيين يقولون: إن الحارث بن أبي شمر الغساني كان إذا أعجبته امرأة من قيس علان بعث إليها واغتصبها، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابي وكان أبوها غائبًا، فلما قدم أخبر فوفد إليه فوقف بين يديه وقال:

يا أيها الملكُ المُقِيتُ أَمَا تَرى ... لَيْلاً وصُبْحًا كيف يختلِفانِ؟

هل تستطيعُ الشمسَ أن تأْتِي بها ... لَيْلاً وهل لك بالمليك يدانِ؟

يا حَارِ أيْقِن أنَّ ملكَكَ زَائِلٌ ... .

س: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مالك الملك ومالك أيام الدنيا؛ ومالك يوم الدين فلماذا خصص يوم الدين بالذكر في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]؟

ج: تخصيص ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بالذكر لأمور منها:

١- لتعظيمه وتهويله، فالإضافة أحيانًا تكون للتعظيم وللتشريف، كما قال تعالى في شأن ناقة صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣] مع أن كل النوق خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨] مع أن الأرض كلها لله.

٢- لبيان تفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بإجراء الأمر وفصل القضاء فيه فلا يدعي أحدٌ هنالك شيئًا، ولا يتكلم أحد هنالك إلا بإذنه، فقد كان هناك في الدنيا من يدعي المنازعة له سبحانه في الملك كفرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد ولا يتكلم إلا بإذنه قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، وكما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:١٠٥].

س: ما أشهر القراءات في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]؟

ج: أشهر القراءات في ذلك قراءتان وهما: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و(**ملك يوم الدين**) وكلاهما قراءة معتمدة ذكرها القراء والمفسرون.

أما تأويل قراءة من قرأ: ﴿ملك﴾ فقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لله الملك يوم

الدين خالصًا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَغَرة الأذلة وأن له - من دونهم ودون غيرهم - الملك والكبرياء والعزة والبهاء، كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، فأخبر تعالى ذكره أنه المتفرد يومئذٍ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار.

أما تأويل: ﴿مَٰلِكِ﴾ فنقل ابن جرير[1] عن ابن عباس: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا، ثم قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨]، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

❀ ❀ ❀

س: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الملك، وهو أيضًا مالك دلّ على ذلك.

ج: أما الدليل على كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الملك: فقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر:٢٣]، أما الدليل على كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مالك: فقوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] والله أعلم..

❀ ❀ ❀

(١) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف، والأثر عند الطبري (١٦٦).

MOSTAFALADAWY.COM

س: بعض العلماء يقولون: إن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] بعد قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤] من أنواع التلوين في الأسلوب بمعنى أن الشخص إذا قال: ﴿مَّالِكُ يَوْمِ يُدِينُ﴾ ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدِ..﴾ فقد رجع من الغيبة[١] إلى الخطاب[٢] اذكر أمثلة أخرى لذلك في التنزيل؟

ج: من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان:٢١، ٢٢]، فانتقل من الحكاية عن الغائب في قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ﴾ إلى خطاب الحاضر في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

وعكسه[٣] في قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس:٢٢] فصدر الكلام بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ﴾ ثم أتبع بقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ﴾ [الأعراف:٥٧]، أي: فساقه، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: لماذا تحوَّل الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٤، ٥]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما مفاده: إن العبد لما أثنى على ربه ﷻ بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

---

(١) هذا من ناحية اللغة، أما من ناحية الشرع فرب العزة سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ..﴾ [البقرة:١٨٦].

(٢) يعني: من خطاب الغائب عن عينيه إلى خطاب الحاضر.

(٣) أي: الانتقال من الحاضر إلى الغائب.

MOSTAFAADLY.COM

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٢-٤] فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله ﷺ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، والله أعلم..

❁ ❁ ❁

س: لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾؟

ج: قدم المفعول على الفعل اهتمامًا، وشأن العرب تقديم الأهم، ومن ذلك ما ذكره بعض العلماء من أن أعرابيًّا سب آخر فأعرض المسبوب عنه، فقال له الساب: إياك أعني، فقال له الآخر: وعنك أُعرض.

❁ وأيضًا فيه الأدب مع الله ﷻ فقدَّموا اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على فعلهم.

❁ وفيه اختصاص المسمى بالحصر[1] أي: اختصاص الرب سبحانه هنا بالعبادة فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة:٥] بمعنى لا نعبد إلا إياك، ومعنى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] لا نستعين إلا بك، وهي كقوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة:٤٠] أي: لا ترهبوا غيري، وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة:٤١] أي: لا تتقوا سواي.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة تكرير إياك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾؟

ج: فيه دليل على قوة تعلق العبادة بالمعبود، وقوة تعلق الاستعانة بالمستعان، فقول رجل لآخر مثلاً: إياك أحب وإياك أخاف أقوى من قوله له:

---

(١) وقد ذكر بعض الأصوليين أن تقديم المعمول من صيغ الحصر.

MostafaAdawy.com

إياك أحب وأخاف، فقوة المحبة والخوف الأول أقوى منها في الثاني، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من أهل العلم من يقول: إن في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله وضح ذلك.

ج: وجهة القائلين بذلك تتضح إذا علمت أن معنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لا نعبد إلا إياك، فحينئذ يتضح لك وجه الشبه فقولنا لا إله إلا الله مركب من أمرين نفي وإثبات، فالنفي خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات إفراد رب السموات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع، فكذلك قوله: لا نعبد إلا إياك ففيه نفي العبودية لغير الله وإثبات العبودية لله وحده، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: مَنْ مِن أهل العلم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] تدفع الكبرياء؟ وما وجه قولهم؟

ج: قائل ذلك هو ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وقاله أيضًا تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، ووجه قولهما أن قول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد إلا إياك فاندفع بذلك الرياء، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معناه: لا نستعين إلا بك فلا قوة لنا على الطاعات ولا على شيء من الأمور إلا بعونك فاندفع بذلك الكبرياء، والله أعلم.

---

(١) انظر التفسير القيم ص(٤٨).

حكم الاستعانة بالبشر

س: هل تجوز الاستعانة بالبشر؟

ج: نعم تجوز الاستعانة بالبشر الأحياء فيما يقدرون عليه، والأدلة على ذلك كثيرة، منها: أن النبي ﷺ استعان في هجرته من مكة إلى المدينة برجل من بني عبد الديل هاديًا خريتًا[1]، وكذلك نزل أبو بكر في جوار ابن الدغنة[2].

(١، ٢) أخرجهما البخاري في حديث طويل (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طَرَفَي النهار: بكرةً وعشيًّا، فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدّغنة - وهو سيدُ القارةِ - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أَخْرجني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدّغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ، إنك تَكْسِبُ المعدوم وتَصِلُ الرحم وتحمل الكَلَّ وتَقري الضيف وتُعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدّغنة فطاف ابن الدّغنة عشيةً في أشرافِ قريشٍ فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلُهُ ولا يُخرَجُ، أتُخرِجون رجلاً يَكسِبُ المعدوم ويَصِلُ الرَّحم ويحمل الكلَّ ويقري الضيف، ويُعينُ على نوائبِ الحق؟ فلم تُكذِّب قريشٌ بجوار ابن الدّغنة، وقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره فليُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلِنْ به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر لذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء دارِهِ وكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم وهم يَعجَبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريشٍ من المشركين فأَرسَلُوا إلى ابن الدّغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أَجَرْنَا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في دارِهِ فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسله أن يردَّ إليك ذمتَكَ، فإنا قد كَرِهْنَا أن نُخْفِرَك، ولسنا بمقرِّين لأبي بكر الاستعلانَ. قالت عائشةُ: فأتى ابن الدَّغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تَرجِعَ إليَّ ذمتي، فإني لا أُحب أن تسمع العربُ أني أُخفرتُ في رجل عقدتُ له، فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارَكَ، وأرضى بجوارِ الله عز وجل، والنبي ﷺ يومئذ بمكةَ، فقال النبي ﷺ للمسلمين: «**إني أُريتُ دار هِجْرَتِكم ذات نخلٍ**

وقالت جويرية لرسول الله ﷺ: (... جئت أستعين بك في مكاتبتي) [١].

=**بين لابتين**» وهما الحرَّتان فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينةِ، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**على رِسْلَك فإني أرجو أن يُؤذن لي**»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنتَ؟ قال: «**نعم**» فحبس أبو بكر نَفْسَه على رسولِ الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر - وهو الخَبْطُ - أربعة أشهر. قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا في ساعة لم يكن يأْتينا فيها - فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ، قالت: فجاء رسولُ الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أخرِج من عِندَك**»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: «**فإني قد أُذِنَ لي في الخروج**»، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسولُ الله ﷺ: «**نعم**». قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: «**بالثَّمن**»، قالت عائشة فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سُفرةً في جراب فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكر قطعة من نِطاقها فربطت به على فَمِ الجراب فبذلك سميت ذات النطاق، قالت: ثمَّ لَحِقَ رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثورٍ فكَمنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فيُدلج من عندهما بسحرٍ فيصبحُ مع قريشٍ بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بنُ فهيرة مولى أبي بكر منحةً من غَنَم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسل، وهو لبن منحتهما ورَضيفِهما- حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسولُ الله ﷺ رجلاً من بني الدِّيل وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خِرِّيتًا، والخريتُ: الماهر بالهداية، قد غمس حلفًا في بني العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفارِ قريش فأمِناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاثِ ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليلُ فأخذ بهم طريق السواحل.

«صحيح»

وأخرجه أحمد بعضه (٦/ ١٩٨).

(١) أخرجه ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ (كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢٥٧) بإسناد حسن فقال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عمه عروة بن الزبير عن خالته عائشة قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في القسم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تستعينه في كتابتها قالت عائشة: فوالله ما هي إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها ما قد رأيت فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، =

وكذلك قالت بريرة لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [١] واستعان كعب بن مالك بذوي الرأي من قرابته عند رجوع رسول الله ﷺ من تبوك[٢] هذا كله مع اعتقاد أن الناصر والمعين هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❀ ❀ ❀ ❀

س: بعض العلماء يقولون: إن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] من باب عطف الخاص على العام وضح ذلك.

ج: هذا لأن العبادة المطلقة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه والاستعانة مما يحبه الله ويرضاه فكانت العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة مستعينٌ به ولا ينعكس لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم ولهذا كانت قسمَ الرب[٣] ولأن الاستعانة جزء من العبادة من غير عكس ولأن الاستعانة طلب منه والعبادة طلب له ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص والاستعانة تكون من مخلصٍ وغير مخلصٍ...[٤].

❀ ❀ ❀ ❀

=وقد أصابني من البلايا ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي فقال: «**أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك**» فقالت: نعم. ففعل ذلك فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها.

(١) أخرجه البخاري (٢٧١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وأحمد (٦/ ٣٨٧ - ٣٨٨).

(٣) وذلك لما في حديث إذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] قال الله ﷻ: «**هذا بيني وبين عبدي**».

(٤) هذا كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره القيم» أوردناه مع زيادة زدناها في أوله والله أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

س: وصَفَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أفضل خلقه وصفوته منهم وهم أولو العزم من الرسل بالعبودية له سبحانه فهم في هذا الجانب كغيرهم عبيدٌ لله سبحانه وكذلك وصفت الملائكة بأنهم عبيد لله سبحانه، وكذلك سائر الخلق وضح ذلك بأدلته.

ج: أما أولو العزم من الرسل:

۞ فنوح عليه السلام ذكره الله سبحانه فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣].

۞ وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ [القمر:٩].

۞ وإبراهيم عليه السلام ذكره الله فقال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص:٤٥]

۞ وموسى عليه السلام ذكره الله فقال فيه وفي أخيه هارون عليهما السلام: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١٢٢].

۞ وعيسى عليه السلام قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠] وقال الله عز وجل في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩] وقال سبحانه: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٧٢].

۞ وكذلك نبينا محمد ﷺ سماه الله عبدًا ووصفه بالعبودية في أشرف المقامات.

۞ وفي مقام الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩].

Mostafa.com

❁ وفي مقام الوحي قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

❁ وفي مقام التحدي قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

❁ وفي مقام إنزال الكتاب عليه قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

❁ وفي الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

❁ وفي مجال حفظ الله له قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

❁ وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفهم الله ﷻ بالعبودية له سبحانه فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٨].

❁ وكذلك يوسف - إضافة إلى ما ذكر - قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

❁ ونوح ولوط قال تعالى فيهما: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ [التحريم: ١٠]

❁ وكذلك إلياس عليه السلام قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٣٢]

❁ وأيوب عليه السلام قال الله فيه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١].

noorpdf.com

❁ وداود وسليمان عليهما السلام قال الله فيهما: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

وداود عليه السلام قال الله فيه: ﴿..وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ..﴾ [ص:١٧].

❁ وسليمان عليه السلام قال الله فيه: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:٣٠].

❁ وزكريا قال الله فيه: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:٢].

❁ والخضر قال الله فيه: ﴿.. فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف:٦٥].

❁ وكذلك الملائكة قال الله ﷻ فيهم وفيمن عبدوهم: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف:١٩].

❁ وهكذا كل الخلق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣].

❁ ❁ ❁ ❁

س: خلق الله ﷻ الخلق لطاعته وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له اذكر جملة آيات تدل على ذلك.

ج: قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ

MOSTAFAADWY.COM

﴿[طه:١٤]

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة:٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ..﴾ [آل عمران:٦٤].

۞ وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش:٣].

۞ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٨٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا.

س: ما معنى: ﴿نَعْبُدُ﴾، و﴿نَسْتَعِينُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؟

ج: نعبدُ أي: نَذِلُّ ونستكين ونخضع ونخشع فأصل العبودية الذِّلة ومنه طريق مُعبّد أي: مذلَّل موطوء.

وتطلق العبادة أيضًا على الطاعة وثمَّ معان أُخر ترجع إلى ما ذكر وستأتي

Mostafa.com

في محلها إن شاء الله.

❁ والعبادة في الشرع هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه[1].

(١) وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ «التفسير القيم» (ص ٦٥): والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي: مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له لم تكن عابدًا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًّا خاضعًا، ومن ههنا كان المنكرون محبة العباد لربهم منكرين حقيقة العبودية والمنكرون لكونه محبوبًا لهم بل هو غاية مطلوبهم ووجهه الأعلى نهاية بغيتهم منكرين لكونه إلهًا وإن أقروا بكونه ربًّا للعالمين وخالقًا لهم فهذا غاية توحيدهم، وهو توحيد الربوبية الذي اعترف به مشركو العرب ولم يخرجوا به من الشرك كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:٨٧] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥، الزمر:٣٨] وقال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٤، ٨٥] ولهذا يحتج عليهم به على توحيد إلهيته وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه.

والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله والاعتماد عليه فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه مع ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به والتوكل معنى يلتئم من أصلين: من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة قد ذُكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا أحدها.

الثاني: قول شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

الرابع: قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٨، ٩].

السادس: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠][1].

فهذه ستة مواضع يجمع فيها بين الأصلين وهما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

---

(١) في الأصل ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب﴾، والصواب ما أثبتناه.

وأحيانًا يطلقها بعض أهل العلم على أضيق من ذلك فيطلقونها على الصلاة والزكاة والصيام والحج.

أما (نستعين) فمعناها نطلب العون.

❀ ❀ ❀ ❀

س: اذكر قول القدرية باختصار شديد وكيف ترد عليه من سورة الفاتحة؟

ج: باختصار شديد أنهم ينفون القدر ويقولون: إن الإنسان يختار لنفسه ما شاء ولا دخل للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك.

أما الرد عليهم من سورة الفاتحة فبقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

فيقال لهم: إذا كنتم ترون أنه ليس للرب سبحانه دخل في الهداية فلماذا تطلبونها منه، ولماذا تطلبون منه العون على العبادة في قولكم في كل صلاة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام اذكر ما قاله رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك؟ وأين قال ذلك؟

ج: هذه الأقسام ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ في «التفسير القيم» ص:٩٦ فقال: الناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة أربعة أقسام:

أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الربُّ ﷻ الإعانةَ على مرضاته، وهو الذي علمه النبي ﷺ لِحبِّه معاذ بن جبل. قال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول في دُبُر كل صلاة: اللهم أعني**

MOSTAFAABDWAN.COM

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[(١)].

فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه. فتأملها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **[الفاتحة:٥]**

ومقابل هؤلاء: القسم الثاني: وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة، بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته، لا على مرضاة ربه وحقوقه، فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض: يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمُدُّ هؤلاء وهؤلاء، وأبغض خلقه: عدوه إبليس، ومع هذا فسأله حاجة فأعطاه إياها، ومتعه بها، ولكن لما لم تكن عونًا له على مرضاته: كانت زيادة له في شقوته، وبعده عن الله وطرده عنه، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه، ولم يكن عونًا على طاعته، كان مبعدًا له عن مرضاته، قاطعًا له عنه ولا بد.

وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له، وفيها هلاكه

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٥٢) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**» فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».
وأخرجه النسائي (٣/ ٥٣)، والحاكم (٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

MOSTAFAADAWY.COM

وشقوته، ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له، فيمنعه حمايةً وصيانة وحفظًا لا بخلاً، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته، ويعامله بلطفه: فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه، ويراه يقضي حوائج غيره، فيسيء ظنه بربه، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به، والمعصوم من عصمه الله، والإنسان على نفسه بصيرة وعلامة هذا: حمله على الأقدار. وعتابه الباطن لها. كما قيل: فوالله لو كشف عن حاصله وسره لرأى هناك معاتبة القدر واتهامه، وأنه قد كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، ولكن ما حيلتي؟ والأمر ليس إليّ، والعاقل خصم نفسه، والجاهل خصم أقدار ربه، فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئًا معينًا خِيرته وعاقبته مغيبة عنك، وإذا لم تجد من سؤاله بدًّا، فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة، وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة، ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة بل استخارة من لا علم له بمصالحه ولا قدرة له عليها، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها. ولا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، بل إن وُكل إلى نفسه هلك كل الهلاك، وانفرط عليه أمره. وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال: تسأله أن يجعله عونًا على طاعته وبلاغًا إلى مرضاته، ولا يجعله قاطعًا لك عنه، ولا مبعدًا عن مرضاته. ولا تظن أن عطاءه كلَّما أعطى لكرامة عبده عليه؛ ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان، يمتحن بهما عباده.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ **[الفجر: ١٥- ١٧]** أي: ليس كل من أعطيتُه ونعمته وخولته: فقدأكرمته، وما ذاك لكرامته عليَّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له: أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إياه، وأخول

فيه غيره؟ وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه عليَّ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له: أيصبر؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سَعة الرزق، أم يتسخط؟ فيكون حظه السخط.

فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام، وأن الفقر إهانة، فقال: لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته عليَّ، ولم أبتله بالفقر لهوانه عليَّ. فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه يوسع على الكافر لا لكرامته، ويُقَتِّر على المؤمن لا لإهانته، إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته. فله الحمد على هذا وعلى هذا، وهو الغني الحميد.

فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

فصل

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة. وهؤلاء نوعان:

أحدهما: القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل. فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة: فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء بتوفيق زائد، أوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر، أوجب له الكفر، فعباد هؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة، لا استعانة معه فهم موكولون إلى

MOSTAFALADY.COM

أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده.

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وتلاشيها في ضمنه، وقيامها به، وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول على المحرك الأول. فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك، ومن السبب إلى المسبب، ومن الآلة إلى الفاعل. فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم، فقل نصيبهم من: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم، ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم. ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه، وكان مأمورًا بإزالته، لأزاله.

فإن قلت: فما معنى التوكل والاستعانة؟

قلت: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، وتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتمادًا عليه وتفويضًا إليه وطمأنينة به وثقة به ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه، وأنه مَلِيٌّ به، ولا يكون إلا بمشيئته، شاءه الناس أم أَبَوْه، فتشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مَلِيَّان بهما.

mostafabdw.com

فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه، وحبس هَمِّه على إنزال ما ينويه بهما. فهذه حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولا بد. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه. والحسب: الكافي، فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة، وإن لم يكن من أهل التقوى فهو:

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنفع والضرر، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يَدُر مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه، واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه، وطلبها منه، وأنزلها به فقضيت له، وأسعف بها، ولكن لا عاقبة له، سواء كانت أموالاً أو رياسة أو جاهًا عند الخلق أو أحوالاً، من كشف وتأثير وقوة وتمكين. فإنها من جنس الملك الظاهر، والأموال لا تستلزم الإسلام، فضلاً عن الولاية والقرب من الله. فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر، والمؤمن والكافر.

فمن استدل بشيء من ذلك على محبة الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه، وأنه من أوليائه المقربين فهو من أجهل الجاهلين، وأبعدهم معرفة بالله ودينه، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه، فالحال من الدنيا. فهو كالملك والمال، إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته، وتنفيذ أوامره، ألحقه بالملوك العادلين البررة، وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن الله، وملحق له بالملوك الظلمة، والأغنياء الفجرة.

س: ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في «تفسيره القيم» أن لأهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق فهم في ذلك أربعة أصناف اذكر ما قاله هذا العلامة الجليل.

Mostafa Adly.com

ج: كلام هذا العالم الجليل في هذا المقام في غاية النفع ولذلك نورده هنا بتمامه[1]، قال رَحِمَهُ اللَّهُ (التفسير القيم ص:٦٧):

ثم أهل مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق. فهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات، وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها.

قالوا: لأنه أبعد الأشياء من هواها، وهو حقيقة التعبد.

قالوا: والأجر على قدر المشقة، ورووا حديثًا لا أصل له: «**أفضل الأعمال أَمَرُّها**» أي: أصعبها وأشقها، وهؤلاء: هم أهل المجاهدات والجور على النفوس.

قالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ طبعها الكسل والمهانة، والإخلاد إلى الأرض، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق.

الصنف الثاني: قالوا: أفضل العبادات التجرد، والزهد في الدنيا، والتقلل منها غاية الإمكان، واطّراح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

ثم هؤلاء قسمان:

فعوامهم: ظنوا أن هذا غاية، فشمروا إليه وعملوا عليه. ودعوا الناس إليه، وقالوا: هو أفضل من درجة العلم والعبادة، فرأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها.

---

(١) وقد أوردناه مع المزيد في رسالة قيمة لنا اسمها: «الفقه في الدين» فراجعها إن شئت فإن بها نفعًا كبيرًا – إن شاء الله – في هذا الباب.

MOSTAFAABW.COM

وخواصهم: رأوا هذا مقصودًا لغيره، وأن المقصود به عكوف القلب على الله، وجمع الهمة عليه، وتفريغ القلب لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاشتغال بمرضاته. فرأوا أن أفضل العبادات في الجمعية على الله، ودوام ذكره بالقلب واللسان، والاشتغال بمراقبته، دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له.

ثم هؤلاء قسمان: فالعارفون المتبعون منهم: إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرَّقهم وأذهب جمعيتهم. والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من العبادة جمعية القلب على الله. فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفت إليه.

وربما يقول قائلهم:

ثم هؤلاء أيضًا قسمان: منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته، ومنهم من يقوم بها، ويترك السنن والنوافل، وتعلم العلم النافع لجمعيته.

وسأل هؤلاء شيخٌ عارفٌ فقال: إذا أذن المؤذن وأنا في جمعيتي على الله، فإن قمت وخرجت تفرقت، وإن بقيت على حالي بقيت على جمعيتي، فما الأفضل في حقي؟

فقالوا: إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم، وأجب داعي الله، ثم عد إلى موضعك. وهذا لأن الجمعية على الله: حظ الروح والقلب، وإجابة الداعي: حق الرب، ومن آثر حظ روحه على حق ربه فليس من أهل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

الصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل. فتصدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه**

أنفعهم لعياله» رواه أبو يعلى[(١)].

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه وعمل النافع متعد إلى الغير، وأين أحدهما من الآخر؟

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

قالوا: وقد قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النعم**»[(٢)]، وهذا التفضيل للنفع المتعدي، واحتجوا بقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء**»[(٣)]، واحتجوا بقوله ﷺ: «**إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير**»[(٤)]، وبقوله ﷺ: «**إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها**»[(٥)].

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا، وقد أخرجه الطبراني (١٠/ ١٠٥) أثر (١٠٠٣٤)، والخطيب البغدادي (٦/ ٣٣٤) وفيه موسى بن عمير، وهو متروك.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

(٤) صححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله (صحيح الجامع ١٨٣٤).

(٥) ضعيف، وقد أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والبغوي (شرح السنة) (١/ ٢٧٥)، والدارمي (١/ ٩٨) وغيرهم كما سنشير إليه قريبًا من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل، فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن**

MOSTAFABDW.COM

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي نسب إليه.

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم، ونفعهم في معاشهم ومعادهم، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب، ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد، وترك مخالطة الناس. ورأى هؤلاء التفرق في أمر الله ونفع عباده والإحسان إليهم أفضل من الجمعية عليه بدون ذلك.

الصنف الرابع: قالوا: إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد، من صلاة الليل وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.

والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر

=في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر».

* وهذا إسناد ضعيف من أجل داود بن جميل فهو ضعيف، وكذلك كثير بن قيس، وثَمَّ بعض الخلافات في السند أيضًا، ولمزيد من الوقوف عليها مع الوقوف على مزيد ممن أخرجوا الحديث انظر سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وسنن ابن ماجه (حديث ٢٢٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٢٩) و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (ص٣٣-٣٧)، وأحمد في المسند (٥/ ١٩٦)، وابن حبان (١/ ١٥١-١٥٢)، وثَمَّ شاهد عند أبي داود (٣٦٤٢) من حديث أبي الدرداء، وفي إسناده مجهول. والله تعالى أعلم.

والاستغفار.

والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعلم الجاهل: الإقبال على تعليمه والاشتغال به.

والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى الجامع، وإن بَعُد كان أفضل.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه، أو البدن أو المال: الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يخاطبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضل في العشر الأخير من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن، عند كثير من العلماء.

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته، وحضور جنازته

MostafaBadawy.com

وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم. فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه[1].

والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من عزلتهم فيه، وعزلتهم في الشر، فهي أفضل من خلطتهم فيه. فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله فخلطتهم حينئذ أفضل من عزلتهم.

فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال. والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه. وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق. والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد. فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقض وترك عبادته. فهو يعبد الله على وجه واحد. وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى أين كانت. فمدار تعبده عليها. فهو لا يزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره: فإن رأيت العلماء رأيته معهم. وإن رأيت العباد رأيته معهم. وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم. وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت

---

(١) صح في هذا المعنى حديث عن رسول الله ﷺ من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**».

أخرجه الترمذي (٢٥٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، وابن ماجه (٤٠٣٢).

mostafabdo.com

المتصدقين المحسنين رأيته معهم، وإن رأيت أرباب الجمعية وعكوف القلب على الله رأيته معهم، فهذا هو العبد المطلق، الذي لم تملكه الرسوم، ولم تقيده القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات. بل هو على مراد ربه ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه، فهذا هو المتحقق بـ(إياك نعبد وإياك نستعين) حقًّا، القائم بهما صدقًا. ملبسه ما تهيأ، ومأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى ووجده خاليًا، لا تملكه إشارة، ولا يتعبده قيد، ولا يستولي عليه رسم، حر مجرد، دائر مع الأمر حيث دار، يدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه يأنس به كل محق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها، وكلها منفعة حتى شوكها. وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله، فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس. بل إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فواهًا له. ما أغْرَبَه بين الناس، وما أشدَّ وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه!! والله المستعان. وعليه التكلان.

❀ ❀ ❀ ❀

س: العبودية لله على قسمين: عبودية خاصة وعبودية عامة، وضح ذلك.

ج: أما العبودية العامة فبمعنى أن كل الخلق مقهورون خاضعون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتصرف فيهم كيف يشاء، ويحكم فيهم كما يريد، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ومن الآيات التي يظهر فيها معنى العبودية بعمومه قوله

تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿أَأَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

❁ أما العبودية الخاصة فأهلها ذلّلوا أنفسهم لله واستكانوا لأوامره وائتمروا بها وانتهوا عن نواهيه فامتثلوا ما أمر وانتهوا عما نهى وزجر ورجوا ما عنده من ثواب وخشوا ما أعد للعصاة من عقاب. فهم بهذا المعنى عباد الله، ومن الآيات التي يظهر فيها هذا المعنى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ [ص:٤٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء:٦٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ [نوح:٢٧] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩] ونحو ذلك، والله تعالى أعلم[1].

---

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (التفسير القيم ص ٩٥):

فصل في انقسام العبودية إلى عامة وخاصة:

العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

فالعبودية العامة: عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله، بَرِّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم. فهذه عبودية القهر والملك. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٨٨ - ٩٣]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الفرقان:١٧] فسماهم عباده مع ضلالهم، لكن تسمية مقيدة بالإشارة، وأما المطلقة فلم تجيء إلا لأهل النوع الثاني، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦]، وقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ

ALTAFAALBOOKS.COM

. . . . . .

= ﴿ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٨]، فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر. قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨] وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٧، ١٨]، وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٣٩، ٤٠] فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢].

فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته.

ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقًا إلا لهؤلاء.

وأما وصف عبيد ربوبيته بالعبودية: فلا يأتي إلا على أحد خمسة أوجه: إما منكرًا. كقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، والثاني معرفًا باللام كقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٨].

الثالث: مقيدًا بالإشارة أو نحوها كقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الفرقان:١٧].

الرابع: أن يذكروا في عموم عباده. فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر. كقوله: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

الخامس: أن يذكروا موصوفين بفعلهم. كقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣].

وقد يقال: إنما سماهم عباده إذ لم يقنطوا من رحمته، وأنابوا إليه، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة.

وإنما انقسمت العبودية إلى خاصة وعامة: لأن أصل معنى اللفظة: الذل والخضوع. يقال: «طريق معبد» إذا كان مذللاً بوطء الأقدام، و«فلان عَبَّده الحب» إذا ذلله، لكن أولياءه خضعوا لله وذلوا طوعًا واختيارًا، وانقيادًا لأمره ونهيه، وأعداؤه خضعوا له قهرًا ورغمًا.

ونظير انقسام العبودية إلى خاصة وعامة: انقسام القنوت إلى خاص وعام، والسجود كذلك. قال تعالى في القنوت الخاص: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩] وقال في حق مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢]، وهو كثير في القرآن.

وقال في القنوت العام: ﴿بَلْ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦] أي: خاضعون أذلاء.

وقال في السجود الخاص: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ =

MostafaBay.com

س: كيف يكون العبد محققًا لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]؟

ج: يكون العبد محققًا لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إذا التزم أصلين:

الأول: متابعة الرسول ﷺ.

الثاني: الإخلاص لله ﷻ(١).

=[الأعراف:٢٠٦]، وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨]، وهو كثير في القرآن. وقال في السجود العام: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [الرعد:١٥].

ولهذا كان السجود الكُرْه غير السجود المذكور في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:١٨] فخص بالسجود هنا كثيرًا من الناس وعمهم بالسجود في سورة النحل الآية ٩٤، وهو سجود الذل والقهر والخضوع، فكل أحد خاضع لربوبيته، ذليل لعزته. مقهور تحت سلطانه تعالى.

(١)وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله أن الناس بحسب هذين الأصلين ينقسمون إلى أربعة أقسام فقال رحمه الله (التفسير القيم ص٣٧):

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضًا إلى أربعة أقسام:

أحدها: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة. وهم أهل «إياك نعبد» حقيقة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله. فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده. لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورًا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة، والمنزلة في قلوبهم، ولا هربًا من ذمهم. بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا. فالعمل لأجل هؤلاء، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجائهم للضر والنفع منهم، لا يكون من عارف بهم البتة، بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه. فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم. ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم، وكذلك أعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه. وهو الذي بَلا عباده بالموت والحياة لأجله. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملاً، قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي: ما=

mostafalady.com

=أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا. لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة. وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥]، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١) وكل عمل بلا اقتداء. فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا. فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء.

فصل:

الضرب الثاني(٢): من لا إخلاص له ولا متابعة. فليس عمله موافقًا لشرع، ولا هو خالصًا للمعبود، كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله. وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله ﷻ. ولهم أوفر نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨] يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص.

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات، والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم. فهم أهل الغضب والضلال.

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة الأمر، كجهال العباد، والمتنسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عبد الله بغير أمره، واعتقده قربة إلى الله فهذا حاله، كمن يظن أن سماع المُكاء والتصدية قربة، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة وأمثال ذلك.

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله. كطاعة المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وحَمية وشجاعة، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة فلا تقبل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة، وهم أهل إياك نعبد وإياك نستعين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

=

س: ما مدى صحة الشعارات التي ترفع في بعض الدول تحت مسمى (حرية الرأي) و(حرية الكلمة) ونحو ذلك؟

ج: إن كان المراد بـ (حرية الكلمة) و(حرية الرأي) التكلم بكلمة الحق والصدع بالرأي الحق الذي يحبه الله ويرضاه ولا يخشى في إعلانه وإظهاره لومة لائم فذلك أمر محمود، محمود أن تصدع بالحق وتعلن رأيك الصواب في المسائل ما دام موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

۞ أما إذا كان المراد بحرية الكلمة مثلاً إعطاء الحرية لكل شخص يتكلم بما يشاء من كفرٍ وزندقةٍ ونحو ذلك فهذا كفر ولا يجوز إقراره ولا السكوت عليه، ومن ثمَّ فيكون شعار (حرية الكلمة) و(حرية الرأي) شعار باطل يتخذ وسيلة إلى إظهار الكفر والتلفظ به والخوض فيه، ففي الإسلام وعند المسلمين اللسان مُعبَّدٌ مذلَّلٌ لله ﷻ لا يتكلم كيفما شاء، بل أحيانًا يجب عليه أن يتكلم كلامًا، وحرام عليه في أحيان أُخر أن يتكلم بنوع من الكلام، ويستحب له في بعض الأحيان أن يتكلم، ويكره له في بعض الأحيان أن يتكلم، ويباح له نوع من الكلام، وهو في كل هذا مقيدٌ بما أمره الله به، أما إذا انسلخ اللسان من العبودية لله رب العالمين وخاض مع الضُّلال الخائضين؛ فمصيره – عياذًا بالله – إلى سقر، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ....﴾ [المدثر: ٣٨-٤٦] وكذلك القلب وسائر الجوارح كلها مُعبدة لله مذلَّلة له خاضعة له ﷻ.

۞ وقد أفرد العلامة ابن القيم رحمه الله هنا بحثًا لا مانع من أن نسوقه برُمَّته؛

---

(٢) هذا هو القسم الثاني من الأقسام الأربعة.

لما فيه من النفع وبيان عبودية القلب والجوارح لله ﷻ حتى يكون بيانًا شافيًا لمن جهل عبودية ربِّه ودندن بقوله: (أنا حر) فاستباح المحرمات من أجل هذا الشعار.

قال ﷺ (التفسير القيم ص ١٠٠):

ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة. من كملها كمل مراتب العبودية.

وبيانها: أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح. وعلى كل منها عبودية تخصه.

والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح. فواجب القلب: منه متفق على وجوبه، ومختلف فيه.

فالمتفق على وجوبه: كالإخلاص، والتوكل، والمحبة، والصبر، والإنابة، والخوف، والرجاء، والتصديق الجازم، والنية في العبادة، وهذه قدر زائد على الإخلاص، فإن الإخلاص هو إفراد المعبود عن غيره.

ونية العبادة لها مرتبتان:

إحداهما: تمييز العبادة عن العادة.

والثانية: تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض.

والأقسام الثلاثة واجبة.

وكذلك الصدق. والفرق بينه وبين الإخلاص: أن للعبد مطلوبًا وطلبًا، فالإخلاص: توحيد مطلوبه. والصدق: توحيد طلبه.

فالإخلاص: أن لا يكون المطلوب منقسمًا.

MOSTAFALADWY.COM

والصدق: أن لا يكون الطلب منقسمًا، فالصدق بذل الجهد، والإخلاص: إفراد المطلوب.

واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة.

وكذلك النصح في العبودية. ومدار الدين عليه، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي له. وأصل هذا واجب، وكماله مرتبة المقربين.

وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان، واجب مستحب وهو مرتبة أصحاب اليمين، وكمال مستحب، وهو مرتبة المقربين.

وكذلك الصبر واجب باتفاق الأمة، قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن، أو بعضًا وتسعين، وله طرفان أيضًا: واجب مستحق، وكمال مستحب.

[ثم ذكر القسم الواجب المختلف فيه - إلى أن قال:].

والمقصود: أن يكون ملك الأعضاء - وهو القلب - قائمًا بعبوديته لله هو ورعيته.

وأما المحرمات التي عليه: فالكبر، والرياء، والعجب، والحسد، والغفلة، والنفاق، وهي نوعان: كفر ومعصية. فالكفر كالشك، والنفاق، والشرك وتوابعها.

والمعصية نوعان: كبائر وصغائر.

فالكبائر: كالرياء، والعجب، والكبر، والفخر، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم

MOSTAFALADY.COM

على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريمًا من الزنا، وشرب الخمر، وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها، وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن.

وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها.

فوظيفة «إياك نعبد» على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولا بد. وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها.

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه، وقد تكون كبائر بحسب قوتها وغلظها وخفتها ودقتها.

ومن الصغائر أيضًا: شهوة المحرمات وتمنيها، وتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر، بحسب تفاوت درجات المشتهى، فشهوة الكفر والشرك: كفر، وشهوة البدعة: فسق، وشهوة الكبائر معصية، فإن تركها لله مع قدرته عليها أثيب. وإن تركها عجزًا عن بذله مقدوره في تحصيلها: استحق عقوبة الفاعل، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب،وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا: هذا القاتل يا رسول الله، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[1] ،فنزله منزلة القاتل؛ لحرصه في الإثم دون الحكم، وله نظائر كثيرة في الثواب والقلب.

وقد علم بهذا مستحب القلب ومباحه.

فصل

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وأما عبوديات اللسان الخمس: فواجبها: النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن. وهو ما يتوقف صحة صلاته عليه، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود، وأمر بقول: «**ربنا ولك الحمد**» بعد الاعتدال، وأمر بالتشهد، وأمر بالتكبير.

ومن واجبه: رد السلام. وفي ابتدائه قولان. ومن واجبه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة المتعينة، وصدق الحديث.

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله، والمذاكرة في العلم النافع، وتوابع ذلك.

وأما محرمه: فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله، والدعاء إليها وتحسينها وتقويتها، وكالقذف وسب المسلم، وأذاه بكل قول، والكذب وشهادة الزور، والقول على الله بلا علم، وهو أشدها تحريمًا.

ومكروهه: التكلم بما تركه خير من الكلام به، مع عدم العقوبة عليه.

وقد اختلف السلف. هل في حقه كلام مباح متساوي الطرفين؟ على قولين ذكرهما ابن المنذر وغيره. أحدهما: أنه لا يخلو كل ما يتكلم به: إما أن يكون له أو عليه. وليس في حقه شيء لا له ولا عليه.

واحتجوا بالحديث المشهور، وهو: كل كلام ابن آدم عليه، لا له، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه»[(١)].

---

(١) ضعيف أخرجه الترمذي حديث (٢٤١٢) من حديث أم حبيبة - زوج النبي ﷺ - مرفوعًا، وكذلك ابن ماجه (٣٩٧٤) وغيرهم، وإسناده ضعيف من وجوه عدة.

MOSTAFALOWY.COM

واحتجوا بأنه يكتب عليه كلامه كله. ولا يكتب إلا الخير والشر.

وقالت طائفة: بل هذا الكلام مباح لا له ولا عليه كما في حركات الجوارح.

قالوا: لأن كثيرًا من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي. وهذا شأن المباح.

والتحقيق: أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية الطرفين، بل إما راجحة وإما مرجوحة؛ لأن للسان شأنًا ليس لسائر الجوارح، وإذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تُكَفِّر اللسان، تقول: اتق الله، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا. وأكثر ما يُكِبُّ الناس على مناخرهم في النار حصائد ألسنتهم، وكل ما يتلفظ به اللسان، فإما أن يكون مما يرضي الله ورسوله أو لا، فإن كان كذلك فهو الراجح، وإن لم يكن كذلك فهو المرجوح.

وهذا بخلاف حركات سائر الجوارح، فإن صاحبها ينتفع بتحريكها في المباح المستوي الطرفين، لما له في ذلك من الراحة والمنفعة، فأبيح له استعمالها فيما فيه منفعة له، ولا مضرة عليه فيه في الآخرة، وأما حركة اللسان بما لا ينتفع به فلا يكون إلا مضرة. فتأمله.

فإن قيل: فقد يتحرك بما فيه منفعة دنيوية مباحة مستوية الطرفين. فيكون حكم حركته حكم ذلك الفعل.

قيل: حركته بها عند الحاجة إليها راجحة، وعند عدم الحاجة إليها مرجوحة لا تفيده. فتكون عليه لا له.

فإن قيل: فإذا كان الفعل متساوي الطرفين كانت حركة اللسان الوسيلة إليه كذلك، إذ الوسائل تابعة للمقصود في الحكم.

MOSTAFALADY.COM

قيل: لا يلزم ذلك.

فقد يكون الشيء مباحًا، بل واجبًا، ووسيلته مكروهة كالوفاء بالطاعة المنذورة: هو اجب، مع أن وسيلته، وهو النذر مكروه منهي عنه، وكذلك الحلف المكروه مرجوح، مع وجوب الوفاء به أو الكفارة، وكذلك سؤال الخلق عند الحاجة مكروه. ويباح له الانتفاع بما أخرجته له المسألة، وهذا كثير جدًّا.

فقد تكون الوسيلة متضمنة مفسدة تكره أو تحرم لأجلها، وما جعلت وسيلة إليه ليس بحرام ولا مكروه.

فصل

وأما العبوديات الخمس على الجوارح: فعلى خمس وعشرين مرتبة أيضًا: إذ الحواس خمسة. وعلى كل حاسة خمس عباديات، فعلى السمع: وجوب الإنصات والاستماع لما أوجبه الله ورسوله عليه، من استماع الإسلام والإيمان وفروضهما، وكذلك استماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام، واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء.

ويحرم عليه استماع الكفر والبدع، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة. من ردِّه، أو الشهادة على قائله، أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره، ولا يجب أن يطلعك عليه ما لم يكن متضمنًا لحق لله يجب القيام به، أو لأذى مسلم يتعين نصحه، وتحذيره منه.

وكذلك استماع أصوات النساء الأجانب التي تخشى الفتنة بأصواتهن، إذا لم تدع إليه حاجة، من شهادة، أو معاملة، أو استفتاء، أو محاكمة، أو مداواة ونحوها.

MOSTAFALABIY2.COM

وكذلك استماع المعازف وآلات الطرب واللهو، كالعود والطنبور واليراع ونحوها. ولا يجب عليه سَدُّ أذنه إذا سمع الصوت، وهو لا يريد استماعه، إلا إذا خاف السكون إليه والإنصات، فحينئذ يجب تجنب سماعها وجوب سد الذرائع.

ونظير هذا المحرم: لا يجوز له تعمد شم الطيب، وإذا حملت الريح رائحته وألقتها في مشامِّه لم يجب عليه سد أنفه، ونظير هذا: نظرة الفجأة لا تحرم على الناظر، وتحرم عليه النظرة الثانية إذا تعمدها.

وأما السمع المستحب: فكاستماع المستحب من العلم، وقراءة القرآن، وذكر الله، واستماع كل ما يحبه الله، وليس بفرض.

والمكروه: عكسه، وهو استماع كل ما يكرهه ولا يعاقب عليه، والمباح ظاهر.

وأما النظر الواجب: فالنظر في المصحف وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها، والنظر إذا تعين لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها وينفقها ويستمتع بها، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها. ونحو ذلك.

والنظر الحرام: النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقًا، وبغيرها إلا لحاجة، كنظر الخاطب، والمستام والمعامل، والشاهد، والحاكم، والطبيب، وذي المحرم.

والمستحب: النظر في كتب العلم والدين التي يزداد بها الرجل إيمانًا وعلمًا والنظر في المصحف ووجوه العلماء الصالحين والوالدين، والنظر في آيات الله المشهودة، ليستدل بها على توحيده ومعرفته وحكمته.

والمكروه: فضول النظر الذي لا مصلحة فيه. فإن له فضولاً كما للسان

MOSTAFALAW.COM

فضولاً، وكما قاد فضولها إلى فضولٍ عَزَّ التخلص منها، وأعيَا دواؤها.

وقال بعض السلف: كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام.

والمباح: النظر الذي لا مضرة فيه في العاجل والآجل ولا منفعة.

ومن النظر الحرام: النظر إلى العورات.

وهي قسمان:

عورة وراء الثياب، وعورة وراء الأبواب.

ولو نظر في العورة التي وراء الأبواب فرماه صاحب العورة ففقأ عينه لم يكن عليه شيء، وذهبت هدرًا، بنص رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته. وإن ضعفه بعض الفقهاء، لكونه لم يبلغه النص، أو تأوله، وهذا إذا لم يكن للناظر سبب يباح النظر لأجله، كعورة له هناك ينظرها. أو ريبة هو مأمور أو مأذون له في اطلاعها.

وأما الذوق الواجب: فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه، وخوف الموت. فإن تركه حتى مات، مات عاصيًا قاتلاً لنفسه.

قال الإمام أحمد وطاوس: من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل حتى مات، دخل النار.

ومن هذا: تناول الدواء إذا تيقن به من الهلاك، على أصح القولين.

وإن ظن الشفاء به، فهل هو مستحب مباح، أو الأفضل تركه؟ فيه نزاع معروف بين السلف والخلف.

والذوق الحرام: كذوق الخمر والسموم القاتلة. والذوق الممنوع منه للصوم الواجب.

وأما المكروه: فكذوق المشتبهات، والأكل فوق الحاجة، وذوق طعام

MOSTAFALAW.COM

الفجاءة، وهو الطعام الذي تفجأ آكله، ولم يرد أن يدعوك إليه، وكأكل أطعمة المرائين في الولائم والدعوات ونحوها، وفي السنن: أن رسول الله ﷺ (نهى عن طعام المتبارين) (١) وذوق طعام من يطعمك حياء منك لا بطيبة نفس.

والذوق المستحب: أكل ما يعينك على طاعة الله ﷻ، مما أذن الله فيه. والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل، فينال منه غرضه. والأكل من طعام صاحب الدعوة الواجب إجابتها أو المستحب.

وقد أوجب بعض الفقهاء الأكل من الوليمة الواجب إجابتها؛ للأمر به عن الشارع.

والذوق المباح: ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان.

وأما تعلق العبوديات الخمس بحاسة الشم، فالشم الواجب: كل شم تعين طريقًا للتمييز بين الحلال والحرام، كالشم الذي يعلم به هذه العين هل هي خبيثة أو طيبة؟ وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه؟ أو يميز به بين ما يملك الانتفاع به، وما لا يملك؟ ومن هذا: شم المقوِّم وربُّ الخِبْرة عند الحكم بالتقويم، والعبيد ونحو ذلك.

وأما الشم الحرام: فالتعمد لشم الطيب في الإحرام، وشم الطيب المغصوب والمسروق، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات للافتتان بما وراءه.

وأما الشم المستحب: فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوي الحواس،

---

(١) أخرجه أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ (حديث ٣٧٥٤)، والحاكم (٤/ ١٢٩)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٤٠)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (نهى رسول الله ﷺ عن طعام المتبارين) لكن رجح أكثر العلماء أنه مرسل، لكن صححه بعض أهل العلم؛ لشاهد أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**المتباريان لا يُجابان، ولا يؤكل طعامهما**».

MOSTAFADAWY.COM

ويبسط النفس للعلم والعمل. ومن هذا: هدية الطيب والريحان إذا أهديت لك. ففي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ: «**من عُرض عليه ريحان فلا يرده؛ فإنه طيب الريح، خفيف المحمل**»[1].

والمكروه: كشم طيب الظَّلَمة، وأصحاب الشبهات، ونحو ذلك.

والمباح: ما لا منع فيه من الله ولا تبعة، ولا فيه مصلحة دينية ولا تعلق له بالشرع.

وأما تعلق هذه الخمسة بحاسة اللمس. فاللمس الواجب: كلمس الزوجة حين يجب جماعها، والأمة الواجب إعفافها.

والحرام: لمس ما لا يحل من الأجنبيات.

والمستحب: إذا كان فيه غض بصره وكف نفسه عن الحرام وإعفاف أهله.

والمكروه: لمس الزوجة في الإحرام للذة، وكذلك في الاعتكاف، وفي الصيام إذا لم يأمن على نفسه.

ومن هذا لمس بدن الميت - لغير غاسله - لأن بدنه قد صار بمنزلة عورة الحي تكريمًا له، ولهذا يستحب ستره عن العيون وتغسيله في قميص في أحد القولين، ولمس فخذ الرجل، إذا قلنا: هو عورة.

والمباح: ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية.

وهذه المراتب أيضًا مُرَتَّبة على البطش باليد والمشي بالرجل. وأمثلتها لا تخفى.

فالتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله: واجب. وفي وجوبه

---

(١) أخرجه مسلم(٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFAADAWY.COM

لقضاء دينه خلاف، والصحيح: وجوبه ليمكنه من أداء دينه، ولا يجب لإخراج الزكاة، وفي وجوبه لأداء فريضة الحج نظر، والأقوى في الدليل: وجوبه لدخوله في الاستطاعة، وتمكنه بذلك من أداء النسك. والمشهور عدم وجوبه.

ومن البطش الواجب: إعانة المضطر ورمي الجمار، ومباشرة الوضوء والتيمم.

والحرام: كقتل النفس التي حرم الله، ونهب المال المغصوب، وضرب من لا يحل ضربه ونحو ذلك، وكأنواع اللعب المحرم بالنص كالنَّرد، أو ما هو أشد تحريمًا منه عند أهل المدينة كالشطرنج، أو مثله عند فقهاء الحديث كأحمد وغيره، أو دونه عند بعضهم. ونحو كتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفًا أو نسخًا، إلا مقرونًا بردها ونقضها، وكتابة الزور والظلم، والحكم الجائر، والقذف والتشبيب بالنساء الأجانب، وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم، ولا سيما إن كسبت عليه مالاً ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] وكذلك كتابة المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله، إلا أن يكون مجتهدًا مخطئًا، فالإثم موضوع عنه.

وأما المكروه: فكالعبث واللعب الذي ليس بحرام، وكتابة ما لا فائدة في كتابته، ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة.

والمستحب: كتابة كل ما فيه منفعة في الدين، أو مصلحة للمسلم، والإحسان بيده بأن يعين صانعًا، أو يصنع لأخْرق، أو يفرغ من دَلْوه في دلو المستسقِي، أو يحمل له على دابته، أو يمسكها حتى يحمل عليها، أو يعاونه بيده فيما يحتاج إليه ونحو ذلك، ومنه: لمس الركن بيده في الطواف، وفي

تقبيلها بعد اللمس قولان.

والمباح: ما لا مضرة فيه ولا ثواب.

وأما المشي الواجب: فالمشي إلى الجمعات والجماعات، في أصح القولين لبضعة وعشرين دليلاً، مذكورة في غير هذا الموضع. والمشي حول البيت للطواف الواجب، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دُعي إليه، والمشي إلى صلة رحمه، وبر والديه، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه، والمشي إلى الحج إذا قربت المسافة ولم يكن عليه فيه ضرر.

والحرام: المشي إلى معصية الله، وهو من رجل الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم. فكل راكب وماشٍ في معصية الله فهو من جند إبليس.

وكذلك تعلق هذه الأحكام الخمس بالركوب أيضًا:

فواجبه في الركوب في الغزو والجهاد والحج الواجب.

ومستحبه: في الركوب المستحب من ذلك، ولطلب العلم، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وفي الوقوف بعرفة نزاع: هل الركوب فيه أفضل، أم على الأرض؟ والتحقيق: أن الركوب أفضل إذا تضمن مصلحة: من تعليم للمناسك، واقتداء به، وكان أعون على الدعاء ولم يكن فيه ضرر على الدابة.

وحرامه: الركوب في معصية الله ﷻ.

ومكروهه: الركوب للهو واللعب، وكل ما تركه خير من فعله.

ومباحه: الركوب لما لم يتضمن فوت أجر، ولا تحصيل وزر.

MOSTAFADAWY.COM

فهذه خمسون مرتبة على عشرة أشياء: القلب، واللسان، والسمع، والبصر والأنف، والفم، واليد، والرجل، والفرج، والاستواء على ظهر الدابة.

❁ ❁ ❁ ❁

س: يُشرع للعبد - كما هو معلوم - أن يقول في دعائه: (اللهم ارزقني)، (اللهم اشفني)، (اللهم عافني) ونحو ذلك بلا مقدمات، لكن المستحب أن يُقدم بين يدي دعائه مقدمات. بيِّن بعض هذه المقدمات.

ج: من أكمل أحوال السائل - كما ذكر ذلك بعض أهل العلم - أن يمدح مسئوله ويثني عليه ثم يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين.

وهذا حال أهل العلم والإيمان مع ربهم ﷻ فيقدمون بين يدي دعائهم مقدمات منها:

❁ **حمد الله ﷻ والثناء عليه وتمجيده** كما في سورة الفاتحة، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال الله تعالى: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل[1]. ثم يأتي بعد هذا الحمد والثناء والتمجيد السؤال بقولنا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فانظر كيف أتى هذا الدعاء بعد الحمد والثناء والتمجيد.

❁ ومن هذا الباب أيضًا ما أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل وذهاب المؤمنين إلى آدم عليه السلام؛ فيحيلهم آدم عليه السلام

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وقد تقدم تخريجه.

Nouralabwab.com

إلى نوح عليه السلام، ونوح يحثهم على الذهاب إلى إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم يحيلهم[1] إلى موسى عليه السلام، وموسى يحيلهم إلى عيسى عليه السلام، وعيسى يحيلهم إلى نبينا محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقُل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناءٍ وتحميد يعلمنيه**» قال: «**ثم أشفع فيُحِدُّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة**».

فجاءت شفاعة رسول الله ﷺ ودعاؤه بعد السجود لله والثناء عليه وحمده سبحانه.

❁ ومن هذا الباب أيضًا ما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: «**اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وأعلنت، وما أنت أعلم به مني، لا إله إلا أنت**».

فانظر كيف جاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله ﷻ وغاية الإقرار له بالعبودية.

❁ وفي هذا الباب دعاء الاستخارة أيضًا فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين والثناء على الله والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي: عن قدرة نفسه) بقوله: (فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام

---

(١) كلمة (يحيلهم) من تصرفي، وفي الصحيح: اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى....، وفيه أيضًا عليكم بإبراهيم و... وهي تؤدي نفس المعنى.

الغيوب). ثم يأتي بعد ذلك الدعاء: «**اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي...**»[(١)].

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ومن هذا الباب أيضًا قول النبي ﷺ: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم**»[(٢)].

[أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]. فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع.

❁ ومن هذا ما أخرجه البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**». فانظر كيف جاء قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**اللهم اغفر لي**» بعد قوله: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**».

❁ وكذلك في صلاة الليل كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يفتتحها بقوله: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك**

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح١١/ ١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري**» - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، ويسمي حاجته».

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي٤/ ١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح٢/ ٢٨١)، ومسلم (مع النووي٤/ ٢٠١).

MOSTAFALADWI.COM

إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(١)]، فانظر كيف جاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده.

❁ وتارة يضاف إلى حمد الله والثناء عليه الصلاة على رسول الله ﷺ كما ورد من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في الصلاة ولم يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يُصلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**عجل هذا**» ثم دعاه وقال له ولغيره: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصلِّ على النبي ﷺ ثم ليدعُ بما شاء**»[(٢)].

❁ وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء الله الحسنى؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهي أحسن الأسماء فإنه سبحانه إذا دعي بأحسن أسمائه - وأسماؤه كلها حسنى - كان ذلك من أسباب الإجابة.

فيُسأل الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باسم من أسمائه الحسنى موافق للمسألة التي يريدها الشخص، فإن كان يريد الرزق مثلاً قال كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿..وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فطلب المغفرة بقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

وطلب الشفاء باسم الشافي كما قال رسول الله ﷺ: «... **اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك**...» [أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٥٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا، وهو من طريق عكرمة عن يحيى ابن أبي كثير، ورواية عكرمة عن يحيى متكلم فيها.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٨)، وأبو داود (٢/ ١٦٢)، والنسائي (٣/ ٤٤)، والترمذي (ص ٤٤٩ جـ ٩ مع تحفة الأحوذي)، وغيرهم، وسنده حسن.

مرفوعًا] [(١)]. وهكذا.

وفي هذا الباب حديث بريدة قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، قال: فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى**»[(٢)] [أخرجه الترمذي بسند حسن].

❁ وتارة يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله بفضله وسابق رحمته، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فالذي أنزل إليَّ الخير ابتداءً هو الله، ومنه أطلب المزيد، فهو صاحب الفضل أولاً وآخرًا، ومن ذلك قول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ومن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام: ﴿..وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤ - ٦].

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته، كما قال ابن القيم رحمه الله في «التفسير القيم»: فقد قيل: إنه دعاء المسألة، والمعنى: إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه، كما حكي أن رجلاً سأل رجلاً وقال: أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا وكذا، فقال: مرحبًا بمن توسل إلينا بنا، وقضى حاجته.

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ١٣١)، ومسلم (مع النووي ١١/ ٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (مع تحفة الأحوذي ٩/ ٤٤٥).

قلت: فكأن زكريا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول لربه ﷻ: يا رب يا دائم العطاء يا من تكرمت عليَّ ولم ترد دعواتي ولم تجعلني من قبل محرومًا ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

۞ ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون: يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره (ابن القيم) فنقول – وبالله التوفيق –:

لو أن رجلاً جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنيه مثلاً فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل وقال لك – متوسلاً إليك بسابق إحسانك –: أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنيه، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف؛ فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راضٍ عنه وعن شكره للمعروف، ولله المثل الأعلى.

۞ **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال،** ومن ذلك قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٥٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ.

۞ ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ

ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران:١٩٣] فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان.

❁ ومنه قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

❁ ومن هذا القبيل حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال (واللفظ لمسلم): قال رسول الله ﷺ: «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبتُ فبدأتُ بوالديَّ فسقيتهما قبل بنيَّ وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آتِ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء. وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرقِ أرز فلما قضى عمله قال: أعطني حقي فعرضت عليه فرقهُ فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاءها فجاءني فقال: اتق الله ولا

تظلمني حقي. قلت: اذهب إلي تلك البقر ورعائها فخذها. فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي».

فهم هنا قد توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله ﷺ ففرج الله عنهم.

❁ **وتارة يكون الدعاء بلا مقدمات،** ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[(١)]، ولم يذكر أنه قدم مقدمات بين يدي الدعاء.

وقد أجمل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] القول في ذلك فقال:... وهذا أكمل

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٤٠).

(٢) **وإلى نحوه أيضًا أشار ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:** (التفسير القيم ص ٢٣): ولما كان سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب ونيله أشرفَ المواهب: علَّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمدَه والثناء عليه، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته. وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء. ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد والترمذي: أحدهما: حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو، ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفوًا أحد. فقال: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[(١)].

قال الترمذي: حديث صحيح. فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية. وثبوت صفاته المدلول عليها باسم (الصمد)، وهو كما قال ابن عباس: (العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته) وفي رواية عنه: (هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد)، وقال أبو وائل: «**هو السيد الذي انتهى سؤدده**»، وقال سعيد بن جبير: (هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله)، وبنفي التمثيل والتشبيه عنه بقوله: «**ولم يكن له كفوًا أحد**»، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة، والتوسل بالإيمان بذلك، والشهادة به هو الاسم الأعظم.

والثاني: حديث أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنَّان. بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال: «**لقد سأل الله**

=

أحوال السائل أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة؛ ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل

=باسمه الأعظم»[٢]، فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته.

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه، وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده. ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب، وهو الهداية، بعد الوسيلتين. فالداعي به حقيق بالإجابة.

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٩/ ٤٤٥) بإسناد حسن.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣-٢٦٥)، وفي عدة مواضع من المسند، والنسائي (٣/ ٥٢)، والطبراني في الصغير (٢/ ٩٦)، وابن حبان (موارد الظمآن ٢٣٨٢)، والبيهقي في الصفات (٢٨، ٣٢)، والخطيب في التاريخ (٥/ ٢٥٥)، وغيرهم من طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

ونظير هذا: دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل. رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت. وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت**»[١] فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له. ثم سأله المغفرة.

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح٣/ ٣)، ومسلم (مع النووي٦/ ٥٤)، ولفظه عند البخاري: «**اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض وما فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والارض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**» أو «**لا إله غيرك**».

Mostafa Adly .com

واحتياجه، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسئول كقول ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر:

MOSTAFAALADWY.COM

س: اذكر مراتب الهداية العامة والخاصة كما ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ؟

ج: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (التفسير القيم ص ٣٧):

فصل

في مراتب الهداية الخاصة والعامة، وهي عشر مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة تكليم الله ﷻ لعبده يقظة بلا واسطة، بل منه إليه.

وهذه أعلى مراتبها، كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه. قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] فذكر في أول الآية وحيه إلى نوح والنبيين من بعده، ثم خص موسى من بينهم بالإخبار بأنه كلمه. وهذا يدل على أن التكليم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي الذي ذكر في أول الآية. ثم أكده بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر «كلم» وهو «التكليم» رفعًا لما توهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام، أو إشارة، أو تعريف للمعنى النفسي بشيء غير التكليم. فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز.

قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلامًا بأي طريق وصل. ولكن لا تحققه بالمصدر، فإذا حققته بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام، كالإرادة. يقال: فلان أراد إرادة، يريدون حقيقة الإرادة. ويقال: أراد الجدار، ولا يقال: إرادة. لأنه مجاز غير حقيقة. هذا كلامه.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] وهذا التكليم غير التكليم الأول الذي أرسله به إلى فرعون. وفي هذا التكليم الثاني سأل النظر، لا في الأول وفيه أعطي الألواح. وكان عن مواعدة من الله له. والتكليم الأول لم يكن عن مواعدة. وفيه قال الله له:

mostafawy.com

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي: بتكلمي لك بإجماع السلف.

وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه. فالنداء من بُعد والنجاء من قرب. تقول العرب: إذا كبرت الحلقة فهو نداء. أو نجاء[١]، وقال له أبوه آدم في محاجته: «**أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده؟**»[٢].

وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه. وكذلك في حديث الإسراء في رؤية موسى في السماء السادسة أو السابعة، على اختلاف الرواية. قال: «**وذلك بتفضيله بكلام الله**» ولو كان التكليم الذي حصل له من جنس ما حصل لغيره من الأنبياء لم يكن لهذا التخصيص به في هذه الأحاديث معنى. ولا كان يسمى (كليم الرحمن)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] ففرق بين تكليم الوحي، والتكليم بإرسال الرسول، والتكليم من وراء حجاب.

المرتبة الثانية: مرتبة الوحي المختص بالأنبياء: قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] فجعل الوحي في هذه الآية قسمًا من أقسام التكليم، وجعله في آية النساء قسيمًا للتكليم، وذلك باعتبارين:

---

(١) في لسان العرب: وفي حديث الشعبي: (إذا عظمت الحلقة فهي نداء ونجاء).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٥٠٥ مع الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةٍ؟! فحج آدم موسى**» ثلاثًا. وأخرجه مسلم أيضًا (ص ٢٠٤٢).

Mostafabayram.com

فإنه قسيم التكليم الخاص الذي بلا واسطة، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة.

والوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي، ويقال في فعله: وَحَى، وأوحى.

قال رؤبة:

وحى لها القرار فاستقرت

وهو أقسام، كما سنذكره.

المرتبة الثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه.

فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء، لا تكون لغيرهم، ثم هذا الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلاً، يراه عيانًا ويخاطبه، وقد يراه على صورته التي خُلق عليها، وقد يدخل فيه الملك، ويوحي إليه ما يوحيه، ثم يَفصم عنه، أي: يقلع. والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ.

المرتبة الرابعة: مرتبة التحديث: وهذه دون مرتبة الوحي الخاص، وتكون دون مرتبة الصديقين، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما قال النبي ﷺ: **«إنه كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر ابن الخطاب»**[1].

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بإن الشرطية، مع أنها أفضل الأمم

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم ناسٌ محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**».

وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة مرفوعًا، لكن انتقدت رواية عائشة رضي الله عنها.

Mostafa.com

لاحتياج الأمم قبلنا إليهم، واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم، ولا صاحب كشف ولا منام، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها.

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء، فيكون كما يحدث به. قال شيخنا: والصديق أكمل من المحدث. لأنه استغنى بكمال صديقيته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف، فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عنه.

قال: وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول. فإن وافقه قبله، وإلا رده، فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث.

قال: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي: فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عن من؟ عن شيطانه، أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب، قال: ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك، ولا تفوَّه به يومًا من الدهر، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك. بل كتب كاتبه يومًا: (هذا ما أرى الله أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب»، فقال: لا. امحه واكتب: هذا ما رأى عمر بن الخطاب. فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه بريء)، وقال في الكلالة: (أقول فيها برأيي. فإن يكن صوابًا فمن الله. وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان)، فهذا قول المحدث بشهادة الرسول، وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح، والسماعي: مجاهر بالقِحَة والفرية. يقول: حدثني قلبي عن ربي، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين. وأعط كل ذي حق حقه، ولا تجعل الزغل والخالص شيئًا

noorsabry.com

واحدًا.

المرتبة الخامسة: مرتبة الإفهام: قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٨، ٧٩] فذكر هذين النبيين الكريمين: فأثنى عليهما بالعلم والحكم. وخص سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة، وقال علي بن أبي طالب، وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: (لا، والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه، وما في هذه الصحيفة). وكان فيها العقل، وهو الديات وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر، وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: (والفهم فيما أدلي إليك)، فالفهم نعمة من الله على عبده، ونور يقذفه الله في قلبه. يعرف به، ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره، مع استوائهما في حفظه. وفهم أصل معناه.

فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية، ومنشور الولاية النبوية، وفيه تفاوتت مراتب العلماء، حتى عُدَّ ألف بواحد، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وما خص به ابن عباس من فهمه منها: أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه، وإعلامه بحضور أجله، وموافقة عمر له على ذلك، وخفائه عن غيرهما من الصحابة، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنًّا، وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله، لولا الفهم الخاص؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس، فيحتاج مع النص إلى غيره. ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه، وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها.

Mostafa.com

المرتبة السادسة: مرتبة البيان العام: وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه. بحيث يصير مشهودًا للقلب، كشهود العين للمرئيات، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه، التي لا يعذب أحدًا ولا يضله، إلا بعد وصوله إليها. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥] فهذا الإضلال عقوبة منه لهم، حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به. فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى، وما أضل الله سبحانه أحدًا قط إلا بعد هذا البيان.

وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر، وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكم الله في إضلاله من يضله من عباده، والقرآن يصرح بهذا في غير موضع، كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥] ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:١٥٥]، فالأول: كفر عناد، والثاني: كفر طبع، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، فعاقبهم على ترك الإيمان به حين تيقنوه وتحققوه. بأن قلَّب أفئدتهم وأبصارهم فلم يهتدوا له.

فتأمل هذا الموضع حق التأمل فإنه موضع عظيم، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] فهذا هدى بعد البيان والدلالة وهو شرط لا موجب. فإنه إن لم يقترن به هدى آخر بعده، لم يحصل به كمال الاهتداء وهو هدى التوفيق والإلهام.

وهذا البيان نوعان: بيان بالآيات المسموعة المتلوة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية. وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله، وصدق ما أخبرت به عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر

Mostafa.com

في آياته المشهودة عليهم، ويحضهم على التفكر في هذه وهذه. وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم، وبعد ذلك يضل الله من يشاء. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤] فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته.

المرتبة السابعة: البيان الخاص: وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة. قال تعالى في هذه المرتبة: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، فالبيان الأول شرط. وهذا موجب.

المرتبة الثامنة: مرتبة الإسماع: قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ١٩- ٢٣] وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ. فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجة عليهم، لكن ذاك إسماع الآذان، وهذا إسماع القلوب. فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما. فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب، فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم

﴿مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٢، ٣] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه، أو تمكنه منها، وأما مقصود السماع وثمرته، والمطلوب منه: فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه، بل يخرج السامع قائلاً للحاضر معه: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد:١٦].

والفرق بين هذه المرتبة ومرتبة الإفهام: أن هذه المرتبة إنما تحصل بواسطة الأذن. ومرتبة الإفهام أعم، فهي أخص من مرتبة الفهم من هذا الوجه، ومرتبة الفهم أخص من وجه آخر، وهي أنها تتعلق بالمعنى المراد ولوازمه ومتعلقاته وإشاراته، ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب. ويترتب على هذا السماع سماع القبول.

فهو إذن ثلاث مراتب: سماع الأذن، وسماع القلب، وسماع القبول والإجابة

المرتبة التاسعة: مرتبة الإلهام: قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧، ٨] وقال النبي ﷺ لحصين الخزاعي لما أسلم: «**قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**»(١).

---

(١) صحيح بلفظ قريب من هذا اللفظ فقد أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (حديث ٤٧٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٤٤) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٧) وغيرهم بإسناد صحيح إلى عمران بن حصين رضي الله عنه، أن حصينًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لعبدُ المطلب كان خيرًا لقومه منك كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم فقال له النبي ﷺ: ما شاء الله أن يقول له فقال له: ما تأمرني أن أقول؟ قال: «**قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري**»، قال: فانطلق فأسلم الرجل ثم جاء فقال: إني أتيتك فقلت لي قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، فما أقول الآن؟ قال: «**قل: اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت**». اللفظ لأحمد وله طريق آخر ضعيف عن عمران بن حصين بنحوه أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٩) =

MOSTAFAADAWY.COM

وقد جعل صاحب «المنازل» الإلهام هو مقام المحدثين.

قال: وهو فوق مقام الفراسة؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة. و استصعبت على صاحبها وقتًا أو استعصت عليه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد.

قلت: التحديث أخص من الإلهام: فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث: فالنبي ﷺ قال فيه: «**إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر**» يعني من المحدثين. فالتحديث إلهام خاص. وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة:١١١]، وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨] فهذا كله وحي إلهام.

وأما جعله فوق مقام الفراسة فقد احتج عليه بأن الفراسة: ربما وقعت نادرة كما تقدم. والنادر لا حكم له. وربما استصعبت على صاحبها واستعصت عليه فلم تطاوعه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد، يعني في مقام القرب والحضور.

والتحقيق في هذا: أن كل واحدمن الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر، وعام كل واحد قد يقع كثيرًا، وخاصه قد يقع نادرًا، ولكن الفرق الصحيح: أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب ألبتة.

[ثم ذكر فصولاً أربعة تكلم فيها عن درجات الإلهام الثلاثة، ثم قال]:

=والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٢٣) والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٤).

المرتبة العاشرة: من مراتب الهداية، الرؤيا الصادقة: وهي من أجزاء النبوة؛ كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»(١).

وقد قيل في سبب هذا التخصيص المذكور: إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة، وذلك نصف سنة. ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة، من حين بعث إلى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه، فنسبة مدة الوحي في المنام من ذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا.

وهذا حسنٌ لولا ما جاء في الرواية الأخرى الصحيحة: «**أنها جزء من سبعين جزءًا**».

❁ ❁ ❁ ❁

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦] وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]؟

ج: يجمع بأن يُقال: إن الهداية على أقسام منها:

هداية الدلالة: منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ **[الشورى:٥٢]** أي: تدل على الصراط المستقيم.

وهداية التوفيق: ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ

---

(١) وله عن النبي ﷺ عدة طرق منها حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعًا، أخرجه البخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤)، وأحمد (٣/ ١٨٥) وغيرهم.

* ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٨)، ومسلم (٢٢٦٣) وغيرهما.

* ومن حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٣) وغيره.

* ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا أخرجه البخاري (٦٩٨٩) وله طرق أخرى عن النبي ﷺ.

Mostafaalaly.com

يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل:٨١] فعلى ذلك فالتوفيق من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يملكه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود:٨٨] أما الدلالة فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مكَّن منها البشر وغيرهم.

فعلى ذلك الهداية المنفية في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] هي هداية التوفيق، والهداية المثبتة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] هي هداية الدلالة والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الهداية قد تعدى بنفسها، وقد تعدى بإلى، وقد تعدى باللام وضح ذلك؟

ج: مثال ذلك ما ذكره الطبري رحمه الله[1] حيث قال: والعرب تقول: هديتَ فلانًا الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق، إذا أرشدته إليه وسددته له، وبكل ذلك جاء القرآن.

❁ قال الله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣].

❁ وقال في موضع آخر: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١].

❁ وقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وكل ذلك فاشٍ في منطقها موجود في

---

(١) وزاد هذا المعنى إيضاحًا الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ متضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] أي: بينا له الخير والشر وقد تعدى بإلى كقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]، ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣] وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، أي: وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً. والله أعلم.

noorlibrary.com

كلامها، من ذلك قول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبَادِ، إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ

يريد أستغفر الله لذنبٍ، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ من قوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]؟

ج: نورد من هذه الأقوال ما يلي:

❁ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذا الموضع عندنا: وفقنا للثبات عليه... ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ فكأن معنى الكلام: اللهم إياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان، فأعنّا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج.

فإن قال قائل: وأنَّى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق؟

قيل له: ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يُحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد فمن ذلك قول الشاعر:

لا تَحْرِمَنِّي هَدَاكَ اللهُ مَسْأَلَتِي وَلا أَكُونَنْ كمن أَوْدَى بِهِ السَّفَرُ

يعني به: وفقك الله لقضاء حاجتي، ومنه قول الآخر:

ولا تُعْجِلَنِّي هَدَاكَ المليكُ فإنّ لكلِّ مَقَامٍ مَقَالا

فمعلوم أنه إنما أراد: وفقك الله لإصابة الحق في أمري.

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في غير آية من تنزيله

MOSTAFALADY.COM

وقد عُلم بذلك أنه لم يعنِ أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه، وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وقد عمَّ بالبيان جميع المكلفين من خلقه؟ ولكنه عنى جلَّ وعز أنه لا يوفقهم ولا يشرح للحق صدورهم.

❁ **ونقل الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالاً أخرى ثم تعقبها منها:**

❁ ﴿ٱهۡدِنَا﴾: زدنا هداية.

❁ **ومنها:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: أسلكنا طريق الجنة في المعاد، أي: قدِّمنا له وامضِ بنا إليه، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣] أي: أدخلوهم النار، كما تهدى المرأة إلى زوجها يعني بذلك أنها تُدخل إليه، وكما تُهدى الهدية إلى الرجل.

❁ **وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:** والهداية هنا الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا.

❁ **وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:**... والمعنى دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنسك وقُربك.

وقال أيضًا:... وقيل المعنى: أرشدنا باستعمال السنن في أداء فرائضك.

❁ **وقيل:** الأصل فيه الإمالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٥٦] أي: مِلنا، وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين: أي: يتمايل، ومنه الهدية لأنها تُمال من مِلك إلى مِلك، ومنه الهدي للحيوان الذي يساق إلى الحرم، فالمعنى مِل بقلوبنا إلى الحق.

❁ **وقال صديق حسن خان في فتح البيان:** وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه لأن

MOSTAFADAWY.COM

الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] الآية، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] والهداية هي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]؟

ج: قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أميرُ المؤمنين على صراطٍ ... إذا اعوجَّ الموارِدُ مستقيم[1]

ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ جملة شواهد وقال:

ثم تستعير العرب ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ فتستعمله في كل قولٍ وعملٍ وُصِف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوجَّ باعوجاجه.

والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أن يكون معنيًّا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قولٍ وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم، لأن من وفق لما وفق له مَن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفِّق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والإنزجار عمّا زجره عنه

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: يمدح هشام بن عبد الملك، والموارد جمع مورد وهي الطرق إلى الماء يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم كما يسلكون الموارد إلى الماء.

Mostafalabib.com

واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبدٍ لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم، وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى المراد بالصراط المستقيم وهو يشمل معاني جميعهم في ذلك[١].

ثم نقل ابن جرير عن البعض[٢] أنه القرآن، وذكر آخرون أنه الإسلام وذكر البعض أنه رسول الله ﷺ وصاحباه[٣].

وثم قول آخر أنه طريق الجنة.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (التفسير القيم ص ١٨):

والصراط المستقيم: هو صراط الله. وهو يخبر أن هداية الصراط عليه سبحانه، كما ذكرنا، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم، وهذا في موضعين من القرآن في «هود» و«النحل»، قال في هود: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤] [هود:٥٦] وقال في النحل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:٧٦] فهذا مثل ضربه الله للأصنام التي لا تسمع. ولا تنطق ولا تعقل، وهي كَلٌّ على عابدها يحتاج الصنم إلى أن يحمله عابده ويضعه ويقيمه ويخدمه. فكيف يسوونه في العبادة بالله الذي يأمر بالعدل والتوحيد. وهو قادر متكلم، غني.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن كان حاصلها يرجع إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول.

(٢) بصرف النظر عن صحة الأسانيد إلى قائليها.

(٣) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة، فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا ولله الحمد.

(٤) وكذلك قوله في سورة الحجر: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١].

Mostafa-law.com

وهو على صراط مستقيم في قوله وفعله. فقوله صدق ورشد ونصح وهدى. وفعله حكمة وعدل ورحمة ومصلحة. هذا أصح الأقوال في الآية. وهو الذي لم يذكر كثير من المفسرين غيره. ومن ذكر غيره قدمه على الأقوال، ثم حكاها بعده، كما فعل البغوي. فإنه جزم به، وجعله تفسير الآية. ثم قال:

وقال الكلبي: يدلكم على صراط مستقيم.

قلت: ودلالته لنا على الصراط هي من موجب كونه سبحانه على الصراط المستقيم. فإن دلالته بفعله وقوله، وهو على الصراط المستقيم في أفعاله وأقواله. فلا يناقض قول من قال: إنه سبحانه على الصراط المستقيم.

قال: وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل. وهو على صراط مستقيم.

قلت: وهذا حق لا يناقض القول الأول. فالله على الصراط المستقيم، ورسوله عليه. فإنه لا يأمر ولا يفعل إلا مقتضاه وموجبه. وعلى هذا يكون المثل مضروبًا لإمام الكفار وهاديهم، وهو الصنم الذي هو أبكم،لا يقدر على هدى ولا خير. وإمام الأبرار، وهو رسول الله ﷺ الذي يأمر بالعدل. وهو على صراط مستقيم.

وعلى القول الأول: يكون مضروبًا لمعبود الكفار ومعبود الأبرار، والقولان متلازمان. فبعضهم ذكر هذا. وبعضهم ذكر هذا. وكلاهما مراد من الآية. قال: وقيل: كلاهما للمؤمن والكافر. يرويه عطية عن ابن عباس. وقال عطاء: الأبكم أُبيُّ بن خلَف، ومن يأمر بالعدل: حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون.

قلت: والآية تحتمله. ولا يناقض القولين قبله، فإن الله على صراط مستقيم، ورسوله وأتباع رسوله. وضد ذلك معبود الكفار وهاديهم، والكافر

التابع والمتبوع والمعبود، فيكون بعض السلف ذكر أعلى الأنواع. وبعضهم ذكر الهادي. وبعضهم ذكر المستجيب القابل. وتكون الآية: متناولة لذلك كله. ولذلك نظائر كثيرة في القرآن.

وأما آية «هود»: فصريحة لا تحتمل إلا معنى واحدًا. وهو أن الله سبحانه على صراط مستقيم. وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم. فإن أقواله كلها صدق ورشد وهدى وعدل وحكمة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥] وأفعاله كلها مصالح وحكم، ورحمة وعدل وخير. فالشر لا يدخل في أفعاله ولا أقواله ألبتة؛ لخروج الشر عن الصراط المستقيم. فكيف يدخل في أفعال من هو على الصراط المستقيم أو أقواله؟ وإنما يدخل في أفعال من خرج عنه وفي أقواله.

وفي دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك**»[1] ولا يلتفت إلى تفسير من فسره بقوله: والشر لا يُتقرب به إليك،

---

(١) الصواب في هذا الحديث أنه موقوف على حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمداره على أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] قال: يجمع الناس في صعيد واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتًا لا تتكلم نفس إلا بإذنه قال: فينادي محمد فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا إلا إليك تباركت وتعاليت سبحان رب البيت فذاك المقام المحمود الذي قال: عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا. لفظ الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣- ٣٦٤).

وقد رواه جمع عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، منهم إسرائيل وشعبة ومعمر وسفيان. بينما رواه البعض عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة مرفوعًا منهم الليث بن أبي سليم وعبد الله بن المختار، ولا شك أن رواية من رواه موقوفًا أصح من رواية الذين رووه مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

وقد قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢١٧): سألت أبي عن حديث رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: يجمع الله الخلق يوم القيامة =

أولا يصعد إليك. فإن المعنى أجل من ذلك، وأكبر وأعظم قدرًا. فإن مَنْ أسماؤه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل: يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه، أو أفعاله أو أقواله. فطابق بين هذا المعنى وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] وتأمل كيف ذكر هذا عقيب قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود:٥٦] أي: هو ربي، فلا يُسلمني ولا يضيعني، وهو ربكم فلا يسلطكم عليَّ ولا يمنعكم مني. فإن نواصيكم بيده، لا تفعلون شيئًا بدون مشيئته. فإن ناصية كل دابة بيده، لا يمكنها أن تتحرك إلا بإذنه. فهو المتصرف فيها. ومع هذا، فهو في تصرفه فيها وتحريكه لها، ونفوذ قضائه وقدره فيها: على صراط مستقيم، لا يفعل ما يفعل من ذلك إلا بحكمة وعدل ومصلحة، ولو سلطكم عليَّ فله من الحكمة في ذلك ما له الحمد عليه. لأنه تسليط من هو على صراط مستقيم. لا يظلم ولا يفعل شيئًا عبثًا بغير حكمة. فهكذا تكون المعرفة بالله، لا معرفة القدرية المجوسية، والقدرية المجبرية، نفاة الحكم والمصالح والتعليل. والله الموفق سبحانه.

❁ وقد ورد بإسناد حسن من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ ما يفسر الصراط أيضًا، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور**

=في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي... وذكر الحديث، قال أبي: لا يرفع هذا الحديث إلا عبد الله بن المختار والموقوف أصح.

قلت: وانظر مصادر هذا الحديث عن ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٨٤)، (١٣/ ٣٧٨)، والطبري (٨/ ٩٧)، والنسائي في «التفسير» (١/ ٦٦٠)، والطيالسي في مسنده حديث (٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٦٧) وغيرهم.

مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرقوا وداعٍ يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال:ويحك لاتفتحه فإنك إن تفتحه تلجه والصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتحة محارم الله تعالى وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عزوجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم» أخرجه أحمد (٤/ ٢٨١).

والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٤٤) بإسناد حسن، وله طريق آخر إلى جبير بن نفير عن النواس مرفوعًا عند أحمد(٤/ ٣٨١)، والترمذي (٥/ ٤٤١) وأبي الشيخ في «الأمثال» (٣٢٩) وغيرهم.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: كيف يسأل المؤمن ربه ﷻ الهداية في كل وقت وهو متصفٌ بها فهل هذا من تحصيل الحاصل؟

ج: أجاب على هذا الحافظ ابن كثير ﷺ فقال في تفسيره:

الجواب: أن لا، ولولا احتياجه ليلاً ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾ [النساء:١٣٦] الآية، فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات الاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة ذكر ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ منفردًا معرفًا تعريفين تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافة؟

ج: أجاب على ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال (التفسير القيم ص ١٤):

وذكر الصراط المستقيم منفردًا، معرفًا تعريفين: تعريفًا باللام، وتعريفًا بالإضافة، وذلك يفيد تعيُّنه واختصاصه، وأنه صراط واحد. وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها، كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] فوحَّد لفظ الصراط وسبيله. وجمع السبل المخالفة له. وقال ابن مسعود: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، وقال: «**هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره، وقال: هذه سُبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾» [الأنعام:١٥٣] [(١)] وهذا لأن الطريق الموصل إلى

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨)، والدارمي في سننه (١/ ٦٧)، وغيرهم من طريق حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ وإسناده حسن.
=

Mostafawy.com

الله واحد. وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه. لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق. ولو أتى الناسُ من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله.

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١] قال الحسن معناه: صراط إليَّ مستقيم. وهذا يحتمل أمرين: أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة «علي» مقام «إلي».

والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى. وهو الأشبه بطريق السلف. أي: صراط موصل إلي، وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه، لا يُعَرِّج على شيء. وهذا مثل قول الحسن وأَبْيَن منه. وهو من أصح ما قيل في الآية. وقيل: «عليَّ» فيه للوجوب، أي: عليَّ بيانه وتعريفه والدلالة عليه. والقولان نظير القولين في آية النحل. وهي: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]

=* وثمَّ خلاف لا يضر فقد روي الحديث عند الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٣٩) وغيره من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله به مرفوعًا (فأبدل مكان أبي وائل ذرًّا) وهذا خلاف لا يضر، فذرٌّ ثقة وأبو وائل ثقة، وإن كنا نرجح رواية أبي وائل، لأن راويها حماد بن زيد عن عاصم، وحماد أثبت لدينا من أبي بكر بن عياش، والله أعلم.

* وثمَّ خلاف آخر فقد روي الحديث عن عبد الله موقوفًا، والمرفوع أصح لدينا من الموقوف، لأن من رواه مرفوعًا أثبت.

* وثمَّ طريق آخر للحديث عن أبي وائل من طريق عمرو بن علي ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن منذر الثوري عن الربيع وهو ابن خثيم عن عبد الله قلت...، انظره في «كشف الأستار» (٢٢١٢) وانظر أيضًا «كشف الأستار» (٢٢١٠).

* وثم شاهد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد فيه ضعف عند عبد بن حميد في «المنتخب» (١١٣٩)، وابن ماجه (١٦) وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٦) لكنه يصلح شاهدًا، وبالجملة فالحديث أقل أحواله أن يكون حسنًا، والله أعلم.

والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر: أن السبيل القاصد - وهو المستقيم المعتدل - يرجع إلى الله، ويوصل إليه.

قال طُفَيل الغَنَوي:

مَضَوْا سَلَفًا قَصْدَ السَّبِيلِ عَلَيْهِمُ ... وَصَرْفُ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تُقَلَّبُ

أي: ممرنا عليهم، وإليهم وصولنا. وقال الآخر:

فَهُنَّ الْمَنَايَا: أَيُّ وَادٍ سَلَكْتَهُ ... عَلَيْهَا طَرِيقِي، أَوْ عَلَيَّ طَرِيقُهَا

فإن قيل: لو أريد هذا المعنى لكان الأليق به أداة «إلي» التي هي للانتهاء، لا أداة «علي» التي هي للوجوب. ألا ترى أنه لما أراد الوصول قال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، وقال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس: ٧٠]، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال لما أراد الوجوب: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦]، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ونظائر ذلك؟

قيل في أداة «علي» سر لطيف. وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدًى. وهو حق. كما قال في حق المؤمنين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥] وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩] والله ﷻ هو الحق، وصراطه حق، ودينه حق. فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى. فكان في أداة «علي» على هذا المعنى ما ليس في أداة «إلي» فتأمله، فإنه سر بديع.

فإن قلت: فما الفائدة في ذكر «علي» في ذلك أيضًا. وكيف يكون المؤمن مستعليًا على الحق، وعلى الهدى؟

قلت: لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى، مع ثباته عليه واستقامته

إليه. فكان في الإتيان بأداة «علي» مايدل على علوه وثبوته واستقامته.

وهذا بخلاف الضلال والرَّيب. فإنه يؤتى فيه بأداة «في» الدالة على انغماس صاحبه، وانقماعه وتدسسه فيه، كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام:٣٩]، ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون:٥٤]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود:١١٠]، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] فإن طريق الحق تأخذ علوًّا صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سُفلاً، هاوية بسالكها في أسفل سافلين.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١] قول ثالث، وهو قول الكسائي: إنه على التهديد والوعيد نظير قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤]، كما يقال: طريقك علي، وممرك علي، لمن تريد إعلامه بأنه غير فائت لك، ولا مُعجِز. والسياق يأبى هذا، ولا يناسبه لمن تأمله، فإنه قال مجيبًا لإبليس الذي قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر:٣٩، ٤٠] فإنه لا سبيل لي إلى إغوائهم، ولا طريق لي عليهم. فقرر الله ﷻ ذلك أتم التقرير. وأخبر أن الإخلاص صراط عليه مستقيم، فلا سلطان لك على عبادي الذين هم على هذا الصراط؛ لأنه صراط علي، ولا سبيل لإبليس إلى هذا الصراط، ولا الحَوْم حول ساحته، فإنه محروس محفوظ بالله. فلا يصل عدو الله إلى أهله.

فليتأمل العارف هذا الموضع حق التأمل، ولينظر إلى هذا المعنى ويوازن بينه وبين القولين الآخرين، أيهما أليق بالآيتين، وأقرب إلى مقصود القرآن وأقوال السلف.

وأما تشبيه الكسائي له بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤] فلا يخفى الفرق بينهما سياقًا ودلالة. فتأمله، ولا يقال في التهديد: هذا طريق مستقيم علي، لمن لا يسلكه. وليست سبيل المهدَّد مستقيمة. فهو غير مهدد بصراط الله المستقيم وسبيله التي هو عليها ليست مستقيمة على الله. فلا يستقيم هذا القول ألبتة.

وأما من فسره بالوجوب، أي: عليَّ بيان استقامته والدلالة عليه. فالمعنى صحيح. لكن في كونه هو المراد بالآية نظر؛ لأنه حذف في غير موضع الدلالة. ولم يؤلَف الحذف المذكور، ليكون مدلولاً عليه إذا حذف. بخلاف عامل الظرف إذا وقع صفة. فإنه حذف مألوف معروف. حتى إنه لا يذكر ألبتة. فإذا قلت: له درهم علي. كان الحذف معروفًا مألوفًا. فلو أردت عليَّ نقدُه، أو عليَّ وزنه وحفظه، ونحو ذلك، وحذفت. لم يسغ. وهو نظير: عليَّ بيانه. المقدر في الآية، مع أن الذي قاله السلف أليق بالسياق. وأجلُّ المعنيين وأكبرهما.

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله يقول: وهما نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل:١٢، ١٣] قال: فهذه ثلاثة مواضع في القرآن في هذا المعنى.

قلت: وأكثر المفسرين لم يذكر في سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلا معنى الوجوب، أي: علينا بيان الهدى من الضلال. ومنهم من لم يذكر في سورة «النحل» إلا هذا المعنى كالبغوي. وذكر في «الحِجْر» الأقوال الثلاثة. وذكر الواحدي في بسيطه المعنيين في سورة «النحل». واختار شيخنا قول مجاهد والحسن في السور الثلاث.

MOSTAFAWY.COM

س: اذكر بعض فوائد وصف الصراط بـ ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

ج: لهذا جملة فوائد منها - والله أعلم - أن الخط المستقيم هو أقرب الخطوط التي تصل بين نقطتين، فإذا هدي الشخص إلى الصراط المستقيم وصل إلى مطلوبه سريعًا فيعمل العمل وإن كان قليلاً إلا أنه يوصله إلى مقصوده بإذن الله سريعًا، بخلاف الخطوط المعوجة التي تطيل بصاحبها المسير وتذهب به بعيدًا عن مراده.

ثانيًا: أن الخط المستقيم أسلم في المسير عليه من الخطوط المعوجة.

ثالثًا: أن الخط المستقيم أوضح في الدلالة عند المسير عليه من الخطوط المعوجة.

وإلى نحو ذلك أشار بعض العلماء، فقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم» (ص:١٠): فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه؛ لأن الخط المستقيم هو أقرب خطٍّ فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال يستلزم تعيينه طريقًا.

❁ وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنه في «التفسير الكبير» (ص:٢٥٨/ ١): اعلم أن أهل الهندسة قالوا: الخط المستقيم هو أقصر خطٍّ يصل بين نقطتين، فالحاصل أن الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة فكان العبد يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لوجوه:

الأول: أنه أقرب الخطوط وأقصرها وأنا عاجز فلا يليق بضعفي إلا الطريق المستقيم.

الثاني: أن المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضًا في

Mostafadawy.com

الاعوجاج فيشتبه الطريق عليَّ، أما المستقيم فلا يشابهه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان.

الثالث: الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود، والمعوج لا يوصل إليه.

والرابع: المستقيم لا يتغير والمعوج يتغير فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم.

س: من المنعم عليهم في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة:٧]؟

ج: المنعم عليهم في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ هم ما ذكرهم الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ **[النساء:٦٩]**.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما الإنعام المذكور في قوله تعالى: ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة:٧]؟

ج: إنعام الله ﷻ على عباده لا يحصى كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحصُوهَآۗ﴾ **[إبراهيم:٣٤]**، لكن أعظم وجه للإنعام هو إنعامه عليهم بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح، وهي الهدى ودين الحق، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء، فهذا تمام النعمة، ولفظ أنعمت عليهم يتضمن الأمرين.

❀ ❀ ❀ ❀

س: لماذا أُتبع ذكر ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ﴾ بقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة:٧]؟

ج: أجاب بعض العلماء على ذلك بما حاصله: إن سالكي طريق الحق يسلكون طريقًا أكثر الناس عنه ناكبون، وسالكوه قلة قليلون، كما قال الله

Mostafabdw.com

تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٠١] وكما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فقد يستوحش سالكو هذا الطريق فذكرهم الله ﷻ بأن هناك في الطريق رفقاء بل هم خير الرفقاء وأحسنهم: وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون - حتى يزيل وحشتهم ويؤنس غربتهم، وقد ذكر مضمون ذلك باستفاضة وتوسع العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال (التفسير القيم ص ٢١):

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه، مريد لسلوك طريقٍ مرافقُه فيها غاية العزة. والنفوس مجبولة على وحشة التفرق، وعلى الأنس بالرفيق، نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم الذين: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له. وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه. وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم. فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له. فإنهم هم الأقلُّون قدرًا، وإن كانوا الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين. وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين. وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم. وغض الطرف عمن سواهم. فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا. وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم. فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك. وقد ضربت لذلك مثلين. فليكونا منك على بال.

المثل الأول: رجل خرج من بيته إلى الصلاة، لا يريد غيرها. فعرض له في

noorabbany.com

طريقه شيطان من شياطين الإنس، فألقى عليه كلامًا يؤذيه. فوقف ورد عليه، وتماسكا. فربما كان شيطان الإنس أقوى منه، فقهره، ومنعه عن الوصول إلى المسجد، حتى فاتته الصلاة. وربما كان الرجل أقوى من شيطان الإنس، ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الأول، وكمال إدراك الجماعة. فإن التفت إليه أطمعه في نفسه. وربما فترت عزيمته. فإن كان له معرفة وعلم زاد في السعي والجَمْز[1] بقدر التفاته أو أكثر، فإن أعرض عنه واشتغل بما هو بصدده، وخاف فوت الصلاة أو الوقت: لم يبلغ عدوه منه ما شاء.

المثل الثاني: الظبي أشد سعيًا من الكلب، ولكنه إذا أحس به التفت إليه فيضعف سعيه، فيدركه الكلب فيأخذه.

والقصد: أن في ذكر هذا الرفيق: ما يزيل وحشة التفرد، ويحث على السير والتشمير للحاق بهم.

وهذه إحدى الفوائد في دعاء القنوت: «**اللهم اهدني فيمن هديت**»[2] أي: أدخلني في هذه الزمرة، واجعلني رفيقًا لهم ومعهم.

والفائدة الثانية: أنه توسل إلى الله بنعمه وإحسانه إلى من أنعم عليه بالهداية، أي: قد أنعمت بالهداية على من هديت، وكان ذلك نعمة منك، فاجعل لي نصيبًا من هذه النعمة، واجعلني واحدًا من هؤلاء المنعم عليهم. فهو توسل إلى الله بإحسانه.

والفائدة الثالثة: كما يقول السائل للكريم: تصدق عليَّ في جملة من

---

(١) الجمز: سرعة السير والعدو.

(٢) أخرج الطبراني (الكبير٣/ ٧٥)، وأحمد (١/ ١٩٩) وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر: «**اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت وعافني فيمن عافيت... الحديث**» وسنده صحيح.

MOSTAFALADAWY.COM

تصدقت عليهم وعلمني في جملة من علمته وأحسن إليَّ في جملة من شملته بإحسانك.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:٦، ٧] دلالة على إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدين وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صدِّيق كما هو معلوم عند الكبير والصغير والقريب والبعيد من أهل الإسلام، وتقدم أن المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، فيتحصل لنا أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المنعم عليهم، فإذا كان كذلك فهو إمام متبع إذ أننا في كل صلاة نطلب من الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدينا طريق المنعم عليهم الذين منهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نطلب من الله عَزَّوَجَلَّ أن يسلك بنا الطريق الذي سلكه النبيون والصديقون (ومنهم أبو بكر) والشهداء والصالحون، فعليه فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إمام في الخير والدين، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ (لا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

❁ أن (لا) معناها (غير) فالمعنى (وغير الضالين).

❁ أن (لا) زائدة وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥]، وكقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] والمعنى ما منعك أن تسجد.

❁ وقيل: هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن (الضالين) معطوف على (الذين).

❁ ❁ ❁

MOSTAFALAW.COM

س: وضح المراد بالضلال في لغة العرب.

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه ضل اللبن في الماء، أي: غاب، ومنه: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة:١٠] أي: غبنا بالموت وصرنا ترابًا، قال:

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الدِّيَارُ ... عَنِ الْحَيِّ الْمُضَلَّلِ أَيْنَ سَارُوا

قلت: وللضلال معان أُخر منها:

❁ النسيان كما في قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢].

❁ ومنها: الضياع كما في قوله: «ضلت قلادة عائشة» إلى غير ذلك.

س: مَن المراد بـ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]؟

ج: المراد بالمغضوب عليهم في هذه الآية الكريمة هم اليهود[1] والضالون

---

(١) وهذا لا يمنع أن يكون اليهود - كما أنهم مغضوب عليهم - ضالين كذلك، ولا يمنع أن يكون النصارى - (كما أنهم ضالون) - أن يكونوا مغضوبًا عليهم أيضًا.

ولا يمتنع أيضًا أن يكون كل الكفار ضُلال كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٦٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

* وكذلك لا يمتنع أن يكون هناك مغضوب عليهم غير اليهود، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور:٩] وكما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١٠٦].

Mostafa Abuzr.com

هم النصارى، وهذا هو قول جمهور المفسرين في هذه الآية الكريمة، ويشهد لقولهم أمور:

أولها: أن النبي ﷺ فسر الآية بهذا أي: بأن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون[1].

(١) هذا الحديث (حديث المغضوب عليهم هم اليهود؛ والنصارى ضالون) له عن رسول الله ﷺ عدة طرق وإن كان في كل منها مقال إلا أنه يُحسن أو يُصحح بمجموعها، ومن هذه الطرق ما أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨ - ٣٧٩) وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤٠)، والترمذي (٢٩٥٤)، والطبري (حديث ١٩٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٩)، وابن حبان (موارد الظمآن ١٧١٥) من طريق شعبة، وكذلك أخرجه الترمذي (٢٩٥٣)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤١) من طريق عمرو بن أبي قيس، وكذلك أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٩- ١٠٠) عن طريق قيس بن الربيع ثلاثتهم (أي: شعبة وعمرو بن أبي قيس وقيس بن الربيع) عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي بن حاتم قال: قال لي رسول الله ﷺ: إن المغضوب عليهم اليهود.

وفي إسناده عباد بن حبيش وهو مقبول (ومعناه عن الحافظ مقبول إذا توبع وإلا فليِّن).

وقد خولف هؤلاء الثلاثة (شعبة وعمرو وقيس) من حماد بن سلمة فرواه حماد عن سماك عن مري بن قطري عن عدي مرفوعًا لكن الطريق إلى حماد بن سلمة فيه محمد بن مصعب وهو ضعيف (أخرجه الطبري١/ ١٨٦).

وثم مخالفة أخرى لهؤلاء الثلاثة فقد رواه الطيالسي (١٠٤٠) من طريق عمرو بن ثابت عن سماك ابن حرب عمن سمع عديًّا مرفوعًا لكن عمرو بن ثابت متروك، ثم إنه يمكن الجمع بأن يُقال: إن الذي سمع عديًّاهو عباد بن حبيش.

* فهذه طريق (أي: ما تقدم) علتها عباد بن حبيش وهو مقبول لكنها تصلح في الشواهد.

* وثم طريق آخر للحديث فقد أخرجه سعيد بن منصور (حديث ١٧٩) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن النبي ﷺ مرسلاً.

وكذلك عزاه صاحب الدر المنثور إلى ابن عيينة في تفسيره.

وقد رواه ابن جرير الطبري (حديث ١٩٣) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي قال: حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي رضي الله عنه مرفوعًا (أي: بإثبات واسطة بين إسماعيل وعدي) لكن عبد الله بن جعفر الرقي كان قد اختلط وتغير أخيرًا. فالطريق المرسلة أرجح، وعلى كل فهي تصلح في الشواهد.

=

ثانيهما: أن الله ﷻ قال في شأن بني إسرائيل مع موسى ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١] وقال تعالى في شأن بني إسرائيل أيضًا: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ﴾ [البقرة: ٩٠].

❁ وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]

❁ وقال تعالى - والسياق يدل على أنه في شأن النصارى -: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ

=* وله شاهد آخر مرسل رواه عبد الله بن شقيق عن النبي ﷺ مرسلاً، رواه عن عبد الله بن شقيق الجريري وخالد الحذاء كما عند الطبري (١/ ٦١- ٦٢) وطريق الجريري أظنها معلولة بما رواه الطبري (٢١١) من طريق الجريري عن عروة بن عبد الله بن قيس عن عبدالله بن شقيق عن رسول الله ﷺ. ورواه بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق، قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ. أخرجه الطبري (١٩٨)، وعبد الرزاق (١/ ٣٧)، وأحمد (٥/ ٣٢- ٣٣) من طريق معمر عن بديل، وبديل بصري ورواية معمر عن البصريين متكلم فيها.

* وروي من طريق إبراهيم بن طهمان عن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر عن النبي ﷺ (عزاه ابن كثير لابن مردويه) وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (٨/ ١٥٩)، لكننا نراه معلولاً فإبراهيم بن طهمان ثقة يُغرب وأظن ذكر أبي ذر من غراباته.

وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه، والله أعلم.

Mostafa Alwan .com

ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٥ - ٧٧].

والثالث: ما ورد في قصة زيد بن عمرو بن نفيل لما خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله ولا أحمد من غضب الله شيئًا وأنَّى أستطيعه؟!!.. الحديث، وفيه: فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله... الحديث[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٦، ٣٨٢٧) من طريق محمد بن أبي بكر قال: حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثنا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدضح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقُدِّمت إلى النبي سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكارًا لذلك وإعظامًا له، قال موسى: حدثني سالم بن عبد الله - ولاأعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر - أن زيدًا بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلِّي أن أدين دينكم فأخبرني فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنى أستطيعه؟ فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال زيد: ومال الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا وأنى أستطيع؟! فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم.

Nostrapublaw.com

س: لماذا وصف اليهود بأنهم ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ والنصارى بأنهم ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾؟

ج: ذلك - والله أعلم - لأن اليهود تركوا العمل بالحق بعد معرفته كما قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠].

أما النصارى فهم ضُلاَّل عن الحق[(١)].

وقد استفاض ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح ذلك فقال في «التفسير القيم» (ص: ١١) (في بيانه تضمن الفاتحة لإثبات النبوات):

الموضع الثامن: من ذكر المنعم عليهم، وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة. لأن العبد إما أن يكون عالمًا بالحق، أو جاهلاً به. والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفًا له. فهذه أقسام المكلفين. لا يخرجون عنها ألبتة.

فالعالم بالحق العامل به: هو المنعم عليه. وهو الذي زكَّى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح. وهو المفلح ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه. والجاهل بالحق: هو الضال.

---

(١) قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان ص ٣٧/ ١): اليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا فإن الغضب إنما خُصَّ به اليهود، وإن شاركهم النصارى فيه لأنهم يعرفون الحق وينكرونه ويأتون الباطل عمدًا فكان الغضب أخص صفاتهم، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق فكان الضلال أخص صفاتهم.

والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل. والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل. فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به. ومن ههنا كان اليهود أحقَّ به. وهو متغلظ في حقهم. كقوله تعالى في حقهم: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ﴾ [البقرة: ٩٠].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠]، والجاهل بالحق: أحق باسم الضلال. ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧] فالأولى: في سياق الخطاب مع اليهود. والثانية: في سياقه مع النصارى. وفي الترمذي وصحيح ابن حِبَّان: من حديث عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اليهود مغضوب عليهم. والنصارى ضالون**»(١).

ففي ذكر المنعَم عليهم - وهم من عرف الحق واتبعه - والمغضوب عليهم - وهم من عرفه واتبع هواه - والضالين - وهم مَن جهله - ما يستلزم ثبوت الرسالة والنبوة؛ لأن انقسام الناس إلى ذلك هو الواقع المشهود. وهذه القسمة إنما أوجبها ثبوت الرسالة وأضاف النعمة إليه.

---

(١) حسن بمجموع طرقه.

س: لماذا حذف فاعل الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]؟

ج: أجاب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك إجابة واسعة فقال ﷺ: «التفسير القيم» (ص ١٢):

وحذف فاعل الغضب لوجوه:

منها: أن النعمة هي الخير والفضل، والغضب من باب الانتقام والعدل. والرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما. وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعم إليه. وحذف الفاعل في مقابلتهما[1]، كقول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠] ومنه قول الخضر في شأن الجدار واليتيمين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢] وقال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ﴾ [الكهف:٨٢] وتأمل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة:٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢٣، ٢٤].

وفي تخصيصه لأهل الصراط المستقيم بالنعمة ما دل على أن النعمة المطلقة هي الموجبة للفلاح الدائم. وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر. فكل الخلق في نعمة. وهذا فصل النزاع في مسألة: هل لله على الكافر من نعمة أم لا؟

---

(١) ولا يطرد كلام ابن القيم ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ...﴾ الآية [المائدة:٦٠].

فالنعمة المطلقة لأهل الإيمان. ومطلق النعمة يكون للمؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والنعمة من جنس الإحسان، بل هي الإحسان. والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر، والمؤمن والكافر. وأما الإحسان المطلق فللذين اتقوا والذين هم محسنون.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه هو المنفرد بالنعم ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فأضيف إليه ما هو منفرد به. وإن أضيف إلى غيره فلكونه طريقًا ومَجْرًى للنعمة. وأما الغضب على أعدائه فلا يختص به تعالى، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يغضبون لغضبه. فكان في لفظة ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بموافقة أوليائه له: من الدلالة على تفرده بالإنعام، وأن النعمة المطلقة منه وحده، هو المنفرد بها - ما ليس في لفظة «المنعم عليهم».

الوجه الثالث: أن في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره، وتصغير شأنه، ما ليس في ذكر فاعل النعمة، من إكرام المنعَم عليه والإشادة بذكره، ورفع قدره: ما ليس في حذفه. فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه، ورفع قدره، فقلت: هذا الذي أكرمه السلطان، وخلع عليه وأعطاه ما تمناه. كان أبلغَ في الثناء والتعظيم من قولك: هذا الذي أُكرم وخلع عليه وشُرف وأُعطي.

س: هل «آمين» آية من سورة الفاتحة؟

ج: «آمين» ليست آية من الفاتحة لأمور منها؟

۞ عدم وجود دليل على أنها آية.

Nostrabook.com

❁ عدم إثباتها في المصاحف[١].

❁ وقال صديق حسن خان في تفسيره[٢] قيل: وليس من القرآن إجماعًا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف.

❁ وإلى هذا أشار القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] فقال: ويُسنُّ لقارئ القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتةٍ على نون ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: آمين ليتميز ما هو قرآن مما ليس بقرآن.

❁ ❁ ❁

س: هل «آمين» تقرأ بالمد أم بالقصر؟ وهل يجوز أن تشدد الميم؟

ج: حكى العلماء في «آمين» اللغتين المد أو القصر.

فقال بعضهم: هو بالمد على وزن فاعيل كياسين وقابيل وهابيل واستدلوا على ذلك بقول مجنون ليلى:

يَا رَبِّ لا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَدَا ... وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْداً قَالَ: آمِينَا

أي: بالمد.

وقال آخرون: هو بالقصر على وزن يمين كما قال الشاعر[٤]:

تَبَاعَدَ مِنِّي فُطْحُلٌ إِذْ سَأَلْتُهُ ... أَمِينَ فَزَادَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُعْداً

❁ أما تشديد الميم فهو خطأ وقد نص على ذلك عدد من العلماء.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى «آمين»؟

(١) وكذلك لم يتعرض عدد كبير من المفسرين لتفسيرها، وهذا مما يدل على أنها ليست عندهم آية.

(٢) (فتح البيان١/ ٥٥).

(٣) «تفسير القرطبي» (١/ ٨٩).

(٤) قال صديق حسن خان (وقال جبير لما سأل فُطحلاً)... فذكره.

MOSTAFALADAWY.COM

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

١ - آمين معناها: اللهم استجب[١] (وهذا قول أكثر العلماء).

٢ - ومنها: أن معنى آمين: كذلك فليكن.

٣ - آمين: اسم من أسماء الله الحسنى. وقد قال بهذا بعض العلماء ولا دليل عليه.

٤ - قيل: وهو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآثام[٢].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل التأمين.

ج: من الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[٣].

❁ وفي رواية: «**إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤].

❁ وأخرج مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيَّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال: «**إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبَّر فكبِّروا، وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يُجبكم الله...**»[٥].

---

(١) وفي قولٍ: (اللهم اسمع لنا وتقبل واستجب)، وفي قول: «لا تخيِّب رجاءنا»، وفي ثالثٍ: (رب افعل).

(٢) قال صديق حسن خان (فتح البيان ص٥٥): رواه الطبراني عن عليٍّ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٨١)، ومسلم (ص ٣٠٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٥) أخرجه مسلم (حديث٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

MOSTAFAKUTUBY.COM

❁ وروت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»(١).

❁ ❁ ❁

س: هل يجب قول «آمين» في الصلاة؟

ج: قول «آمين» في الصلاة مستحب لقول النبي ﷺ: «**وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: آمين**»(٢).

وليس بواجب لقول النبي ﷺ: «**اقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر معك من القرآن**»(٣).

❁ ❁ ❁

س: هل يُجهر بـ «آمين» في الصلاة الجهرية خلف الإمام أم يُسر بها؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه يُجهر بآمين خلف الإمام في الصلاة الجهرية واستدلوا بأدلة منها:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (حديث ٨٥٦)، وابن خزيمة (حديث ٥٧٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨) بإسنادٍ حسن من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ.

وله طرق أخرى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ، وانظر مسند أحمد (٦/ ٥٣١)، وسنن البيهقي الكبرى (٢/ ٥٦).

وثمَّ طرق أخرى عن رسول الله ﷺ لكنها لا تخلو من مقال. انظر سنن ابن ماجه (٨٥٧)، و«تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٥٠)، ومصنف عبد الرزاق (٢/ ٩٨).

(٢) صحيح وقد تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، ولفظه عند البخاري أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى فسلم على النبي ﷺ فردَّ وقال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل**» فرجع يُصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تُصل**» (ثلاثًا)، فقال والذي بعث بالحق ما أُحسن غيره فعلِّمني فقال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا...**» الحديث.

Mostafalaw2.com

الأول: أن النبي ﷺ كان يمد صوته بآمين[١].

الثاني: قول النبي ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[٢].

الثالث: أن أبا هريرة قال: للإمام لا تَفُتْنِي بآمين[٣].

الرابع: أن ابن الزبير صلى بالناس في المسجد فجهر بآمين فسمع للمسجد لُجة[٤] بينما ذهب آخرون إلى أنه يُسر بآمين، وذلك لأن معناها (عند الأكثر) اللهم استجب، فعليه فهي دعاء والأصل في الدعاء الإسرار به، والرأي الأول

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٤٨) بإسناد صحيح من حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ قرأ: «**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**» فقال: آمين ومدَّ بها صوته.
قال أبو عيسى: حديث وائل بن حجر حديث حسن، وبه يقول غير واحدٍ من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم، يرون أن الرجل يرفع صوته بالتأمين ولا يخفيها، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣١٦)، وأبو داود (حديث ٩٣٢) وفي روايته (ورفع بها صوته)، وغيرهم.

(٢) إسناده حس، وتقدم.

(٣) أخرجهما البخاري معلقًا بصيغة الجزم (مع الفتح٢/ ٢٦٢) باب جهر الإمام بالتأمين، وفيه: وقال عطاء: آمين دعاء، أمَّن ابن الزبير ومن وراءه حتى إن للمسجد لَلَجَّة، وكان أبو هريرة ينادي الإمام: لا تفُتني بآمين.
وأخرجه موصولاً عبد الرزاق في «المصنف» بإسناد صحيح (٢٦٤٠) عن ابن جريج عن عطاء قال: قلت له: أكان ابن الزبير يؤمن على إثر أم القرآن؟ قال: نعم، ويؤمن من وراءه حتى إن للمسجد لَلَجَّة ثم قال: إنما آمين دعاء، وكان أبو هريرة يدخل المسجد، وقد قام الإمام قبله فيقول: لا تسبقني بآمين.
وانظر أيضًا مسند الشافعي (ص ٥١)، وابن أبي شيبة (المصنف٢/ ٤٢٧) وسنن البيهقي الكبرى (٢/ ٩٥)، وابن سعد (الطبقات٤/ ٢٦٦)، و«تغليق التعليق» (٢/ ٣١٨).

(٤) انظر السابق.

MOSTAFABDW.COM

أقوى لكثرة الأدلة عليه، ولأن الدعاء وإن كان الأصل فيه الإسرار إلا أن هذه صورة مستثناة منه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل يُسمى المؤمِّن داعيًا؟

ج: بعض أهل العلم يُسمي المؤمِّن داعيًا، قال: لأن موسى عليه السلام كان يدعو على فرعون وجنده فيقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٨، ٨٩]، فقال هذا الفريق من أهل العلم: إن الدعاء ذكر عن موسى عليه السلام وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون كان يؤمِّن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ قالوا: فدل ذلك على أن من أمَّن على دعاءٍ فكأنما قاله، وأيدوا ذلك بحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يُعط أحدٌ قبلي إلا أن يكون موسى، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيب لكم**»(١).

❁ ❁ ❁

س: هل يقول المأموم: «آمين» بعد انتهاء الإمام من قول: «آمين» أم يقولها بعد انتهاء الإمام من قول: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ وضح ذلك بالأدلة.

ج: ذهب إلى أن المأموم يقول: آمين بعد أن يقولها الإمام لعموم حديث:

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله، وعزاه الحافظ ابن حجر إلى ابن مردويه وليس بين يدي تفسير ابن مردويه إلا أنه باستقراء عدد من الأحاديث التي ساقها العلماء بأسانيدها وعزوها إلى ابن مردويه متفردًا بها رأينا أن الغالب عليها الضعف والله تعالى أعلم.

MostafaAbdo.com

«**إنما جُعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا... الحديث**»[(١)] ولحديث: «**إذا أمَّن الإمام فأمنوا**»[(٢)] وهذا مذهب مرجوح، والراجح أن المأموم يقول: «**آمين**» إذا قال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وقد ورد ذلك صريحًا في حديث النبي ﷺ الذي فيه: «.. **وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: آمين يجبكم الله**»[(٣)].

وأيضًا حتى يتوافق تأمين الإمام مع تأمين المأمومين مع تأمين الملائكة فيغفر للمُؤمِّن بإذن الله.

❀ ❀ ❀

س: على ماذا تترتب المغفرة للذنب في قول العبد «آمين»؟

ج: تترتب مغفرة الذنوب على مقدمات جمعها حديث النبي ﷺ: «**من وافق تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه**» وهي:

١- تأمين الإمام.
٢- تأمين المأمومين.
٣- تأمين الملائكة.
٤- موافقة التأمين[(٤)].

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١١٤)، ومسلم (٤١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (سقط رسول الله ﷺ من فرسٍ فخُدِش - أو فجحش - شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى قاعدًا فصلينا قعودًا، وقال: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبَّر فكبِّروا وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد**»).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٨٠)، ومسلم (حديث ٤١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا وقد تقدم. وتقدم نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٧٨٢) مرفوعًا بلفظ: «**وإذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: آمين**».

(٤) والمراد بالموافقة لأهل العلم فيه أقوال منها: الموافقة في الإجابة وقيل: في الزمن. وقيل: في الصفة من إخلاص الدعاء، والله أعلم.

MOSTAFALAWY.COM

سُورَةُ البَقَرَة

س: اذكر بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضل سورة البقرة.

ج: من هذه الأحاديث: ما أخرجه مسلم رحمه الله في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»(١).

❁ ومنها: ما أخرجه مسلم(٢) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صواف تُحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»(٣).

❁ ❁ ❁

س: السور تتسمى ببعض ما فيها مثِّل لذلك.

ج: مثال ذلك: أن سورة البقرة ذُكرت فيها البقرة، وسورة آل عمران ذُكر فيها آل عمران، وسورة النساء ذكر فيها النساء وأحكام تتعلق بهن كثيرة، وسورة المائدة ذكرت فيها المائدة وسورة الأنعام ذكرت فيها الأنعام، وسورة الأعراف ذكرت فيها الأعراف، وكذلك جُلُّ السُّورِ بل كلُّها، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٤).

(٣) البطلة هم السحرة.

MOSTAFALAW.COM

س: سورة البقرة هل هي مكية أو مدنية؟

ج: سورة البقرة: مدنية[١]، ويؤيد ذلك أمران:

الأول: أن الأنصار اخْتُصوا بأنهم أصحاب سورة البقرة وقد ناداهم العباس يوم حنين فقال: يا أصحاب سورة البقرة يا من بايع تحت الشجرة.

الثاني: الإجماع على كونها مدنية، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، والله تعالى أعلم.

س: هل يقال سورة البقرة، وسورة آل عمران، أم يقال البقرة وآل عمران؟

ج: الذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أنه لا بأس أن يقال البقرة وآل عمران، وكذلك لا بأس أن يُقال سورة البقرة وسورة آل عمران، والأمر في هذا واسع[٢]، وقد تقدم أن النبي قال: «**اقرءوا البقرة**».

❁ وصح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنًى عن يمينه ثم رمى ثم قال: هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة[٣].

❁ وقال العباس يوم حنين للأنصار: يا أصحاب سورة البقرة.

---

(١) واستثنى بعض العلماء من ذلك قوله تعالى: ﴿... وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١].

(٢) وقد ورد في هذا الباب حديث ضعيف فيه: «**لا تقولوا سورة البقرة وسورة آل عمران، ولكن قولوا السورة التي تُذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران، وكذلك القرآن كله**».

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح٣/ ٥٨١)، ومسلم (مع النووي٩/ ٤٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رمي الجمرة.....ثم قال: من هاهنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

MOSTAFALAWY.COM

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

الٓمٓ ﴿١﴾

س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:١] والحروف التي في أوائل السور.

ج: ابتداءً فعلى وجه الإجمال للعلماء اتجاهان في تأويلها:

❁ فمنهم من يقول: إن ﴿الٓمٓ﴾ ونحوها من الحروف التي بُدئت بها السور، أحرفٌ لا يعلم معناها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا نخوض في تأويلها ما دام لم يرد في تأويلها شيءٌ صريح من كتاب الله أو من سُنَّةِ رسول الله ﷺ.

❁ ومن العلماء من يقول: بل لنا أن نفسرها ونلتمس ما فيها من المعاني وأوجه التأويل فهي من القرآن، وقد أمرنا الله ﷻ بتدبره وفهمه، وقد نزل القرآن بلغة العرب كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢] وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥] وقد استعملت العرب الحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات[1].

(١) قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره (المحرر): والصواب ما قاله الجمهور أنها تُفسَّر ويلتمس لها التأويل لأنَّا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظمًا لها ووضعًا بدل الكلمات.

hostarabiyy.com

ثم إن أهل هذا القول الأخير التمسوا لها جملة تأويلات نورد منها ما يلي:

الأول: أن هذه الأحرف المقطعة التي في أوائل السور فيها اسم الله الأعظم لكننا لا ندري كيف يتألف منها اسم الله الأعظم.

الثاني: أنها سيقت للتحدي فكأن المعنى ألف ولام وميم أحرف ليست بغريبةٍ عليكم معشر العرب مدعي الفصاحة والبلاغة، وأنتم تعرفون هذه الأحرف وتقرءونها، وقد ألفنا القرآن منها، ومع أنكم تعرفونها وتقرءونها إلا أنكم لا تستطيعون الإتيان بقرآن مثل هذا القرآن ولا تأليف ولو آية واحدة من مثله.

ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم، بأن الله ﷻ قال عقب ﴿الٓمٓ﴾: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ١، ٢]، وعقب ﴿الٓمٓصٓ﴾ بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١، ٢]، وعقب قوله تعالى: ﴿الٓرۚ﴾ بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١] ونحوها من الآيات.

الثالث: أن هذه الأحرف دالة على أسماء أُخذت منها وحذفت بقيتها، أي: أنها رموز تستعملها العرب في كلامها[١]. فروي عن البعض أنهم قالوا: الألف من[٢] الله، واللام من جبريل، والميم من محمد.

❁ ومنهم من قال في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: الألف تؤدي «أنا» واللام «الله» والميم «أعلم» فمعنى ﴿الٓمٓ﴾ عندهم: أنا الله أعلم، ومعنى ﴿الٓمٓصٓ﴾ أنا الله أفصل.

الرابع: قال بعض العلماء: هي أسماء للسور، قال الزمخشري[٣]: وعليه

---

(١) وهذه واضحة في سؤال مستقل.

(٢) (من) أي: من لفظ الجلالة، وكذلك (من جبريل) أي: اللام من اسم جبريل، والميم من اسم محمد.

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٣).

Mostafa.com

إطباق الأكثر، ويعتضد بما روي في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة «الم السجدة»، «هل أتى على الإنسان»[(١)].

الخامس: قال بعض العلماء: هي أقسام[(٢)] أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها، ووجه هذا الكلام أن إنسانًا لو أقسم فقال: والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديدًا، وتكون (لا) جواب القسم.

السادس: ذهب بعض أهل العلم إلى أن الجمع بين هذه الأقوال ممكن فهي أسماء للسور، وأسماء لله تعالى يفتتح بها السور (كسورة الرحمن) مثلاً، فكل حرف دال على اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، ودلَّل أصحاب هذا القول على صحة قولهم بأن الكلمة الواحدة قد يُراد بها عدة معانٍ كلفظ الأُمة مثلاً يطلق أحيانًا ويُراد به (الدِّين) كما في قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف:٢٢، ٢٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [المؤمنون:٥٢]، ويطلق ويراد به (الجماعة من الناس) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦] ويطلق ويُراد به (الحين) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥] أي: بعد حين[(٣)]، وتطلق ويراد بها (الرجل الحنيف العاقل)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠].

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح٢/ ٣٧٧)، ومسلم (مع النووي٦/ ١٦٨).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥٢)، والطبري (٢٣٧) بإسناد صحيح عن عكرمة قال: (الم) قسم.

(٣) على قولٍ لبعضِ العلماء.

وقد اعترض على هذا التمثيل هنا - بمعنى أنه اعترض على جعل لفظ الـ﴿أُمَّةَ﴾ مشابهًا للفظ ﴿الٓمٓ﴾ من ناحية إطلاق الكلمة على عدة معانٍ، فإن الأمة إنما دلت على معنى معين للوضع الذي سيقت فيه، أما ﴿الٓمٓ﴾ فالموضع فيها واحد فكيف تتعدد معانيها في هذا الموضع الواحد؟

قلت: وإجمال القول في هذا المقام: إن هذه الأحرف لم يرد في تأويلها شيء صحيح من المعصوم ﷺ فيما علمنا، ولم يُجمع العلماء في تأويلها على وجهة معينة، وإنما اختلفوا كما رأيت وتعددت أقوالهم، فالأمر على ما ذكره بعض أهل العلم حيث قالوا: فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: ما مجموع الحروف المقطعة المذكورة في أوائل السور؟ وما هي هذه الأحرف؟

ج: عددها (أربعة عشر حرفًا) وهي: ا، ل، م، ص، ر، ك، ه-، ي، ع، ط، س، ح، ق، ن[1]، يجمعها قولهم: (نص حكيم قاطع له سر).

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: هل تكلمت العرب بالحروف المقطعة؟

ج: ورد ذلك في بعض أشعارهم، واستدل له بعض العلماء بحديث رسول

---

(١) قال الرازي رحمه الله (٢/ ١١): هذه الفواتح جاءت مختلفة الأعداد فوردت (ص، ق، ن) على حرف، (طه، طس، يس، حم) على حرفين، (الم، الر، طسم) على ثلاثة أحرف، (المص، المر) على أربعة أحرف، (كهيعص، حم عسق) على خمسة أحرف، والسبب فيه أن أبنية كلماتهم على حرفٍ وحرفين إلى خمسة أحرف فقط، فكذا ههنا.

MOSTAFABWY.COM

الله ﷺ: «من أعان على قتل مسلمٍ ولو بشطر كلمة...» [(١)] قال بعض العلماء: هو أن يقول في (اقتل): اقْ، أما الأشعار في ذلك فمنها:

فقلت لها قفي فقالت قاف

أي: قالت: (وقفت).

ومنه الشعر الذي نقل عن زُهير:

بالخير خيرات وإن شرًّا فَا ولا أريد الشر إلا أنْ تا

أراد: وإن شرًّا فشرٌّ، وأراد: إلا أن تشاء.

ومنه قول الشاعر:

نادوهم ألا الجِمُوا ألا تا قالوا جميعًا كلهم ألا فَا

يريد بقوله: (ألا تا) ألا تركبون، وبقوله: (ألا فا) أي: فاركبوا، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: هل ورد عن النبي ﷺ شيء في فضل ﴿الٓمٓ﴾؟

ج: لا أعلم شيئًا في هذا الباب عن رسول الله ﷺ إلا قوله: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ولا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف ولكن (ألف) حرف، و(لام) حرف، و(ميم) حرف» [(٢)].

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) ضعيف جدًّا وقد حكم عليه بعض أهل العلم بالوضع وقد أخرجه ابن ماجه (٢٦٢٠)، والبيهقي (٨/ ٢٢) وفيه يزيد بن زياد الدمشقي وهو متروك.

(٢) أخرجه الترمذي (مع التحفة٨/ ٢٢٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن وقد أُعلَّ بالوقف ويبدو لي أنه الصواب ولكن على كل حال فيظهر لي أن له حكم الرفع والله تعالى أعلم.

MOSTAFALABYAD.COM

س: لماذا ذكرت الحروف المقطعة أوائل السور[١]، ولماذا كررت؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ منها: أنها أوردت ليُعرف بها أوائل السور، ويفصل به بين السورة والسورة التي تليها.

وقد ضعف الحافظ ابن كثير هذا القول بقوله: وهذا ضعيف، لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة.

❁ ومنها: أنها بُدئ بها لتفتح بها أسماع المشركين إذا تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تُلي عليهم المؤلف منه.

وضعف الحافظ ابن كثير هذا من وجوه.

أولها: أن الأمر لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور ولا يكون في بعضها دون بعض، بل غالبها ليس كذلك[٢].

الثاني: لو كان الأمر على ما ذكر من أن أسماع المشركين تفتح عند سماع هذه الأحرف لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك.

الثالث: أن هذه السورة (البقرة) مدنية فليست خطابًا للمشركين.

❁ ومنها: أن هذه الأحرف ذكرت في أوائل السور بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الأحرف المقطعة التي يتخاطبون بها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره»

---

(١) ليس السؤال عن معاني الحروف المقطعة.

(٢) أي: غالب السور لم تبدأ بالحروف المقطعة.

MOSTAFALABBAD.COM

عن المبرد وجمع من المحققين،، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية.

قال الزمخشري: ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال: وجاء منها على حرف واحد كقوله: ﴿ص﴾ و﴿ن﴾ و﴿ق﴾، وحرفين مثل: ﴿حم﴾ وثلاثة مثل: ﴿الم﴾ وأربعة مثل: ﴿المر﴾ و﴿المص﴾ وخمسة مثل: ﴿كهيعص﴾ و﴿حم ۝١ عسق﴾ لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك.

قلت: ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿الم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾ [البقرة:١، ٢]، ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ١-٣]، ﴿المص ۝١ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف:١، ٢]، ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم:١، ٢]، ﴿الم ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة:١، ٢]، ﴿حم ۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت:١، ٢]، ﴿حم ۝١ عسق ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى:١-٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء

www.alukah.net

لمن أمعن النظر، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: كم سورة افتتحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالحروف المقطعة؟ وما هي باختصار؟

ج: افتتح الله ﷻ تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة وهذه السور هي:

﴿الٓمٓ﴾ سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

وبقوله ﷻ: ﴿الٓمٓصٓ﴾ الأعراف.

وبقوله ﷻ: ﴿الٓرٰ﴾ سُوَر يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحِجْر.

وبقوله ﷻ: ﴿الٓمٓرٰ﴾ الرعد.

وبقوله ﷻ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مريم.

وبقوله ﷻ: ﴿طٰهٰ﴾ سورة طه.

وبقوله ﷻ: ﴿طٰسٓمٓ﴾ الشعراء والقصص.

وبقوله ﷻ: ﴿طٰسٓ﴾ النمل.

وبقوله ﷻ: ﴿يٰسٓ﴾ سورة يس.

وبقوله ﷻ: ﴿صٓ﴾ سورة ص

وبقوله ﷻ: ﴿حٰمٓ﴾ سُوَر غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

وبقوله ﷻ: ﴿حٰمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ الشورى.

وبقوله ﷻ: ﴿قٓ﴾ سورة ق.

وبقوله ﷻ: ﴿نٓ﴾ سورة القلم.

MOSTAFAALABYAD.COM

(١٥٠) أحمر أسود

MOSTAFAALADWY.COM

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

الكلمة	معناها
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	لا شك فيه

س: (ذلك)، (تلك) تستعملان للإشارة إلى الغائب، فلماذا عبر في هذه الآية الكريمة بلفظ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢]، ولم يقل: (هذا الكتاب)؟

ج: (ذلك)، و(تلك) وإن وضعتا للإشارة إلى الغائب، و(هذا) وضعت للإشارة إلى حاضر، إلا أن الوضع قد ينعكس أحيانًا فتستعمل (ذلك) بمعنى (هذا) والعكس، أي: أن (ذلك)، و(تلك) تستعملان للحاضر أيضًا، و(هذا) تستعمل للغائب أيضًا.

❁ فمن استعمال ذلك للإشارة إلى حاضر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة:٦]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الممتحنة:١٠].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٢].

❁ أما مجيء هذا بمعنى (ذلك) فمنه قوله ﷺ: «عُرض عليَّ قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر»[(١)] أي: ذلك البحر فعلى هذا (ذلك) قد تأتي

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، والنسائي (٦/ ٤٠ - ٤١)، ومسلم (حديث ١٩١٢)، وأبو داود (٢٤٩٠)، والترمذي (١٦٤٥) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٧٧٦) واللفظ للبخاري

Mostafa.com

بمعنى(هذا)، و(هذا) قد تأتي بمعنى (ذلك)، فمن الممكن إذن أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: هذا الكتاب، ومن الممكن أن تكون (ذلك) على بابها من أنها إشارة إلى الغائب على ما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى - في السؤال التالي.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢]، وما المراد بالكتاب؟

ج: ﴿ذَٰلِكَ﴾ معناها هنا (هذا) [(١)] أما الكتاب، فعلى الصحيح من أقوال العلماء أن المراد به القرآن [(٢)]، والله أعلم.

=من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علي أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت(*) عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت: فقلت وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أُمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة**....» الحديث.

(١) صح عن عكرمة رحمه الله (عند ابن أبي حاتم ٥٣)، والطبري (٢٤٨) أن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ معناه: هذا الكتاب.

* وبعض العلماء يقولون: (استعمل ذلك) لما تفيده الإشارة بلام البعد عن علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن، والله أعلم.

* وبعض أهل العلم يقولون: (ذلك) إشارة إلى ما تقدم وهو قوله: ﴿الٓمٓ﴾ وكون (ذلك) تأتي وفيها إشارة إلى ما تقدمها فهذا وارد كما في قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٨] أي: بين الفارض والبكر، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:١٠]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠] وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:١٠]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢] وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة:٢٣٢] إشارة إلى ما تقدمه، والله تعالى أعلم.

(٢) هذا على الصحيح من أقوال العلماء أن المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو القرآن، =

Mostafa Adly.com

س: وضح المعنى اللغوي للكتاب[1].

=ولكن هناك أقوال أخر للعلماء نورد بعضها:

(*) يعني: أنها كانت زوجته.

* الأول: من هذه الأقوال أن المراد بالكتاب هو المكتوب على الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(*) وهذا يحوي ما كتب على الخلائق من السعادة أو الشقاء والأجل والرزق وغير ذلك.

الثاني: أنه الكتاب الذي كتبه الله جل على نفسه: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»(**).

الثالث: أنه الكتاب الذي وعد الله به نبيه ﷺ وفيه: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم...**»(***) الحديث وفيه: «**وإني منزل عليك كتابًا لا يغسله الماء**».

الرابع: أن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ المراد به: التوراة والإنجيل، و﴿الٓمٓ﴾ المراد به: القرآن وهو اسم من أسمائه، فكأن المعنى على هذا الوجه: هذا القرآن هو ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل، يعني: أن التوراة والإنجيل يشهدان بصحته، أو المعنى أن هذا الكتاب جامع لما في الكتابين التوراة والإنجيل.

الخامس: أن ذلك الكتاب إشارة إلى القرآن الذي في السماء ولم ينزل بعد.

السادس: أن ذلك الكتاب إشارة إلى الكتاب الذي وُعد به أهل الكتاب ووعدوا به المشركين من أهل المدينة، وكانوا يستفتحون به عليهم.

وثمَّ أوجه أُخر أقواها ما قدمناه أولاً وهو أن المراد بالكتاب القرآن، والله تعالى أعلم.

(١) والكتاب يرد شرعًا ويراد به القرآن، ويراد به غيره كذلك.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] فُرض، وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ [الصافات:١٥٧] قيل: برهانكم وقيل غير ذلك، وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] أي: وقت كُتب عليه أن يموت فيه والمكاتبة بين العبد وسيده كتاب قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:٣٣] إلى غير ذلك، والله أعلم.

(*) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(**) أخرجه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٢٢)، وفي غير موطن من صحيحه، ومسلم (٢٧٥١) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**».

(***) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في

MOSTAFALAWY.COM

ج: الكتاب مصدر من كتب يكتب إذا جمع، وقيل للكتيبة كتيبة لاجتماعها، وتكتبت الخيل صارت كتائب، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفري رحمها بحلقةٍ أو سير. قال الشاعر:

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما معنى ﴿لا رَيْبَ﴾ [البقرة:٢] ؟

ج: معناها (لا شك) (١).

❀ ❀ ❀ ❀

س: هل يطلق الريب على غير الشك؟

ج: نعم يطلق الريب على غير الشك أحيانًا، لكن المراد بالريب في الآية الكريمة الشك، فـ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾ معناها (لا شك فيه)، أما إطلاق الريب على غير الشك، فذكر بعض أهل العلم أن الريب يطلق على التهمة ومنه قول الشاعر:

بثينة قالت يا جميل أربتني ... فقلت كلانا يا بثين مريب

ويطلق الريب أيضًا على الحاجة، واستدلوا بقول الشاعر:

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما هو الشك المنفي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَارَيْبَ﴾؟

=خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا...» فذكر الحديث، وفيه: وقال: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤُه نائمًا ويقظان...» الحديث.

(١) قال ابن أبي حاتم في «التفسير» (عقب أثر٥٥) عن أبي الدرداء قال: الريب يعني الشك من الكفر: ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر وعطاء بن أبي رباح وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان والسدي وإسماعيل بن أبي خالد.

Mostafawy.com

ج: الشك المنفي: هو الشك في كون القرآن من عند الله، فالمعنى، ذلك الكتاب لا شك في أنه من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو كقوله ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة:٢]، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ [البقرة:٢]؟

ج: المعنى - والله أعلم - هذا الكتاب لا شك في أنه من عند الله، ولبعض العلماء أقوال أُخر منها:

❁ لا شك فيه أنه هدى للمتقين.

❁ بعض العلماء يقول: هذا نفي معناه النهي، والمعنى لا ينبغي لأحدٍ أن يشك فيه ولا يرتاب في أنه من عند الله والنفي يرد، ومعناه النهي كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج.

❁ ويأتي الخبر ومعناه الأمر كذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧] أي: أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم، على وجه لبعض المفسرين، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

بعض أسماء القرآن

س: اذكر بعض أسماء (الكتاب العزيز).

ج: من هذه الأسماء: «القرآن»، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]،

MOSTAFALADAWY.COM

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٧]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ومنها «الكتاب»، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

❁ ومنها «الفرقان»، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

❁ ومنها «الذكر»، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت:٤١].

❁ ومنها «حبل الله»، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] إلى غير ذلك، وقد بلغ الرازي رحمه الله بهذه الأسماء إلى اثنين وثلاثين اسمًا لكنه أدخل الصفات في الأسماء ولا يسلم له أكثر ما ذكره، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الهدى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] من أي أقسام الهداية؟

ج: سبق بيان أن الهداية قسمان هداية دلالة، وهداية توفيق.

أما الهداية في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فمعناها - والله أعلم - ينتظم المعنيين جميعًا فيدخل فيها هداية الدلالة وهداية التوفيق ففي هذا الكتاب رشد وبيان ودلالة وتوفيق للمتقين، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خصت الهداية بالمتقين مع أن هذا الكتاب فيه هدى للخلق أجمعين كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥]؟

ج: إذا أريد بالهداية هداية التوفيق فلا إشكال فالكتاب فيه توفيق للمتقين

MOSTAFALABIB.COM

ولا يوفق به أهل الكفر والضلال.

أما إذا أُريد بالهداية هداية الدلالة فصحيح أن في الكتاب العزيز (هداية الناس) ولكن منهم من ينتفع بها ومنهم من لا ينتفع كما قال الله سبحانه في شأن ثمود الذين لم ينتفعوا بالهداية: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]، فخص المتقون بالهداية دون غيرهم لأنهم المنتفعون بها كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥] وقد كان النبي ﷺ منذر للناس أجمعين (مسلمهم وكافرهم).

وقيل: أراد المتقين والكافرين[١] لكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ﴾ [النحل:٨١] أي: وتقيكم البرد، ولكنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بعض الوارد في التقوى

س: من أي شيء أخذت التقوى؟ ومن المتقون؟

ج: التقوى مأخوذة من الاتقاء بما تجعله من حاجز بينك وبين ما تتقيه ومنه قول البراء بن عازب رضي الله عنهما: «كنا والله إذا احمر البأس[٢] نتقي به[٣] وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - يعني النبي ﷺ»[٤].

---

(١) وهذا يتأتى إذا فسرت الهداية بالدلالة.

(٢) احمرّ البأس: اشتد الحرب.

(٣) أي جعلناه حاجزًا بيننا وبين العدو.

(٤) أخرجه مسلم (ص ١٤٠١).

* وقال القرطبي: وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُبيًّا رضي الله عنه عن التقوى فقال: (هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت، قال: فذاك التقوى).

=

MostafaAdawy.com

=قلت (مصطفى): عفا الله عنه لم يسعفني الوقت للوقوف على إسناده.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأخذ هذا المعنى ابن المعتزل فنظمه:

خـــــلِّ الـــــذنوب صـــــغيرها ... وكبيرهـــــا ذاك التقـــــى

وكـــــن كمـــــاشٍ فـــــوق أر ... ض الشـــــوك يحـــــذر مـــــا يرى

لا تحقـــــرن صـــــغيرة ... إن الجبـــــال مـــــن الحصـــــى

وقال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن التقوى هي الخشية، قال في أول النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١] ومثله في أول الحج، وفي الشعراء: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١٠٦] يعني: ألا تخشون الله، وكذلك قال هود وصالح، ولوط، وشعيب لقومهم، وفي العنكبوت قال إبراهيم لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [نوح:٣] يعني: اخشوه، وكذا قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧] ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨].

واعلم أن حقيقة التقوى وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن، والغرض الأصلي منها الإيمان تارة، والتوبة أخرى والطاعة ثالثة، وترك المعصية رابعًا والإخلاص خامسًا أما الإيمان فقوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦] أي: التوحيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الحجرات:٣] وفي الشعراء: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:١١] أي: ألا يؤمنون وأما التوبة فقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الأعراف:٩٦] أي: تابوا، وأما الطاعة فقوله في النحل: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢] وفيه أيضًا: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل:٥٢]، وفي المؤمنين: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢] وأما ترك المعصية فقوله: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:١٨٩] أي: فلا تعصوه، وأما الإخلاص فقوله في الحج: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] أي: من إخلاص القلوب، فكذا قوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١] واعلم أن مقام التقوى مقام شريف قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وعن ابن عباس قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده**» وقال علي بن أبي طالب: التقوى ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة.

قال الحسن: التقوى أن لا تختار على الله سوى الله، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله. وقال إبراهيم بن أدهم: التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيبًا، ولا الملائكة في أفعالك عيبًا، ولا ملك العرش في سرك عيبًا. وقال الواقدي: التقوى أن تزين سرك للحق ما زينت ظاهرك للخلق. ويقال: التقوى أن لا =

Mostafa.blogspot.com

❁ ومنه قول الشاعر:

سـقط النصـيف ولـم تـرد إسـقاطه ... فتناولتـــــه واتقتنـــــا باليـــــد

وقال آخر:

فألقـت قناعًـا دونـه الشـمس واتقـت ... بأحســن موصــولين كــفٍّ ومِعصــم

❁ أما من هم المتقون ففيهم أقوال لأهل العلم، نورد منها ما يلي:

❁ قال بعض العلماء: إن المتقين هم الذين يحذرون من الله ﷻ عقوبته.

❁ وقيل: هم قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان(١) وبرئوا من النفاق.

❁ وقيل: هم قوم تركوا ما لا بأس به حذرًا مما به البأس(٢).

❁ وقيل: هم من وصفهم الله ﷻ بقوله(٣): ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٣-٥].

❁ وقيل: التقي هو الخائف.

❁ وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره»:

وأوْلى التأويلات بقول الله جل ثناؤه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، تأويلُ من

=يراك مولاك حيث نهاك، ويقال: المتقي من سلك سبيل المصطفى، ونبذ الدنيا وراء القفا، وكلف نفسه الإخلاص والوفا، واجتنب الحرام والجفا، ولو لم يكن للمتقي فضيلة إلا ما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ كفاه، لأنه تعالى بيَّن أن القرآن هدى للناس في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] ثم قاله هاهنا في القرآن إنه هدى للمتقين، فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس، فمن لا يون متقيًا كأنه ليس بإنسان.

(١) قال ابن عطية: وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق.

(٢) أي: تركوا بعض المباحات خشية الوقوع في المحرمات.

(٣) صح هذا القول عن قتادة عند ابن أبي حاتم في التفسير (٦٤)، والطبري (٢٦٥).

MOSTAFAALBOW.COM

وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقُوا الله ﷻ في ركوب ما نهاهم عن ركوبه، فتجنبوا معاصيه، واتَّقوه فيما أمرهم به من فرائضه، فأطاعوه بأدائها. وذلك أنَّ الله ﷻ وصَفهم بالتقوى، فلم يحصُرْ تقواهم إياه على بعض ما هو أهلٌ له منهم دون بعض فليس لأحد من الناس أن يحصُر معنى ذلك على وَصْفهم بشيء من تَقوى الله ﷻ دون شيء إلا بحجة يجبُ التسليمُ لها. لأن ذلك من صفة القوم، لو كان محصورًا على خاص من معاني التقوى دون العامِّ منها، لم يدع الله جل ثناؤه بيانَ ذلك لعباده: إما في كتابه، وإما على لسان رسوله ﷺ، إذْ لم يكن في العقل دليلٌ على استحالة وصفهم بعموم التقوى.

فقد تبيَّن إذًا بذلك فسادُ قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو: الذين اتَّقَوُا الشرك وبرئوا من النِّفاق. لأنه قد يكون كذلك، وهو فاسقٌ غيرُ مستَحِق أن يكون من المتقين، إلا أن يكون - عند قائل هذا القول - معنى النفاق: ركوبُ الفواحش التي حَرَّمها الله جل ثناؤه، وتضييعُ فرائضه التي فرضها عليه. فإن جماعةً من أهل العلم قد كانت تسمِّي من كان يفعل ذلك منافقًا. فيكون - وإن كان مخالفًا في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم - مصيبًا تأويلَ قول الله ﷻ: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: أوصى الله ﷻ عباده بالتقوى في جملة آيات، اذكر بعضها.

ج: من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾ الآية [النساء: ١].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

❁ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

س: اذكر بعض منافع التقوى المستنبطة من كتاب الله ﷻ.

ج: من منافعها ما يلي:

❁ الهداية لصاحبها قال تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

❁ نصرة الله لصاحبها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

❁ تولي الله ﷻ لصاحبها قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩].

❁ إبعاد الحزن عن صاحبها في الآخرة قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

❁ المخرج من الكرب والغم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]

❁ الرزق قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]

Mostafa Adly.com

❁ محبة الله ﷻ لصاحبها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤].

❁ البصيرة والمغفرة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٢٩].

❁ تيسير الأمور قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]

❁ تعظيم الأجر وتكفير السيئات قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥].

❁ قبول العمل قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

❁ الفلاح قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠].

❁ البشرى قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٣، ٦٤].

❁ دخول الجنة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم:٣٤].

❁ النجاة من النار قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم:٧٢].

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض البواعث على التقوى.

ج: من البواعث على التقوى ما يلي[(١)]:

١- خوف عقاب الله ﷻ (سواء العقاب الأخروي أو العقاب الدنيوي).

٢- رجاء الثواب (الثواب في الآخرة أو في الدنيا).

٣- خوف الحساب.

٤- الحياء من نظر الله ﷻ (وهو مقام المراقبة).

---

(١) ذكر ذلك بعض أهل العلم.

MOSTAFALADAWY.COM

٥- الحياء من الملائكة.

٦- الشكر على نعم الله ﷻ بطاعته.

٧- العلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

٨- تعظيم الله ﷻ (وهو مقام الهيبة).

٩- صدق المحبة[١]، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الآيات التي تفيد أن المنتفعين بهذا القرآن هم (المؤمنون والمتقون) دون غيرهم.

ج: ورد من هذه الآيات ما يلي:

۞ قول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤، ١٢٥].

۞ وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ [فصلت:٤٤].

---

(١) وقد أحسن القائل إذ يقول:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقد قال غيره:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... لله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لو كان يظن الموت من ظمأ ... وقلت قفي عن ورود الماء لم يرد

Mostafalady.com

❁ وقال تعالى في شأن اليهود: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة:٦٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] إلى غير ذلك من الآيات، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

الكلمة	معناها
﴿يُؤْمِنُونَ﴾	يُصدِّقون.
﴿يُنفِقُونَ﴾	يُخرجون.
﴿يُوقِنُونَ﴾	يعلمون ويتيقنون، واليقين هو: ما حصلت به الثقة .
﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾	أعطيناهم.
﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾	على نورٍ وتوفيق من ربهم واستقامة على ما جاءهم به بتسديد الله إياهم وتوفيقه لهم .
﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	المفلح هو: من فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب.

MOSTAFALADY.COM

س: ما معنى الإيمان لغة وشرعًا؟

ج: أما الإيمان لغة فمعناه: التصديق، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف:١٧] وقوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس:٨٣].

ويزاد عليه شرعًا: القول والعمل، فالإيمان شرعًا تصديق وقول وعمل.

❁ والإيمان كذلك هو ما ورد في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر.. فذكر الحديث وفيه: «فأخبرني عن الإيمان، قال[١]: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه...»[٢] فذكر الحديث.

❁ ❁ ❁

س: كلمة (مؤمن) تتعدى لمفعولها بماذا؟

ج: تتعدى بالباء، وباللام.

❁ أما تعديها بالباء فكما في قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:٧١].

وتعديها باللام فكما في قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾ [يونس:٨٣].

وكما في قول اليهود لبعضهم: ﴿... وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران:٧٣].

❁ ❁ ❁

س: اذكر دليلاً على أن الأعمال من الإيمان.

ج: من الأدلة على ذلك: قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون - وفي رواية: بضع وسبعون - شعبة والحياء شعبة من الإيمان**» أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وفي رواية لمسلم: «**الإيمان بضع**

---

(١) أي: قال رسول الله ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم (٨).

(٣) أخرجه البخاري (حديث رقم٩)، ومسلم (حديث ٣٥).

MOSTAFALAW.COM

وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[(١)].

س: ما هو المراد بالغيب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ منها أن الغيب كل ما غاب عن العباد، وأخبر به الرسول ﷺ فيدخل فيه الإيمان بالملائكة والكتب المتقدمة وكذلك الرسل المتقدمون واليوم الآخر والجنة والنار[(٢)] ولقاء الله ﷻ، وكل ما ذكر في القرآن من الغيوب.

❁ ومنها أن المراد بالإيمان بالغيب الإيمان بالقدر.

❁ بعض العلماء يقولون: إن ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ هم الذين آمنوا برسول الله ﷺ ولم يروه.

❁ ومن العلماء من يُدخل في الإيمان بالغيب الإيمان بالله ﷻ باعتبار أننا لا نرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا فقد قال الله سبحانه: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ **[الأعراف:٧]**.

❁ ونحا بعض أهل العلم منحى آخر فقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: يؤمنون في حال غيبهم أي: باطنًا كما يؤمنون ظاهرًا فيؤمنون بقلوبهم كما يؤمنون بألسنتهم، فيفارقوا أهل النفاق الذين يؤمنون بألسنتهم وقلوبهم منكرة وهم مستكبرون.

هذا وقد أورد ابن عطية رحمه الله نحو هذه الأقوال[(٣)] ثم قال: وهذه الأقوال لا

---

(١) أخرجها مسلم (ص ٦٣).

(٢) روى الطبري (٢٧٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب.

(٣) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (١/ ١٠٠).

=

Mostafadiv.com

تتعارض بل يقع الغيب على جميعها.

والغيب في اللغة ما غاب عنك من الأمر، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣]؟

ج: أما القيام على الشيء فهو المداومة عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ (١) [آل عمران:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ...﴾ [آل عمران:١١٣] وقول النبي ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله**»(٢).

❁ أما المراد بإقامة الصلاة فالمحافظة عليها وأداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها، وكذلك ملازمتها جماعة في الفرائض، والإكثار في النوافل،

=* وقال ابن العربي رحمه الله:

(التنقيح): إذا تأمَّل اللبيبُ المنصِفُ هذه التوجيهات تحقَّق أن الصحيحَ المراد بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ كلُّ غَيْبٍ أخبر به الرسول ﷺ أنه كائن.

وقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عامٌّ في كل صلاة فَرْضًا كانت أو نَفْلاً.

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ عامٌّ في كلِّ نفقة، وليس في فوَّة هذا الكلام القضاء بفرضيَّة ذلك كلِّه، وإنما عَلِمْنَا الفرضيَّة في الإيمانِ والصلاة والنفقة من دليلٍ آخر، وهذا القولُ بمطلقه يقتضي مَدْح ذلك كله خاصة كيفما كانت صِفَته.

(١) ما دمت مستمرًّا في مطالبته بالدين الذي عليه، وسيأتي في آل عمران إن شاء الله.

* نقل القاسمي في محاسن التأويل عن الراغب قوله: إقامة الصلاة توفية حدودها وإدامتها، وتخصيص الإقامة تنبيه على أنه لم يُرد إيقاعها فقط، ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظٍ نحو ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود:١١٤]، وقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٦٢]، و﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، ولم يقل المصلي إلا في المنافقين: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤، ٥].. وذلك تنبيه على أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل. انتهى.

قلت (مصطفى): وهذا يحتاج مني إلى مزيد تحرير، والله المستعان.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا.

MOSTAFALADAWY.COM

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؟

ج: المراد بالدرجة الأولى الصلوات الخمس التي كتبها الله ﷻ على العباد وذكرت الصلوات الخمس بلفظ المفرد ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٢١٣] أي: الكتب.

ويلتحق بالفرائض النوافل أيضًا عند أهل التقى والفضل وإن لم تكن واجبة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما حكم إقامة الصلاة (التي هي عقب الأذان)؟ وهل على تاركها إعادة؟

ج: إقامة الصلاة سنة عند الجمهور، ولا إعادة على تاركها؛ لأن النبي ﷺ قال في شأن الصلاة: «**تحريمها التكبير**»[1] فعليه لا صلة للإقامة بصحة الصلاة أو بطلانها، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالأذانين في حديث رسول الله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة»؟

ج: المراد الأذان والإقامة، والعرب تطلق على الشيء إذا اقترن بشيء آخر

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٢٣، ١٢٩)، والترمذي (١/ ٣٧)، وأبو داود (١/ ٤٩)، والدارمي (١/ ٢٧٥)، والبيهقي (٢/ ١٧٣، ٣٧٩)، وابن ماجه (٢٧٥) من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**» وله شواهد يصح بها أوردها الدارقطني (١/ ٣٥٩، ٣٦١).

MostafaAdawy.com

(١٧٠) أحمر أسود

اسم الشيء الآخر إذا غلب عليه (أي: على سبيل التغليب).

❁ فيقولون مثلاً: رأيت الشمسين (ويقصدون الشمس والقمر).

❁ ويقولون: جاء العُمران، ويقصدون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إلى غير ذلك والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

بعض الوارد في فضل الصلاة

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضل الصلاة.

ج: نورد من هذه الأحاديث ما يلي:

❁ قول النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر**»(١).

❁ وسئل النبي ﷺ أي العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: «**الصلاة لوقتها**»(٢).

❁ وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل ترون أن ذلك يُبقي من درنه شيئًا، فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله ﷻ بهن الخطايا**»(٣).

❁ وقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**ابن آدم صل لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره**»(٤).

❁ وقول النبي ﷺ: «**يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة... - الحديث - ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»(٥).

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٠٠)، ومسلم (٨٥) وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرج أحمد (٥/ ٢٨٦)، وأبو داود (٢/ ٦٣) من حديث نعيم بن همار الغطفاني رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله ﷻ يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره**» وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa.adly.com

س: ما معنى الصلاة لغة؟

ج: الصلاة تطلق على الدعاء، ومنه قول الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣].

❁ وقول النبي ﷺ: «... وإن كان صائمًا فليصل»(١).

❁ وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم صل على آل أبي أوفى»(٢).

❁ ومنه أيضًا قول الشاعر:

تقول بنتي وقد قربت مُرتحلًا ... يا رب جنِّب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نومًا فإن لجنب المرء مضطجعًا

❁ وتطلق الصلاة على القراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾(٣) [الإسراء:١١٠].

---

(١) أي: فليدع لأهل الوليمة، وقد أخرج مسلم رحمه الله (حديث ١٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعي أحدكم فليجب فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطرًا فليطعم».

(٢) أخرج البخاري (حديث ١٤٩٧) من حدث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل على آل فلانٍ» فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، وأخرجه مسلم (حديث ١٠٧٨).

(٣) أخرج البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾، وأخرج البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قالت: أنزل هذا في الدعاء.

قلت: ولا يمنع أن تتعد أسباب النزول للآية الواحدة، والله أعلم.

Nofal-Abdo.com

❁ وتطلق على العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥].

س: ما معنى (يُنفِقُونَ) وما المراد بالنفقة في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣]؟

ج: ينفقون معناها: يُخرجون، والإنفاق هو إخراج المال من اليد نفقت الدابة خرجت روحها، وأطلق على المنافق منافق؛ لأنه يخرج من الإيمان، وقولهم للمرأة: إنكِ نافقة أي: ستجدين من يتزوجك فتخرجين من بيت الوالد إلى بيت الزوج، وأنفق القوم: فنى زادهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء:١٠٠].

❁ أما المراد بالنفقة هنا فمن العلماء من يقول: إنها الزكاة المفروضة وقال بعض أهل العلم: إنها النفقة على الأهل، وقيل المراد صدقة التطوع.

والصحيح أنها عامة في كل أنواع الإنفاق فيدخل فيها صدقة الفرض وصدقة النفل والإنفاق على الأهل إلى غير ذلك من أنواع النفقة الواجبة والمستحبة، وهذا الذي اختاره الطبري رحمه الله[1].

قال رحمه الله (١/ ٢٢٤): وأوْلى التأويلات بالآية وأحقُّها بصفة القوم: أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم، مُؤدِّين، زكاةً كان ذلك أو نَفَقةَ مَنْ لزمتْه نفقتُه، من أهل وعيال وغيرهم، ممن تجب عليهم نَفَقتُه بالقرابة والمِلك وغير ذلك؛ لأن الله جل ثناؤه عَمَّ وصفهم إذْ وصَفهم بالإنفاق مما رزقهم، فمدحهم بذلك من صفتهم. فكان معلومًا أنه إذ لم يخصُصْ مدْحَهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبُها دونَ نوعٍ بخبر ولا غيره - أنهم

(١) انظر الخلف.

(١٧٤) أحمر أسود

موصوفون بجميع معاني النفقات المحمودِ عليها صاحبُها من طيِّب ما رزقهم رَبُّهم من أموالهم وأملاكهم، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ. والله تعالى أعلم.

MOSTAFAALADWY.COM

شيء من فقه الإنفاق

س: هل يستحب الإنفاق على الدوام؟

ج: الإنفاق[١] له فقه كسائر المسائل الشرعية التي تحتاج إلى فقه فأحيانًا يجب الإنفاق وأحيانًا يستحب وأحيانًا يباح وأحيانًا يكره وأحيانًا يحرم شأنه شأن أكثر المسائل.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقال الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين.... ورجل آتاه الله مالاً فَسُلِّط على هلكته في الحق..**»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك: «**أمسك عليك بعض مالك**»[٣].

وقد جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ بماله كله فقال له النبي ﷺ:

---

(١) هذا على تأويل الإنفاق بأنه عام (يشمل الفرض والنفل).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٣)، ومسلم (حديث ٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّط على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها**».

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩)، وأحمد (٦/ ٣٨٧) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عز وجل عليه وفيه أنه قال: قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك**».

MOSTAFAADIB.COM

«**ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله[١].

❁ وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»[٢].

❁ وغيرها نصوص يتحرك المؤمن في ضوئها فيعلم متى يُنفق ومتى يمسك وأين ينفق وأين يُمسك، ومتى ينفق كل ماله، ومتى يمسك بعض ماله وليعلم أن الاقتصاد غير البخل، وأن الجود غير التبذير.

وأن المنع في محل الإعطاء مذموم، والإعطاء في محل المنع مذموم كذلك ويعلم متى يُطبق حديث رسول الله ﷺ: «**ابدأ بمن تعول**»[٣] ومتى يطبق قول الله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ **[الحشر:٩]** ومتى ينزل حديث الصحابي الجليل وزوجته الصحابية الكريمة اللَّذين عجب الله ﷻ من صنيعهما مع الأضياف لما نوما صبيانهما وأطفأ مصباحهما وأوهما الضيف أنهما يأكلان[٤] !!

---

(١) أخرج أبو داود (حديث ١٦٦٢)، والترمذي (٣٦٧٥) وقال: حديث حسن صحيح. والدارمي (١/ ٣٩١ - ٣٩٢) وغيرهم بإسناد حسن من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا.

(٢) حيح وسيأتي تخريجه في آية الوصية، إن شاء الله تعالى.

(٣) حيح أخرجه البخاري (٥٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ (انظر صحيح مسلم ص ٧١٧ - ٧١٨) ترتيب محمد فؤاد.

(٤) أخرج البخاري (حديث ٣٧٩٨)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤)، والترمذي (٣٣٠٤)، وقال: حديث حسن صحيح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (واللفظ للبخاري) أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من يضم - أو يضيف هذا -**» فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت =

Nafahat.com

۞ ويعلم كذلك أين ينفق هل ينفق فيما يحبه الله ويرضاه ويبتغي بذلك وجه الله فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم:٣٩] أم أنه ينفق أموالاً ثم تكون عليه حسرة.

۞ ويعلم كذلك لمن ينفق أولاً وهل الأقربون أولى بالإنفاق عليهم إذا كانوا أهل حاجة كما قال تعالى: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٥] وكما قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:٢١٥] أو أن المسكين ذا المتربة أولى لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٦] أو أن (في كل كبدٍ رطبةٍ أجر)...

إلى غير ذلك من الضوابط التي تضبط بها مسائل الإنفاق ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٧٩]، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله تعالى أعلم.

س: من الموصوفون بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

۞ أن هؤلاء هم الموصوفون قبل هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهم مؤمن العرب ومؤمنو أهل الكتاب.

=صبياني فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءًا؛ فهيئت طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما» فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

MOSTAFAADAWY.COM

۞ أن هؤلاء هم أهل الكتاب خاصة، لأن مؤمنو العرب تقدم ذكرهم.

والراجح لديَّ - والله أعلم - أن الآية عامة فيدخل فيها المؤمن من العرب والمؤمن من أهل الكتاب ومن آمن من غيرهم كذلك.

وذلك لأن مؤمن العرب ومؤمن أهل الكتاب وغيرهم ممن آمن كلهم يؤمنون بما أُنزل إلى الرسول ﷺ وما أُنزل من قبله.

۞ قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

۞ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

۞ وقال تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٢] إلى غير ذلك من الآيات، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: قد تأتي (الواو) عاطفة لصفاتٍ على صفات اذكر أمثلة لذلك.

ج: من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ [الأعلى:١-٤]. فالموصوف واحد وكذلك قوله تعالى[1]: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٣، ٤].

ومنه أيضًا قول الشاعر:

---

(١) على قولٍ لفريق من أهل العلم.

إلـــى الملـــك القـــرم وابـــن الهمـــام ولـيـــــث الكتيبـــــة في المـــــزدحم

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿...وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؟

ج: المراد - والله أعلم - ما نزل على الأنبياء قبل نبينا ﷺ وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف الأولى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٩] إلى غير ذلك مما نزل على الأنبياء عليهم السلام، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

فضل من آمن من أهل الكتاب

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل الكتابي الذي آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ؟

ج: من هذه الآيات والأحاديث نورد ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص:٥٢- ٥٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٤، ٥].

MostafaLabw.com

❁ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

❁ وقال النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين.. رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به..»[1] الحديث.. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل يلزم أن يكون أجر من آمن من أهل الكتاب أعظم من أجر مَن آمن من العرب؟

ج: لا يلزم ذلك، صحيح أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بالنبي محمد ﷺ» وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص:٥٤] ولكن قد يكون هناك من العرب من آمن وحصل له من التصديق ما يفوق أضعاف إيمان الكتابي وتصديقه كما هو الشأن في أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح وبلال وعمار رضي الله عنهم أجمعين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٥٤)، والبخاري (حديث ٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa Adawy.com

س: قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [البقرة:٥] فيه رد على القدرية وضح ذلك.

ج: وجه ذلك أن القدرية يزعمون أنهم يخلقون إيمانهم وهداهم، ففي قول الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ ردٌّ عليهم فلم يقل أولئك على هدًى من أنفسهم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: من هم المفلحون؟

ج: هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ والمفلح هو من فاز وظفر بما طلب ونجا مما هرب، فالمفلحون هم الذين فازوا بالجنان ونجوا من النيران، والعلم عند الله تعالى. والفلح أصله في اللغة الشق والقطع وفيه قول الشاعر:

قد علمت خيلك الصَحْصَح[1] وأن الحديد بالحديد يُفلح

ويُفلح أي: يُشق، وفلاحة الأرض: شقها للحرث والأفلح هو الذي شقت شفته السفلى، وحي على الفلاح: هلموا إلى الفوز ودخول الجنة.

❀ ❀ ❀ ❀

س: هذه الآيات الكريمة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:١-٤] ذكرت فيها أوصاف للمتقين منها. يؤمنون بالغيب، يقيمون الصلاة، مما رزقهم الله ينفقون، يؤمنون بما أنزل إلى رسول الله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة، فهل تنحصر صفات المتقين في هذه الصفات؟

---

(١) الصحيح هو الشديد الصلب، والبيت ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه.

Mostafawy.com

ج: تنحصر صفات المتقين في هذه الآيات إذا راعينا أن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة:٤] عام فيدخل فيه كل ما أمر الله به وكل ما نهى الله عنه وكل خبر...

ولكن إذا أردنا تفصيلاً فالمتقون لهم صفات ذكرت في آيات أخر كما في سورة آل عمران: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤] وكما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها صفات المتقين، فالحاصل أن صفات المتقين تؤخذ من مجموع الآيات التي وردت في صفاتهم، وكذلك سائر الأحكام الشرعية تؤخذ من مجموع الآيات والأحاديث التي وردت فيها، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الآيات التسع عشرة من سورة البقرة انتظمت أصناف الناس الثلاثة، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن يقال: انتظمت هذه الآيات أصناف الناس الثلاثة وهم المؤمنون والكافرون المنافقون.

❁ فالآيات الأربع عقب قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ في المؤمنين وأوصافهم.

❁ وآيتان في وصف الكفار.

❁ وثلاث عشرة آية في وصف أهل النفاق، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALADY.COM

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

الكلمة	معناها
﴿سَوَآءٌ﴾	يستوي أي: يستوي عندهم الإنذار وعدمه.
﴿خَتَمَ﴾	غطَّى.
﴿غِشَٰوَةٌ﴾	غطاء على العين يمنعها من الرؤية، ومنه قول الشاعر:
	هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

س: ما معنى الكفر لغة؟

ج: الكفر يطلق على التغطية والستر، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠] فالكفار هنا هم الزراع على قولٍ قويٍّ جدًّا لأهل العلم لأنهم يغطون الحبَّ.

❁ ومن هذا الباب قول الشاعر:

في ليلةٍ كفرَ النجومَ غمامُها

ولذلك سُمِّي الليل كافرًا لتغطية ظلمته ما لبسته.

MOSTAFALADY.COM

والكافر من الأرض هو ما بَعُد عن الناس لا يكاد ينزله ولا يمر به أحد ومن حل بتلك المواضع فهو من أهل الكفور، ويُقال الكفور: القرى[١]، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما هو المراد بالكفر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦] ومن المراد بالذين كفروا؟

ج: المراد بالكفر هنا - والله أعلم - الكفر الذي هو ضد الإيمان، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هنا هم الذين لم يؤمنوا بالغيب ولا برسالتك ولا بالحق الذي جئتهم به، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يوقنون بالآخرة وهم أيضًا الذين غطوا الحق وستروه[٢].

---

(١) ومنه قولهم في بعض البلاد بمصدر كفر كذا.. يقال لأنها كانت بعيدة عن العمران، فالله أعلم.

(٢) وقد يأتي الكفر ويراد به جحود النعمة والإحسان كما في قوله عليه الصلاة والسلام في النساء: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط».

* وقال البغوي في تفسيره (معالم التنزيل ١/ ٦٤):

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق.

فكفر الإنكار: أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحود هو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر اليهود. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩] وكفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولَقد عَلِمْتُ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ... مِن خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دينًا

لولا المَلامَةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدتَنِي سَمْحًا بذَاكَ مُبِينًا

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

HOSTAFLABW.COM

س: هل المراد بالكفار في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة:٦] صنف خاص من الكفار أم عموم الكفار؟

ج: المراد - والله أعلم - صنف خاص من الكفار[١]، أما مَنْ هذا الصنف الخاص من الكفار الذين أشير إليهم في الآية الكريمة؟ فللعلماء فيهم أقوال أمثلها وأقواها هم الكفار الذين سبق في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم يموتون على الكفر وحقت عليهم كلمة العذاب ووجب عليهم الخلود في النار كأبي لهب وأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم من المشركين الذين ماتوا على شركهم، وكذلك رؤساء اليهود الذين ماتوا على كفرهم كحييِّ بن أخطب وغيره، وكل من سبق في علم الله أنه يموت على الكفر، عياذًا بالله.

والحامل لنا على هذا القول أن هناك من أهل الكفر كفارًا إذا أنذرتهم أسلموا، وإذا ذكرتهم تذكَّروا، وعموم أصحاب النبي ﷺ كانوا كفارًا فهداهم الله بنبيه محمد ﷺ فذكَّرهم فتذكروا وأنذرهم فآمنوا وصدقوا المرسلين، والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالإنذار وما الفرق بينه وبين الإشعار[٢]؟

ج: المراد بالإنذار: الإعلام والإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز (أي: لأخذ العدة والاحتياط) فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان

(١) وقد نقل ابن عطية رحمه الله (في كتابه المحرر الوجيز) الاتفاق على أنها (أي: الآية) غير عامة لوجود كفارٍ قد أسلموا بعدها.

(٢) من قولهم (أشعرته بكذا) وليس المراد إشعار البدن.

MOSTAFALABOUY.COM

إشعارًا ولم يكن إنذارًا. قاله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الكفار الذين كتبت عليهم الشقاوة وحقت عليهم كلمة العذاب يستوي ويتعادل عندهم الإنذار من عدمه فهم لا ينتفعون بإنذار ولا بغير إنذار، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: لماذا ننذر الكافرين، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦]؟

ج: ننذرهم لأمور منها:

❀ الأول: أن الله ﷻ أمرنا بإنذارهم، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ [(١)] وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ...﴾ [المائدة:٦٧].

❀ وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ...﴾. [الغاشية:٢١، ٢٢]

❀ وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى:٩].

❀ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

❀ الثاني: أننا لا نعلم من الذي كتبت له الهداية والسعادة ممن كتبت له الغواية والشقاء، فلو علمنا من الذي كتبت له الغواية والشقاء لتركنا إنذاره إذا أمرنا الله بذلك.

---

(١) والمسلمون له تبع في هذا ﷺ.

MostafaAdaw.com

❁ الثالث: أننا ننذرهم رجاء انتفاعهم كما قال الواعظون من بني إسرائيل: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤].

❁ الرابع: رجاء انتفاعنا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات تؤدي نفس المعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦].

ج: من الآيات التي تؤدي معنى هذه الآية الكريمة ما يلي.

❁ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦، ٩٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٤، ١٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة:١٤٥].

❁ ❁ ❁

س: ما الفائدة المرجوة من إعلام الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦]؟

ج: الفائدة من ذلك - والله أعلم - هي جلب الراحة النفسية لرسول الله ﷺ حتى لا تذهب نفسه عليهم حسرات ولا يهلكه الحزن بسبب استمرارهم على كفرهم وعنادهم كما قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦] وكما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا

MOSTAFAMOSY.COM

يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٣] وكما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر:٨] وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النحل:١٢٧] وكما قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ [لقمان:٢٣] وإنما عليه ﷺ أن يؤدي ما عليه من البلاغ ويكل ما وراء ذلك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال ﷻ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى:٤٨] وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت:١٨] وليس معنى ذلك أن الشخص يقصر في الدعوة إلى الله بل عليه أن يبذل قصارى جهده في ذلك كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ....﴾ [نوح:٥- ٩].

❀ ❀ ❀ ❀

س: كيف لا يحزن المسلم على كفر الكافر، ونفس المؤمن مجبولة على حب الخير للعباد فلا يسمع المؤمن بكافر يُسلم إلا وفرح لذلك، ولا يسمع عن مسلم ارتد إلى الكفر إلا وحزن لذلك؟

ج: صحيح أن المسلم يحزن لكفر الكافر، ويفرح لإسلام الكافر، لكن كيف يوجه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾؟ [النحل:١٢٧] يوجَّه بأن يقال: إن النهي عن الحزن إنما هو عن الحزن الشديد الذي يذهب بالنفس حسرات ويقطعها ويهلكها كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر:٨] وكما قال سبحانه: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٣]، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

Mostafawy.com

س: وضح مواطن الوقف التام في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة:٧].

ج: الوقف التام عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ﴾ فيكون السياق: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ وتكون الجملة قد تمت، قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ جملة تامة أيضًا.

❁ فيكون الختم على القلوب وعلى الأسماع؛ وتكون الغشاوة على الأبصار، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣].

❁ فدلت الآية الكريمة على أن الختم يكون على السمع والقلب، والغشاوة تكون على البصر.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤] فالختم هنا على القلب كذلك، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: البصر يكون عليه غشاوة كما ذكر الله ﷻ في قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة:٧] فهل يُطبع عليه أيضًا؟

ج: نعم يُطبع عليه، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل:١٠٨].

❁ ❁ ❁

س: من العلماء من قرأ: «غشاوةً» بالنصب فعلى أي أساس نصبت؟

ج: نصبت على معنى (وجعل) أي: ختم الله على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوةً، فيكون من الباب الذي مثل له بعض العلماء حيث

MOSTAFAADAWY.COM

أنشدوا.

علفتهـــا تِبنًـــا ومـــاءً بـــاردًا

أي: علفتها تبنًا وسقيتها ماءً.

❁ وكقول الشاعر:

يـــا ليـــت زوجـــك قـــد غـــدا متقلـــدًا ســـيفًا ورمحًـــا

أي: متقلدًا سيفًا وحاملاً رمحًا.

س: اذكر بعض صور العذاب، ومم اشتق لفظ (العذاب).

ج: من صور العذاب الضرب بالسياط والحرق بالنار والقطع بالحديد إلى غير ذلك مما يؤلم الإنسان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢] والعذاب مشتق من الحبس والمنع.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقال في اللغة: (أعذبه عن كذا) أي: أحبسه وأمنعه، ومنه سمي عذوبة الماء، لأنها قد أعذبت، واستعذب بالحبس في الوعاء ليصفو ويفارقه ما خالطه وأورد أثرين عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أعذبوا نساءكم عن الخروج أي: احبسوهن.

والآخر قاله وقد شيَّع سرية فقال: أعذِبوا عن ذكر النساء فإن ذلك يكسركم عن الغزو.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالختم على السمع والقلوب؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الختم مصدر ختمت الشيء ختمًا فهو مختوم ومختَّم شدِّد للمبالغة، ومعناه: التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل إلى ما فيه

MostafaLaw.com

ولا يوضع فيه غير ما فيه، ثم قال: والختم يكون محسوسًا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية، فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مفهوم مخاطباته والفكر في آياته، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تُلي عليهم أو دُعوا إلى وحدانيته، وعلى الأبصار: عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته، وإضافة إلى المعنى المتقدم نورد هنا قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره»:

وقال بعضهم: إنما معنى قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة:٧] إخبار من الله جل ثناؤه عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لِمَا دُعُوا إليه من الحق، كما يقال: إنَّ فلانًا لأصَمُّ عن هذا الكلام، إذا امتنع من سَمَاعه، ورفع نفسه عن تفهُّمه تكبرًا.

قال أبو جعفر: والحق في ذلك عندي ما صَحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول الله ﷺ، وهو ما: حدثنا به محمد بن بشار قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا ابن عَجْلان، عن القَعْقَاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نُكْتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونَزَع واستغفر، صَقَلت قلبه، فإن زاد زادت حتى تُغْلق قلبه، فذلك «الرَّانُ» الذي** قال جل ثناؤه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]».

فأخبر ﷺ أنَّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الخَتْم من قبل الله ﷻ والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك، ولا للكفر منها مَخْلَص، فذلك هو الطَّبع، والختم الذي ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثمَّ حلها. فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا

Mostafawy.com

بعد فضِّه خَاتمَه وحلِّه رباطَه عنها.

ويقال لقائل القول الثاني، الزاعمين أنَّ معنى قوله جل ثناؤه: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ هو وصْفُهم بالاستكبار والإعراض عن الذي دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبُّرًا: أخبرونا عن استكبار الذين وَصَفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة، وإعراضهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعاني اللواحق به - أفعلٌ منهم، أم فعلٌ من الله تعالى ذكرهُ بهم؟

فإن زعموا أنَّ ذلك فعلٌ منهم - وذلك قولهم - قيل لهم: فإنَّ الله ﷺ قد أخبر أنه هو الذي خَتم على قلوبهم وسمْعهم. وكيف يجوز أن يكون إعراضُ الكافرِ عن الإيمان، وتكبُّره عن الإقرار به - وهو فعله عندكم - خَتمًا من الله على قلبه وسمعه، وختمهُ على قَلبه وسَمْعه، فعلُ الله ﷻ دُون الكافر.

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك - لأن تكبُّرَه وإعراضه كانا من ختم الله على قلبه وسمعه، فلما كان الختمُ سببًا لذلك، جاز أن يسمى مُسَبِّبه به - تركوا قولَهم، وأوجبوا أنَّ الختمَ من الله على قلوب الكفار وأسماعهم، معنًى غيرُ كفْرِ الكافرِ، وغيرُ تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به. وذلك الدخولُ فيما أنكروه.

❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة:٧] ردٌّ على القدرية وضح ذلك.

ج: وجه هذا الرد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن في هذه الآية الكريمة أنه هو سبحانه هو الذي ختم على قلوب الذين كفروا، والقدرية يزعمون خلاف ذلك فيزعمون أن العبد يختار لنفسه ما يشاء ولا تدخل للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أفعالهم.

❀ ❀ ❀

Mostafadawy.com

س: لماذا أُفرد السمع وجُمع البصر وقدِّم السمع على البصر؟

ج: يذكر بعض أهل العلم أن ذلك لفضل السمع على البصر، قالوا: فالرجل يسمع من أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوقه ومن تحته وفي النور وفي الظلمة أما البصر فليس كذلك، فلهذا أفرد وقدم عليه السمع في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [السجدة:٩] والله أعلم[(١)].

س: ما سبب الختم على قلوب الكافرين؟

ج: من أسباب ذلك: الكفر والمعاصي واستحباب الدنيا على الآخرة، قال الله تعالى: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٥٥]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل:١٠٧، ١٠٨].

❁ وروى الإمام أحمد ﷺ في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين**» الذي ذكر الله ﷻ في القرآن: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]»[(٢)].

وأخرج الإمام مسلم ﷺ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: سمعت

---

(١) وعندي وجه ذكره لي بعض الأطباء، ألا وهو أن كل الحبال التي توصل إلى الأعضاء المزدوجة على خطين فالبصر يأتيه خطان، أما السمع فهو خط واحد إذا قطع فقد الشخص السمع بأذنيه معًا فلا يوجد رجل أصم بأذن ويسمع بأخرى (إلا إذا كان ذلك خارجيًا) أما العمى فليس كذلك، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) وبتحقيق أحمد شاكر رحمه الله رقم (٧٩٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٣٠٤) وغيرهم وإسناده حسن.

Mostafa.com

رسول الله ﷺ يقول: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا فأيُّ قلبٍ أُشربها نكِتَ فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاءَ حتى يصيرَ على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السمواتُ والأرض، والآخر أسودُ مربَادًا كالكوز مُجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه»(١).

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الأوصاف التي وصف الله ﷻ بها القلوب الكافرين؟

ج: قال القرطبي رحمه الله (١/ ١٨٦):

وقال أهل المعاني: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف: بالختم والطبع والضيق والمرض والرّيْن والموت والقساوة والانصراف والحَمِيَّة والإنكار. فقال في الإنكار: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٢٢]. وقال في الحَمِيَّة: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ [الفتح:٢٦]. وقال في الانصراف: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧]. وقال في القساوة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢]. وقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٧٤]. وقال في الموت: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]. وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام:٣٦]. وقال في الرَّيْن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]. وقال في المرض: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠]. وقال في الضيق: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٤).

والصفا: هو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، قال القاضي عياض: ليس تشبيهه بالصفا بيانًا لبياضه، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

Mobtadiy.com

يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥]. وقال في الطبع: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٣]. وقال: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ [النساء:١٥٥]. وقال في الختم: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [البقرة:٧]. وسيأتي بيانها كلها في مواضعها إن شاء الله تعالى.

MOSTAFAALADWY.COM

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا
هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا
يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا
يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ
أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ
وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى
طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

Mostafa.com

الكلمة	معناها
﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾	ضعاف العقول.
﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾	رؤساؤهم في الكفر.
﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾	يطيل لهم المدة ويمهلهم ويُملي لهم ـ يطيل أعمارهم وينعم عليهم حتى يزدادوا طغيانًا فيزيدهم عذابًا.
﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾	كفرهم وضلالهم.
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يعمون ـ يتحيرون في الكفر ـ يترددون ـ وقال البعض: إن العمى في العين والعمه في القلوب.
﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾	فما ربحوا في تجارتهم

س: مم اشتقت كلمة الناس؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال أشهرها قولان:

الأول: أنها مشتقة من النَّوس وهو الحركة، ومنه قول أم زرع تصف أبا زرع: (أناس من حلي أُذنيَّ).

الثاني: أنها مشتقة من النسيان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] وقال رسول الله ﷺ: «فنسي آدم فنسيت ذريته».

ومنه قول الشاعر:

لا تنسين تلك العهود فإنما ... سُميت إنسانًا لأنك ناسي

ومنه أيضًا:

MOSTAFAADAWY.COM

فـإن نسـيت عهـودًا منـك سـالفة فـاغفر فـأول نـاس أول النـاس

بعض الوارد النفاق والمنافقين

س: قـال تعـالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] من هم هؤلاء الناس وأين كانوا يتواجدون على عهد رسول الله ﷺ؟

ج: هؤلاء هم المنافقون، وكانوا يتواجدون في مدينة رسول الله ﷺ والعتاة منهم كانوا بالبوادي.

قـال الله ﷻ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحـزاب:٦٠] وقـال تعـالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة:١٠١].

❁ وقال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٩٧].

❁ ❁ ❁

س: ما أصل المخدع في اللغة؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن أصل المخدع الفساد، ومنه قول الشاعر:

أبـيض اللـون لذيـذ طعمـه طيـب الريـق إذا الريـق خَـدَعَ

فيخادعون الله - على هذا التأويل - يفسدون إيمانهم وأعمالهم فيما بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالرياء، لكن هذا الوجه ضعيف عندي.

❁ وقيل: أصله الإخفاء، ومنه مخدع البيت الذي يحرز فيه الشيء ومنه

MOSTAFAADEL.COM

قول النبي ﷺ: «**صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها**»(١). ومنه قول العرب: انخدع الضب في جحره.

فمعنى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: يظنون أنهم يُخفون حالهم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله ﷻ أعلم.

❀ ❀ ❀

س: كيف يخادع المنافقون ربهم ﷻ؟ وكيف يخادعون المؤمنين؟

ج: هم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩] ولكنهم لقلة علمهم بالله ﷻ يظنون أنهم يخدعونه فيظنون أنهم بإظهارهم ما أظهروا من الإيمان وحلفهم على كونهم مؤمنين - مع إسرارهم الكفر - أنهم يخادعون الله ﷻ بذلك وأن ذاك نافعهم عنده، وأنه يروَّج عليه كما يروَّج على بعض المؤمنين، ولا يدري هؤلاء الأغبياء البلهاء أن الله ﷻ يستوي عنده السر والعلن(٢)، وهو سبحانه مطلع على ما في القلوب وسيجازيهم على ما فيها.

وخداعهم للمؤمنين إظهار الإيمان والشهادتين بألسنتهم وإظهار المحبة

---

(١) أخرج أبو داود (حديث ٥٧٠)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٩٥)، والبيهقي (٣/ ١٣١) وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حُجرتها، وصلاتها في مُخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**».
والمعنى الإجمالي لهذا الحديث له أحاديث تشهد له. والله أعلم.

(٢) أخرج البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (حديث ٢٧٧٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم - فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآية [فصلت:٢٢].

MOSTAFABOOKS.COM

لأهل الإيمان واستبطان الكفر والعداوة.

وخداع الله والمؤمنين إياهم مسالمتهم وإجراء أحكام الإسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك، وادخار العذاب الأليم والمآل الوخيم وسوء المغبة لهم، وخزيهم في الدنيا لافتضاحهم بإخباره تعالى بالوحي عن حالهم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما نوع المرض الموجود في قلوب المنافقين؟

ج: قيل: هو (الشك) وقال آخرون: هو (الرياء) وقيل: هو «الغل والحقد والحسد»[1] والأول رأي الأكثرين، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: لأهل العلم قولان في تأويل قوله ﷻ: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠] فما هما؟

ج: **التأويل الأول:** هو أن المراد الدعاء عليهم بزيادة المرض.

التأويل الثاني: أنه إخبار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن زيادة مرضهم كما قال ﷻ: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ **[التوبة:١٢٥]** والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل كان النبي ﷺ يعلم أعيان المنافقين؟

ج: كان النبي ﷺ يعرف بعضهم ولا يعرف الآخرين.

أما الدليل على أنه كان يعرف بعضهم هو ما ورد في قصة صلاته ﷺ على

---

(١) الغل والحقد والحسد لارتفاع راية المؤمنين وإعلاء كلمة الدين.

MOSTAFAADWY.COM

عبد الله بن أُبي بن سلول[(١)]، وكذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بن اليمان بأسماء كثير منهم، ولذلك أطلق على حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره. من ذلك إخبار النبي ﷺ حذيفة بأسماء الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك الذين هموا بقتل رسول الله ﷺ في ظلماء الليل عند عقبة هناك[(٢)] أما الدليل على أنه ﷺ كان لا يعلم بعضهم فهو قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة:١٠١].

س: لماذا كف النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان كثيرٍ منهم؟

ج: أجاب العلماء على ذلك بعدة أجوبة منها:

۞ أن الأحكام على الناس إنما تجري على الظاهر الذي ظهر منهم، وأما ما وراء ذلك فعلمه عند الله ﷻ. وقد قال النبي ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٧٢)، ومسلم (حديث ٢٧٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما تُوفي عبد الله بن أبيٍّ جاء ابنهُ عبدُ الله بن عبد الله إلى رسولِ الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمَرهُ أن يكفِّنَه فيه، ثمَّ قامَ يُصلِّي عليه، فأخذ عمرُ بن الخطاب بثوبِه فقال: تُصلِّي عليه وهو منافق، وقد نَهاك الله أن تَستغفِرَ لهم؟! قال: «**إنما خيَّرَني الله - أو أخبرني الله - فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ **فقال: سأزيدُه على سبعين**». قال: فصلى عليه رسولُ الله ﷺ وصلَّينا معه، ثم أنزلَ اللهُ عليه ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤].

(٢) أخرج مسلم (ص ٢١٤٤) من حديث أبي الطفيل قال: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ العَقَبَةِ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: أَنْشُدُكَ باللهِ! كَمْ كان أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ. قَالَ: كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ. فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ. وَأَشْهَدُ باللهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرْبٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ. وَعَذَرَ ثَلاَثَةً. قَالُوا: مَا سَمِعْنا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ. وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشى فَقَالَ: إِنَّ المَاءَ قَلِيلٌ. فَلا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوه. فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ.

Nafahat.com

يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[(١)].

❁ وقال النبي ﷺ: «**إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس**»[(٢)].

❁ أن النبي ﷺ تركهم تأليفًا للقلوب حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه فيكون تحدثهم بذلك سببًا لتخلف كثيرٍ منهم عن الإسلام[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥)، ومسلم (حديث٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٥١)، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَعث عليُّ بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ، من اليمن، بذهبةٍ في أديمٍ مقروظٍ(*). لم تحصل من تُرَابها(**). قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصنٍ، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل(***). فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. قال: فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة(****)، كثُّ اللحيةِ، محلوقُ الرأس، مشمر الإزار. فقال: يا رسول الله! اتق الله. فقال: «**ويلك! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**» قال: ثمَّ ولى الرجلُ. فقال خالدُ بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**». قال خالدٌ: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس**(*****). **ولا أشق بطونهم**» قال: ثم نظر إليه وهو مقف(******) فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**». قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود».

(٣) وأخرج البخاري حديث (٣٥١٨) من حديث جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثُروا، وكان من المهاجرين رجل لعابٌ فكسع أنصاريًا، فغضب الأنصاريُّ غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاريُّ: يا للأَنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين. فخرج النبيُّ ﷺ فقال: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية؟**» ثم قال: «**ما شأنهم؟**» فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري. قال: فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها خبيثة**». وقال عبد الله بن أبي بن سلول: أقد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ. فقال عمر: ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث؟ لعبد الله. فقال النبيُّ ﷺ: لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه».

=

❁ أن النبي ﷺ فعل ذلك ليبين لأمته أن القاضي لا يقضي بعلمه، قال القرطبي رحمه الله: وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه، وإن اختلفوا في سائر الأحكام، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] رد على المرجئة وضح ذلك؟

ج: إيضاحه: أولاً أن معتقد هؤلاء هو أن الإيمان مجرد قول باللسان وإن لم يعتقد القلب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة:٨٥] ولم يقل بما عملوا وبقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله...» الحديث، هذه حججهم.

ولكن في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ رد عليهم فها هم قوم قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر، ونفى الله ﷻ عنهم الإيمان، فقال سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ وكم من آية يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها الذين آمنوا ويقيدها بالعمل الصالح فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(*) (في أديم مقروظ) أي: في جلد مدبوغ بالقرظ. والقرظ حب معروف يخرج في غُلُف كالعدس من شجر العضاه.

(**) (لم تحصل من ترابها) أي: لم تميز ولم تصفَّ من تراب معدنها.

(***) (وإما عامر بن الطفيل) قال العلماء: ذكر عامر، هنا، غلط ظاهر؛ لأنه توفي قبل هذا بسنين. والصواب الجزم بأنه علقمة بن علاثة. كما هو مجزوم به في باقي الروايات.

(****) (ناشز الجبهة) أي: مرتفعها.

(*****) (لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس) أي: أفتش وأكشف. ومعناه: إني أمرت بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

(******) (وهو مقف) أي: مولّ، قد أعطانا قفاه.

MOSTAFAMOSLY.COM

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الكهف:١٠٧] وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ...﴾ [البقرة:٢٧٥] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب، والله أعلم.

س: المنافق نفاق الاعتقاد ماذا يسمى بعد زمان رسول الله ﷺ؟

ج: يسمى -عند بعض العلماء-: زنديق.

❀ ❀ ❀ ❀

س: من رئيس المنافقين على عهد رسول الله ﷺ؟

ج: رئيسهم هو عبد الله بن أُبي بن سلول، وهو الذي تولى كبر حديث الإفك[(٢)].

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما معنى النفاق، ومن هو المنافق؟

ج: النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، فالمنافق هو الذي يظهر الخير ويُسر الشر، ويظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهو أيضًا الذي يخالف قوله فعله وسرُّه علانيته، ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه، ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا، وقال مسلم في آخره: قال ابن أبي عُمر: قال سفيان: يعني: قاطع رحم.

(٢) حديث الإفك أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، وأحمد (٦/ ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧)، وغيرهم، وسيأتي الكلام عليه في محله، إن شاء الله، والشاهد منه هنا هو قول عائشة رضي الله عنها وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي بن سلول.

MOSTAFAALDWAH.COM

س: أين نزلت صفات المنافقين؟ ولماذا؟

ج: نزلت صفات المنافقين: في السور المدنية، وذلك لأن مكة لم يكن بها نفاق، بل كان الأمر في مكة على خلاف النفاق، فكان كثير من أهل الإسلام بمكة يخفون إسلامهم ويسرون بإيمانهم خوف القتل من المشركين، أما المدينة فلما كثر فيها المسلمون وقويت شوكتهم بدأ أهل الكفر يُظهرون الإسلام ويبطنون الكفر خوف السيف وكثر المنافقون بالمدينة ومن حولها من الأعراب، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ...﴾ [التوبة:١٠١] أما المهاجرون من مكة فلم يُعلم فيهم أهل نفاق، لأن المهاجر كان يهاجر فيترك أهله وماله وولده ابتغاء ما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله أعلم.

س: إلى كم قسم ينقسم النفاق؟

ج: ينقسم النفاق إلى نفاق اعتقاد ونفاق عمل.

❁ أما نفاق الاعتقاد فهو الذي يُخلّد صاحبه في النار وهو أن يُبطن صاحبه الكفر ويُظهر الإسلام، وأهله قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

❁ نفاق العمل: وهو من الكبائر، ومنه قول النبي ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»(١).

وقال فيه أيضًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن**

(١) أخرجه البخاري (حديث٣٣)، ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

MOSTAFABAWY.COM

كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما الإفساد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن المراد بالإفساد هنا الإفساد بالكفر وموالاة الكافرين، وصد الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وعن الإيمان بالقرآن[(٢)]. ويعمدون إلى إلقاء الشُّبه والوشايات بين العباد. وقال فريق آخر من العلماء: إن الإفساد أعم مما ذكر فيدخل فيه ما ذُكر ويدخل فيه أيضًا العمل بالمعاصي والنميمة وإيقاع الشر وكل ما سماه الله أو سماه رسوله ﷺ فسادًا. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف يُذم أهل النفاق وهم لا يشعرون أنهم مفسدون؟

ج: أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة منها:

❁ أنهم (أي: أهل النفاق) كانوا يعملون الفساد سرًّا ويظهرون الصلاح، وهم لا يشعرون أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُطلع نبيه ﷺ على أفعالهم.

❁ والوجه الآخر أن يكون فسادهم في نظرهم إصلاحًا، وهم لا يشعرون

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٤)، ومسلم (حديث ٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) ويؤيد هذا القول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٤، ١٤٥].

MOSTAFALADY.COM

أن ذلك فساد[١]، وقد عصوا الله ورسوله في تركهم إظهار الحق وتبيينه واتباعه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: بمَ يتعلل أهل النفاق لدفع وصف الإفساد عن أنفسهم؟

ج: يتعللون بقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي: إننا بممالأتنا للكفار وصداقتنا معهم نريد بذلك الإصلاح بينهم وبين المؤمنين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: أهل الإجرام يفسدون في الأرض ويرتكبون الكبائر ويزعمون أنهم أهل صلاح ويصفون أهل الإيمان بالرذالة والفساد، هل من أدلة على ذلك؟

ج: نعم الأدلة على ذلك كثير.

❁ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن أهل النفاق: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

[البقرة:١١، ١٢]

❁ وقالوا أيضًا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة:١٣].

❁ وقال فرعون لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

[غافر:٢٩]

❁ وقال فرعون عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن

---

(١) ويكون هذا تزيين من الشيطان عياذًا بالله، كما قال الله سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨]، وكما قال سبحانه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:٢٤]، وكما قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤].

MostafaLadwy.com

يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦].

❁ وقال قوم شعيب لشعيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[1].

[هود:٨٧]

❁ وقال قوم نوح لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ❁ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾.

[الشعراء:١١١]

❁ ❁ ❁

س: من السفيه؟ وعلى من يطلق السفه؟

ج: السفيه: هو الجاهل ضعيف الرأي قليل المعرفة بما ينفعه ويضره. والسَّفه يطلق على الكفار كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠].

❁ ويطلق على المنافقين كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٣].

❁ ويطلق على الجاهل كقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾ [الأنعام:١٤٠].

❁ ويطلق على من لا يحسن التصرف، ومنهم النساء والصبيان كما قال عدد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء:٥]: إن السفهاء هنا هم النساء والصبيان، والله أعلم.

أما أصل السَّفه فهو الخفة والرِّقة، ومنه قول القائل: ثوبٌ سفيه إذا كان رديء النسج خفيفه، أو كان باليًا رقيقًا.

---

(١) يقولون ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء، ومرادهم: السفيه الضال.

MOSTAFALADY.COM

س: ما الحامل لأهل النفاق على قولهم: آمنا عند لقاء المؤمنين؟

ج: الحامل لهم على ذلك هو خوفهم السيف وطلبهم المصلحة في الدنيا، وهذا يؤيد أن النفاق إنما يكون في الغالب إذا كان للمسلمين شوكة والله تعالى أعلم.

س: ما المراد بالشياطين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ...﴾ [البقرة:١٤]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالشياطين هنا رؤساء الكفر، وقال آخرون: إنما هم الكهان، وقال فريق ثالث: إنهم شياطين الجن، وأقوى الأقوال لديَّ هو القول الأول أنهم رؤساء الكفر ومن على شاكلتهم، والله أعلم.

س: هل من الإنس شياطين؟

ج: نعم من الإنس شياطين، قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

❁ وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ [(١)] قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

(١) والراجح لدينا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ هم رؤساء الكفر، على ما قد بيناه، والله أعلم.

MOSTAFALAWY.COM

س: قول المنافقين لشياطينهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤] معكم في ماذا؟

ج: معهم في الاعتقاد والموالاة والنصرة والمعاونة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الجزاء إنما يكون من جنس العمل دلّل على ذلك بجملة أدلة؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

❁ قوله تعالى في شأن المناقين لما استهزءوا بأهل الإيمان وقالوا لرؤساء الكفر: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤].

❁ قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥].

❁ ولما سخروا من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩].

❁ قال سبحانه: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩].

❁ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة:١٢٧].

❁ وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧].

❁ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢].

❁ وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه:١٢٥، ١٢٦].

❁ وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

❁ وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾ الآية. [البقرة:١٩٤]

❁ وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. [الشورى:٤٠]

Moraabet.com

❁ وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٥].

وكذلك في مجال الخير:

❁ قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧].

❁ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(١).

❁ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٢).

❁ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»(٣).

س: ما أصل الطغيان؟

ج: أصل الطغيان مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١] أي: ارتفع وعلا وتجاوز.

ومنه قوله سبحانه في شأن فرعون: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات:١٧] أي: تجاوز الحد في الظلم والكفر حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] وحين (ذبح الأبناء).

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صور استهزاء الله ﷻ بالمنافقين يوم القيامة وخداعه لهم؟

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

(٢) إسناده ضعيف لكن معناه صحيح فمعناه جملة شواهد، وأما كون إسناده ضعيفًا فقد أخرجه أبو داود (حديث ٤٩٤١)، والترمذي (حديث ١٩٢٤) وغيرهم من طريق أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا، وأبو قابوس ضعيف، لكن للمعنى شواهد كما قدمنا.

(٣) صحيح وقد تقدم.

MOSTAFALAW.COM

ج: منها إجمالاً قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٣، ١٤].

❁ ومنها ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري[1] رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية رَبِّكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما»، ثم قال: «ينادي مناد ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحاب الصَّليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كلِّ آلهة مع آلهتهم. حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغُبرَاتٌ من أهل الكتاب ثمّ يُؤتى بجهَنَّم تعرضُ كأنها سرابٌ، فيقال لليهود: ما كنتم تعبُدُون؟ قالوا: كنَّا نعبُد عزَيرًا ابن الله، فيقال: كذَبتم لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ؟ قالوا: نريد أن تسقينَا فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيحَ ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولدٌ، فما تريدون؟ فيقولون: نريدُ أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوَجُ منا إليه اليومَ، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا. قال: فيأتيهمُ الجبار في صورة غير صورته التي رأوْه فيها أوَّلَ مرة، فيقولُون: أنا ربكم فيقولون: أنت ربُّنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينَهُ آية تعرفونَه؟ فيقولون: السَّاق.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (حديث ١٨٣).

فيكشف عن ساقه، فيسجدُ له كل مؤمن، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طَبَقا واحِدًا».

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة:١٦] وكيف اشتروها؟

ج: المعنى - والله أعلم - محتمل لوجوه منها:

١ - أخذوا الضلالة وتركوا الهدى.

٢ - اشتروا الكفر بالإيمان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٧٧].

٣ - استحبوا الضلالة على الهدى كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:١٧].

❁ أمَّا كيف اشتروها؟ فلذلك وجوه منها:

❁ أنهم فضلوا موالاة الكافرين ومجالستهم واتباع أقوالهم على موالاة رسول الله ﷺ ومجالسة أهل الإيمان واتباع القرآن، هذا وجه.

❁ ووجه آخر أنهم بعد أن حصل لهم الإيمان بالله ﷻ ارتدوا على أدبارهم ورغبوا في الكفر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥].

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة:١٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم - فما ربحوا في تجارتهم.

Nourabad.com

وهنا نورد بحثًا سريعًا للطبري رحمه الله.

قال رحمه الله: فإن قال قائل: فما وجه قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾؟ وهل التجارة مما تربح أو توكس، فيقال: ربحت أو وضعت؟

قيل: إن وجه ذلك على غير ما ظننت. وإنما معنى ذلك: فما ربحوا في تجارتهم - لا فيما اشتروا، ولا فيما شروا. ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عربًا فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم، مسلك خطاب بعضهم بعضًا، وبيانهم المستعمل بينهم. فلما كان فصيحًا لديهم قول القائل الآخر: خاب سعيك، ونام ليلك، وخسر بيعك، ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله - خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام، فقال: «فما ربحت تجارتهم» إذ كان معقولاً عندهم أن الربح إنما هو في التجارة، كما النوم في الليل. فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك، عن أن يقال: فما ربحوا في تجارتهم، وإن كان ذلك معناه، كما قال الشاعر:

وشر المنايا ميتٌ وَسْطَ أهله ... كَهُلْكِ الفَتَاةِ أسْلَمَ الحَيَّ حاضره

يعني بذلك: وشر المنايا منية ميت وسط أهله، فاكتفى بفهم سامع قِيلِهِ مرادَه من ذلك، عن إظهار ما ترك إظهاره، وكما قال رؤبة بن العجَّاج:

حَارِثُ! قَدْ فَرَّجْتَ عَنِّي هَمِّي ... فنَامَ لَيْلِي وتَجَلَّى غَمِّي

فوصف بالنوم الليل، ومعناه أنه هو الذي نام، وكما قال جرير بن الخَطَفِي:

وَأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُه ... فَأَعْمَى، وأما ليلُه فبَصِيرُ

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار، ومراده وصف النبهانيِّ بذلك.

Mostafa Abdo.com

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا
حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا
يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾
أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ
يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ
ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

الكلمة	معناها

MOSTAFAHADY.COM

﴿اسْتَوْقَدَ﴾	أوقد، كقوله: (استجاب بمعنى: أجاب).
﴿صُمٌّ﴾	لا يسمعون.
﴿بُكْمٌ﴾	الأبكم هو: الأخرس، وقيل: الأبكم هو: الذي لا يتكلم ولا يفهم، فإن فهم ولم يتكلم فهو الأخرس.
﴿كَصَيِّبٍ﴾	مطر.
﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾	خوف الموت.
﴿مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾	مهلكهم، وشاهده: ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:٦٦] وقيل: عالم بهم، وشاهده: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].
﴿يَكَادُ﴾	يقترب.

MOSTAFAALADWY.COM

س: لمن ضرب هذا المثل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]؟

ج: هذا المثل مضروب للمنافقين، فالمنافق كمستوقد النار[١].

❀ ❀ ❀

س: وضح وجه الشَّبه بين المنافق ومستوقد النار في المثل المذكور؟

ج: وجه الشَّبه في ذلك أن المنافق لما قال في أول أمره لا إله إلا الله وعرف الحلال والحرام كمستوقد النار لما أوقدها أضاءت له ما حوله فأبصر ما ينفعه مما يضره، فلما أن ذهب نورها عنه بقي متحيرًا لا يدري أين يذهب ولا كيف يتحرك، فقد رأى بعض أماكن الأمن وبعض مواطن الخطر فيخشى إن سار في الطريق الذي ظن أنه آمن كان خطرًا فبقي متحيرًا مترددًا لا يدري كيف يصنع.

فكذلك المنافق لما نقض لا إله إلا الله ضلَّ الطريق عن الحلال والحرام والتبست عليه أموره وبقي متحيرًا مترددًا شاكًّا كما قال الله تعالى: ﴿فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٢] [التوبة:٤٥] والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: كلمة ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧] هل هي للمفرد (على بابها) أم هي بمعنى الذين؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

---

(١) أخرج الطبري (أثر ٣٩٠ سناد حسن عن قتادة قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧] وأن المنافق تكلم بـ(لا إله إلا الله) فأضاءت له الدنيا فناكحَ بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سُلبها المنافق؛ لأنه لم يكن له أصل في قلبه ولا حقيقة في علمه.

(٢) وقد نحا بعض المفسرين منحًا آخر فقالوا: هذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه، والله أعلم.

MOSTAFABADAWY.COM

❁ أحدهما: أنها بمعنى (الذين) في هذا الموطن، وحجة أصحاب هذا القول أن (الذي) تقع للواحد وللجمع، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِى[1] جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣].

وأيضًا قول الشاعر:

إن الـذي حانـت بفلـجٍ دمـاؤهم هـم القـوم كـل القـوم يـا أم خالـد

فالمعنى إذن عند هذا الفريق من العلماء: مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارًا.

❁ وقال آخرون: إن (الذي) هنا للمفرد ووحَّد (الذي) و(استوقد) لأن المستوقد كان واحدًا من الجماعة تولى الإيقاد لهم فلما ذهب الضوء رجع عليهم جميعًا، فقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا عُبر في الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل بنارهم؟

ج: هذا – والله أعلم – لبيان شدة الأذى والعذاب الذي لحق بالمنافق فنقضه (لا إله إلا الله) لم يُذهب الانتفاع بها فقط بل جلب له ضررًا فوق عدم الانتفاع به فكذلك مستوقد النار، أوقد النار (والنار تحمل إشراقًا وإحراقًا فهي تضيء للناس وتُحرق أيضًا وتحمل دخانًا مؤذيًا كذلك فلما ذهب الله بنور هذه النار بقي منها ما يُحرق ويؤذي فازداد المنافق همًّا إلى همِّه وغمًّا إلى غمه فيا ليته كان في ظلمات فقط بل جاء في هذه الظلمات ما هو أخطر منها وهو إحراق النار التي أوقدها

(١) وليس من هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ تم كالذي خاضوا﴾ [التوبة:٦٩] فمعنى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ خضتم خوضًا كالذي خاضوه. والله أعلم.

Mostafa Adly .com

بيديه ودخانها المؤذي فكان كل ذلك وبالاً عليه[١] ونفس البلية يقع فيها المنافقون في الآخرة لما يقسم النور فيعطى كلٌّ نوره فيطفئ نور المنافقين وهم أحوج ما يكونون إليه فيقولون للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم.

❀ ❀ ❀

س: لماذا قيل في الآية الكريمة: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧]، ولم يقل ذهب نورهم؟

ج: أجاب على ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: ذهب نورهم، وفيه سرٌّ بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

---

(١) ونحوه ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره القيم فقال (ص:٦١١): وتأمل قوله ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بنارهم لياطبق أول الآية فإن النار فيها إشراق وإحراق فذهب بما فيها من الإشراق - وهو النور- وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية، وتأمل كيف قال: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بضوئهم مع قوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾؛ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قال: ذهب الله بضوئهم لوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا للشيء وزيادته. وأيضًا فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضًا فإن الله سبحانه سمَّى كتابه نورًا، ورسوله نورًا، ودينه نورًا ومن أسمائه النور، والصلاة نور فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله، والله أعلم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص:٥٢١): ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بنارهم؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيها من الأذى والإحراق، وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارًا مؤصدة تطلع على الأفئدة.

(٢) في تفسيره القيم (ص ١١٥)

MOSTAFALAWY.COM

فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خصَّ بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] ولا من: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢] والله تعالى أعلم.

س: لماذا أفرد النور وجمعت الظلمات في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]؟

ج: قال بعض أهل العلم: أفرد النور؛ لكون الحق واحد وهو صراط الله المستقيم، وجمعت الظلمات؛ لأن طرق الباطل متعددة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

❁ وقال بعض العلماء: أُفرد النور لفضله، وجمعت الظلمات لنقصها، واستدل له بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨] فأفرد اليمين وجمعت الشمائل. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ..﴾ [الأحزاب:٥٠]

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الحكم التي اشتمل عليها هذان المثلان المضروبان للمنافقين؟

Mostafa Adly.com

ج: أورد العلامة ابن القيم خ قدرًا كبيرًا من هذه الحكم العظيمة فقال[1]:

وقد اشتمل هذان المثلان على حكمٍ عظيمةٍ مها: أن المستضيئ بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبةٍ بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار.

❁ ومنها: أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان. فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح، يقوم بها ويدم بدوامها، فإذا لم توجد مادة الإيمان طفيء كما تطفأ النار بفراغ مادتها.

❁ ومنها: أن الظلمة نوعان، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور، وظلمة حادثة بعد النور. وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه. فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط.

❁ ومنها: أن في هذا المثل إيذانًا وتنبيهًا على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون نورًا ظاهرًا، كما كان نورهم في الدنيا ظاهرًا. ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله، وبقوا في الظلمة على الجسر، لا يستطيعون العبور. فإنه لا يمكن أحدًا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر. فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح، وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه. فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار، وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم النور.

---

(١) «التفسير القيم» (ص:١٢٠).

ومن ههنا يعلم السر في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: أذهب الله نورهم.

فإن أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمل ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد سئل عن الورود؟ فقال: «**نجيء نحن يوم القيامة على تَلٍّ فوق الناس. قال: فتدعَى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد: الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا ﷻ بعد ذلك، فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم، فيتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نورًا ثم يتبعونه. وعلى جسر جهنم كلاليب وحَسَك، تأخذ من شاء الله تعالى. ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون. فتنجو أول زمرة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون. ثم الذين يلونهم، كأضوإ نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء - وذكر باقي الحديث**».

فتأمل قوله: «**فينطلق فيتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم نور: المنافق والمؤمن**» ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ وتأمل حالهم إذ أطفئت أنوارهم، فبقوا في الظلمة، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم ﷻ.

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده**» والموحد حقيق بأن يتبع الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل.

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:

٤٢] وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضع، وقوله في الحديث: «**فيكشف عن ساقه**» وهذه الإضافة تبين المراد بالساق المذكور في الآية.

وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد هذا. ذلك يفتح لك بابًا من أسرار التوحيد، وفهم القرآن، ومعاملة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأهل توحيده الذين عبدوه وحده، ولم يشركوا به شيئًا، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها، فانطلق بها واتبعته إلى النار. وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه. فسبحان الله رب العالمين. قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم.

❁ **ومنها**: أن المثل الأول متضمن لحصوله الظلمة، التي هي الضلال والحيرة التي ضدها الهدى. **والمثل الثاني**: متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن. فلا أمن ولا هدى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢].

قال ابن عباس وغيره من السلف: مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله، فاتقى ما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فبقي في ظلمته خائفًا متحيرًا. كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم. وناكحوا المؤمنين ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم. فذلك نورهم. فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف. قال مجاهد: إضاءة النار لهم: إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم: إقبالهم إلى المشركين والضلالة. وقد فسرت تلك الإضاءة وذهاب النور: بأنها في الدنيا، وفسرت بأنها في البرزخ وفسرت بيوم القيامة. والصواب: أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم، جزاء وفاقًا: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ**

Nostrahaw.com

لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] فإن المعاد يعود إلى العبد فيه ما كان حاصلاً منه في الدنيا. ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٢] ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦] ومن كان مستوحشًا مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد. ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث، فيموت العبد على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه. ويعود عليه عمله بعينه، فينعم ظاهرًا وباطنًا، فيورث من الفرح والسرور واللذة والبهجة، وقرة العين والنعيم، وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه - ما هو من أفضل النعيم، وأجله وأطيبه وألذه، وهل النعيم إلا طيب النفس، وفرح القلب وسروره وانشراحه، واستبشاره؟!

هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه، وتلذ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه، وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده متبوعها والابتهاج بها، والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال ومتبوعه فيها في هذه الدار.

وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثرًا وجزاء ولذة ونعيمًا يخصه، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه. لهذا تنوعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات. فليست لذة كل من ضرب في كل مرضاة الله بسهم وأخذ منها بنصيب كلذة من إنما

سهمه ونصيبه في نوع واحد منها ولا ألم من ضرب في كل مساخط الله بنصيب كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يستمتع به العبد من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما يقابله من الأعمال في الدنيا، فقد رأى قِنْوًا من حَشَف معلقًا في المسجد للصدقة. فقال: «**إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة**» فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله، فيجزئ على تلك الصدقة بحشف من جنسها.

وهذا الباب يفتح لك أبوابًا عظيمة من فهم المعاد، وتفاوت الناس في أحواله، وما يجري فيه من الأمور.

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]؟

ج: ذكر هذا المعنى إجمالاً ابن القيم رحمه الله فقال:

شبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار، وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانًا ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إليه؛ لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا. فهم لا يرجعون إليه. وقال تعالى في حق الكفار: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ **[البقرة:١٧١]**، لأنهم لم يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه، ولا استناروا به، لا بل يزالون في ظلمات الكفر صم بكم عمي.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه

Mostafawy.com

مناديًا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيًا، وإلى طريق الرشاد غاديًا. لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانًا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية. ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها. وتمكنت منها أيد الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها. وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل، فلم تصغ بعد إلى الملام. ووُعظت بمواعظ أنْكَى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة. وما لجرح بميت إيلام.

❁ ❁ ❁

س: هل يصح أن يضرب للجماعة مثلٌ بالواحد؟

ج: يصح ذلك، فقد قال الله ﷻ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥].

❁ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الظلمات التي بقي فيها المنافق؟

ج: هي ظلمات الشك والكفر والارتياب والنفاق.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] عن ماذا؟

Nosrapdf.com

ج: ﴿ صُمٌّ ﴾ عن استماع الحق[1] ﴿بُكْمٌ﴾ عن النطق بالخير والإيمان فهم لا يتكلمون به، ﴿عُمْيٌ﴾ لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل.

فلما كانوا غير منتفعين بسمعهم وأبصارهم وألسنتهم وأفئدتهم وصفوا بأنهم صم بكم عمي، وهذا كما قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦] وكما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩].

❀ ❀ ❀

س: ما فائدة وصف مستوقد النار بكونه (أصم أبكم أعمى)؟

ج: الفائدة بيان اجتماع الظلمات التي تراكمت عليه فهو يعيش فيها فإضافةً إلى ما هو فيه من ظلمات نشأت عن ذهاب النور ومهلكة بقاء إحراق النار، فهو أيضًا مصاب بالعمى والصمم ثم هو أبكم أيضًا.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] لا يرجعون إلى ماذا وعن ماذا؟

ج: لا يرجعون عن ضلالتهم ونفاقهم، ولا يرجعون إلى الحق والإسلام والهدى والإيمان، ولا يرجعون إلى التوبة والاستغفار. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) لأنهم لم يقبلوه، وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه، والصمم الإنسداد، وقد قال الشاعر:

صمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرت به ... وإن ذكرت بسوء كلهم أذن

وأخرج الطبري ﷺ (أثر ١٠٤) بإسناد حسن عن قتادة قال قوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ صم عن الحق فلا يسمعونه، عمي عن الحق فلا يبصرونه، بكم عن الحق فلا ينطقون به.

MOSTAFALOVE.COM

س: ما توجيه العلماء للفظ (أو) في قوله تعالى: ﴿أَوْكَصَيِّبٍ﴾؟

ج: من العلماء من يقول: إن (أو) هنا بمعنى الواو، فالمعنى على هذا أن للمنافقين مثلين مثل الذي استوقد نارًا، ومثل أصحاب الصيب.

❁ وكون «أو» تأتي بمعنى الواو صحيح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وقال الشاعر:

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدرًا ... كما أتى موسى ربه على قدر

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن (أو) هنا للتنويع فمن المنافقين من مثله مثل الذي استوقد نارًا، ومنهم من مثله كمثل أصحاب الصيب. والذي شجع على هذا القول أن المنافقين أصناف، والكفار أصناف، وأهل الإيمان قسمان[(١)]:

❁ فأهل الإيمان منهم السابقون المقربون، ومنهم الأبرار أصحاب اليمين، كما ذكرهم الله سبحانه في سورة الواقعة فقال سبحانه: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ

---

(١) وهذا على وجه الإجمال لكن على وجه التفصيل فالدرجات يوم القيامة متعددة متفاوتة كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[(*)].

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١] إلى غير ذلك.

وكذلك الكفار دركات متعددة في جهنم، وكذلك أهل النفاق، والله أعلم.

(*) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFABDUH.COM

ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة:١٠، ١١] ثم قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة:٢٧] وفي ختام السورة قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة:٨٨- ٩١].

❁ وأهل الكفر ذكر الله بعض شأنهم في سورة النور فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:٣٩] وقال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ [النور:٤٠].

فهذه الآيات في كفار جهلة وكفار يحسبون أنهم يحسنون صنعًا (على ما سنبينه إن شاء الله في سورة النور) وكذلك أهل النفاق هنا منهم من مثله كمثل الذي استوقد نارًا ومنهم من مثله كأصحاب الصيب[1]، والله أعلم.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله – بعد أن ذكر بعض الآثار والأقوال –: فإذا تقرر هذا صار الناس أقسامًا، مؤمنون خُلّص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة، وكفار خُلّص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها، ومنافقون وهم قسمان: خُلّص وهم المضروب لهم المثل الناري، ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالاً من الذين قبلهم، وهذا المقام
يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولا تخليط كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله، ثم ضرب مثل العباد من الكفار الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ الآية [النور:٣٩] ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ

Mostafalaw.com

. . . . . .

=سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]

فقسم الكفار ههنا إلى قسمين: داعية ومقلد، كما ذكرهما في أول سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ [الحج:٣] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج:٨] وقد قسم الله المؤمنين في أول الواقعة وفي آخرها، وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون وهم المقربون وأصحاب يمين وهم الأبرار.

فتلخَّص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان: مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان: دعاة ومقلدون، وأن المنافقين أيضًا صنفان: منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**» استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق. إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية كما ذهب عليه طائفة من السلف وبعض العلماء، كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص:٨٨):

وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وتكون (أو) في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى الواو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان:٢٤] أو تكون للتخيير أي: اضرب لهم مثلاً بهذا وإن شئت بهذا، قال القرطبي: أو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين على ما وجهه الزمخشري أن كلاً منهما مساو للآخر في إباحة الجلوس إليه ويكون معناه على قوله سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم.

(قلت): وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة «براءة» - ومنهم - ومنهم - ومنهم - يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم، والله أعلم، كما ضرب المثلين في سورة لصنفي الكفار الدعاة والمقلدين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور:٣٩] إلى أن قال: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ الآية [النور:٤٠] فالأول للدعاة الذين هم في جهل مركب، والثاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين، والله أعلم بالصواب.

Mostafalaw.com

س: وضح هذا المثل بشيء من التفصيل: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:١٩]؟

ج: مثل المنافقين مثل أصحاب الصيب (والصيب هو المطر) الذي نزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق.

فالصيب	هو مثلُ	القرآن.
الظلمات	هي مَثَلُ	الآيات المشتبهة
الرعد	هو مثل	آيات الإنذار والتهديد
البرق	هو مثل	الهداية والنور والحجج الباهرة في

كتاب الله ﷻ.

فحظ أهل النفاق من القرآن هو الآيات المشتبهة التي يتحيرون فيها ويترددون، كما قال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥].

❁ وحظهم أيضًا آيات التهديد والإنذار فهم يحسبون كل صيحة عليهم.

❁ وحظهم من الهداية والنور البرق الذي يخشون منه أن يخطف أبصارهم من شدة ضوئه فكذلك هناك قاصروا النظر لا ينظرون إلى ما في الصيب من نفع عام على البلاد والعباد ولكن حظهم من الصيب الظلمات والرعد والبرق فكما قدمنا أن الصيب هو القرآن، دل على ذلك قول النبي ﷺ:

«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا...»[1].

فالصيب به تدب الحياة إلى البلاد والعباد بإذن الله، ويفرح به عقلاء

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٩)، ومسلم (حديث ٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafawy.com

الناس؛ لما فيه من خير وصلاح للبلاد والعباد والشجر والدواب، وهؤلاء العقلاء الذين حمدوا الله ﷻ على ما منَّ به من هذا الصيِّب هم أهل الإيمان الذين قبلوا هدى الله الذي جاء به نبي الله محمد ﷺ.

أما أهل النفاق فعقولهم ضعيفة لا تدرك ما وراء هذا الصيب من نفع، وغاية ما تدركه من الصيب أنه يلوِّث الأرض ويجلب إليها الوحل والطين ويُعطل المسافر عن سفره.. ونحو ذلك، هذا غاية ما تدركه أبصار أهل النفاق هؤلاء.

❁ **وتنزيل هذا على كتاب الله ﷻ**: أن المؤمن يعلم تمام العلم ويؤمن غاية اليقين أن ما جاءه من الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ كله خير فإذا أُمر بأمرٍ سمع وأطاع لله ﷻ، وإذا نهي عن أمرٍ انتهى وانكف وإذا اشتبهت عليه آية قال: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

❁ فإذا أمره بالحج والعمرة مثلاً علم ماذا أعد الله للحجيج من مغفرة الذنوب وأن الحج يهدم ما كان قبله كما أخبر النبي ﷺ[(١)]، وأن الحجيج يرجعون من حجهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، وأن المتابعة بين الحج والعمرة تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، وأن الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة، فيقدم على الحج بلا تردد ولا توان.

أما المنافق فحظه من ذلك أن يقول: لماذا أذهب وأطوف بأحجارٍ وأرمي أحجارًا وأهرق دماءً وأفارق الزوجة والولد وأُضيع أموالي وأفارق أوطاني، وأزاحم الناس ويزاحموني....

هذا هو حظ المنافق الغبي من هذا الباب.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٢١) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعًا.

Nosrah.com

۞ وإذا أتينا إلى الجهاد مثلاً، علم المؤمن ماذا أعد الله للمجاهدين من الفضل وتكفير الذنوب والخطايا، وتذكر فضائل الجهاد، وأدرك ما فيه من عزة لأهل الإيمان، وردع لأهل الكفر والظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فيقدم حينئذ على الجهاد وتهون عليه نفسه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وطلبًا لمرضاته ونيل جناته.

أما المنافق فحظه قوله كيف أشرَّد وأُجرح وأخرج من بيتي فأقتل وقد تقطع يدي وتُفقأ عيني وتذهب رجلي وتُرّمل زوجتي ويبتم أولادي فيدع الجهاد غافلاً عما وراءه من ثواب.

۞ ولو أتينا إلى الصوم مثلاً، علم المؤمن ما فيه من فضل وأيقن بالثواب الوارد فيه، وأن صاحبه ينادى من باب الريان، وأن الصوم يورث التقوى، وأن الله ﷻ يرضى عن الصائم، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك...

أما المنافق فيقول: لماذا أجوِّع نفسي وأمنعها شهواتها وأحرمها من لذيذ الطعام والشراب وحسان النساء، ولا يدرك ببصره القاصر ما في الصوم من علو الدرجات وحط الخطيئات وإقالة العثرات و....

۞ وإذا عمدنا إلى الصلاة مثلاً: عَلم المؤمن ما أعدّ الله ﷻ للمصلين من أجر، وعلم كيف تتساقط خطاياهم واحدة تلو الأخرى وسائر ما في الصلاة من فضل.

أما المنافق فيقول: لماذا أُصلي وأرهق نفسي بالقيام والقعود والركوع والسجود وأصبُّ الماء البارد على جسمي يؤذيني، وأضيع وقتي، ولا يدري الجاهل أن البركة من الله ﷻ، ولا يُدرك الحائر أنه ربَّ دعوة دعا بها مُصلٍّ في

صلاته دفع الله بها عنه البلاء ورفع الله عنه بها العناء وجعله الله بها من السعداء.

وهكذا سائر العبادات.

فحظ المنافق من كتاب الله ظلمات تُظلم عليه وتُخيم على عقله، حظه من كتاب الله الآيات المتشابهات (وهي الظلمات)، فإذا سمع قوله تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤] قال بجهله: هذا يدل على الكذب إذ كيف خرج شجرة في أصل الجحيم والنار تأكل الخشب؟!!، ولا يدري الجاهل أن الله على كل شيء قدير، وأن النار إنما تحرق ما تحرقه بإذن الله، وقد قال الله ﷻ لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت كذلك بردًا وسلامًا عليه ﷺ ولا يدري الجاهل أن الله ﷻ جعل هذه الشجرة فتنة للظالمين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٣].

وإذا مرَّ هذا المنافق الجاهل على آية كقوله تعالى - في بيان عدد خزنة جهنم -: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] يقول هذا الجاهل المنافق الكافر: تسعة عشر؟!! إذن نحن قادرون على سحقهم واحتلال الجنة بالقوة، ويخفى على هذا الجاهل أن هذا العدد جعله الله فتنة لأهل الكفر كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

أما المؤمن فيعلم أن ملكًا واحدًا يقدر - بإذن الله - أن يدمر الأرض ومن عليها بل ويفعل أعظم من ذلك بإذن الله.

Nasiralaby.com

۞ يعمد الكافر المنافق الجاهل إلى الآية كقوله تعالى لما أُسري بنبيه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠] فيقول المنافق: كيف يُسرى برجل من مكة إلى بيت المقدس ويرجع في نفس الليلة ولا يملك دابة تحمله لهذا المكان، وكيف يعرج به إلى السماء السابعة ويصبح بين أظهرنا، هذا وجهة هذا الكافر المنافق لا يعلم أن الله على كل شيء قدير، يقول للأمر إذا أراده: كن فيكون.

يعمد المنافق إلى آية تحويل القبلة، فيقول: لماذا هذا التردد؟ ويخفى عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣] هذا حظ هذا المنافق من كتاب الله ﷻ، حظه الآيات المتشابهة التي تزيده شكًّا وحيرة وترددًا لقلة علمه بالله سبحانه ويقينه به.

۞ حظه من كتاب الله ﷻ هذا الرعد، فإذا سمع آية وعيد ظن أنها ستحل به فورًا، إذا سمع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣] ظن أن هذه الصاقعة ستنزل عليه.

إذا سمع آية تتحدث عن النفاق ظن أنها تفضحه، وأن الناس كلهم يعلمون حاله كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤] يظن أن الآيات الكريمات كلها تفضحه وتُظهِر أمره للناس وتفشي سره، كما أنزل الله أمرهم في سورة براءة وقال فيها: (ومنهم،... ومنهم،.... ومنهم).

حظه من الهداية والنور الوارد في كتاب الله هذا البرق، فكتاب الله نور، وآياته كلها نور يُستضاء به ويُبصر به المؤمن.

أما هذا المنافق فيخشى إن نظر في هذا النور الشديد الذي هو من شدته

Mostafa Adly.com

كالبرق أن يذهب بصره ويصاب بالعمى، ويذهب هذا النور ببصره[1]، فهو يكره النور ويحب الظلمات كالخفاش ضعيف البصيرة إذ قال الشاعر فيه:

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «التفسير القيم» (ص:١١٨ فما بعدها):

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلاً آخر مائيًّا. فقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩] فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب مستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها. فذهب نوره، وبقي في الظلمات حائرًا تائهًا، لا يهتدي سبيلاً، ولا يعرف طريقًا، وبنصيب أصحاب الصيِّب، وهو المطر الذي يصوب، أي: ينزل من عُلو إلى سُفل. فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق، ولا نصيب له فيما وراء ذلك، مما هو المقصود بالصيب، من حياة البلاد والعباد، والشجر والدواب، فإن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى

---

(١) قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن البصر كلما كان أضعف كان النور أشد إذهابًا له كما قال الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى ... نورًا ويعمي أعين الخفاش

وقال الآخر:

خفافيش أعماها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم

وبصائر الكفار والمنافقين في غاية الضعف فشدة ضوء النهار تزيدها عمى، وقد صرح الله تعالى بهذا العمى في قوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩] وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر:١٩].

Mostafawy.com

كمال الانتفاع بذلك الصيب، فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق، ولوازم ذلك: من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره، وصانع عن صنعته، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب.

وهذه حال أكثر الخلق، إلا من صفت بصيرته. فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق، والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة، وملامة اللوّام، ومعاداة من يخاف معاداته. لم يقدم عليه؛ لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون، وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن، ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته. فإنه لا يخرج إليه، ولا يعزم عليه. وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد، والزواجر والنواهي، والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه. والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحق علمًا وعملاً ومعرفة، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق، ويعلم أنه حياة الوجود.

وقال الزمخشري: لقائل أن يقول: شبه دين الإسلام بالصيب؛ لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من تشبيه الكفر بالظلمة وما فيه من

Mostafadawy.com

الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الأفزاع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق.

والمعنى: أو كمثل ذوي صيب. والمراد: كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة، فلقوا منها ما لقوا.

قال: والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه: أن المثلين جميعًا من جهة التمثيلات المتركبة، دون المفرقة، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه.

وهذا القول الفحل، والمذهب الجزل، بيانه: أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك. فتشبهها بنظائره، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئًا واحدًا بأخرى مثلها. كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة:٥] الغرض: تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة. وتساوي الحالين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر من ذلك إلا بما يزيده من الكد والتعب، وكقوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾ [الكهف:٤٥] المراد: قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات. فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوية بعضها ببعض، وتصييرها شيئًا واحدًا فلا كذلك، لما وصف من وقوع المنافقين في ضلالتهم، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل. وكذلك من أخذته السماء في الليلة

Mostafa.com

المظلمة، مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.

قال: فإن قلت: أي المثلين أبلغ؟

قلت: الثاني؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر، وفظاعته. وكذلك أفرادهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ.

وقال أيضًا (ص: ٧٢١) «التفسير القيم»:

قول الله تعالى ذكره: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

الصَيِّب: المطر الذي يُصوب من السماء أي: ينزل منها بسرعة، وهو مثل للقرآن الذي به حياة القلوب، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان. فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل لهم به من الحياة التي لا خطر لها. فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات، التي حذر الله بها من خالف أمره. وأخبر أنه منزلها على من كذّب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء والصبر على الأمر أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي خلاف أهوائها، فهي كالظلمات والرعد والبرق. ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق. بل يستأنس بذلك ويفرح به، لما يرجو من ورائه من الحياة والخصب.

وأما المنافق فإنه قد عمي قلبه، ولم يجاوز بصره الظلمة، ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه. فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله مشاهدة ذلك البرق، وشدة لمعانه، وعظم نوره. فهو خائف أن يختطف بصره؛ لأن بصره أضعف

Mostafadiy.com

من أن يثبت معه. فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف. فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه. وإن فقد الضوء قام متحيرًا، لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات، وحياته هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة، ولا شعور له بما وراء ذلك. فالوحشة لازمة له. والرعب والفزع لا يفارقانه، وأما من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع، وعلم أنه لا بد من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم، فإنه يستأنس بذلك، ولا يستوحش منه، ولا يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب.

فهذا مَثَل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين ﷻ على قلب رسول الله ﷺ، ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء، حكمة بالغة، وأسبابًا منتظمة، نظمها العليم الحكيم. فكان حظ المنافق من ذلك الصَيِّب سحابه ورعوده وبروقه فقط. لم يعلم ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب مما اطمأن به العالمون، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون. فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش في نحر الظهيرة، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد.

وقد ذُكِر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سماع الرعد. فإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكثر قيلها وقالها. فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دواوينها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين

تحت ألويتهم، والمكثِّرين لسوادهم. ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم - هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أستارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل ﷻ يقول: ومنهم، ومنهم، ومنهم حتى انكشفت أمرهم وبانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة:١٩]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أنهم كلما تليت عليهم آيات الكتاب العزيز جعلوا أصابعهم في أذانهم لئلا يسمعوا القرآن فيؤمنوا به وبمحمد ﷺ وذلك عندهم كفر، والكفر موت، وهذا كما فعل قوم نوح إذا حكى نوح عليه السلام فعلهم معه فقال: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٧].

ومنه أيضًا تواصيهم بعدم الاستماع لهذا القرآن، بل وباللغو عند تلاوته كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦] والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة:٢٠]؟

ج: أوجز الشنقيطي رحمه الله الكلام في هذا المقام فقال[1]: ضرب الله في هذه الآية المثل للمنافقين إذا كان القرآن موافقًا لهواهم ورغبتهم عملوا به، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم. والقَسْم لهم من غنائم المسلمين،

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ص:٥٢ ٥٣).

MOSTAFALAW.COM

وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن، وإذا كان غير موافق لهواهم. كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا. وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [النور:٤٨، ٤٩].

وقال بعض العلماء: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: إذا أنعم الله عليهم بالمال والعافية قالوا: هذا الدين حق ما أصابنا منذ تمسكنا به إلا الخير ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ أي: وإن أصابهم فقر أو مرض أو ولدت لهم البنات دون الذكور. قالوا: ما أصابنا هذا إلا من شؤم هذا الدين وارتدوا عنه.

وهذا الوجه يدل له قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

وقال بعض العلماء: إضاءته لهم معرفتهم بعض الحق منه وإظلامه عليهم ما يعرض لهم من الشك فيه.

❀ ❀ ❀ ❀

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾ [البقرة:٢٠] يرجع إلى من؟

ج: فيه قولان:

فمن قال: إنه يرجع إلى أصحاب المطر فالمعنى عنده، ولو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق.

وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: ولو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة، والله أعلم.

MOSTAFALABY.COM

(٢٤٣) أحمر أسود

MOSTAFAALADWY.COM

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ
لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا
نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ
شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن
لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا
ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ
هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ
فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

الكلمة	معناها
﴿أَندَادًا﴾	أمثالًا ـ أكفاء ـ نظراء ـ عدلاء، قال حسان: أتهجوه ولست له بندٍّ فشركما لِخَيرِكُمَا الفداء
﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	تعلمون أنه لا ند له.
﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾	من مثل القرآن ـ وقيل: من مثل محمد ﷺ.
﴿شُهَدَآءَكُم﴾	أعوانكم ـ أنصاركم.

Nostrapdf.com

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	الآلهة التي تُعبد غير الله سبحانه وتعالى.
﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾	جيء إليهم بالثمار متشابهة في اللون مختلفة في الطعم.
﴿خَٰلِدُونَ﴾	الخلود هو: البقاء.

س: وضح معاني مفردات قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ [البقرة:٢١]؟

ج: (يا) حرف نداء، (أي) منادى مفرد (ها) للتنبيه.

س: من المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن المراد عموم الناس (الكفار والمؤمنون)، فيكون الخطاب للمؤمنين باستدامة العبادة كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾ [النساء:١٣٦].

ويكونَ الخطاب للكافرين لابتدائها.

والثاني: أن المراد بالناس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الكفار الذين لم يعبدوه، والقول الأول أقوى[1]، والله أعلم.

س: ما مدى صحة القول القائل بأن كل آية أولها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ إنما نزلت على رسول الله ﷺ بمكة، وكل آية أولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فإنما نزلت بالمدينة؟

ج: أما قوله: إن كل آية فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ إنما نزلت بمكة فغير

(١) إذ لا دليل على التخصيص، والله أعلم.

MOSTAFAADAWY.COM

صحيح، فإن سورة البقرة مدنية على ما بيناه، ومع ذلك ففيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وكذلك سورة النساء مدنية[1] وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

❁ أما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وكونها كلها نزلت بالمدينة فقد صححه القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكنه يحتاج مني إلى تحرير، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا نُص في الآية الكريمة: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة:٢١] على صفة الخلق دون غيرها من الصفات؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنما نصَّ على صفة الخلق هنا؛ لأن المشركين كانوا يعترفون أن الله خالقهم كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف:٨٧]، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]، فإذا كانوا مقرين بأن الله عَزَّوَجَلَّ خالقهم فلا جرم أن يكون تذكيرهم بصفة الخلق حجة عليهم وتقريعًا لهم. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]؟

ج: المراد هنا - والله أعلم - الأمر بالتوحيد والتزام شرائع الدين[2].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى «خلق» وهل تُطلَق على البشر؟

ج: يطلق الخلق على الإنشاء الاختراع والإبداع، ويطلق الخلق على التقدير، ومنه ما ذكره القرطبي حيث قال: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته قبل

---

(١) وعلى وجه الخصوص قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ..﴾ [النساء:١].

(٢) وقد تقدم الكلام على تفسير العبادة في سورة الفاتحة بما فيه الكفاية.

MOSTAFAADWY.COM

القطع، والمعنى قدرت[1] الجلد الذي يكفي لصنع السقاء قبل أن أقطعه.

❁ أما إطلاقه على البشر فقد قال الله ﷻ في شأن المشركين: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧].

❁ ❁ ❁

س: إذا ثبت عند المشركين أن الله ﷻ خلقهم فقد خلق الذين من قبلهم، فلماذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:٢١]؟

ج: جرى الكلام على التنبيه والتذكير ليكون أبلغ في العظة فذكرهم بمن قبلهم ليعلموا أن الذي أمات مَنْ قبلهم سيميتهم أيضًا وليفكروا فيمن قبلهم كيف كانوا وعلى أي الأمور مضوا من إهلاك من هلك، وليعلموا أنهم يبتلون كما ابتلوا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] تضمن دعوة الخلق إلى عبادة الله ﷻ بطريقين وضحهما؟

ج: هذان الطريقان اللذان تضمنتهما الآية الكريمة هما:

الأول: تذكير الناس بأن الله ﷻ خلقهم وخلق الذين من قبلهم، فالذي خلق جديرٌ بأن يُعبد.

الثاني: امتنان الله ﷻ عليهم بذكر ما لله ﷻ عليهم من الحقوق، فهو سبحانه قد أسدى إليهم أنواعًا من النعم مِن جعل الأرض فراشًا والسماء بناءً وإنزال المطر وإخراج الثمرات؛ لأن المُنْعِم يستحق أن يُعبد ويُشكر.

❁ ❁ ❁

(١) قدرت أي: حددت.

MOSTAFAADWI.COM

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [آلبقرة: ٢١]؟

ج: المعنى - والله أعلم - لعلكم بعبادتكم ربكم ﷻ أن تجعلوا بينكم وبين النار وقاية، وتجعلوا أيضًا بينكم وبين غضب الله عليكم وقاية.

س: ما معنى ﴿جَعَلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]؟

ج: المعنى - والله أعلم - صيَّر.

وكلمة (جَعَلَ) لها معان أُخر في غير هذا الموطن منها:

۞ خلق، كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

۞ ومنها سمَّى، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] أي: سموهم.

وبعض العلماء يقولون: إن (جَعَلَ) قد تأتي زائدة أحيانًا، كما قال الشاعر:

❧ ۞ ۞ ۞ ❧

س: اذكر حديثين في معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]؟

ج: من هذه الأحاديث: ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧١٥).

noorabbaw.com

❁ والحديث الثاني أخرجه أحمد بإسناد صحيح من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

إن نبي الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطئ فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله ﷻ أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن: أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم سَرَّه أن يكون عبده كذلك، وإن الله ﷻ خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وآمركم بالصلاة فإن الله ﷻ ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أَسَرَه العدوُّ فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه، وآمركم بذكر الله ﷻ كثيرًا، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله ﷻ» قال: فقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن:

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠) بسند صحيح.

بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم» قالوا: يا رسول الله وإن صام وإن صلى؟ قال: «وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله ﷻ المسلمين المؤمنين عباد الله ﷻ».

بعض الاستدلات على وجود اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

س: اذكر بعض استدلالات العلماء من ناحية النظر والعقل على وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج: لهم استدلالات كثيرة على ذلك، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير - ﷺ - فقال: فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه.

كما قال بعض الأعراب - وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال -: يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وحكى الرازي عن الإمام مالك: أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب

Mostafawy.com

وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع، فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك: البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ

عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ

عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٍ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وقال ابن المعتز:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وقال آخرون: من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأرابيج والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، استُدِل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًّا.

❀ ❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض براهين البعث المستنبطة من هذه الآيات الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]؟

ج: ذكر هذه البراهين الشنقيطي ﷺ في أضواء البيان فقال[1]:

قولـــه تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) «أضواء البيان» (١/ ٥٣).

MOSTAFALADAWY.COM

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢]

أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت وبيَّنها مفصلة في آيات أُخر.

الأول: خلق الناس أولاً المشار إليه بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم:٢٧] الآية وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤] وكقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٥١]، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ [يس:٧٩] وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:١٥] الآية. وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج:٥]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الواقعة:٦٢] الآية..

ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ﴾ [يس:٧٨] الآية. وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٦، ٦٧] ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم:٦٨] الآية.. إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني: خلق السموات والأرض المشار إليه بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى.

وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر:٥٧]، وقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس:٨١]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ﴾ [الأحقاف:٣٣]، وقوله: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [الإسراء:٩٩]، وقوله: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾ [النازعات:٢٧، ٢٨] الآية.. إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ ﴾ وأوضحه في آيات كثيرة كقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت:٣٩] وقوله: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق:١١] يعني: خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظامًا رميمًا. وقوله: ﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم:١٩] وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٧] إلى غير ذلك من الآيات.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى فراشًا، وبناءً في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [البقرة:٢٢]؟

ج: فراشًا أي: ممهدة كالفِراش، وجعلها مستقرة كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر:٦٤].

وبناءً معناها: سقفًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ

Nostradamy.com

عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٢]، والله أعلم.

س: لماذا سميت السماء سماء؟

ج: سميت بذلك لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه، وكل شيء فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء(١).

س: ما أعظم ذنب يرتكبه الناس؟

ج: أعظم ذنب هو أن تجعل لله ندًّا، وقد سُئِل النبي ﷺ عن ذلك فأجاب، فسأله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - كما في الصحيحين(٢) - أي الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**» قال: قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قال: قلت: ثم أي: قال: «**أن تزاني بحليلة جارك**».

---

(١) قال الطبري رحمه الله (١/ ٣٦٦):

وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء فوق شيء أخرَ فهو لما تحته سَمَاءٌ. ولذلك قيل لسقف البيت: سَمَاوةٌ؛ لأنه فوقه مرتفعٌ عليه. ولذلك قيل: سَمَا فلان لفلان، إذا أشرف له وقَصدَ نحوه عَاليًا عليه، كما قال الفرزدق:

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ اليُمَانِي وَأَهْلِهِ ... وَنَجْرانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقُولُهُ

وكما قال نابغة بني ذُبيان:

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ، فرأَيْتُ منها ... تُحَيْتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ القِرَامِ

يريد بذلك: أشرفت لي نظرةٌ وبدت. فكذلك السماء سميت للأرض: سماءً، لعلوها وإشرافها عليها.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٧)، ومسلم (حديث ٨٦)، وفي بعض الطرق في الصحيحين أيضًا: فأنزل الله ﷻ تصديقها ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان:٦٨].

MOSTAFALADAWY.COM

س: ما حق الله ﷻ على عباده، وما حق العباد على الله ﷻ؟

ج: حق الله ﷻ على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ﷻ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا.

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يا معاذُ أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا أتدري ما حقهم عليه؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن لا يعذبهم**»(١).

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صور جعل الأنداد لله ﷻ؟

ج: من هذه الصور: قول القائل: ما شاء الله وشاء فلان، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان**»(٢).

❁ ومنها قول القائل: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٣)، ومسلم (ص ٥٩) وفي بعض الطرق: «**أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**».

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٢٥٩)، وابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢، ٣٨٤، ٣٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٢٢)، ومسلم (٢/ ٥٩)، وأبو داود (٤/ ٢٢٧) وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

MOSTAFALAWY.COM

❁ ومنها الحلف بغير الله ﷻ[(١)].

❁ ومنها ما درج عليه العامة: لولا الكلب لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لما قبضنا على اللصوص[(٢)].

وقول الأطفال في بعض الدول: (علي يا أبو مخ خلِّي الدنيا تُرخ، علي يا أبو مركب خلِّي الدنيا تكركب) وكأن هذا مأخوذ من إحدى فرق الضلال الذين يزعمون أن عليًّا في السحاب يسيرها ويُجريها.

❁ ومنها السجود لغير الله ﷻ.

❁ ومنها تشريع شرعة غير شرعة الله ﷻ يُحكم بها العباد ويقضى عليهم بها قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) أخرج الترمذي (٥/ ١٣٥ مع تحفة الأحوذي)، وأبو داود (٣٢٥٧)، والنسائي (٧/ ١٩)، وابن ماجه (٢٠٩٨) وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». وهو حديث يصح بشواهده.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٢٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾ قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان.
لا تجعل فيها فلانًا فإن هذا كله به شرك.
وفي إسناده شبيب بن بشر.
قال الدوري عن ابن معين: ثقة، قال: ولم يرو عنه غير أبي عاصم، وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ كثيرًا.
والأثر أخرجه الطبري (٤٨٥) من طريق شبيب عن عكرمة ولم يصل به إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

mostafadiw.com

❁ ومن أعظمها دعاء غير الله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥، ٦].

❁ ومنها محبة غير الله وطاعته كمحبة الله وطاعته، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، الخطاب فيها لمن؟ ويعلمون ماذا؟

ج: قيل: الخطاب فيها للمشركين، والمراد بالعلم هنا علم خاص وهو أنهم يعلمون أن الله ﷻ خالقهم (١) ورازقهم وهو سبحانه أنزل من السماء ماءً وأنه سبحانه يجير ولا يجار عليه وبيده ملكوت كل شيء، فيعلمون أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المُنعِم عليهم دون الأنداد.

وقيل: المعنى تعلمون أنه الواحد الرزاق.

وقيل: إن الخطاب هنا للمؤمنين، والمعنى: لا ترتدوا أيها المؤمنون وتجعلوا لله أندادًا بعد علمكم أن الله واحد لا شريك له والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣]؟

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧].

MOSTAFADAWI.COM

ج: المعنى الإجمالي - والله تعالى أعلم -: إن كنتم في شك مما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لا تستطيعون ذلك ولن تستطيعوه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.. من مثل من؟

ج: جمهور أهل العلم على أن ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي: من مثل القرآن، والقول الثاني ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي: من مثل محمد ﷺ في كونه بشرًا، وفي كونه أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك تلا هذا القرآن عليكم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات التي تحدى الله ﷻ فيها الكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ تحداهم الله ﷻ أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤] وقال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

❁ وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود:١٣].

❁ وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

Mostafaalabwab.com

[البقرة:٢٣].

وتحداهم الله فرادى وتحداهم جماعات، وتحداهم بمكة وبالمدينة، فلم يعارض القرآن بشيء طائل من عهد رسول الله ﷺ إلى الآن.

❀ ❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض وجوه الإعجاز في هذا القرآن الكريم.

ج: من هذه الوجوه ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال[1]:

ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، قال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١] فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو بالعكس على الخلاف، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥] أي: صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام، فكله حقٌّ وصدقٌ وعدلٌ وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إن أعذبه أكذبه، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استُعمِل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سَبُع أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئًا إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيه بيتًا أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته.

---

(١) (١/ ٩٢).

Mostafawy.com

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلاً وإجمالاً ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أم وجيزة وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]، وقال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف:٧١]، وقال في الترهيب: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ [الإسراء:٦٨]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦، ١٧]، وقال في الزجر: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقال في الوعظ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٠٥ - ٢٠٧] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ فأرعها سمعك فإنها خيرٌ يأمر به أو شرٌّ ينهى عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧]

mostafawy.com

الآية، وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال، وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشرت به وحذرت وأنذرت، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الآخرة، وثبتت على الطريقة المثلى> وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم. ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**» - لفظ مسلم - وقوله ﷺ: «**وإنما كان الذي أوتيته وحيًا**» أي: الذي اختُصِصتُ به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم، وله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الآيات الدالة على نبوته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصر ولله الحمد والمنة.

وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في الصرفة، فقال: إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته فقد حصل المدعي وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلاً على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطريقة وإن لم تكن مرضية لأن القران في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في

Mostafawy.com

السور القصار كالعصر، وإنا أعطيناك الكوثر.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أعوانكم ونصراؤهم، وقيل: آلهتكم، وقيل: هي على بابها، والمعنى: ائتوا بشهداء يشهدون لكم أن ما أتيتم به يعادل القرآن أو يقاربه.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤] عَلَمٌ من أعلام النبوة وضح ذلك.

ج: إيضاحه - والله أعلم - أنه لم يستطع أحد من الكافرين أن يأتي بأي سورةٍ مثل هذا القرآن، لا في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده إلى الآن.

❁ ❁ ❁

س: بم يتقون النار؟

ج: يتقونها بالإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسوله.

❁ ❁ ❁

س: من هم الناس؟ وما هي الحجارة التي ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤]؟ وهل للنار وقود آخر غير ما ذكر في الآية الكريمة؟

ج: أما المراد بالناس هنا - والله أعلم - فهم الكفار الذين يموتون على الكفر، أما الحجارة فقد قال بعض أهل العلم: إنها حجارة الكبريت.

وقال آخرون: إنها الأصنام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

أما هل للنار وقود آخر غير ما ذكر: فنعم لها وقود غير ما ذُكر، منه فسقة

MOSTAFALAWY.COM

الجن، قال الله تعالى: ﴿... وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

أدلة أن الجنة والنار موجودتان الآن

س: هل الجنة والنار مخلوقتان الآن؟

ج: نعم مخلوقتان الآن، والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا، نورد منها ما يلي:

- قول الله ﷻ - في شأن الجنة -: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].
- وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].
- وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٣١].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩].
- وقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»(١).
- قول النبي ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في**

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٤٤)، ومسلم (٣٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[(١)].

❁ ولما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: «**إن له مرضعًا في الجنة**»[(٢)].

❁ ومنها قول النبي ﷺ: «**أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**»[(٣)].

❁ ومنها قول رسول الله ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت ربِّ أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين نفسٍ في الشتاء ونفسٍ في الصيف فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**»[(٤)].

❁ ومنها قول النبي ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلِّقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**»[(٥)].

❁ ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً[(٦)] فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[(٧)].

❁ وجملة أحاديث أخرى كثيرة جدًّا في هذا الباب تركنا ذكرها خشية

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٥٥) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا، وله طرق أخرى صحيحة في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٧٧)، ومسلم (حديث ١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٦) وجبة أي: سقطة.

(٧) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٤).

MOSTAFANAW.COM

الإطالة فمنها حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا في عذاب القبر ونعيمه وفيه...: «**إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره...**» الحديث[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧) بإسناد صحيح مرفوعًا وفيه أن البراء قال:

خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنَّ على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.**

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، =

❁ وحديث: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها...» [(١)] الحديث.

❁ وحديث: «أرواحهم في حواصل طيرٍ خُضرٍ تسرح في الجنة...» [(٢)].

=فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا ثم قرأ: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة».

(١) أخرج أبو داود (٤٧٤٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفَّها بالمكاره ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ، قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب ثم جاء فقال: أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفَّها بالشهوات ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي ربِّ وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها».

وأخرجه أيضًا الترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، والحاكم (١/ ٢٧).

(٢) وسيأتي بتمامه في تفسير آل عمران إن شاء الله تعالى فانظره هناك عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران:١٦٩].

❁ وحديث المعراج[١]

❁ حديث الرجل الذي خسف به فهو يتجلجل في النار... الحديث.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى التبشير في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ [البقرة:٢٥]؟

ج: التبشير هو: الإخبار الذي يظهر أثره على البشرة - وهي ظاهر الجلد - لتغيرها بأول خبر يرد عليك، ويستعمل التبشير غالبًا في السرور مقيدًا بالخير المبشر به وغير مقيدٍ، بمعنى أنه قد تأتي البشارة بالخير منصوصًا عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقد تأتي مطلقة غير مقيدة بنوع التبشير، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] وكما في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

❁ وتستعمل البشرى في الغم والشر أحيانًا، ولكنها تكون مقيدة كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، وكما في قول النبي ﷺ: «**وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار**»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (حديث ١٦٣)، وفي آخره قال أنس بن مالك فيما يرويه عن رسول الله ﷺ: «**ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**».

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣) بإسناد يُحسَّن بمجموع طرقه، والله أعلم.

وقد وردت أحاديث فيها أنه يختبر يوم القيامة وستأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

Mostafa.com

س: في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥] ردٌّ على فرقتين: المرجئة وطوائف من الصوفية وضح ذلك.

ج: وجه هذا الرد يتمثل في أن الإيمان النافع قُيد بالعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥]، والمرجئة يقولون: إن (لا إله إلا الله) تنفع صاحبها بلا عمل ولا يشترط معها العمل، والآية الكريمة - كما قدمنا - ربطت الإيمان بالعمل الصالح.

❁ ووجه الرد على طوائف من الصوفية أن بعضهم يزعم أن المجنون أعلى درجة وأرفع منزلة من المؤمن العاقل، وهذا جهل منهم واضح، فالمجنون - وإن قدر الله سبحانه له الجنة - إلا أن المؤمن الذي يعمل الصالحات قد يفوقه بإذن الله، وذلك لأن الله سبحانه قال: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢]، والمجنون لم يعمل والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى: ﴿جَنَّٰتٍ﴾ ولماذا سميت بهذا الاسم؟

ج: الجنات هي البساتين والحدائق، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها تُجنُّ من فيها (أي: تستره بأشجارها) [١].

❁ ❁ ❁

س: ما هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]؟

---

(١) ولا يلزم في الجنات المُعدة عند الله أن تستر من فيها عن غيره، فقال قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، فأهل الجنة يرى بعضهم بعضًا ويتزاورون... وإنما المراد بيان المعنى اللغوي.

MOSTAFABDW.COM

ج: هذه الأنهار - والله تعالى أعلم - هي الأنهار المذكورة في سورة محمد قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد:١٥].

❀ ❀ ❀ ❀

س: قولهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ [البقرة:٢٥]؟ ما المراد به؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

الأول: أن المراد بقولهم: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: في الحياة الدنيا، ودليل هذا القول: قولهم في آية أخرى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦] فمعنى ﴿قَبْلُ﴾ هنا أي: في الحياة الدنيا.

الثاني: أن المراد بقولهم: ﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي: في الجنة لكن في وقت تقدم الوقت الذي قدمت لهم فيه الثمرة، وذلك لأنهم في الجنة يرزقون ثم يرزقون فإذا أتوا بطعام وثمار في وقت فأكلوا منها ثم أُتوا بها في وقت آخر قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ يعنون: أن هذا الذي أكلناه في مرة سابقة، لكن يجدون طعمًا آخر وإن تشابه اللون، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥] ما معناه؟

ج: المراد - والله أعلم - يشبه بعضه بعضًا في المنظر لكن يختلف في المطعم. وقيل: يشبه بعضه بعضًا في الحسن، بمعنى أن كل ما رزقوه حسن.

❀ ❀ ❀ ❀

س: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شأن النار: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] فهل النار لا يدخلها إلا الكافرون؟

MOSTAFAMOWAD.COM

ج: النار يدخلها الكافرون، ويدخلها أيضًا قوم من المسلمين، كما قال الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، وكما قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقال النبي ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار**»[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب.

إلا أن المسلمين (من قدَّر الله عليه دخول النار منهم) يدخلونها ثم يخرجون كما أخبر بذلك النبي ﷺ[2].

أما قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فيحمل على وجوه:

❁ منها أن يُقال: إن هذه نار مخصوصة معدة للكافرين وهي التي وقودها الناس والحجارة.

❁ أن يقال: إن هذه النار مُعدَّة للبقاء الدائم للكافرين ومن ثَمَّ كانوا هم أهلها وهي مُعدَّة لهم ليس كالعابر الذي يأتيها ثم يخرج منها والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل الأنهار تجري من تحت الجنات حقيقة؟

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

(٢) وتأتي الأحاديث في ذلك في أبواب الشفاعة قريبًا إن شاء الله عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا...﴾ [البقرة: ٤٨].

Mostafa Adly.com

ج: بعض أهل العلم يقولون: إن المعنى أن الأنهار تجري من تحت أشجارها ولم تذكر الأشجار؛ لأن الجنات دالة عليها.

ولقائل أن يقول: إن الآية على ظاهرها، والله أعلم بصفة جري الأنهار. والعلم عند الله تعالى.

❀ ❀ ❀

س: النهر مأخوذ من ماذا؟

ج: النهر مأخوذ من الاتساع، وأنهرت أي: وسعت، ومنه قول النبي ﷺ: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا..**»(١) أي: ما وسَّع الذبح حتى يجري فيه الدم كالنهر.

وهل النهر هو الأخدود بما فيه من ماءٍ يجري؟ أم هو الأخدود فقط؟ للعلماء في ذلك قولان، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل الأفصح أن يقال: (زوج) أو (زوجة)؟

ج: الأفصح أن يُقال: (زوج) وهو الأكثر استعمالاً في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب:٣٧] قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف:١٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس:٥٦] ومنه ما ورد في

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح٩/ ٦٣١)، ومسلم (مع النووي ١٣/ ١٢٢)، وأحمد (٤/ ١٤٠، ١٤٢) وغيرهم من حديث عباية بن رفاعة عن جده أنه قال: يا رسول الله ليس لنا مدًى، فقال: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكُل، ليس الظُّفر والسن، أما الظفر فَمُدي الحبشة وأما السن فعظمٌ**».

MOSTAFALADWY.COM

كتب السنن والمسانيد (مما لا يكاد يحصى) قولهم عن (عائشة زوج النبي ﷺ).

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «... **وإن لزوجك عليك حقًّا**»[١].

ويجوز أيضًا أن يقال: زوجة (بالتاء)، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)[٢]، وفي رواية أخرى: (إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة)[٣].

وقال الفرزدق:

وإن الذي يسعى ليُفسد زوجتي ... كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها[٤]

س: قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] مطهرة من ماذا؟

ج: مطهرة من الحيض، والبول، والبزاق، والنفاس، والمخاط، والغائط، والأحقاد، والضغائن، إلى غير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا**

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٥)، ومسلم (ص ٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) بإسناده إلى أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال: (لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عمارًا يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ﷻ ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي.

(٣) الرواية الأخرى في البخاري (٣٧٧٢).

(٤) أسد الشرى: هي أشد الأسود شراسة وضراوة، ويستبيلها معناه: يطلب بولها.

MOSTAFALADWI.COM

اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كلٌّ واحدة منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الأُلُوَّة».

❁ قال أبو اليمان[(١)]: يعني: العود، ورشحهم المسك[(٢)].

---

(١) أحد رواة الحديث.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (ص ٢١٨٠) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

قول الله تعالى ذكره:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

فتأمل جلالة المبشِّر ومنزلته وصدقه، وعظمته وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة، وقد بشرك به، وضمنه لك، وجعله أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات، وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب، وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه.

و(الأزواج) جمع زوج. والمرأة زوج للرجل، وهو زوجها. هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ومن العرب من يقول: زوجة، وهو نادر، لا يكادون يقولونه. وأما (المطهرة) فإن جرى صفة على الواحد، فيجري صفة على جمع التكثير إجراء له مجرى جماعة، كقوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ [الصف:١٢] وقولهم: قُرًى ظاهرة، ونظائره.

و(المطهرة) من طهرت من الحيض، والبول، والنفاس، والغائط، والمخاط، والبصاق وكل قذر، وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبَذاء، وطهر طرفها من أن تطمح إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو سخ. قال عبد الله بن المبارك: حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ من القذر، وقال: «من الحيض والغائط والنخامة والبصاق» وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس (مطهرة: لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنجسن) وقال ابن عباس أيضًا: (مطهرة من القذر والأذى، لا يبلن، ولا يتغوطن، ولا يمذين، ولا يمنين، ولا =

Mostafa.com

. . . . . .

MOSTAFAALADWY.COM

=يحضن، ولا يبصقن، ولا يتنخمن، ولا يلدن) وقال قتادة: (مطهرة من الإثم والأذى، طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم) وقال عبد الرحمن بن زيد (المطهرة: التي لا تحيض، وأواج الدنيا لسن بمطهرات، ألا تراهن يدمين، ويتركن الصلاة والصيام؟ قال: وكذلك خلقت حواء، حتى عصت، فلما عصت قال الله لها: إني خلقتك، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة»(*).

قول الله تعالى ذكره: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة. فلما أمرهم بالسجود ظهر ما في قلوب الملائكة من الطاعة والمحبة.

(*) لا أعلم له إسنادًا يقوم به.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا
بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ
يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا
يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ
عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

الكلمة	معناها
﴿بَعُوضَةً﴾	صغيرة البق (فالبعوض: صغار البق)، وقيل: هي الناموسة المعلومة لدى الناس[1].
﴿يَنقُضُونَ﴾	النقض هو: حل الشيء بعد عقده.
﴿ٱلْمِيثَٰقَ﴾	العهد المؤكد باليمين.
﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	الخسران هو: النقصان، والخاسرون هم: الذين نقصوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله بمعصيتهم لله ﷻ.

MOSTAFALADAWY.COM

(١) وانظر ما سيأتي في سؤال خاص بها إن شاء الله.

س: هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة:٢٦]؟

ج: لم يصح لها سبب نزول، والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: الحياء لا ينبغي أن يصد عن الحق وتعلمه دلِّل على ذلك؟

ج: ابتداءً فقد جاء في فضل الحياء جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ:

❁ فقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الحياء من الإيمان**»(١).

❁ وقال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(٢).

❁ وكان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها(٣).

❁ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٤).

❁ وأثنى النبي ﷺ على عثمان لحيائه فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»(٥) إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل الحياء.

❁ ولكن هذا الحياء لا ينبغي أن يصد عن معرفة الحق وتعلُّمه وتعليمه فالصحابة رضي الله عنهم أعقل الناس وأشدهم حياء بعد نبيهم ﷺ ومع ذلك لم يصدهم الحياء عن الفقه في الدين، فقد جاءت أم سليم رضي الله عنها امرأة أبي طلحة

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان رضي الله عنه: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»؟!!!

Mostafa Adawy.com

إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم إذا رأت الماء**»[١].

❁ وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له - وعائشة عنده -: يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه فقالت عائشة: يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك، فقال لعائشة: «**بل أنت فتربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك**».

❁ وفي الباب أيضًا ما أخرجه مالك في «الموطأ»[٢] من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هنالك وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - وهو صائم - فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها؟ فقال: أقبلها وأنا صائم؟ قالت: نعم، فعائشة العالمة الفقيهة أم المؤمنين لم يمنعها الحياء أن تعلِّم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة.

❁ وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الرجل يُجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل**»، فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه من أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم.

❁ ونحوه في صحيح مسلم أيضًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لا يجب الغسل إلا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٩٢) وإسناده صحيح.

Mostafa Abdy.com

من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال: قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك فقمت فاستأذنت على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأُذِن لي، فقلت لها: يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك، فقالت: لا تستحِ أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك. قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت قال رسول الله ﷺ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل**».

❁ فها هي أم المؤمنين الفقيهة العالمة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعلِّم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك.

❁ وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياءُ من الفقه في الدين.

❁ وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بالشخص مسائله حتى يخرج عن الحيِّز المباح إلى المحظور المذموم فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء أحاديث لا حاجة إليها، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله يؤتي الحكمة من يشاء.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ضرب الله عَزَّوَجَلَّ الأمثال في كتابه بعدة أشياء اذكر بعضها.

ج: من هذه الأشياء التي ضرب الله عَزَّوَجَلَّ بها المثل في كتابه ما يلي:

❁ **الذباب** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٣، ٧٤].

❁ **البعوضة** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا

MOSTAFAADAWY.COM

فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦].

❁ العنكبوت قال الله تبارك تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤١].

❁ الشجرة الطيبة الشجرة الخبيثة، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم:٢٤- ٢٦].

❁ العبد المملوك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٥].

❁ الرجل الأبكم الذي لا يقدر على شيء قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:٧٦].

❁ العبد الذي فيه شركاء متشاكسون، قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٢٩].

❁ الريح التي فيها صرٌّ قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١١٧].

❁ ❁ ❁

س: ما وجه إيراد هذا المثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾ [البقرة:٢٦]؟

ج: ورد عن بعض أهل العلم أنهم قالوا - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾ -: هذا مثل ضربه الله للدنيا أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك، قال: ثم تلا ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1] [الأنعام:٤٤].

❀ ❀ ❀

س: قال بعض العلماء: إذا سمعت المثل من كتاب الله فلم أفهمه حزنت على نفسي فما مستنده في ذلك؟

ج: مستنده في ذلك قول الله ﷺ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] فأفادت الآية الكريمة أن الذين يعقلون الأمثال هم العالمون فكونه لا يفهم المثل يعني أنه ليس من العالمين، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالبعوضة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة:٢٦]؟

ج: قال عدد من أهل العلم: إن المراد بالبعوضة هي صغيرة البق (أي: البق

(١) أخرجه الطبري (٥٥٥)، (٥٥٦) من طريق أبي جعفر عن الربيع ابن أنس، وأخرجه ابن أبي حاتم (٢٧١) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وقد تكلم بعض العلماء في رواية أبي جعفر عن الربيع، والله أعلم.

MOSTAFALADAW.COM

الصغير) ويطلق البعوض أيضًا على الناموس المعروف عند الناس[١].

قال عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره: وقوله ﷻ: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: بعوضة فما زاد عليها في الجثة أو في الغرض المقصود من التمثيل كجناحها، والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق، والبق يطلق على حيوان صغير شديد اللسع منتن الرائحة ضعيف جدًّا قد يقتله مجرد اللمس ويكون بجدران بعض الدور وفي فُرُشها، وإذا ضُغط عليه بضاغط انفجر دمًا، كما يطلق البق على الناموس[٢] وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر، وله ستة أرجل وأربعة أجنحة وذنب وخرطوم مجوَّف، وهو مع صغره يغوُصُ خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى إن الجمل قد يموت من قرصته السامة أحيانًا.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] ما المراد به؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: فما فوقها فما هو أكبر منها، ودليله قول النبي ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى: شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[٣].

الثاني: فما فوقها أي: فما دونها في الحقارة، كما يُقال مثلاً فلان جاهل فتقول هو فوق ذلك، أي: أشد من الجاهل.

---

(١) ويؤيده قول النبي ﷺ: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرءوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**» [الكهف:١٠٥] أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) وقد سمعت أهل بعض البلدان يطلقون البق على الناموس الممتلئ دمًا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa Adly.com

قال الفراء في «معاني القرآن»: فالذي (فوقها) يريد أكبر منها وهو العنكبوت والذباب ولو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد أصغر منها لجاز ذلك، ولست أستحسنه؛ لأن البعوضة كأنها في غاية الصغر فأحبُّ إليَّ أن أجعل (ما فوقها) أكبر منها، ألا ترى أنك تقول: (يُعطى من الزكاة الخمسون فما دونها) والدرهم فما فوقه فيضيق الكلام أن تقول فوقه، فيهما أو دونه فيهما، وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل: إن فلانًا لشريف فيقول السامع: وفوق ذاك، يريد المدح، أو يقول: إنه لبخيل فيقول الآخر: وفوق ذاك يريد بكليهما معنى أكبر، فإذا عرفت أنت الرجل فقلت دون ذلك فكأنك تحطه عن غاية الشرف أو غاية البخل، ألا ترى أنك إذا قلت: إنه لبخيل وفوق ذاك تريد فوق البخل، وفوق ذاك وفوق الشرف، وإذا قلت دون ذاك فأنت رجل عرفته فأنزلته قليلاً عن درجته، فلا تقولن وفوق ذاك إلا في مدحٍ أو ذمٍّ، الله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الله ﷻ لا يستحيي أن يُمثل بأي شيءٍ كان صغيرًا أو كبيرًا.

❀ ❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦]، من قائله؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

MOSTAFADAWY.COM

أحدهما: أن قائله هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمعنى لما قال الكفار ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، فالإجابة عليهم قل: إن الله يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا، أي: يهدي بهذه الأمثال أناسًا كثيرين ويضل بها أناسًا كثيرين.

ومما يؤيد هذا القول قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]، فقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من قول الله ﷻ وهو كقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾.

والقول الثاني: أنه من قول الكافرين، كأنهم قالوا: ما مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا المثل الذي يفرِّق به الناس إلى ضُلالٍ ومهتدين.

والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: الأمثال في القرآن الكريم يُضل الله ﷻ بها فريقًا من الناس ويهدي بها فريقًا وضح ذلك.

ج: المثل إذا جاء في كتاب الله ﷻ ازداد به المؤمن هداية وتوفيقًا بإذن الله فإذا ضُرب المثل صدّق به المؤمن علم أنه من عند الله فيزيد الله المهتدي هدًى ويؤته تقواه، أما الكافر أو المنافق والفاسق فإذا ضرب الله ﷻ المثل ارتاب فيه وتحيّر وتردد في أمره واعترض فينصرف عن القرآن فيصرف الله قلبه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

MOSTAFAADLY.COM

س: مَـــن الفاســـقون في قولـــه تعـــالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦]؟

ج: الفاسقون هم من سبق في علم الله ﷻ أنهم يموتون على الكفر. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى الفسق لغة وشرعًا؟

ج: الفسق أصله في كلام العرب الخروج عن الشيء.

يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها.

وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها.

وشرعًا: هو الخروج عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك سمي الفاسق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما.

وقال الله جل ذكره في صفة إبليس: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠] يعني: خرج عن طاعته واتباع أمره.

هذا والفسق قد يكون بكفر وقد يكون بعصيان، وهو الوارد في السؤال التالي.

❁ ❁ ❁

س: هل هناك فسق دون فسق؟ اذكر أدلة على ما تقول؟

ج: نعم هناك فسق دون فسق، فهناك فسق بمعنى الكفر يخرج عن الملة، وفسق دون ذلك.

أما الأدلة على الفسق المخرج عن الملة فمنها:

❁ قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف:٥٤] فلا شك أن قوم فرعون كانوا كفارًا، وقد قال الله

MOSTAFANADWY.COM

فيهم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

❁ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة:٢٠]، فهذا فسق مكفر، وذلك لأن الله جل ذكره قال في الكفار: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وأما الفسق الذي هو كفرٌ دون الكفر فمنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٤] فالفسق هنا أعم من كونه كفرًا فيدخل فيه القاذف المسلم، ولا شك في ذلك.

❁ ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] فالفسق هنا عام أيضًا.

❁ ومنه قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1] فالفسق هنا غير مكفر، ولا شك، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى ﴿يَنقُضُونَ﴾ [البقرة:٢٧]؟

ج: النقض هو إفساد ما أُبرم (من بناء أو حبل أو عهد أو غير ذلك) ومنه نقضت المرأة ضفائرها أي: حلتها بعد أن ضفرتها.

❁ ❁ ❁

س: ما العهد الذي نقضه هؤلاء الفاسقون؟

ج: لأهل العلم في تأويل ذلك العهد وجوه منها:

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (حديث ٧٠٧٦)، وكذلك أخرجه مسلم (٦٤)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجة (٦٩).

MOSTAFALADAWY.COM

١ - أنه العهد الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من صلبه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ...﴾ [الأعراف:١٧٢]

٢ - أنه وصية الله تعالى إلى خلقه وأمرهم بطاعته ونهيهم عن معصيته.

٣ - أنه العهد الذي أُخذ عليهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام أنهم يؤمنون بمحمد ﷺ إذا بُعث فيهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران:٨١، ٨٢].

٤ - أنه العهود التي تكون بين الناس.

وثمَّ أقوال أُخر، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: ما مدى صحة الأثر الوارد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي فيه أنه حمل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧]، على الخوارج وكيف يوجه هذا الأثر في حالة صحته؟

ج: الأثر صحيح، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير[(١)] من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه[(٢)] رضي الله عنه قال: الحرورية الذين قال الله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨، ٢٩٣).

(٢) وأبوه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

mostafalabib.com

❁ أما بالنسبة لتوجيه الأثر: فكما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: إنه تفسير على المعنى لا أن الآية أُريد منها التنصيص على الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ بالنهروان، فإن أولئك لم يكونوا حال نزول الآية وإنما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل لأنهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام، والفاسق في اللغة هو الخارج عن الطاعة أيضًا.. انتهى الغرض مما ذكره رحمه الله، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما هو الذي أمر الله به أن يوصل وقطعه هؤلاء الفاسقون؟

ج: أمر الله ﷻ بأن يوصل الآتي:

١- التصديق بجميع أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، فأمرنا الله أن نؤمن بهم جميعًا ولا نكفر بواحدٍ منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١] فمن كذَّب واحدًا من المرسلين فقد كذبهم جميعًا، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]، وهم إنما كذبوا نبيهم.

٢- أمر الله ﷻ أن توصل عبادته في الأرض فيعبده كل جيل في كل زمان ومكان ويقيمون شرائعه ويحفظون حدوده.

٣- أمر الله ﷻ بوصل القول بالعمل.

٤- أمر الله ﷻ أن توصل الأرحام فقال سبحانه: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ

أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٢، ٢٣].

فقطع المفسدون في الأرض هذا كله، فأشركوا بالله ﷻ ما لم ينزل به سلطانًا، وناقض عملُهم قولَهم، وقطعوا الأرحام وآمن بعضهم ببعض النبيين وكفر ببعض، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما صورة الإفساد في الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [البقرة:٢٧]؟

ج: للإفساد في الأرض صور منها:

❁ عبادة غير الله ﷻ، والجور في الأفعال، وارتكاب الكبائر وإحداث البدع والإسراف في المعاصي وسفك الدماء.

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز نقض العهد مع الكفار أو الفساق؟

ج: لا يجوز نقض العهد مع الكفار ولا مع الفساق ولا مع المؤمنين.

❁ قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة:١].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل:٩١، ٩٢].

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا

Nourpedia.com

قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٩٤، ٩٥].

❁ وأمر الله نبيه ﷺ إذا خاف من قوم خيانة أن ينبذ إليهم عهدهم قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٖ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

❁ وقال النبي ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه..»[1].

MOSTAFAALADWY.COM

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ منها حديث ابن عمر في الصحيحين (عند البخاري ٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

الكلمة	معناها
﴿تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾	تجحدون وجوده ـ تعبدون معه غيره.
﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾	علا وارتفع ـ وقيل: أقبل وقصد، لتعديها بإلى، والله أعلم.
﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾	سوى سطوحهن بالإملاس فلا اعوجاج ولا صدوع فيهن ولا فطور، وقيل: قضاهن، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت:١٢].
﴿عَلِيمٌ﴾	عالم تمام العلم.

ج: في معناها قول الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١].

س: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] استفهام ما المراد به؟

Nostrapdf.com

ج: المراد من هذا الاستفهام التوبيخ والتعجب والتقرير فيُتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجج، ويوبخوا لذلك والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] فيه موتتان وإحياءان وضحهما.

ج: أرجح الأقوال لديَّ في ذلك - والله تعالى أعلم - ما يلي:

❁ أن الموتة الأولى هي قبل خروجهم إلى الدنيا من بطون أمهاتهم وقت أن كانوا عدمًا أو وقت أن كانوا حاملي الذكر لا يذكرون كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

❁ الإحياء الأول هو خلقهم.

❁ والموتة الثانية هي عند انقضاء آجالهم.

❁ والإحياء الثاني هو إحياؤهم يوم القيامة(١)، والله تعالى أعلم.

---

(١) واختار نحوه الطبري رحمه الله: وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بيَّنَّا بتأويل قول الله جل ذكره: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم﴾ الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أن معنى قوله: ﴿وكنتم أمواتًا﴾ أموات الذكر خمولاً في أصلاب آبائكم نطفًا لا تُعرفون ولا تُذكرون فأحياكم بإنشائكم بشرًا سويًّا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتًا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك كما قال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨] لأن الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب كما قال جل ذكره: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

وعلَّل ابن جرير رحمه الله اختياره لهذا القول بقوله (قبل أن يورده) (١/ ص:١٢٤): فأما وجه تأويل من تأول قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ أي: لم تكونوا شيئًا فإنه ذهب إلى

ARABALADY.COM

فإن قيل: هذا لم يشتمل على الحياة التي تكون في القبر، فالإجابة على ذلك أنها لم تذكر في هذه الآية الكريمة؛ لأنها في حكم الحياة الدنيا أو لعلها لم يعتد بها في هذا المقام، والله أعلم.

وثمَّ أقوال أخر في تفسير الإماتتين والإحياءين نورد بعضها.

❁ منها: أن الموتة الأولى هي أثناء وجودهم في ظهر آدم عليه السلام.

والإحياء الأول: إخراجهم من ظهره.

والموتة الثانية: هي الموت بعد أن يعيشوا ما كتبه الله لهم من عمر في الحياة الدنيا.

والإحياء الثاني: هو البعث للحساب.

❁ ومنها: أن الموتة الأولى: نُطفًا في أصلاب الرجال.

والإحياء الأول: نقلهم من الأرحام.

والموتة الثانية: الموت في الدنيا بعد انقضاء الأجل.

الإحياء الثاني: الإحياء في القبر للمسألة.

=نحو قول العرب للشيء الدارس، والأمر الخامل الذكر: هذا شيء ميت، وهذا أمر ميت يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودُرُوس أثره من الناس، وكذلك يقال في ضد ذلك وخلافه: هذا أمر حيٌّ، وذكر حيٌّ يراد بوصفه ذلك أنه نابه متعالم في الناس كما قال أبو نُخيلة السعدي:

فأحييت لي ذكري وما كنت خاملاً ولكن بعض الذكر أنبَهُ من بعض

يريد بقوله: (فأحييت لي ذكري) أي: رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورًا حيًّا بعد أن كان خاملاً ميتًا فكذلك تأويل قول من قال في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ لم تكونوا شيئًا أي: كنتم خمولاً لا ذكر لكم، وذلك كان موتكم فأحياكم فجعلكم بشرًا أحياء تُذكرون وتُعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم من دروس ذكركم وتعفِّي آثاركم وخمول أموركم ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرًا كالذي كنتم قبل الإماتة تتعارفون في بعثكم وعند حشركم. والله أعلم.

Mostafawy.com

والموتة الثالثة: هي إماتتهم في القبر.

والإحياء الثالث: حياة النشر إلى الحشر.

فعلى هذا القول الثاني هي ثلاث إماتات وثلاثة إحياءات.

وإذا انضم إليها كونهم في صلب آدم وإخراجهم من ظهره والشهادة عليهم فهي على هذا الأخير أربع موتات وأربعة إحياءات.

وأضاف إليهم البعض (موتة وإحياء ليس عليهما دليل صحيح) وهما أنه سبحانه خلقهم قبل آدم كالهباء ثم أماتهم (فهي خمس إذا أضيف إليها هذا القول الذي ليس عليه دليل) وثَمَّ موتة سادسة وهي للعصاة من أمة محمد ﷺ. إذا دخلوا النار يميتهم الله ﷻ فيها إماتة ثم يحييهم[1].

س: ما مدى صحة حديث خلق الله ﷻ التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل؟

ج: الراجح في هذا الحديث أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ، وقد أخرجه الإمام مسلم رحمه الله (حديث ٩٨٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

MOSTAFAADEL.COM

رسول الله ﷺ، لكن رجَّح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه من حديث أبي هريرة عن كعب الأحبار (وليس عن رسول الله ﷺ) وهذا هو الصحيح والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خلق الله لنا ما في الأرض جميعًا؟

ج: فريق من أهل العلم يقولون: خلق الله لنا ما في الأرض لنعتبر ونتعظ ونوقن بالموت وبالجزاء وبالحساب.

❁ ومن العلماء من يقول: خلقها الله عَزَّوَجَلَّ للانتفاع بها.

❁ ومن العلماء من يقول: (لتتقووا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته).

❁ والصواب في ذلك عندي - والله أعلم - أن كل ذلك وارد فمما خلقه الله لنا أشياء للانتفاع، ومما خلقه الله لنا أشياء للاعتبار والاتعاظ، ومما خلقه الله لنا أشياء لنتقوى بها على طاعته سبحانه وننزجر بها عن معصيته والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: بعض العلماء يرى أن الأصل في الأشياء المخلوقة هو الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل هل من دليل يشهد لهم على صحة ما ذهبوا إليه؟

ج: الدليل هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

Mostafa4dawi.com

س: أيهما خُلق أولاً الأرض أم السماء؟

ج: نورد هنا أولاً - بمشيئة الله تعالى - جملة الآيات التي يمكن أن يُستدل بها في هذا الباب.

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت:٩- ١٢].

الآية الثالثة: وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٢٧- ٣٣].

الآية الرابعة: وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [إبراهيم:٣٢].

الآية الخامسة: وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠].

هذا غاية ما يمكن أن يُستدل به في هذا المقام، وبالنظر في مجمل هذه الأدلة لم يتضح لي منها أيهما خُلق أول على وجه التحديد الدقيق فغاية ما يستفاد منها لدي ما يلي:

الآية الأولى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]. يُستفاد منها أن خلق ما في

الأرض جميعًا كان قبل تسوية السموات[١].

الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ٩ - ١١].

تفيد هذه الآية الكريمة أن خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كان قبل الاستواء إلى السماء وهي دخان.

۞ لكن لنا عند هذه الآية الكريمة وقفة تتلخص في الآتي:

۞ أن الأرض خلقت في يومين كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

۞ أن جعل الرواسي من فوقها والبركة فيها وتقدير الأقوات فيها كل ذلك كان في أربعة أيام كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾.

لكن ينشأ هنا سؤال ألا وهو: هل الأربعة أيام تبدأ من ابتداء خلق الأرض أم بعد اليومين اللذين خلق الله ﷻ فيهما الأرض؟

۞ فإن قلنا بالأول فيستقيم لنا القول إلى حدٍّ ما فيكون خلق الأرض وجعل الرواسي فيها والبركة فيها وتقدير الأقوات كل ذلك في أربعة أيام.

وقضاء السموات السبع كان في يومين فيكون الإجمالي ستة أيام، وقد قال الله ﷻ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الفرقان: ٥٩].

۞ وإن قلنا بالثاني تكون الأرض خلقت في يومين، وتقدير الأقوات في

---

(١) وهذا إذا اعتبرنا أن (ثمَّ) هنا تفيد الترتيب الزمني.

MOSTAFAADAWY.COM

أربعة أيام ثم يأتي قضاء السموات في يومين فيكون الإجمالي ثمانية أيام، وهذا لا يوجد له مستند صحيح - فيما علمت - بل المستند يعارضه وهو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ إلا أن يُقال: إن خلق السموات وكونها كانت دخانًا كان قبل خلق الأرض لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ فهذا له وجه والله أعلم

الآية الثالثة: وهي قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ **[النازعات:٢٧]** تُفيد أن بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإخراج ضحاها كان قبل دَحْو الأرض.

الآية الرابعة: فليس فيها دليل واضح يُحدد أيتهما خلق أول.

الآية الخامسة: تفيد أنهما كانتا رتقًا (أي: ملتصقتين).

هذا غاية ما ظهر لي من أدلة من كتاب الله ﷻ يمكن أن يستشهد بها وهذه أوجه الاستشهاد التي ظهرت لي منها وها هي أيضًا أقوال بعض العلماء في هذا الباب، وبالله التوفيق.

۞ أخرج البخاري[(١)] في صحيحه من طريق المنهال عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء يختلف عليَّ، قال: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ **[المؤمنون:١٠١]**. وقال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ **[الطور:٢٥]**، ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ **[النساء:٤٢]**، ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ **[الأنعام:٢٣]** فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ **[النازعات:٢٧-٣٠]** فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾

---

(١) وصله البخاري ﷺ بعد إيراد الحديث وذلك (مع الفتح ٨/ ٥٥٥ - ٥٥٦).

Nosrabooy.com

إلى ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:٩- ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦] ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٨٥] فكأنه كان ثم مضى.

فقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى، ثم يُنفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور:٢٥]، وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣] و﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف الله لا يكتم حديثًا، وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [النساء:٤٢]، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٣٠]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاًّ من عند الله.

۞ وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة الآيات ثم قال: وفي هذا دلالة على أنه ابتدأ بخلق الأرض أولاً ثم خلق السموات سبعًا، وهذا شأن البناء أن يُبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك، وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء الله، فأما قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ

لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٢٧- ٣٣] فقد قيل: إن «ثمَّ» هاهنا إنما هي لعطف الخبر على الخبر لا لعطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقيل: إن الدحي كان قبل خلق السموات.

ثم قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض وفي «صحيح البخاري» أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا، وقد حررنا ذلك في سورة النازعات، وحاصل ذلك أن الدحي مُفَسَّر بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل لما أكملت سورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحا بعد ذلك الأرض فأخرجت ما كانت مودعًا فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة،

Mostafawy.com

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم.

❁ أما القرطبي رحمه الله فذكر أقوالاً وختمها بقوله: فقد اختلفت فيه الأقاويل وليس للاجتهاد فيه مدخل، والله أعلم بما فعل.

وقال ابن جزي الكلبي في تفسيره: فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ظاهره خلاف ذلك.

والجواب من وجهين: أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض، والآخر: تكون ثم لترتيب الأخبار والله أعلم.

وقال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير»: وقد استدل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء، وكذلك الآية التي في («حم» السجدة) [1] وقال في «النازعات»: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ فوصف خلقها ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ فكأن السماء على هذا خلقت قبل الأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وقد قيل: إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء، ودحوها متأخر، وقد ذكر نحو هذا جماعة من أهل العلم، وهذا جمع جيد لا بد من المصير إليه ولكن خلق ما في الأرض لا يكون إلا بعد الدحو [2]، والآية المذكورة هنا دلت على أنه خلق ما في الأرض قبل خلق السماء، وهذا يقتضي بقاء الإشكال وعدم التخلص منه بمثل هذا الجمع.

❁ وقد أورد صديق حسن خان في كتابه «فتح البيان» قول الشوكاني هذا ثم

---

(١) يعني «فصلت» والمراد بالآية قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ...﴾ الآيات.

(٢) لا يلزم ذلك فالله على كل شيء قدير.

قال: ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ في السورتين المذكورتين أن (ثُمَّ) [١] ذللتراخي الرتبي لا للتراخي الزماني، أو أن (بعد) بمعنى (مع) كما في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣] أو أنها بمعنى (قبل) كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء:١٠٥] أي: من قبل الذكر فيزول ما ذكره عَلَيْهِ السَّلَامُ من بقاء الإشكال.

وقال عبد القادر بن شيبة الحمد في «تفسيره»: وقد ظن بعض الناس في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ حسبوا أنه يدل على أن الأرض مخلوقة بعد السماء، وهو فهم خاطئ لأن قوله وَجَلَّ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:٣٠] أي مع ذلك لأن قوله هنا بعد ذلك فـ(بعد) تستعمل بمعانٍ منها (مع) الذي هو المراد هنا وكأنه يقول إن في خلق السموات الأرض آية بينة كافية شافية في قدرة الله على كل شيء، ومع ذلك فقد خلق الأرض فهي آية أخرى كافية شافية وقد استعمل [٢] القرآن كلمة بعد بمعنى (مع) في قوله وَجَلَّ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:١٣]، أي: غليظ جافٍ ومع ذلك فهو زنيمٌ أي: دَعِيٌّ، ولا شك أن هذا الوصف بكونه زنيمًا عرف فيه قبل وصفه بالأوصاف السابقة إذ نسب إلى

---

(١) قال الرازي عَلَيْهِ السَّلَامُ «التفسير الكبير» (٢/ ١٤٣): الصحيح أن قوله (ثم) ليس للترتيب ههنا وإنما هو على جهة تعديد النعم، مثاله قول الرجل لغيره: أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا ههنا، والله أعلم.

وقال الزمخشري في «الكشاف»: (ثمَّ) ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد:١٧].

(٢) كلمة (استعمل القرآن)، أو (يقول القرآن) لم أعهدها مستعملة في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فالذي أراه – والله أعلم – أنها تبدل بالوارد في السنة وفعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كأن يقول: قال الله في كتابه الكريم ونحو ذلك، والله أعلم.

Mostafa4dawy.com

ذلك عندما جاءت به أمه لعنه الله[١] وصريح القرآن ناطق بأن الله خلق الأرض قبل خلق السموات في أكثر من مقامٍ في الذكر الحكيم.

قلت: وثَمَّ قول آخر يتألق بدليله ألا وهو أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين فانفصلت إحداهما عن الأخرى، انفصلت السماء على أنها دخان، والدليل على هذين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠] وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١] فتمت بعض الأعمال في الأرض ثم استوى ربنا سبحانه إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات، وبعد ذلك دُحيت الأرض، والله أعلم بما فعل وأحكم، ورَدُّ العلم إليه أولى وأسلم.

❁ ❁ ❁

س: استدل بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩] على تحريم أكل الطين فما وجه استدلالهم وما مدى صحته، وما هو حكم أكل الطين على الصحيح؟

ج: أما وجه استدلالهم فهو أنهم قالوا: إن الله تعالى خلق لنا ما في الأرض دون نفس الأرض، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي.

أما حكم أكل الطين فهو محرم - والله أعلم - لكونه مضرًّا بالصحة، ولأنه ليس من الطيبات من الرزق... إلى غير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) سيأتي بيان ما في هذا في محله إن شاء الله.

Nosrabadi.com

س: ما معنى (استوى) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾؟

ج: ابتداء من أهل العلم مَن سكت عن تفسير الاستواء في هذه الآية الكريمة، فقال هذا الفريق من أهل العلم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها، ونقل عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال - وقد سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[1]، أخرجوه.

بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى تأويلها والتماس معانيها، ولهؤلاء جملة أقوال في تفسيرها أشهرها قولان:

الأول: استوى هنا بمعنى علا وارتفع واستدل أصحاب هذا القول بقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨] وبقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ...﴾ [الزخرف:١٣].

وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري رحمه الله وعددٍ من المفسرين.

❁ وقال البغوي رحمه الله في «تفسيره»: قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي: ارتفع إلى السماء.

الثاني: أن استوى هنا معناه قصد، وهذا اختيار طائفة من أهل العلم منهم الحافظ ابن كثير رحمه الله فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩] أي: قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عُدِّي بـ (إلى).

---

(١) نقله عنه غير واحد منهم الطبري رحمه الله.

Mostafawy.com

۞ وذكر الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «النكت والعيون» أربعة معان أخر للاستواء.

۞ وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»: (استوى) ترد في القرآن على ثلاثة معان فتارة لا تعدى بالحرف فيكون معناها: الكمال والتمام كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤]، وتارة تكون بمعنى (علا)، و(ارتفع) وذلك إذا عُدِّيت بـ (على) كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] و﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٣]، وتارة تكون بمعنى (قصد) كما إذا عُدِّيت بـ (إلى) كما في هذه الآية، أي: لما خلق الله تعالى الأرض قصد إلى خلق السموات فسواهن سبع سموات فخلقها وأحكمها وأتقنها.

ويجدر بنا أن ننقل قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المقام[1].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩].

قال أبو جعفر: اختلفوا في تأويل: «ثم استوى إلى السَّماء».

فقال بعضهم: معنى استوى إلى السماء، أقبل عليها، كما تقول: كان فلان مقبلاً على فلان، ثم استوى عليَّ يشاتمني - واستوى إليَّ يشاتمني. بمعنى أقبل عليَّ وإليَّ يشاتمني. واستُشْهِد على أنَّ الاستواء بمعنى (الإقبال) بقول الشاعر:

---

(١) وهذه الإطالة لأن كلمة (استوى) سَتُكَرّر كثيرًا فحتى لا أرجع إلى الإطالة في تأويلها أطلت في هذا المقام وما توفيقي إلا بالله.

MOSTAFAADWI.COM

أَقُــولُ وقــد قَطَعْــنَ بِنَــا شَــرَوْرَى سَــوَامِدَ، واسْــتَوَيْنَ مِــنَ الضَّــجُوعِ[١]

فزعم أنه عني به أنهن خرجن من الضَّجوع، وكان ذلك عندهم بمعنى: أقبلن. وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ، وإنما معنى قوله: «واستوين من الضَّجوع»، استوين على الطريق خارجات، بمعنى استقمن عليه.

وقال بعضهم: لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل، ولكنه بمعنى فعله، كما تقول: كان الخليفة في أهل العراق يواليهم، ثم تحوَّل إلى الشام. إنما يريد: تحوَّل فِعله. [وقال بعضهم: وله: «ثم استوى إلى السماء» يعني به: استوت].

كما قال الشاعر:

أقــولُ لهــا لمَّــا اســتَوى في تُرَابــه عَلَــى أيِّ دِيــن قتَّــل النَّــاس مُصْــعبُ

وقال بعضهم: «ثم استوى إلى السماء»، عمدَ لها. وقال: بل كلُّ تارك عملاً كان فيه إلى آخر، فهو مُستوٍ لما عمدَ له، ومستوٍ إليه.

وقال بعضهم: الاستواء هو العلو، والعلوُّ هو الارتفاع. وممن قال ذلك الربيع بن أنس:

حُدِّثت بذلك عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: «ثم استوى إلى السماء». يقول: ارتفع إلى السماء[٢].

ثم اختلف متأوِّلو الاستواء بمعنى العلوِّ والارتفاع، في الذي استوى إلى

---

(١) البيت لتميم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم: ٧٩٥، ٨٥٧)، وروايته «ثواني» مكان «سوامد». وشروري: جبل بين بني أسد وبني عامر، في طريق مكة إلى الكوفة. والضجوع - بفتح الضاد المعجمة -: موضع أيضًا بين بلاد هذيل وبني سليم. وقوله: «سوامد» جمع سامد. سمدت الإبل في سيرها: جدت وسارت سيرًا دائمًا، ولم تعرف الإعياء. «وسوامد»: دوائب لا يلحقهن كلال. والنون في «قطعن» للإبل. قاله أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ضعيف لقوله حُدثت.

السماء. فقال بعضهم: الذي استوى إلى السماء وعلا عليها، هو خالقُها ومنشئها. وقال بعضهم: بل العالي عليها: الدُّخانُ الذي جعله الله للأرض سماء.

قال أبو جعفر: الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه:

منها: انتهاءُ شباب الرجل وقوَّته، فيقال إذا صار كذلك: قد استوى الرَّجُل.

❁ ومنها: استقامة ما كان فيه أوَدٌ من الأمور والأسباب، يقال منه: استوى لفلان أمرُه. إذا استقام بعد أوَدٍ، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم:

طَالَ عَلَى رَسْمِ مَهْدَدٍ أَبَدُهْ ... وعَفَا واسْتَوَى بِهِ بَلَدُه

يعني: استقام به.

❁ ومنها: الإقبال على الشيء يقال: استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بَعد الإحسان إليه.

❁ ومنها: الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلانٌ على المملكة. بمعنى: احتوى عليها وحازَها.

❁ ومنها: العلوُّ والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان على سريره. يعني به: علوَّه عليه.

وأوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ علا عليهن وارتفع، فدبرهنَّ بقدرته، وخلقهنَّ سبع سموات.

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك - أن يكون إنما عَلا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر.

MOSTAFALADY.COM

ثم لم يَنْجُ مما هَرب منه! فيقال له: زعمت أن تأويل قوله «استوى» (أقبلَ)، أفكان مدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أنَّ ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقُلْ: علا عليها علوَّ مُلْك وسُلْطان، لا علوَّ انتقال وزَوال. ثم لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله. ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولاً، لقول أهل الحق فيه مخالفًا، وفيما بينا منه ما يُشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال متقاربة، منها:

❁ سوى سطوحهن بالإملاس.

❁ وقيل: جعلهن سواء.

❁ وقيل: قضاهن، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢].

❁ وقيل: عدل خلقهن فلا اعوجاج فيها ولا فطور[١] ولا صدوع.

❁ وقال الطبري رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ فإنه يعني: هيأهن وخلقهن ودبَّرهن وقوَّمهن، والتسوية في كلام العرب التقويم والإصلاح والتوطئة كما يقال: سوَّى فلان لفلانٍ هذا الأمر إذا قوَّمه وأصلحه ووطَّأه له، فكذلك[٢] تسوية الله جل ثناؤه سماواته تقويمه إياهن على مشيئته وتدبيره لهن

---

(١) الفطور: التشققات، ومنه تفطرت قدماه...، وقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك:٣].

(٢) كذا قال، وهي مع الفارق ولا شك.

MOSTAFALABIB.COM

على إرادته وتفتيقهن بعد ارتتاقهن، والله أعلم.

س: ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم عدة آيات تفيد أن السموات سبع منها قوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون:٨٦] إلى غير ذلك من الآيات وكذلك من الأحاديث في حديث المعراج ما يشهد لكون السموات سبعًا إلى غير ذلك من الأحاديث، فهل من دليل يفيد أن الأرضين سبع؟

ج: أما من كتاب الله ﷻ فلا أعلم دليلاً صريحًا على أن الأرضين سبع إلا أن يكون قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢] وهذا إذا أريد بالمثلية هنا المماثلة في العدد.

❁ أما من السنة فمن الأدلة التي تشير إلى ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظلم من الأرض شيئًا طُوِّقه من سبع أراضين»[(١)].

بعض الأدلة على علو الله ﷻ

س: أين الله؟ اذكر الأدلة على ما تقول.

ج: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في السماء مستوٍ على العرش، أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة منها أدلة من كتاب الله وأدلة من سنة رسول الله ﷺ أما الأدلة من الكتاب العزيز فمنها ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

MOSTAFALAW.COM

❁ قولـه تعـالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦، ١٧].

❁ قولـــــه تعـــــالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

❁ قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل:٥٠].

❁ قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

❁ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

❁ قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

❁ قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

❁ قولـه تعـالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل:٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

❁ وقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦].

وأما الأدلة من السنة ففي غاية الكثرة أيضًا نورد منها:

Nosrfaraday.com

❁ قول النبي ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً...**» الحديث[(١)].

❁ ما أخرجه البخاري رحمه الله حديث (٧٤٢٠) من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «**اتق الله وأمسك عليك زوجك**»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات.

❁ حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي**». أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

❁ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري رحمه الله (٧٤٢٣) عن النبي ﷺ قال: «**من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يُدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**»، قالوا: يا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (ص ٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ، من اليمن، بذهبةٍ في أديم مقروظ. لم تحصل من ترابها. قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصينٍ، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن عُلاثة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجلٌ من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. قال: فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**» قال: فقام رجل غائر العينين. مشرف الوجنتين. ناشز الجبهة. كث اللحية. محلوق الرأس. مشمر الإزار. فقال: يا رسول الله! اتق الله. فقال: «**ويلك! أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**» قال: ثم ولي الرجل. فقال خالدٌ: وكم من مصل يقولُ بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إني لم أُومر أن أَنْقُبَ عن قلوب الناس. ولا أشق بطونهم**» قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍّ فقال: «**إنه يخرج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يتلون كتاب الله. رطبًا لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**». قال: أَظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**».

Nosrafadwr.com

رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة[1] وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنة».

❁ قول النبي ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء**».

❁ قول النبي ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**». أخرجه البخاري (حديث ٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

❁ قول النبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». أخرجه مسلم (حديث ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه به.

❁ حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (ص ١٠٦٠) وفيه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها (وفي رواية: إلى فراشه) فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**».

أخرج مسلم[2] حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حجة النبي ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال: «... **وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد اللهم اشهد**» (ثلاث مرات) الحديث.

---

(١) ومن المعلوم أن الجنة في السماء وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله بما فيه كفاية.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٢١٨).

Mostafa.dawi.com

۞ وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء به الروح الأمين[١] ... الحديث.

۞ وأخرج البخاري[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد[٣] إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**».

۞ وأخرج مسلم في «صحيحه»[٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]** ثم ذكر **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك**».

۞ وأخرج مسلم[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه» من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفي رواية: النار) لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٠)

(٣) هكذا في هذه الرواية للبخاري، وفي رواية البخاري الأخرى ورواية مسلم (١٠١٤): «ولا يقبل».

(٤) حديث (١٠١٥).

(٥) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩).

MOSTAFADAWY.COM

❁ ومنها حديث مالك بن صعصعة[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلاً بين الرجلين - فَأُتِيتُ بطست من ذهب ملآن حكمةً وإيمانًا، فَشُقَّ من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماءِ زمزم، ثم ملئ حكمةً وإيمانًا وأُتيت بدابةٍ أبيض دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل، حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به؛ ولنعم المجيءُ جاء. فأتين على آدم فسلمت عليه فقال: مرحبًا بك من ابن ونبي. فأتينا السماء الثانية. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك. قال: محمد ﷺ، قيل: أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء. فأتيت على عيسى، ويحيى، فقالا: مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ. فأتينا السماء الثالثة. قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيءُ جاء، فأتيت على يوسف فسلمت، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي. فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ. فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: ومن معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء. فأتينا على هارون، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ. فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبًا به، نعم المجيء جاء. فأتيت على

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (حديث ١٦٤).

موسى فسلمت عليه فقال: مرحبًا بك من أخ ونبيٍّ. فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب، هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي. فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبًا به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍّ. فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يومٍ سبعون ألف ملكٍ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. ورفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران. فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات. ثم فرضت عليَّ خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت عليَّ خمسون صلاة. قال:أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك فسله. فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرًا فأتيت موسى فقال:مثله. فجعلها خمسًا فأتيت موسى فقال: ما صنعت، قلت: جعلها خمسًا فقال: مثله. قلت: فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرًا».

❁ وأخرج البخاري (حديث ٦٤٠٨)، ومسلم (حديث ٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم» قال: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا» قال: «فيسألهم ربهم ﷻ - وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟» قال: «تقول: يسبحونك ويكبرونك

ويحمدونك ويمجدونك» قال: «فيقول: هل رأوني؟» قال: «فيقولون: لا والله ما رأوك» قال: «فيقول: كيف لو رأوني؟» قال: «يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا». قال: «يقول: فما يسألوني؟» قال: يسألونك الجنة. قال: «يقول: وهل رأوها؟» قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟». قال: «فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟» قال: «يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم بها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟» قال: «يقولون: من النار». قال: «يقول: وهل رأوها؟» قال: «فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها». قال: «يقول: فكيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة». قال: «فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم». قال: «يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم».

❁ وأخرج البخاري[1] رضي الله عنهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض» - ووصف سفيان بكفه فحرَفها وبدد بين أصابعه - «فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء».

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٨٠٠).

Mostafa.com

❁ وأخرج البخاري (حديث ١١٤٥) وفي عدة مواطن من صحيحه ومسلم حديث (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

❁ ❁ ❁

س: وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نفسه بالعلم في جملة آيات اذكر بعضها.

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر:٣٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:١٤].

❁ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد:٨].

❁ وقال تعالى: ﴿❁ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

❁ وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص:٦٩]

❁ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل:١٩].

❁ وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف:٧].

❁ ❁ ❁

noorsabeel.com

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]؟

ج: أوجز الطبري رحمه الله القول في هذا فقال في «تفسيره» (ص:٧٣٤): فمعنى الكلام إذًا: هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الأرض جميعًا وسخره لكم تفضلاً منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغًا في دنياكم ومتاعًا إلى موافاة آجالكم ودليلاً لكم على وحدانية ربكم ثم علا إلى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه، وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه.

MOSTAFAALADWI.COM

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

الكلمة	معناها
﴿جَاعِلٌ﴾	خالق.
﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	السفك هو: الصب، ولا يكون إلا في الدماء ـ والمراد بسفك الدماء: القتل، والله أعلم.
﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾	ننزهك عن كل ما لا يليق بك ونحمدك إذ وفقتنا له، أو نقول: سبحانك اللهم وبحمدك أو سبحان الله وبحمده، نمزج الحمد بالتسبيح ـ نسبحك ونحمدك .
﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾	نطهرك من كل ما يصفك به أعداؤك من كل ما لا يليق بك.

س: ما اتصال هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة:٣٠] بالآيات التي قبلها؟

ج: قال القاسمي رحمه الله في «محاسن التأويل» في الفوائد المستنبطة من هذه الآية:

الرابع: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب الناس ومحاجتهم في النبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا وبطلان ما جحدوا، فإذا كان الملأ الأعلى قد مُثلوا على

mostafa.com

أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين، وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين، أي: فعليك يا محمد أن تصبر على هؤلاء المكذبين وترشد المسترشدين وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبين، وهذا الوجه هو الذي يبين اتصال هذه الآيات بما قبلها وكون الكلام لا يزال في موضوع الكتاب[١]، وكونه لا ريب فيه، والرسول، وكونه يُبلغ وحي الله تعالى ويهدي به عباده واختلاف الناس فيها.

❀ ❀ ❀ ❀

س: هل يلزم أن يكون هناك ترابط بين معنى الآية والآية التي تليها، وتكون هناك مناسبة لذكر آية بعد آية؟

ج: قد يلزم ذلك في بعض الأحيان ويكون هناك صلة قوية ومناسبة لائقة لإيراد آية بعد آية تتمم معناها وتوضح مبناها وتفسر ما غمض منها وتزيل ما أشكل فيها إلى غير ذلك من المناسبات التي تربط الآيات بعضها ببعض هذا في كثير من الأحيان، لكن لا يستلزم أن يكون هذا موجودًا في كل الأحيان، فأحيانًا تكون الآية الجديدة تبدأ بمعنى جديد لا علاقة له بالمعنى الذي سبقه، ولندع المجال للشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ حيث ذكر في «فتح القدير» ما نصُّه[٢]:

«اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة

---

(١) أي القرآن، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢].

(٢) «فتح القدير» (١/ ٧٢).

على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهمّ من التأليف، كما فعله البقاعي في «تفسيره» ومن تقدّمه حسبما ذكر في خطبته، وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرَّقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أن قبضه الله ﷻ إليه، وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حرامًا، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يتناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى، وتارة مع من حضر، وحينًا في عبادة، وحينًا في معاملة، ووقتًا في ترغيب، ووقتًا في ترهيب، وآونة في بشارة، وآونة في نذارة، وطور في أمر دنيا، وطورًا في أمر آخرة، ومرة في تكاليف آتية. ومرة في أقاصيص ماضية؛ وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين (الضب، والنون، والماء، والنار، والملاح، والحادي)، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع أي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف، تقرَّر عنده أن هذا أمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة، وتبين الأمر الموجب للارتباط؛ فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك، فوجده تكلفًا محضًا، وتعسفًا

بينًا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتبًا على هذا الترتيب الكائن في المصحف؛ فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب، وأيسر حظ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنه لم يكن كذلك، ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول، المطلعين على حوادث النبوَّة، فإنه ينثلج صدره، ويزول عنه الريب، بالنظر في سورة من السور المتوسطة، فضلاً عن المطوَّلة لأنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أوَّل ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، وبعده: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١]، وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف؟ وإذا كان الأمر هكذا، فأيُّ معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعًا أنه قد تقدَّم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخرًا، وتأخر ما أنزله الله متقدمًا، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدَّى لذلك من الصحابة، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته، وأحقر فائدته، بل هو عند من يفهم ما يقول ما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس، وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحًا وأخرى هجاء، وحينًا نسيبًا وحينًا رثاء، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه، ثم تكلف تكلفًا آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في

Nostrabook.com

النكاح ونحو ذلك؛ وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك، لعدَّ هذا المتصدي لمثل هذا مصابًا في عقله متلاعبًا بأوقاته عابثًا بعمره الذي هو رأس ماله؛ وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر، فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربيٌّ، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب. وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متخالفة، وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين، فضلاً عن المقامات، فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حيًّا، وكذلك شاعرهم. ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحتها كثير من المحققين، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هاهنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام، فإذا قال متكلف: كيف ناسب هذا ما قبله؟ قلنا: لا كيف.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما العامل في (إذ) عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]؟

ج: العامل فيها (واذكر) [1]، والمعنى: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قال صديق حسن خان في «فتح البيان» بعد أن أورد ما ذكرته: وكل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله، وقيل:

---

(١) هذا هو رأي الأكثر، وبعض العلماء يقول: العامل فيه: وابتدأ خلقكم بقوله سبحانه للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وثَمَّ قول ثالث وهو اعبدوا ربكم الذي خلقكم.. إذ قال للملائكة... والله أعلم.

MOSTAFALADAWI.COM

(إذ) زائدة والأول أوجه[١].

قلت: يعني رَحِمَهُ اللَّهُ: أن كل ما فيه (إذ..) فالعامل فيه (واذكر)، وهذا الذي ذكره صديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ هو قول البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره».

❀ ❀ ❀

س: ما معنى (إذ) وما الفرق بين (إذ)، و(إذا)؟

ج: قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»: و(إذ)، و(إذا) حرفا توقيت إلا أن (إذ) للماضي، و(إذا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر، قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضيًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠] يريد: «وإذ مكروا»، وإذا جاء (إذا) مع الماضي كان معناه مستقبلاً كقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤] ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] أي: يجيء، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: من الملائكة؟

ج: هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، لا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون، خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ من (نور)

---

(١) هكذا تلطَّف صديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ مع من قال: إنها زائدة يعني: (إذ) بينما اشتد نكير غيره على من قال: إنها زائدة، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنكر هذا القول (أي: القول بأن (إذ) زائدة) الزَّجاجُ والنحاس وجميع المفسرين، قال النحاس: وهذا خطأ لأن (إذ) اسم وهي ظرف زمان ليس مما تزاد، وقال الزجاج: وهذا اجترام من أبي عبيدة.

(قلت) ورده الطبري أيضًا واستفاض في الرد، وقال ابن عطية: وكذلك رد عليه جميع المفسرين.

MOSTAFADAWY.COM

كما قال النبي ﷺ[(١)].

۞ خلقهم الله ﷻ أقوياء أمناء كما قال سبحانه عن جبريل (وهو أحدهم): ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١].

۞ وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ - قال في شأن جبريل -: «**لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين - رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء والأرض**»[(٢)].

۞ وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**جاءني جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**»، فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

۞ والملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع فمنها ما له جناحان ومنها ما له ثلاث ومنها ما له أربع كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

۞ والملائكة في أعمالهم متخصصون فمنهم: من يحف مجالس الذكر، ومنهم: ملك الجبال، ومنهم: ملائكة موكلة بحفظ أعمال العباد من خيرٍ أو

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٩٤)، وأحمد (٦/ ١٥٣، ١٦٨) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٧)، والبخاري (٤٨٥٥) وغيرهم وتعني بالمرتين المرتان المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

(٣) البخاري حديث (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

Mostafawy.com

شرٌّ، ومنهم: خزنة السماء، ومنهم: خزنة الجنة، ومنهم: خزنة النار، ومنهم: ملائكة تبلغ رسول الله ﷺ صلاة من صلى عليه وتسليم من سلم عليه، ومنهم:ملائكة رحمة وملائكة عذاب، ومنهم: حملة العرش، ومنهم: رسل الله إلى عباده المرسلين، ومنهم: من يقبض الأرواح، ومنهم: من وكِّل بالنفخ في الصور، ومنهم: من يقاتل، ومنهم: من يؤيد المقاتلين المسلمين.. إلى غير ذلك من الأعمال، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: من الخليفة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؟

ج: المراد بالخليفة هنا – والله أعلم – آدم عليه السلام، وهذا رأي أكثر أهل العلم، حتى قال القرطبي رحمه الله: والمعنى بالخليفة هنا – في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فاعترض على ما ذكره القرطبي رحمه الله فقال: إني جاعل في الأرض خليفة أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرنٍ وجيلاً بعد جيل كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠]، وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: ٥٩]، وقرئ في الشاذ: «إني جاعل في الأرض خليقة» حكاها الزمخشري وغيره، ونقله القرطبي عن زيد بن علي، وليس المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي في تفسيره

Mostafawy.com

وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذ لو كان ذلك لما حسُن قول الملائكة[١]: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية... إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: فيتحصل: أن المراد بالخليفة لأهل العلم فيه قولان:

أشهرهما أنه آدم ﷺ فهو خليفة الله في أرضه في تنفيذ أوامره[٢] وهذا قول الأكثرين.

والثاني: أن خليفة (مفرد) أريد به الجمع، والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلا العرب إطلاقه مرادًا به الجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر:٥٤] يعني: وأنهار[٣] بدليل قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء:٤] وقول العباس بن مرداس السلمي:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ ... وَقَدْ سَلِمَتْ مِنَ الْإِحَنِ الصُّدُورُ

وأنشد له سيبويه قول علقمة بن عبدة التميمي:

بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا ... فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

وقول الآخر:

---

(١) وهذا تعليل ضعيف من الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) وسأتي لذلك مزيد.

(٣) ذكره الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ «أضواء البيان» (ص ٥٧/ ١) وقال بعد ذكره: ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن علَّفَة المري:

وكان بنو فزارة شر علمٍ ... وكنت لهم كشرِّ بني الأخينا

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعُفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنُ خَمِيصُ

س: قوله تعالى: ﴿خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] يقتضي أن هذا الخليفة يخلف غيره في الأرض، فمن الذي يخلفه الخليفةُ في الأرض؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي:

- أنه خليفة الله ﷻ في أرضه في تنفيذ أوامره.
- وقيل: إنه خليفة لقوم من الجن كانوا يسكنون الأرض قبله.
- وقيل: إنه خليفة لقوم من الملائكة كانوا يسكنون الأرض، وأولى هذه الأقوال هو الأول لأنه لم يرد لنا نص من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ يفيد أن هناك جنًّا أو ملائكة كانوا يسكنون الأرض قبل آدم عليه السلام، وإنما هي أخبار إسرائيلية[1]، والله تعالى أعلم.

س: هل يجب نصب خليفة للناس؟

ج: رأى أكثر العلماء وجوب نصبه، وقال القرطبي رحمه الله: ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم..، ثم قال رحمه الله: ودليلنا قول الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

(١) أخرج ابن أبي حاتم (أثر ٣٢٢) من طريق علي بن محمد الطنافسي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة فأفسدوا في الأرض فسفكوا الدماء فبعث الله جندًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فقال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، والذي يظهر لي أن هذا من الإسرائيليات، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

[البقرة:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] أي: يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآيات.

وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك وقالوا لهم: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من كفار قريش، ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريشٍ، فلو كان فرض الإمامة غيرواجب لا في قريش ولا في غيرهم لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها، ولقال قائل: إنها ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر غير واجب، ثم إن الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة ولم يقل له أحد هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك، فدلَّ على وجوبها وأنها ركنٌ من أركان الدين الذي به قوام المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

قلت: فتتلخص الأدلة على وجوب نصب الخليفة في الآتي:

❁ **أولاً:** إجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، ومنهم الخلفاء الراشدون مع قول النبي ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**»(١).

❁ **ثانيًا:** آيات يُستأنس بها مثل قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦].

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (حديث ٤٦٠٧)، وابن ماجه (حديث رقم ٤٢)، والترمذي (حديث ٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤/ ١٢٦)، وابن أبي عاصم في السُّنة (حديث ٥٤، ٥٥)، والدارمي (١/ ٤٤ - ٤٥)، وابن حبان «موارد الظمآن» (١٠٢)، والحاكم (١/ ٩٥ - ٩٦). وقال: هذا حديث صحيح ليس له علة.

❁ **ثالثًا:** حاجة الناس إلى الخليفة لإقامة فرائض الله ﷻ وحدوده وأمور الدين ومصالح العباد، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: كيف يُختار الإمام؟

ج: ذكر العلماء لذلك أمورًا منها:

❁ ورود نصٍّ عن رسول الله ﷺ في تحديده.

❁ اكتمال خصال الإمامة فيه واختيار أهل الحل والعقد له.

❁ أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

❁ أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذٍ من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم.

س: هل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أحدٍ بعده؟

ج: لم نعلم نصًّا صريحًا عن رسول الله ﷺ في هذا الباب.

❁ وقد احتج قوم لكون رسول الله ﷺ أوصى لأبي بكر رضي الله عنه بأدلة منها:

❁ قول النبي ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»(١).

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨)، ومسلم (حديث ٤٢٠)، وأحمد (٤/ ٤١٢ - ٤١٣) وغيرهم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه فقال: مُروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» فعادت. فقال: «**مُري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف**»، فأتاه الرسول (*) فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ.

* وأخرج البخاري (٦٧٩)، ومسلم (٤١٨) من طرق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**» قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمُر عمر فليصل للناس... الحديث.

Nostrapdf.com

❁ قول النبي ﷺ للمرأة التي جاءت تسأله حاجة فقال لها: «**ائتيني من العام المقبل**»، قالت: إن لم أجدك يا رسول الله؟ قال: «**ائتي أبا بكر**»[(١)].

❁ قول النبي ﷺ لعائشة: «**ادعي لي أباك وأخاك.. إني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[(٢)].

وكل هذه الأدلة ليست صريحة في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه.

❁ واحتج قوم لكون النبي ﷺ أوصى لعلي رضي الله عنه بأدلة منها حديث: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[(٣)].

❁ وقول النبي ﷺ لعلي أيضًا: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»[(٤)].

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدْك كأنها تقول الموت - قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**».

(٢) أخرج البخاري (٥٦٦٦)، ومسلم مختصرًا (٢٣٨٧) واللفظ للبخاري من طريق القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي الله عنهما: وا رأساه، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**»، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك مُعرِّسًا ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ: «**بل أنا وا رأساه لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون**»، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

(*) يعني: الرسول الذي أرسله إليه رسول الله ﷺ.

وهذا الإسناد ظاهره الإرسال لكن له شاهد عند أحمد (٦/ ٢٢٨) ولمزيد ببحث انظر كتابنا الصحيح المسند من فضائل الصحابة.

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٦)، والنسائي في الخصائص (٨٣) وغيرهم، وله جملة طرق انظرها في المسند للإمام أحمد (١/ ٨٤، ١١٨، ١١٩، ١٥٢) والسنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٣٨)، وأحمد =

MostafaDw.com

❁ وإرسال رسول الله ﷺ عليًّا بعد أبي بكر يؤذن في الناس ببراءة وكل هذه أيضًا ليست صريحة في استخلاف علي رضي الله عنه، وأقواها من ناحية الاستدلال حديث: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»، إلا أنه كان استخلافًا خاصًّا على المدينة لما خرج رسول الله ﷺ للغزو، والنبي ﷺ استخلف على المدينة غيره أيضًا في غزوات أخر.

❁ والأمر على ما ذكره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قالوا له في مرض موته - بعد أن طُعن -: استخلف يا أمير المؤمنين، قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني أبو بكر رضي الله عنه، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ[1]. والله تعالى أعلم.

بعض شروط الإمامة

س: ما هي شروط الإمامة (الإمامة العظمى للمسلمين)؟

ج: ذكرها القرطبي رحمه الله فقال: وهي أحد عشر:

الأول: أن يكون من صميم قريش لقوله ﷺ: «**الأئمة من قريش**»[2].

وقد اختلف في هذا[3].

=(١/ ١٨٢) وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا.

(١) ومن المعلوم أن عمر رضي الله عنه لم ينص على أحد بعينه كخليفة من بعده، ولكنه ترك الأمر شورى في ستة مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) صحيح بمجموع طرقه فله عدة طرق أشار إليها الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٣/ ١٢٢).

(٣) تعقب الشنقيطي رحمه الله هذه الفقرة فقال «أضواء البيان» (١/ ٦١): الاختلاف الذي ذكره القرطبي في اشتراط كون الإمام قرشيًّا ضعيف، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على تقدم قريش في الإمامة على

MOSTAFAADEL.COM

الثاني: أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضيًا من قضاة المسلمين مجتهدًا لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث[١]، وهذا متفق عليه.

الثالث: أن يكون ذا خبرة[٢] ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسدِّ الثغور وحماية البيضة وردع الأمة والانتقام من الظالم والأخذ للمظلوم.

=غيرهم وأطبق عليه جماهير العلماء من المسلمين، وحكى غير واحدٍ عليه الإجماع، ودعوى الإجماع تحتاج إلى تأويل ما أخرجه الإمام أحمد عن عمر بسندٍ رجاله ثقات أنه قال: «إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته» فذكر الحديث، وفيه: «فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل» ومعلوم أن معاذًا غير قرشي، وتأويله بدعوى انعقاد الإجماع بعد عمر أو تغيير رأيه إلى موافقة الجمهور، فاشتراط كونه قرشيًّا هو الحق.

لكن النصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله، فإن خالفوا أمر الله فغيرهم ممن يطيع الله تعالى وينفذ أوامره أولى منهم، فمن الأدلة الدالة على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه قال: «باب الأمراء من قريش» حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعمٍ يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفدٍ من قريش أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك قحطان فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه قد بلغني أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ(*) وأولئك جُهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين**»(**).

(*) قلت: بل هذا الحديث مأثور عن رسول الله ﷺ وهو في الصحيح: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»، وانظره في كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

(**) أخرجه البخاري (٧١٣٩).

(١) هذا مما لا أعلم دليلاً عليه، وقد كان أمير المؤمنين عمر، وقبله أبو بكر رضي الله عنهما يسألان الصحابة كثيرً عن كثير من المسائل التي تعرض لهما، والله أعلم.

(٢) إلا أنه يجوز في هذا الجانب إمامة المفضول على الفاضل فقد كان عمر رضي الله عنه إمامًا وفي القوم من هو أعلم بتدبير أمور الحرب منه كخالد وأبي عبيدة رضي الله عنهما وغيرهم من الصحابة.

Noorwahab.com

الرابع: أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأبشار، والدليل على هذا كله إجماع الصحابة رضي الله عنهم لأنه لا خلاف بينهم أنه لا بد من أن يكون ذلك كله مجتمعًا فيه، ولأنه هو الذي يولي القضاة والحكام وله أن يباشر الفصل والحكم ويتفحص أمور خلفائه وقضاته، ولن يصلح لذلك كله إلا من كان عالمًا بذلك كله قيمًا به، والله أعلم.

الخامس: أن يكون حرًّا[1] ولا خفاء باشتراط حرية الإمام، وإسلامه وهو

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان» (١/ ٦٥): من شروط الإمام كونه حرًّا فلا يجوز أن يكون عبدًا ولا خلاف في هذا بين العلماء فإن قيل: ورد في الصحيح ما يدل على جواز إمامة العبد فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»، ولمسلم من حديث أم الحصين: «**اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله**»، ولمسلم أيضًا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي أن أطيع وأسمع وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف، فالجواب من أوجه:

الأول: أنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود، فإطلاق العبد الحبشي لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك، ذكر ابن حجر هذا الجواب عن الخطابي، ويشبه هذا الوجه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١] على أحد التفسيرات.

الوجه الثاني: أن المراد باستعمال العبد الحبشي أن يكون مُؤمرًا من جهة الإمام الأعظم على بعض البلاد، وهو أظهرها فليس هو الإمام الأعظم.

الوجه الثالث: أن يكون أطلق عليه اسم العبد نظرًا لاتصافه بذلك سابقًا مع أنه وقت التولية حرٌّ، ونظيره إطلاق اليتيم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقًا في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:٢] وهذا كله فيما يكون بطريق الاختيار، أما لو تغلب عبدٌ حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخمادًا للفتنة وصونًا للدماء ما لم يأمر بمعصية كما تقدمت الإشارة إليه، والمراد بالزبيبة في هذا الحديث واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جفَّ، والمقصود من التشبيه التحقير وتقبيح الصورة لأن السمع والطاعة إذا وجبا لمن كان كذلك دلّ ذلك على الوجوب على كل حال إلا في المعصية كما يأتي، ويشبه قوله ﷺ: «**كأنه زبيبة**» قول الشاعر يهجو شخصًا أسود: =

السادس.

السابع: أن يكون ذكرًا[١] سليم الأعضاء وهو الثامن.

التاسع والعاشر: أن يكون بالغًا عاقلاً، ولا خلاف في ذلك.

الحادي عشر: أن يكون عدلاً[٢] لأنه لا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق، ويجب أن يكون أفضلهم في العلم[٣].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: إذا طرأ على الإمام فسق هل يُخرج عليه؟

ج: الراجح من أقوال أهل العلم أنه لا يُخرج عليه إلا إذا رؤي عليه كفرٌ بواح فيه من الله عندنا برهان، وقد أوجز الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ القول في هذا أجمل إيجاز وأحسنه فقال في «أضواء البيان»[٤]:

إذا طرأ على الإمام الأعظم فسق أو دعوة إلى بدعة. هل يكون ذلك سببًا لعزله والقيام عليه أو لا؟

قال بعض العلماء: إذا صار فاسقًا أو داعيًا إلى بدعة جاز القيام عليه لخلعه، والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز القيام عليه لخلعه إلا إذا ارتكب كفرًا بواحًا عليه من الله برهان.

دنّس الثياب كأن فروة رأسه غرست فأنبتت جانباها فلفلاً

(١) لقول النبي ﷺ: «لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

(٢) لقوله تعالى لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

(٣) لقوله تعالى في شأن طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

(٤) «أضواء البيان» (١/ ٦٧).

MOSTAFADIYA.COM

فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**».

وفي «صحيح مسلم» من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**» قال: قلنا: يا رسول الله: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة. إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله تعالى ولا ينزعن يدًا من طاعة**»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا: من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**». قالوا: يا رسول الله أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما صلوا**». أخرجه مسلم (١٨).

وأخرج الشيخان في «صحيحيهما» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر؛ فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية**» أخرجه البخاري (٧٠٥٣)[(٢)]، ومسلم (ص:١٤٧٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

وأخرج مسلم في «صحيحه» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه سمع رسول

(١) أخرجه مسلم (ص ١٨٤٢) وعنده: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة».

(٢) ولفظه في المصدر المشار إليه: «من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية».

Mostafa Abdy.com

الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(١).

والأحاديث في هذا كثيرة. فهذه النصوص تدل على منع القيام عليه، ولو كان مرتكبًا لما لا يجوز، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أنه كفر بواح، أي: ظاهر بادٍ لا لبس فيه.

وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك. ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل المحنة، وأمر بإظهار السنة.

واعلم أنه أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى. وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها مطعن. كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢) أخرجه الشيخان وأبو داود.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا؛ إنما الطاعة في المعروف**»(٣). وفي الكتاب العزيز: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٢)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه وفيه أنه قال: بعث النبي ﷺ سرية وأمَّر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي

mostafabdw.com

س: هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل عن الآخر؟

ج: أيضًا أجمل الشنقيطي القول فقال[1]:

هل يجوز نصب خليفتين كلاهما مستقل دون الآخر؟ في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: قول الكرامية بجواز ذلك مطلقًا محتجين بأن عليًّا ومعاوية كانا إمامين واجبي الطاعة كلاهما على من معه. وبأن ذلك يؤدي إلى كون كل واحد منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه.

وبأنه لما جاز بعث نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك إلى إبطال النبوة كانت الإمامة أولى.

القول الثاني: قول جماهير العلماء من المسلمين: إنه لا يجوز تعدد الإمام الأعظم، بل يجب كونه واحدًا، وأن لا يتولى على قطر من الأقطار إلا أمراؤه المولون من قبله، محتجين بما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[2].

ولمسلم أيضًا: من حديث عرفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق**

=ﷺ أن تطيعوني قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبًا ثم أوقدوا نارًا فلما هموا بالدخول فقاموا بعضهم ينظر إلى بعض فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر النبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا إنما الطاعة في المعروف**».

(١) «أضواء البيان» (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa.com

جماعتكم فاقتلوه»[(١)].

وفي رواية: «فاضربوه بالسيف كائنًا من كان».

ولمسلم أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»، ثم قال: سمعته أذناي من رسول الله ﷺ ووعاه قلبي[(٢)].

وأبطلوا احتجاج الكرامية بأن معاوية أيام نزاعه مع علي لم يدع الإمامة لنفسه، وإنما ادعى ولاية الشام بتولية من قبله من الأئمة. ويدل لذلك:

إجماع الأمة في عصرهما على أن الإمام أحدهما فقط لا كل منهما.

وأن الاستدلال بكون كل منهما أقوم بما لديه وأضبط لما يليه، وبجواز بعث نبيين في وقت واحد، يرده قوله ﷺ: «فاقتلوا الآخر منهما» ولأن نصب خليفتين يؤدي إلى الشقاق وحدوث الفتن.

القول الثالث: التفصيل فيمنع نصب إمامين في البلد الواحد والبلاد المتقاربة، ويجوز في الأقطار المتنائية كالأندلس وخراسان.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة ما نصه: لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت كالأندلس وخراسان، جاز ذلك على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. انتهى منه بلفظه.

والمشار إليه في كلامه: نصب خليفتين. وممن قال بجواز ذلك: الأستاذ أبو إسحاق كما نقله عنه إمام الحرمين. ونقله عنه ابن كثير والقرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة.

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٤٨٠) في طرق حديث (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤).

Mostafa Abdo.com

وقال ابن كثير: قلت: وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق، والفاطميين بمصر، والأمويين بالمغرب.

❁ ❁ ❁

س: مَن الذي أعلم الملائكة أن هناك من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء حتى سألوا سؤالهم هذا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة منها:

❁ أن الله تعالى أعلمهم أن من ذرية هذا الخليفة من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء.

❁ الثاني: أن قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] سؤال محض للاستفسار[(١)] أي: هل سيفسد فيها ويسفك الدماء؟

---

(١) وهو اختيار الطبري رحمه الله، فاختار رحمه الله أن ذلك من الملائكة استخبار لربها بمعنى: أعْلِمْنا يا ربنا أجاعل أنت في الأرض مَنْ هذه صفته، وتارك أن تجعل خلفاءك منّا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل، وإن كانت قد استعظمت لما أُخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه، والله أعلم.

وأورد الرازي رحمه الله في المقصود في سؤال الملائكة أمورًا فذكر عددًا وقال: وسابعها: قال القفال: يحتمل أن الله تعالى لما أخبرهم أنه يجعل في الأرض خليفة قالوا: أتجعل فيها، أي: ستفعل ذلك فهو إيجاب خرج مخرج الاستفهام، قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

أي: أنتم كذلك، ولو كان استفهامًا لم يكن مدحًا، ثم قالت الملائكة: إنك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك ونقدس لما أنا أنعلم أنك لا تفعل إلا الصواب والحكمة فلما قالوا ذلك قال الله تعالى لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] كأنه قال - والله أعلم -: نعم ما فعلتم حيث لم تجعلوا ذلك قادحًا في حكمتي فإني أعلم ما لا تعلمون، فأنتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل، وما علمتم باطنهم، وأنا أعلم ظاهرهم وباطنهم فأعلم من بواطنهم أسرارًا خفية وحكمًا بالغة تقتضي خلقهم وإيجادهم.

MOSTAFALAWY.COM

❁ الثالث: أنهم توقعوا أن هذا الذي سيستخلف في الأرض قد يُفسد فيها ويسفك الدماء.

❁ الرابع: على رأي من اعتمد الأخبار الإسرائيلية في هذا المقام - أنهم علموا من حال من كان يسكن الأرض أنه أفسد فيها وسفك الدماء فقالوا: هذا يتوقع منه ما كان من سالفه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] عطفٌ لخاصٍّ على عام وضحه وبين سبب هذا العطف.

ج: إيضاحه أن الإفساد في الأرض عام يدخل فيه المعاصي والكبائر وغير ذلك وأحد أفراد ذلك سفك الدماء فهو خاص (أي: سفك الدماء) فعطف سفك الدماء (الذي هو نوع خاص من المعاصي والكبائر) على الإفساد في الأرض الذي هو عام، أما لماذا عطف هذا الخاص على ذلك العام فلبيان خطورة سفك الدماء وحرمة القتل، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل في قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠] تزكية[1] منهم لأنفسهم؟

---

(١) من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، ولكن تجوز تزكية النفس أحيانًا إذا كان هناك أمرٌ يحتاج إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]، وقال النبي ﷺ للأنصار: «**ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي**...» الحديث، وأثنى رسول الله ﷺ على عددٍ كبير جدًّا من الصحابة وزكاهم، انظر ذلك في كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة». وسيأتي إن شاء الله لهذا مزيدٌ من الفقه في أبوابه، وبالله التوفيق.

MOSTAFAADWY.COM

ج: الذي يظهر - والله تعالى أعلم - أنهم قدموا هذا مع سؤالهم إذعانًا منهم لربهم ﷻ فكأنهم قالوا: نحن لسنا معترضين على فعلك يا ربنا ولسنا محيطين بعلمك فها نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فأخبرنا يا ربنا هل سيفسد هذا الخليفة فيها ويسفك الدماء؟ فهم طلبوا من ربهم ﷻ بيان الحكمة لهم من الخليفة في الأرض، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما معنى التسبيح؟ وما المراد بقول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة:٣٠]؟

ج: أما معنى التسبيح فهو التنزيه وهو مشتق من الجري والذهاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل:٧]، فالمسبح جارٍ في تنزيه الله ﷻ عما لا يليق به.

❀ قال الطبري رحمه الله: وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرئة له من ذلك كما قال أعشى بني ثعلبة:

أَقُولُ -لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُه-: سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرِ

يريد: سبحان الله من فخر علقمة أي: تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار. على وجه النكير منه لذلك[1].

❀ وقال الماوردي في التفسير «النكت والعيون» (١/ ٩٦): والتسبيح في كلامهم التنزيه من السوء على جهة التعظيم - ثم ذكر بيت شعر الأعشى، وقال: ولا يجوز أن يسبح غير الله وإن كان منزهًا لأنه صار علمًا في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا الله تعالى.

---

(١) الطبري (١/ ٤٧٤).

mostafawy.com

وقال ابن عطية: (ومعنى نسبح بحمدك): ننزهك عما لا يليق بك وبصفاتك.

۞ أما المراد بقول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة:٣٠] فلأهل العلم فيه أقوال منها:

الأول: أننا نخلط التسبيح بالحمد ونصله به.

الثاني: أن كلمة (بحمدك) اعتراضية بين كلامين فكأنهم قالوا: ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا على جهة التسليم أي: وأنت المحمود في الهداية على ذلك قاله ابن عطية في «المحرر».

قلت: أي أن معنى الكلام - والله أعلم - أننا نسبح وتسبيحنا هذا إنما هو فضلٌ منك تفضلت به علينا إذ وفقتنا له وأعنتنا عليه وألهمتنا إياه فأنت المحمود على هدايتك وإلهامك.

وهذه الآية قريبة الشبه من قوله تعالى: ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩] يعني - والله أعلم -: أنك من فضل الله عليك لست بالكاهن ولا بالمجنون، وهذه من نعمة ربك عليك أن جنبك الكهانة والجنون، والله أعلم.

الثالث: أن معنى قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك.

الرابع: أننا نعظمك بالحمد لك والشكر لك.

الخامس: أننا نقول: سبحانك وبحمدك أو سبحان الله والحمد لله أو سبحان الله وبحمده.

السادس: نصلي لك. والله تعالى أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

س: ما معنى ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال:

الأول: نعظمك ونمجدك.

الثاني: نطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون، وقيل: نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك (هذا على قول من قال: نقدس لك أي: نتطهر لك، والقول المتقدم على قول من قال: نقدس لك أي: نقدسك) فالمقدس هو المطهر، ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة:٢١] أي: المطهرة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١٢] وبيت المقدس الذي يتقدس فيه من الذنوب أي: يتطهر.

الثالث: نقدس لك أي: نصلي لك، وأشهر الأقوال هو القول الثاني، والله أعلم.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل (سبحان الله وبحمده)؟

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

❁ قول رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله**» قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال: «**إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**»(١).

❁ ومنها: حديث رسول الله ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٢).

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ج١٧ / ص ٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/ ٢٠٦)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa Adly.com

❁ **ومنها:** قول النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»(١).

❁ **ومنها:** قول عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»(٢). إلى غير ذلك من الأحاديث والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: علام يحمل قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠] في هذا المقام؟

ج: يحمل - والله تعالى أعلم - على أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم هل كل الملائكة صالحون كما قالوا: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ **[البقرة:٣٠]**؟ أم فيهم من هو عاص حاسد لا يعلمونه والله يعلمه ويعلم كذلك هل هذا الخليفة الذي سيجعله في الأرض يكون سفاكًا للدماء أم أنه عابد ومطيع، وكما أن من ذريته من يسفك الدماء فمنهم أيضًا أتقياء علماء أنبياء، وكل هذا كان لا يخفى على الملائكة عليهم السلام فظهر منهم إبليس المعترض على أمر الله العاصي الحاسد الكذاب المتكبر وظهر من ذرية آدم - غير المفسدين - قوم أتقياء صالحون(٣)، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٣/ ٥٣٧)، ومسلم (١٧/ ١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٢٠١)، وغيرهما.

(٣) **تنبيه:** ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى في الحديث القدسي لملائكته (الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر»: «**كيف تركتم عبادي فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يصلون**» توبيخ لمن قال منهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [آلبقرة:٣٠].

وأقول، وبالله التوفيق: إن هذا إلى المباهاة أقرب منه إلى التوبيخ، والملائكة لما سألها ربها عن أسماء =

MOSTAFALAWY.COM

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

الكلمة	معناها
﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾	أخبروني.
﴿سُبْحَٰنَكَ﴾	تنزيهًا لك من أن نعلم شيئًا غير ما علمتنا.
﴿تُبْدُونَ﴾	تُظهرون وتُعلنون.

س: لماذا سُمي آدم بآدم؟

=المسميات قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]، ففيه إنابتهم إلى الله ﷻ، والله هو الغفور الودود. وقد جاءت نصوص عدة عن رسول الله ﷺ في مباهاة الرب ﷻ ملائكته بعباده الصالحين والذاكرين فعليه فليحمل هذا الحديث، والله أعلم.

mostafawy.com

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي:

١- أن الله ﷻ هو الذي سماه بذلك ولا حاجة بنا إلى تعليل التسمية.

٢- أنه سُمِّي آدم؛ لأنه خُلق من أديم الأرض وهو وجهها[١].

٣- أن آدم من الأُدمة وهي السُّمرة.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في خلق آدم؟

ج: من هذه الأحاديث قول رسول الله ﷺ: «**خلق الله ﷻ آدم على صورته طوله ستون ذراعًا فلما خلقه قال له: اذهب فسلِّم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه رحمة الله قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يزل ينقص الخلق بعد حتى الآن**»[٢].

وأخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما صوَّر الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به وينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لم يتمالك**»[٣].

❁ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[٤].

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله، وقد صح عن سعيد بن جبير (كما عند الطبري ٦٤٢، ٦٤٣) أنه قال: إنما سُمِّي آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٦١٠)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦)، ويعني بقوله مما وصف لكم أي: ومما وصف لنا في كتاب الله ﷻ وقد وصف آدم عليه السلام أنه خلق من تراب، ووصف أنه خلق من طين ومن طين لازب، ومن عجل، ومن صلصال من حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، ويأتي توجيه هذا في بابه وقد ذكر بعض

Mostafalabib.com

❁ وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك**»(١) وتقدمت الإشارة إلى حديث: «**خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه...**»(٢).

=العلماء أن الله عَزَّ وَجَلَّ قبض قبضة من تراب الأرض وبَلَّها بالماء فصارت طينًا ثم مرت عليها مدة حتى تحجرت فصارت صلصالاً لأن الصلصال هو الطين المتحجر لأن الطين إذا طبخ بالنار سُمي فخارًا، وإذا لم يطبخ بالنار لكن ترك حتى تحجر يسمى صلصالاً، فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤] أي: من طين تحجر حتى أصبح شبيهًا بالفخار وهو المطبوخ بالنار في تحجره وصلصلته إن قلنا: إنه من «صلصل» بمعنى صوت، وإن قلنا: إنه من «صلَّ» بمعنى تغير فإن الطين إذا مضت عليه مدة انتن واسود فيصير حمأ مسنونًا أي: أسود متغيرًا له رائحة خاصة فإذا يبس وتحجر صار كالفخار والطين اللازب هو اللاصق، ويُقال أيضًا: لزب الطين إذا صلب.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦)، وأبو داود (في السنة باب في القدر حديث ٣٩٦٤)، الترمذي في التفسير سورة البقرة (٢٩٥٥)، والحاكم (٢/ ٢٦١، ٢٦٢)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (٣٢٢)، وأحمد (٣/ ١١٦)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

تنبيه: في هذه الأحاديث وخاصة أولها - وهو خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٧٠] وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب ما يقطع بكذب الأفاك الأثيم والمجرم اللعين والملحد المبين المسمى بـ (داروين) ويبطل نظرته الباطلة الإلحادية في (التطور والارتقاء) التي يزعم فيها أن الإنسان أصله قرد!!! وقد ذهبت - والحمد لله - نظريته أدراج الرياح وكانت هباءً منثورًا بشهادة الملاحدة من أمثاله فضلاً عن أهل الصلاح، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم فرعون اللعين، والطاغية أبالهب ما ذكرنا شيئًا عن هذا الأفاك الأثيم (داروين) ولا أضعنا هذه السطور في شأنه، فلعنة الله على الظالمين تصبح معهم وعليهم حيث أصبحوا وتُمسي عليهم حيث أمسوا، وتَقِيلِ

س: في أي يوم خلق آدم عليه السلام ؟ وهل خُلق داخل الجنة أم خارجها؟

ج: خلق آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوم الجمعة وخلق خارج الجنة ثم أُدخل فيها يدل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة وفيه أُخرج منها**»(١) والله أعلم.

س: ما هي الأسماء التي علمها الله عز وجل لآدم عليه السلام ؟

ج: أمثل الأقوال(٢) في ذلك - والله أعلم - أنها أسماء الأشياء كلها فيدخل

=معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث يبيتون، في الحياة الدنيا ملعونين وفي القبور معذبين ويوم القيامة هم من المقبوحين.

ورحمة الله وبركاته على أهل الإسلام والإيمان وأهل التقى والرشاد فسلام الله على هؤلاء العباد المصطفين الأخيار المتقين الأبرار، جعل الله حياتهم زيادة في فضائل أعمالهم وأنار الله بهم البلاد وأوضح بهم سبل الرشاد للعباد، وأفسح الله لهم في قبورهم ونورها لهم، وأسكنهم الله في الآخرة الغرف وأظلهم بالظلل وكساهم الحلل، وأعطاهم ما تقر به الأعين وتلذ وتشتهيه الأنفس وتود.

سلام الله على كل من ذبَّ عن دينه ودافع وتمسك بكتاب ربه واستعصم به وعنه نافح، سلام الله عليهم في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي علمه الله لآدم عليه السلام هو أسماء الملائكة وأسماء ذريته فقط محتجًّا باحتجاج لغوي وهو الضمير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣١] فقالوا: إن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة، وضَعَّف هذا القول آخرون وقولهم الراجح لعموم قوله تعالى: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.

* وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن المراد بالأسماء كلها ما لا غنى لآدم عنه مما يحتاج إلى معرفته وذهب إلى أن ﴿كُلَّهَا﴾ في هذا الموطن كما في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥](*) وكما في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣](**)، وهذا التقييد لا وجه له =

MOSTAFALABW.COM

فيها أسماء الملائكة وأسماء النبيين وأسماء ذرية آدم وأسماء البحار والأشجار والأحجار والأواني والقدور وسائر أسماء الأشياء، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] وقول الناس لآدم عليه السلام حينما يذهبون للاستشفاع به: «... **خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء**».

س: من هو أول من تكلم بالعربية؟

ج: قال بعض أهل العلم هو آدم ﷺ، وعللّوا ذلك بأن الله ﷻ قال: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] وقال النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**وعلمك أسماء كل شيء**» الحديث وقد تقدم، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣١] عرض ماذا؟

ج: عرض المسميات (أي الأشياء التي علم آدم أسماءها).

❀ ❀ ❀ ❀

س: قال الله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٣١] صادقين في ماذا؟

ج: قيل: صادقين في دعواكم أن الخليفة سيفسد في الأرض ويسفك الدماء والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

=هنا، والأولى ما ذكرناه أعلاه، والله أعلم.

(*) وهي الريح التي أرسلت على قوم عاد.

(**) وهي ملكة سبأ.

MOSTAFABAWY.COM

س: في قول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] أدب للعالم ولطالب العلم، وضح ذلك؟

ج: وهذا الأدب الجليل المأخوذ من هذه الآية الكريمة هو أن الواجب على من سُئل عن شيء لا يعلمه أن يَكِلَ العلم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويمسك عن القول بغير علم فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

❁ وعتب الله ﷻ على موسى عليه السلام لما سئل عن أعلم أهل الأرض فقال: أنا؛ فقال الله ﷻ: «**بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك**»(١).

❁ وقال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

❁ وقال الله ﷻ لنوح عليه السلام لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود:٤٥] قال سبحانه: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٦، ٤٧].

❁ ولما سئل النبي ﷺ (أي البقاع خير؟) قال: «**لا أدري حتى أسأل**»(٢) ...

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٨١)، بإسناد فيه عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي البلدان شر؟ قال: «لا أدري» فلما أتاه جبريل عليه السلام قال: «**أي البلدان شر؟**» قال: لا أدري حتى أسأل ربي ﷻ فانطلق جبريل عليه السلام...» فذكر الحديث وفيه: وإني سألت ربي ﷻ فقال: «**أسواقها**».
وله شاهدعند الحاكم (٢/ ٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا فالحديث حسن بمجموع طريقيه والله أعلم.
هذا وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله**

Mostafa Adawy.com

الحديث.

۞ وكان أصحاب النبي ﷺ يُسألون مرارًا من رسول الله ﷺ فيقولون: الله ورسوله أعلم[١].

=مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

(١) قال القرطبي رحمه الله قولاً جيدًا في هذا الباب ننقله لما فيه من الفائدة قال رحمه الله (١/ ٢٨٥ - ٢٨٧):

الثانية: الواجب على مَن سُئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم، ولا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم؛ فيبقى ناس جُهال يُستفتون فيفتون برأيهم فيَضِلُّون ويُضِلُّون، وأما ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فرَوى البُستي في «المسند الصحيح» له عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي البقاع شرٌّ؟ قال: «**لا أدري حتى أسأل جبريل**» فسأل جبريل؛ فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل؛ فجاء فقال: «**خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق**». وقال الصِّديق للجدة: ارجعي حتى أسأل الناس وكان علي يقول: وأبردها على الكبد؛ثلاث مرات. قالوا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أن يُسئل الرجلُ عما لا يعلم فيقول: الله أعلم. وسأل ابن عمر رجل عن مسئلة فقال: لا علم لي بها؛ فلما أدبر الرجل. قال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر سُئل عما لا يعلم فقال: لا علم لي به! ذكره الدارمي في مسنده. وفي «صحيح مسلم» عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل صاحب بُهَيَّة(*) قال: كنت جالسًا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد، فقال يحيى للقاسم: يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يُسأل عن شيء من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه عِلم ولا فرج، أو عِلم ولا مخرج؟ فقال له القاسم: وعم ذاك؟ قال: لأنك ابن إمَامَيْ هُدى: ابن أبي بكر وعمر(**). قال: يقول له القاسم أقبح من ذاك عند مَن عقَل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة. فسكت فما أجابه. وقال: مالك بن أنس: سمعت ابن هُرْمُز يقول: ينبغي للعالم أن يُورَث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلاً في أيديهم؛ فإذا سُئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري. وذكر الهَيْثَم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري.

قلت: ومثلُه كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسةُ وعدم الإنصاف في العلم. قال ابن عبد البر: من بركة العلم وآدابه الإنصافُ فيه، ومن لم يُنصف لم يفهم ولم يتفهم. روى يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت ابن وَهْب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف.

Nostrabook.com

. . . . . .

قلت: هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطَّغَام! وطُلب فيه العلم للرياسة لا للدِّراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يُقسي القلب ويُورث الضغن؛ وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى. أين هذا مما رُوي عن عمر رضي الله عنه وقد قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أُوقِيَّة ولو كانت بنت ذي العَصَبة - يعني: يزيد ابن الحُصين الحارثي - فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من صَوْب النساء طويلة فيها فَطَس (***) فقالت: ما ذلك لك! قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٢٠] فقال عمر: امرأة أصابت ورجلٌ أخطأ! وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل عليًّا رضي الله عنه عن مسئلة فقال: فيها؛ فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا؛ فقال عليٌّ: أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل

(*) بهية (بالتصغير): مولاة أبي بكر رضي الله عنه، تروي عن عائشة. وروى عنها أبو عقيل المذكور.

(**) القاسم هذا، هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب. وام القاسم هي أم عبد الله بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأبو بكر جدُّه الأعلى لأمه، وعمر جدُّه الأعلى لأبيه، وابن عمر جدُّه الحقيقي لأبيه، رضي الله عنهم أجمعين (عن شرح النووي على صحيح مسلم).

(***) الفطس (بالتحريك): انخفاض قصبة الأنف وتطامنها وانتشارها. قاله المعلق على القرطبي.

ذي عِلْمٍ عليم. وذكر أبو محمد قاسم بن أَصبغَ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلت القَيْروان فأخذت على بكر بن حماد حديثَ مُسدد، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس، فلما انصرفت عدتُ إليه لتمام حديث مسدد، فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

أنه قدم عليه قوم من مُضَرَ من مُجتابي (*) النمار، فقال: إنما هو مجتابي الثمار فقلت: إنما هو مُجتابي النمار؛ هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق، فقال لي: بدخولك العراق تُعارضنا وتفخر علينا! أو نحو هذا. ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ - لشيخ كان في المسجد - فإن له بمثل هذا علمًا، فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال: إنما هو مُجتابي النمار، كما قلت. وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة (**) جيوبُهم أمامَهم. والنمار جمع نمرة (***) فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه: رَغِم أنفي للحق، رَغم أنفي للحق. وانصرف. وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأحسن:

إذا مـــا تحـــدثتُ في مجلـــس ... تنـــاهى حـــديثي إلـــى مـــا عَلمـــتُ

ولـــم أَعْـــدُ علمـــي إلـــى غيـــره ... وكـــان إذا مـــا تنـــاهى سَـــكتُّ

الثانية: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [البقرة:٣٢] «سبحان» منصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه،

المعلم من علمه الله

س: على المسلم أن يتواضع لله ﷻ ويشكره على ما منَّ به من علم، فالعلم الذي هو فيه إنما هو بتعليم الله ﷻ إياه، اذكر أدلة توضح أن المُعَلَّم من علمه الله.

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

- قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١].
- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء:١١٣].
- قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء:٨٦].
- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء:٨٠].
- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [النحل:٧٨].
- قوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ [الأنعام:٩١].
- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:٤، ٥].
- قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن:١، ٢].
- قوله سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤].

=يؤدي عن معنى نُسَبحك تسبيحًا. وقال الكسائي: هو منصوب على أنه نداء مضاف. و﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢] فعيل للمبالغة والتكثير في المعلومات في خلق الله تعالى. و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] معناه: الحاكم، وبينهما مزيد المبالغة، وقيل: معناه المُحكم ويجيء الحكيم على هذا من صفات الفعل، صُرف عن مُفْعِل إلى فَعِيل، كما صُرف عن مُسْمِع إلى سميع ومُؤلِم إلى أليم.

(*) مجتابي النمار، أي: لابسها. يقال: اجتبت القميص والظلام: دخلت فيهما.

(**) مشققة: مخططة.

(***) وهي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب؛ كأنما أخذت من لون النمر.

Mostafalaw.com

❁ دعاء النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل**»(١).

❁ وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥].

❁ وقول الخضر عليه السلام لموسى: «**يا موسى إني على علمٍ من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علمٍ من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه**»(٢).

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما معنى ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]؟

ج: أما العليم فهو مَن قد كمل في علمه، والحكيم هو مَن قد كمل في حِكَمِه هذا قول، وأصل الإحكام المنع، والحكمة هي التي تمنع صاحبها من الجهل، وأحكم الشيء إذا أتقنه، والحَكَمَة هي التي تمنع الفرس من الجري على غير قصدٍ، فالحكيم يطلق على المانع من الفساد، ومنه قول جرير:

أبني حنيفة أحكِموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكيم في الآية الكريمة - والله أعلم - هو الذي يفعل الشيء لحكمة أو لعلة، والله أعلم. والحكمة أيضًا هي وضع الشيء في موضعه.

❁ ❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] دليل على فضل العلم وأهله وضح ذلك.

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن الله عز وجل أظهر فضيلة آدم عليه السلام على الملائكة

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٨، ٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٢، ١٢٢٧٣)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) وغيرهم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

MOSTAFAMOBY.COM

بالعلم الذي آتاه الله إياه[(١)].

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم وحملته.

ج: هي آيات وأحاديث في غاية الكثرة، نقتصر منها على الآتي:

❁ قول الله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

❁ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

❁ قول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

❁ قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩].

❁ قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩].

❁ قول الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: تخضع وتتواضع، وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عيال الله؛ لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فتأدبت بذلك الأدب، فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظامًا للعلم وأهله ورضي منهم بالطلب له والشغل به، هذا في الطلاب فكيف بالأحبار فيهم، والربانيين منهم، جعلنا الله منهم وفيهم إنه ذو فضل عظيم.

* قال الطيبي (كما نقل عنه صديق حسن خان في فتح البيان): أفادت هذه الآية علم الغة فوق التخلي بالعبادة فكيف بعلم الشريعة.

Mostafa Adwi.com

❁ قول يوسف عليه السلام مثنيًا على الله عز وجل بنعمه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:١٠١].

ولا يخفى على اللبيب أن جمال يوسف عليه السلام كان سببًا في سجنه، وعلمه كان سببًا في إخراجه من السجن وجَعْلُه عزيزًا وقد تجشم موسى عليه السلام الصعاب والمشاق لمَّا أخبره الله عز وجل بأن الخَضِر هو أعلم منه فسأل موسى عليه السلام ربه السبيل إلى لُقيه على ما ورد في قصتهما عليهما السلام.

❁ وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم مع شهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ وقد أباح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صيد الكلاب المعلَّمة والصقور المعلَّمة، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة:٤].

أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها:

❁ قوله عليه السلام: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(١).

❁ قوله عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٢).

❁ قوله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره»(٣).

❁ وقوله عليه السلام: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٧٤) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) صحيح متواتر، وسيأتي الحديث عليه إن شاء اله.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ١٥٣)، والترمذي (٨/ ٢٣٢)، وأحمد (٢/ ١٩٢) وغيرهم بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

Nostradamus.com

❁ قول النبي ﷺ: «إن الله ﷻ يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»(١).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمنٍ كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٢).

❁ وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»(٣).

❁ وقال رسول الله ﷺ: «إن لله ﷻ أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»(٤)

❁ ❁ ❁

س: ما هو الذي أبدوه وما هو الذي كتموه في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣]؟

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨١٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٢١).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٦٥)، ومسلم (مع النووي ٩/ ٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد حسنٍ مرفوعًا، والله تعالى أعلم.

MOSTAFABADY.COM

ج: بعض العلماء يقولون: هذا عام، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم جميع ما يبدونه وما يكتمونه، يعلم - سبحانه - ظواهرهم وبواطنهم، يعلم ذلك أجمع ولا يخفى على الله من أمرهم شيء.

❁ والقول الثاني: أن المراد في هذا المقام بالذي أبدوه هو قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]، والذي كتموه هو ما كتمه بعضهم[١] وهو إبليس، كتم العداوة والحسد لآدم عليه السلام

❁ وقول ثالث: أن الذي أظهروه هو السجود لآدم عليه السلام، والذي كتموه هو قولهم: لن يخلق الله خلقًا أكرم عليه منا[٢]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: الظاهر والخفي في علم الله سواء، والسر والعلن كذلك، اذكر عدة أدلة تؤكد ذلك.

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

❁ قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر:٤٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ

(١) وهذا يستلزم تنزيل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ على الواحد - وهو إبليس - مع أن لفظه لفظ الجمع، لكن أجاب البعض على هذا بأن قالوا: إن هذا وارد في لغة العرب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤] والمنادي كان واحدًا، والله تعالى أعلم.

(٢) وهذا يحتاج إلى دليل وليس ثمَّ دليل عليه، والله تعالى أعلم.

NOSTRALAW.com

خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٣، ١٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النحل:١٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل:٧٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ [الحشر:٢٢]

❁ وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود:٥]، وقال نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:٣١].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ ﴾ [النحل:٧٧].

❁ وقال عيسى عليه السلام: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ﴾ [المائدة:١١٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [البقرة:٢٨٤].

MOSTAFAWY.COM

❁ وقولـه تعـالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد:١٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٣٥].

❁ ❁ ❁

الملائكة أفضل أم بنو آدم

س: هل الملائكة أفضل أم الصالحون من بني آدم؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الملائكة أفضل، ومن أدلة هذا القول: قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء:١٧٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦، ٢٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:٣١].

❁ وقولـه تعـالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [هود:٣١].

❁ وقوله تعالى في الحديث القدسي: «من ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم..».

والثاني: أن الصالحين من بني آدم أفضل، ومن أدلته ما يلي:

❁ قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة:٧].

❁ قوله تعالى للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [البقرة:٣٤].

❁ قول النبي ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما

Mostafa.awr.com

يصنع».

❁ مباهاة الرب ﷻ بالحجيج وغيرهم ملائكته. والله أعلم بالصواب.

❁ ❁ ❁

س: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ [البقرة: ٣١- ٣٤] سياق هذه الآيات الكريمة فيه أن قوله تعالى للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ بعد تعليم آدم الأسماء كلها (وهذا في سياق الكتاب العزيز) فهل صحيح أن تعليم آدم الأسماء كلها قبل الأمر بالسجود؟

ج: الجواب أن لا، وسياق الآيات الكريمة، وإن كان يفيد ذلك إلا أنه من المعلوم أن سياق الآيات لا يفيد ترتيبًا زمنيًّا، والصحيح أن الأمر بالسجود قبل تعليم آدم الأسماء كلها، بل قبل خلق آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والدليل على ذلك ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

❁ وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩] فدلت هاتان الآيتان على أن قوله تعالى للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ [البقرة: ٤٣] كان قبل خلق آدم ﷺ. إلا أن يقول قائل: إن الأمر بالسجود تكرر

MOSTAFALABY.COM

قبل خلق آدم، وبعد خلق آدم، والله تعالى أعلم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ
ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا
تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا
جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

Mostafa Adly

(٣٦٤) أحمر أسود

الكلمة	معناها
﴿أَبَىٰ﴾	امتنع.
﴿رَغَدًا﴾	واسعًا هنيئًا، لا عناء ولا تعب فيه.
﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾	استزلهما أي: أوقعهما في الزلل وهو: الخطأ، ومنه: زلت قدم فلان إذا أخطأ، وقرئ (**فأزالهما**) أي: نحاهما.
﴿مُسْتَقَرٌّ﴾	موضعٌ يُستقر فيه.
﴿وَمَتَٰعٌ﴾	ما يستمتع به من المأكول والمشروب ونحوه.
﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾	تلقَّن ـ فهم ـ فطن ـ أخذ ما علمه الله إياه.
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾	فإن يأتكم.
﴿هُدًى﴾	بيان ورشد ـ رسل، وأنبياء، وكتب ـ توفيق للهداية.
﴿كَفَرُوا۟﴾	جحدوا بآياتي وكذبوا رسلي.
﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾	القرآن والحجج البينة التي فيه.

MOSTAFAADAWY.COM

س: هل لهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤] مع سائر قصة إبليس مع آدم إذ امتنع عن السجود صلة بدعوة بني إسرائيل؟

ج: نعم - والله أعلم - لها صلة، ففي القصة بيان عقوبة الكبر والتعالي على أمر الله ﷻ والتعالي على الانقياد له سبحانه واتباع رسوله ﷺ، فلما اعترض إبليس على أمر الله سبحانه كان عاقبته أن طُرد من الجنة وخرج منها مذمومًا مدحورًا، ووعد الجحيم وعدًا لن يتخلف، فكذلك أنتم يا معشر يهود

يا من علمتم صفة محمد ﷺ واستكبرتم وتعاليتم على الإيمان هذا جزاؤكم إن متم على ما أنتم عليه من كبر وعناد، والله أعلم، ونورد هنا ما ذكره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٥١٠):

وتأويل قوله: ﴿أَبَىٰ﴾ [البقرة:٣٤]، يعني جل ثناؤه بذلك: إبليس، أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة:٣٤]، يعني بذلك: أنه تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم. وهذا وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس، فإنه تقريعٌ لضُربائه من خلق الله الذين يتكبرونه عن الخضوع لأمر الله، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق. وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم - اليهودُ الذين كانوا بين ظهراني مُهاجَر رسول الله ﷺ، وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله ﷺ وصفته عارفين، وبأنه لله رسولٌ عالِمين. ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرار بنبوته، والإذعان لطاعته، بَغْيًا منهم له وحسدًا. فقرَّعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسدًا له وبغيًا، نظيرَ فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ﷺ ونبوته، إذ جاءهم الحق من عند ربهم حسدًا وبغيًا.

ثم وَصَف إبليس بمثل الذي وصف به الذي ضربَه لهم مثلاً في الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمرَه الله بالخضوع له، فقال جل ثناؤه: ﴿وَكَانَ﴾ [البقرة:٣٤] - يعني: إبليس - ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] - من الجاحدين نعمَ الله عليه وأياديَه عنده، بخلافه عليه فيما أمرَه به من السجود لآدم، كما كفرت اليهود نعمَ ربِّها التي آتاها وآباءَها قبلُ: من إطعام الله أسلافَهم المنَّ والسلوى، وإظلال الغمام عليهم، وما لا يحصى من نعمه التي

Nostrabook.com

كانت لهم، خصوصًا ما خصَّ الذين أدركوا محمدًا ﷺ بإدراكهم إياه، ومشاهدتهم حجةَ الله عليهم، فجحدت نبوته بعد علمهم به، ومعرفتهم بنبوته حسدًا وبغيًا. فنَسَبه الله جل ثناؤه إلى «الكافرين»، فجعله من عِدَادهم في الدين والملة، وإن خالفهم في الجنس والنسبة. كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض، لاجتماعهم على النفاق، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم، فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٦٧] يعني بذلك: أن بعضهم من بعض في النفاق والضلال. فكذلك قوله في إبليس: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، كان منهم في الكُفر بالله ومخالفتِه أمره، وإن كان مخالفًا جنسُه أجناسَهم ونسبُه نسبهم. ومعنى قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] أنه كان - حين أبى عن السجود - من الكافرين حينئذ.

❁ ❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة:٣٤] ولم يقل: (وإذ قلت)؟

ج: قال فريق من أهل العلم: هذا للتفخيم والتعظيم والإشادة بذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما الحكمة من الأمر بالسجود لآدم ﷺ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي:

❁ تكريم آدم ﷺ[1].

❁ ومنها: اختبار للملائكة، وقد ظهر كبر إبليس لعنه الله بامتناعه عن السجود لآدم ﷺ.

---

(١) ويستفاد هذا من حديث الشفاعة الطويل، وفيه أن المؤمنين يقولون لآدم عليه السلام: «**خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته**».

MOSTAFALAW.COM

❁ ومنها: أن الملائكة لما استعظموا[1] بتسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم، والله أعلم.

س: هل كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة؟

ج: لم يكن سجود الملائكة لآدم عليه السلام سجود عبادة، وقد نقل القرطبي رحمه الله الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة.

وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال نوح لقومه: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِي لَكُمۡ مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود: ٢] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في حصر العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقصرها عليه سبحانه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] ما المراد به؟

ج: هو سجود لآدم ﷺ بأمر الله ﷻ، وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء رحمهم الله تعالى، وهذه بعض أقوالهم:

❁ قال البغوي رحمه الله:

وقوله: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤] فيه قولان الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله ﷻ بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله ﷻ: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

❁ وروى الطبري رحمه الله بإسناد حسن[2] عن قتادة قال في قوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا

(١) هذا على رأي فريق من العلماء.

(٢) الطبري (٧٠٧). وقال الطبري قبله: وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم. ثم ذكر أثر قتادة رحمه الله.

MOSTAFALADWY.COM

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [البقرة:٣٤]، فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته.

❁ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أهل العلم السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه، وهذا إجماع كل من يسمع قوله.

❁ وقال بعض العلماء: معنى اسجدوا لآدم أي: اسجدوا إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، ونحوه قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء:٧٨]، ولكن الرأي الأول الذي قدمناه أرجح، وبه قال الأكثر، والله تعالى أعلى وأعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل كان هذا السجود خاصًّا بآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلا يجوز لغيره من جميع الخلق - إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أم أنه كان جائزًا بعده؟

ج: ذهب بعض العلماء إلى أن هذا النوع من السجود جاز بعده إلى زمن نبينا ﷺ فنهى عنه نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**»(١).

أما كونه كان جائزًا بعده فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ بشأن يوسف ﷺ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يوسف:١٠٠] والرؤيا التي رآها مذكورة في قوله: ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف:٤].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح بمجموع طرقه، وأخرجه الترمذي (١١٥٩)، وابن حبان (موارد الظمآن) (١٢٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٩١)، وانظره في كتابي «جامع أحكام النساء» (٢/ ١٧٥).

Nosrabadi.com

س: ما صفة سجود الملائكة لآدم عليه السلام ؟

ج: لم ترد صفة لسجود الملائكة لآدم ﷺ، والظاهر أنه سجود كالسجود المعهود، إذ هو الظاهر المتبادر المعروف من السجود، وليس هناك ما يدفع كونه هذا السجود المعهود.

ومن العلماء من قال: إن المراد به الانحناء، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: إبليس مشتق من ماذا؟

ج: إبليس مشتق من الإبلاس وهو الإياس من الخير والندم والحزن، أبلس إذا أُبعد عن الخير ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] مبعدون عن الخير آيسون منه، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: إبليس هل هو من الجن أم من الملائكة؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة، وهم جمهور العلماء(١) ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤] (٢).

---

(١) نقله عنهم غير واحد منهم ابن عطية والقرطبي وغيرهم.

(٢) وأجاب الجمهور على قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف:٥٠] أي: عمل عملهم فكان منهم في هذا، أو على أن الملائكة تسمى جنًّا لاستتارها كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات:١٥٨]، وذلك لقول قريش عن الملائكة: إنهم بنات الله.

ومن القائلين: إنه كان من الجن. سعيد بن المسيب رحمه الله، فقد أخرج الطبري (أثر ٦٩٢)، بإسناده إلى سعيد بن المسيب رحمه الله قال: (كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا).

* وأخرج أيضًا (أثر ٦٥٣) بإسناد حسن إلى قتادة قال في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠]: كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن.

=

MOSTAFAADEL.COM

❁ ومن العلماء من قال: إنه من الجن، ومن أدلتهم ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الكهف:٥٠].

❁ قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف:٥٠] وليس للملائكة ذرية[(١)].

❁ قول النبي ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٥] فبضميمة هذا مع قول إبليس عن نفسه: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ [ص:٧٦] يظهر أن إبليس من الجن.

وأجاب هذا الفريق من أهل العلم على دليل الجمهور: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤] بأن قالوا: إن هذا الاستثناء (إلا

=بينما صح عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس. أخرجه الطبري بإسناد صحيح (أثر ٦٩٦).

* وقال القاسمي في «محاسن التأويل»: الصواب التفصيل في هذه المسألة وأن القولين في الحقيقة قول واحد، فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله، كان أصله من نار، وأصل الملائكة من نور. فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتوارد على محل واحد، وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سُمُّوا (جنًّا) لاستتارهم عن الأعين فإبليس كان منهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات:١٥٨]، وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية.

(١) ذكر عن الشعبي أنه سئل هل لإبليس زوجة؟ قال: ذلك عرسٌ لم أشهده. قال: ثم قرأت هذه الآية يعني: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف:٥٠] فعلمت أنه لا يكون له ذُرية إلا من زوجة فقلت: نعم.

قال (مصطفى): ومما يؤيد أن له زوجة قوله عليه السلام إذا دخل الخلاء: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، والخبث: ذكران الشياطين، والخبائث: إناثهم، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

إبليس) استثناء منقطع، كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء:١٥٧]، فاتباع الظن ليس بعلم في الحقيقة.

وكقول الشاعر:

ليس عليك عطش ولا جوع ... إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فالرقاد ليس من العطش والجوع.

والراجح لدينا في هذا الباب - والله تعالى أعلم - هو القول بأن إبليس كان من الجن.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما معنى (استكبر)؟

ج: الاستكبار: الاستعظام فاستكبر استعظم وترفع على أمر الله ﷻ(١).

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٢٩٦)، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة:٣٤] الاستكبار: الاستعظام؛ فكأنه كَرِه السجود في حقه واستعظمه في حق آدم، فكان ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته، وعن هذا الكِبر عبر عليه السلام بقوله: «**لا يدخل الجنة مَن** [كان] **في قلبه مثقالُ حبة من خَرْدَل من كبر**». في رواية فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حَسنًا ونعله حسنَة. قال: «**إن الله جميل يحب الجمال الكِبرُ بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس**». أخرجه مسلم. ومعنى بطر الحق: تسفيهه وإبطاله. وغمْط الناس: الاحتقار لهم والازدراء بهم. ويروى: «وغمص» بالصاد المهملة، والمعنى واحد؛ يقال: غمَصه يغمصه غَمْصًا واغتمصه؛ أي: استصغره ولم يره شيئًا. وغَمص فلان النعمة إذا لم يشكرها. وغَمَصتُ عليه قولاً قاله، أي: عبته عليه. وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١] ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٣٣] فكفره الله بذلك. فكل من سفه شيئًا من أوامر الله تعالى أو أمر رسوله عليه السلام كان حُكْمُه حُكْمَه، هذا ما لا خلاف فيه. وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من الشجرة. وقال قتادة: حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال: أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ. وكان بدء الذنوب الكبر، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه.

Nooraalam.com

س: ما معنى ﴿كَانَ﴾ في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]؟

ج: لأهل العلم هنا أقوال منها:

۞ أن (كان) بمعنى (صار) أي: صار إبليس بامتناعه عن السجود من الكافرين، وهي على هذا التأويل كقوله تعالى في شأن نوح وولده: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[1] [هود:٤٣].

۞ أن (كان) هنا على معناها المعهود، والمعنى أنه كان مكتوبًا عند الله ﷻ من الكافرين فلذلك كفر.

۞ أنه كان قبله قوم كفار وكان منهم. وهذا القول الأخير لا دليل عليه فيما علمت، والله تعالى أعلم.

س: هل كان كفر إبليس كفر جحود؟

ج: لم يكن كفر إبليس كفر جحود، فقد كان إبليس يقرُّ بأن الله ﷻ خالقه ويُقر بأن الله ﷻ هو الذي أغواه، وذلك واضح من قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، وقوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦] وقال أيضًا: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢، ٨٣] ولكنه

(١) قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ (وكان) أي: صار من الكافرين، وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

قلت: وهنا يرد سؤال: هل كان إبليس منافقًا وقت العبادة أم أنه كان مؤمنًا ثم كفر؟ حكى القاسمي في «محاسن التأويل» قولين أحدهما: أنه وقت العبادة كان منافقًا والثاني: أنه كان مؤمنًا ثم كفر، وهذا قول الأكثرين.

Noorlabwi.com

كفر باعتراضه على أمر الله ورده له وتعاليه عليه قبل كفره بالامتناع عن السجود[1] وهذا يدل على أنه ليس كل من اعترف بوجود الله يُعدُّ مؤمنًا، فالمشركون كانوا يقرون بوجود الله سبحانه وأنه خالقهم ورازقهم وأن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، بل ويدعونه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] ويحجون ويلبون قائلين: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك... ولكنهم يزيدون فيقولون: (إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣] إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن المشركين كانوا يُقرون بوجود الله ﷻ وأنه خالقهم ورازقهم...، وهذا الذي يسميه العلماء توحيد الربوبية، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: لماذا استكبر إبليس وامتنع من السجود لآدم عليه السلام ؟

ج: استكبر إبليس احتقارًا لآدم إذ خُلق من طين وتعاليًا في نفسه؛ لأنه خُلق من نار، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٣٣]، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ «محاسن التأويل» (١/ ١٠٤): وقال جمهور الناس: كفر إبليس؛ لأنه أبى السجود واستكبر وعاند وطعن واعتقد أنه محق في تمرده، واستدل بـ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:١٢]، كما يأتي فكأنه ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله وحكمته، وهذا الكبر عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» كذا في كتاب الاستعاذة للإمام ابن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

MOSWAROOW.COM

س: من أول من استعمل القياس الفاسد؟ وكيف كان ذلك؟ وضح فساد هذا القياس؟

ج: أما أول من استعمل القياس الفاسد فهو إبليس وكان ذلك بأن قاس نفسه على عنصره الذي هو النار، وقاس آدم على عنصره الذي هو الطين، وفضل النار على الطين، ومن ثمَّ فضل نفسه على آدم عليه السلام ومن ثمَّ امتنع عن السجود لآدم عليه السلام.

❁ وفساد هذا القياس بالدرجة الأولى لمخالفته النص الصريح وهو الأمر بالسجود لآدم، فلا قياس مع النص، ونزيد هنا إيضاحًا فننقل ما ذكره الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (١/ ٧٣). فقال رحمه الله:

تنبيه: مثل قياس إبليس نفسه على عنصره، الذي هو النار وقياسه آدم على عنصره، الذي هو الطين واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم ولا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه، مع وجود النص الصريح الذي هو قوله تعالى: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ [البقرة:٣٤] يسمى في اصطلاح الأصوليين فاسد الاعتبار. وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

والخلف للنص أو إجماع دعا ... فساد الاعتبار من كل من وعى

فكل من رد نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس، وقياس إبليس هذا - لعنه الله - باطل من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه فاسد الاعتبار؛ لمخالفة النص الصريح كما تقدم قريبًا.

الثاني: أنا لا نسلم أن النار خير من الطين، بل الطين خير من النار؛ لأن طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعته الرزانة والإصلاح فتودعه الحبة فيعطيكها سنبلة، والنواة فيعطيكها نخلة.

MOSTAFALADAWY.COM

وإذا أردت أن تعرف قدر الطين فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من الثمار اللذيذة، والأزهار الجميلة، والروائح الطيبة. تعلم أن الطين خير من النار.

الثالث: أنا لو سلمنا تسليمًا جدليًّا أن النار خير من الطين: فإنه لا يلزم من ذلك أن إبليس خير من آدم؛ لأن شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع، بل قد يكون الأصل رفيعًا والفرع وضيعًا. كما قال الشاعر:

إِذَا افْتَخَرْتَ بِآبَاءٍ لَهُمْ شَرَفٌ ... قُلْنَا صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

وقال الآخر:

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ ... إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَهْ

❁ ❁ ❁

س: هل ندم إبليس على عدم طاعته لله إذ أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

ج: ورد ما يفيد ذلك، وهو ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله - وفي رواية: يا ويلي - أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فليَّ النار**»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما يستفاد من أمر الله عز وجل ملائكته بالسجود لآدم وامتناع إبليس من ذلك؟

ج: يُستفاد من هذا جملة أمور منها ما يلي:

❁ عقوبة الكبر الذي هو بطر الحق والاستعلاء على أمر الله عز وجل، فقد أودى هذا بإبليس إلى الكفر.

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٢/ ٦٩)، حديث (١٣٣).

۞ إن القلوب والبواطن يعلمها الله ﷻ، فنحن وإن حكمنا على الناس بظاهر ما بدا منهم وهذا هو المشروع لنا[١] - لكن قد يكون هناك وراء هذا الظاهر أمور أخرى تخالفه، فهذا إبليس كان ظاهره الصلاح وأنه في عداد الملائكة لكن لما أُمر بالسجود ظهرت حقيقته، وحقيقة مادته.

۞ فضل امتثال أمر الله ﷻ والتواضع له فلما أطاعت الملائكة أمر ربها وسجدت رفع الله قدرهم وأعلى الله منزلتهم، ووصفهم الله ﷻ بأنهم مقربون، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢]، وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦].

۞ ويستفاد أيضًا أن الأعمال بالخواتيم، فقد قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه[٢]: «**فوالله إن أحدكم - أو الرجل - ليعمل بعمل أهل النار**[٣] **حتى ما يكون بينه وبينها غيرُ باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**».

۞ وكانت خاتمة إبليس - لعنه الله - خاتمة سيئة عياذًا بالله من سوء الخاتمة.

---

(١) وقد قال النبي ﷺ: «**إنكم تختصمون لدي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقتطع له قطعة من نار، فإن شاء أخذها وإن شاء تركها**».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٩٤)، ومسلم (حديث ٢٦٤٣).

(٣) في حديث سهل بن سعد عند البخاري (٤٢٠٢) مرفوعًا: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**».

MOSTAFALABWAB.COM

❁ ويستفاد أيضًا أن المقدر سيقع لقوله تعالى في شأن إبليس: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فلما سبق في علم الله أن إبليس سيموت على الكفر تحقق فيه ما أخبر به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ ويستفاد أيضًا عقوبة الحسد فالحسد حمل إبليس على الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام ومن ثَمَّ أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة ذكر ﴿أَنتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ألم يكن يكفي اسكن وزوجك الجنة؟

ج: فائدة ذكر (أنت) التأكيد للمضمر الذي في قوله (اسكن)، وهي كما قال تعالى حاكيًا عن بني إسرائيل قولهم لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤].

س: هل ورد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء؟

ج: لم يرد لحواء ذكر في كتاب الله عز وجل باسم حواء لكن ورد قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أي: ذكرت بلفظ (زوج) أما في سنة رسول الله ﷺ ففي «الصحيح» أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها»[1].

❁ ❁ ❁

س: أين توجد الجنة وما الدليل على ذلك؟

ج: الجنة في السماء لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٤٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

[النجم:١٤، ١٥] وسدرة المنتهى في السماء (بعد السماء السابعة) كما في حديث المعراج[(١)].

وأيضًا كون الجنة في السماء لقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة:٣٦].

❀ ❀ ❀

س: هل الجنة التي سكنها آدم عليه السلام هي جنة الخلد؟

ج: نعم هي جنة الخلد عند جمهور أهل السنة والجماعة، واعترضت طائفة من المعتزلة على ذلك واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨] قالوا: وقد أُخرج آدم ﷺ وزوجه منها: وليس في هذه الآية دليل لهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ في شأن من سيدخلونها يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة:٣٥]؟

ج: الرَّغد هو الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعنِّي صاحبه، يقال: أرغد فلان إذا أصاب واسعًا من العيش الهنيء كما قال امرؤ القيس بن حُجر:

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا ... يَأْمَنُ الأَحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ

قاله الطبري رحمه الله.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم (١٦٢)، من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد ﷺ قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى.

MOSTAFALADY.COM

س: ما الشجرة التي نهى الله ﷻ آدم عليه السلام عن الأكل منها؟

ج: قيل في ذلك جملة أقوال منها: أنها شجرة التين، ومنها أنها شجرة الكرم (العنب)، ومنها أنها السنبلة، إلى غير ذلك من الأقوال، وكلها أقوال تفتقر إلى دليل صحيح، وليس ثَمَّ دليل صحيح في تسميتها، ولو كان في تسميتها خير ومنافع للعباد لسماها الله ﷻ وقد قال الطبري رحمه الله قولاً حسنًا في ذلك فقال رحمه الله (١/ ٥٢٠ - ٥٢١):

والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، وأشار لهما إليها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥] ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها، بنصٍّ عليها باسمها، ولا بدلالة عليها. ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أيٍّ رضًا، لم يخل عباده من نَصْب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضًا.

فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به. ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة فأنَّى يأتي ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك عِلْم،

Mostafabdy.com

إذا عُلِم لم ينفع العالِم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهلهُ به[1].

❀ ❀ ❀

س: ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]؟

ج: المراد بالظلم ابتداءً وضع الشيء في غير موضعه، هذا أصل تعريف (الظلم) في كلام العرب.

أما المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقد قال الطبري رحمه الله: فإنه يعني فتكونان من المتعدِّين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه، وإنما عني بذلك: أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تَعدَّى حُدودي وعَصى أمري واستحلَّ محارمي لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين.

وقال غيره: يعني: إن أكلتما من هذه الشجرة ظلمتما أنفسكما.

❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نوع ابتلاء وضحه.

ج: يوضحه ما قاله قتادة بن دِعامة رحمه الله حيث قال: قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة:٣٥] ثم إن البلاء الذي كُتب على الخلق كُتب على آدم كما ابتلي الخلق قبله أن الله جل ثناؤه أحل له ما في

---

(١) فائدة: قال الطبري رحمه الله (١/ ٥١٦): والشجر في كلام العرب كل ما قام على ساق، ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦] يعني بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت، وبالشجرة ما استقل على ساق.

قلت: ومراده بالنجم ما هو مثل الحشيش الذي ينبت بدون ساق ونحوه، وسيأتي هل هو المراد أم لا، عند قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ إن شاء الله.

Mostafa Adawy.com

الجنة أن يأكل منها رغدًا حيث شاء غير شجرة واحدة نُهي عنها وقُدِّم إليه فيها فما زال به البلاء حتى وقع بالذي نهي عنه[١].

❁ ❁ ❁

بحث في سد الذرائع

س: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة:٣٥] سدٌّ للذرائع، وضح ذلك واذكر الأدلة الواردة في باب سد الذرائع.

ج: وجه ذلك أن النهي عن الاقتراب من الشجرة يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، فنهى عن الاقتراب سدًّا للذريعة حتى لا يتوصل بالاقتراب من الشجرة إلى الأكل منها.

أما الأدلة على سد الذرائع فكثيرة منها:

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام:١٥١].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

❁ وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه**»[٢].

❁ وقول النبي ﷺ: «**يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت**

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن (٧١٧)، عن قتادة.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

MOSTAFALOVE.COM

الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم..»[(١)].

❁ ومنها: النهي عن إشارة الرجل إلى أخيه بالسلاح[(٢)].

---

(١) صحيح، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) كما في الصحيحة، وهذا بحث ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله في سد الذرائع في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين: قال رحمه الله:

فصل سد الذرائع

لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقُرُبات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل.

فإذا حَرَّم الربُّ تعالى شيئًا، وله طرق ووسائل تفضِي إليه، فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقًا لتحريمه، وتثبيتًا له، ومنعًا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك، فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعُدَّ متناقضًا، ولحصل من رعيته وجنده ضدّ مقصوده.

وكذلك الأطباء إذا أرادوا حسم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة إليه، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه. فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمَها ونهى عنها، والذريعة؛ ما كان وسيلة وطريقًا إلى الشيء.

ولا بد من تحرير هذا الموضع قبل تقريره ليزول الالتباس فيه، فنقول:

الفعل أو القول المفضي إلى المَفْسَدَةِ قسمان:

أحدهما: أن يكون وضعه للإفضاء إليها كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر، وكالقَذْف المفضي إلى مفسدة الفرية، والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش، ونحو ذلك أفعال وأقوال وضعت مفضية لهذه المفاسد وليس لها ظاهر غيرها.

والثاني: أن تكون موضوعة للإفضاء إلى أمر جائز أو مستحب، فيتخذ وسيلة إلى المحرم إما بقصده أو بغير قصد منه.

=

MOSTAFAWY.COM

. . . . . .

=فالأول: كمن يعقد النكاح قاصدًا به التحليل، أو يعقد البيع قاصدًا به الربا أو يخالع قاصدًا به الحنث، ونحو ذلك.

والثاني: كمن يُصَلي تطوعًا بغير سبب في أوقات النهي، أو يسب أرباب المشركين بين أظهرهم، أو يصلي بين يدي القبر لله، ونحو ذلك.

ثم هذا القسمُ من الذرائع نوعان: أحدهما: أن تكون مصلحة الفعل أرجَحَ من مفسدته.

والثاني: أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته؛ فهاهنا أربعة أقسام:

الأول: وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة.

الثاني: وسيلة موضوعة للمُبَاح قُصِدَ بها التوسل إلى المفسدة.

الثالث: وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوسل إلى المفسدة لكنها مُفضية إليها غالبًا، ومفسدتها أرجح من مصلحتها.

الرابع: وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها، فمثال القسم الأول والثاني قد تقدم، ومثال الثالث: الصلاةُ في أوقات النهي ومَسَبَّة آلهة المشركين بين ظَهْرَانيهم، وتزين المتوفى عنها في زمن عِدتها، وأمثال ذلك. ومثال الرابع: النظر إلى المخطوبة والمُسْتامة والمشهود عليها ومَن يطؤها ويعاملها، وفعل ذوات الأسباب في أوقات النهي، وكلمة الحق عند ذي سلطان جائر ونحو ذلك، فالشريعة جاءت بإباحة هذا القِسم أو استحبابه أو إيجابه بحسب درجاته في المصلحة، وجاءت بالمنع من القسم الأول كراهة أو تحريمًا بحسب درجاته في المفسدة، بقي النظر في القسمين الوسط: هل هما مما جاءت الشريعة بإباحتهما أو المنع منهما؟ فنقول:

الدلالة على المنع من وجوه:

الوجه الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

فحرم الله تعالى سَبَّ آلهة المشركين مع كون السب غيظًا وحمية لله وإهانة لآلهتهم لكونه ذريعةً إلى سبهم لله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم، وهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سببًا في فعل ما لا يجوز.

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] فمنعهم من الضرب بالأرجل، وإن كان جائزًا في نفسه، لئلا يكون سببًا إلى سَمْع الرجال صوتَ الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهنَّ.

=

Nostrabook.com

=الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ الآية [النور:٥٨].

أمر تعالى مماليكَ المؤمنين ومن لم يبلغ منهم الحلم أن يستأذنوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة لئلا يكون دخولهم هجمًا بغير استئذان فيها ذريعةً إلى اطلاعهم على عَوْراتهم وقت إلقاء ثيابهم عند القائلة والنوم واليقظة، ولم يأمرهم بالاستئذان في غيرها، وإن أمكن في تركه هذه المفسدة لنُدُورها وقلة الإفضاء إليها فجعلت كالمقدمة.

الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة:١٠٤].

نهاهم سبحانه أن يقولوا هذه الكلمة مع قصدهم بها الخير لئلا يكون قولهم ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم، فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويقصدون بها السبَّ، يقصدون فاعلاً من الرعونة، فَنُهِيَ المسلمون عن قولها؛ سدًّا لذريعة المشابهة؛ ولئلا يكون ذلك ذريعةإلى أن يقولها اليهود للنبي ﷺ تشبهًا بالمسلمين، يقصدون بها غير ما يقصده المسلمون، [ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدًا].

الوجه الخامس: قوله تعالى لكليمه موسى وأخيه هارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:٤٣، ٤٤]، فأمر تعالى أن يُلينا القولَ لأعظم أعدائه وأشدهم كفرًا وأعتاهم عليه؛ لئلا يكون إغلاظُ القول له مع أنه حقيق به ذريعةً إلى تنفيره وعدم صبره لقيام الحجة، فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى.

الوجه السادس: أنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصفح، لئلا يكون انتصارهم ذَريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدةً من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيْم، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة.

الوجه السابع: أنه تعالى نهى عن البيع وقت نداء الجمُعة، لئلا يتخذ ذريعة إلى التشاغل بالتجارة عن حضورها.

الوجه الثامن: ما رواه حُمَيْد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسبُّ أبا الرجل فَيُسب أباه، ويسب أمه فيُسب أمه**» متفق عليه.

ولفظ البخاري: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه**».

فجعل رسول الله ﷺ الرجل سابًّا لاعنًا لأبويه بتسببه إلى ذلك، وتوسُّله إليه لم يقصده.

Mostafa Adawy.com

الوجه التاسع: أن النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة؛ لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه، وقولهم: إن محمدًا يقتل أصحابه، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومَنْ لم يدخل فيه، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل.

الوجه العاشر: أن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من المفاسد الكثيرة المترتبة على زوال العقل، وهذا ليس مما نحن فيه، لكن حرَّم القطرة الواحدة منها، وحرَّم إمساكها للتخليل ونجسها؛ لئلا تتخذ القطرة ذريعة إلى الحَسْوَة(*)، ويتخذ إمساكها للتخليل ذريعة إلى إمساكها للشرب.

ثم بالغ في سد الذريعة، فنهى عن الخليطين، وعن شرب العصير بعد ثلاث، وعن الانتباذ في الأوْعية التي قد يتخمر النبيذ فيها، ولا يعلم به، حسمًا لمادة قربان المسكر، وقد صرح ﷺ بالعلة في تحريم القليل فقال: «**لو رخصت لكم في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه**».

الوجه الحادي عشر: أنه ﷺ حرم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن، والسفر بها، ولو في الحج وزيارة الوالدين، سدًّا لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع.

الوجه الثاني عشر: أن الله تعالى أمر بغضِّ البصر وإن كان إنما يقع على

محاسن الخلقة والتفكر في صنع الله؛ سدًّا لذريعة الإرادة والشهوة المُفْضية إلى المحظور.

الوجه الثالث عشر: أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن مَنْ فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور، وتشريفها، واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيدًا، وعن شد الرحال إليها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها، وحرم ذلك على مَنْ قصده، ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدًّا للذريعة.

الوجه الرابع عشر: أنه ﷺ نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وكان من حكمة ذلك أنهما وقْتُ سجود المشركين للشمس، وكان النهي عن الصلاة في ذلك الوقت سدًّا لذريعة المشابهة الظاهرة، التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بُعد هذه الذريعة، فكيف بالذرائع القريبة؟!

الوجه الخامس عشر: أنه ﷺ نهى عن التشبُّه بأهل الكتاب في أحاديث كثيرة، كقوله: «**إن اليهود والنصارى لا يَصبغونَ، فخالفوهم**».

وقوله: «**إن اليهود لا يُصلُّون في نعالهم فخالفوهم**».

(*) الحُسوة بضم الحاء: الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة، والحسوة بفتحها: المرة.

وقوله في عاشوراء: «**خالفوا اليهود، صُومُوا يومًا قبله ويومًا بعده**»، وقوله: «**لا تَشبهُوا بالأعاجم**».

. . . . . .

=وروى الترمذي عنه: «**ليس منا من تشبه بغيرنا**».

وروى الإمام أحمد عنه: «**مَن تشبه بقوم فهو منهم**».

وسر ذلك أن المشابهة في الهَدْي الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل.

الوجه السادس عشر: أنه ﷺ حَرَّمَ الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وقال: «**إنكم إذا فعلتم ذلك قطَعْتم أرحامكم**» حتى لو رضيت امرأة بذلك لم يجز؛ لأن ذلك ذريعة إلى القطيعة المحرمة، كما علل به النبي ﷺ.

الوجه السابع عشر: أنه حرم نكاح أكثر من أربع؛ لأن ذلك ذريعة إلى الجور، وقيل: العلة فيه أنه ذريعة إلى كثرة المؤنة المُفْضية إلى أكل الحرام، وعلى التقديرين فهو من باب سد الذرائع، وأباح الأربع وإن كان لا يؤمن الجورُ في اجتماعهن؛ لأن حاجته قد لا تندفع بما دونهن، فكانت مصلحة الإباحة أرجح من مفسدة الجور المتوقعة.

الوجه الثامن عشر: أن الله تعالى حرم خِطْبَةَ المُعْتَدَّة صريحًا، حتى حرم ذلك في عدة الوفاة، وإن كان المرجع في انقضائها ليس إلى المرأة، فإن إباحة الخِطبَة قد تكون ذريعة إلى استعجال المرأة بالإجابة والكذب في انقضاء عدتها.

الوجه التاسع عشر: أن الله تعالى حرم عقد النكاح في حال العدة وفي الإحرام وإن تأخر الوطء إلى وقت الحل؛ لئلا يتخذ العقد ذريعة إلى الوطء، ولا ينتقض هذا بالصيام، فإن زمنه قريب جدًّا، فليس عليه كلفة في صبره بعضَ يوم إلى الليل.

الوجه العشرون: أن الشارع حَرم الطِّيبَ على المُحرم لكونه من أسباب دواعي الوطء، فتحريمه من باب سد الذريعة.

الوجه الحادي والعشرون: أن الشارع اشترط للنكاح شروطًا زائدة على العقد تَقْطَع عنه شَبَه السِّفاح، كالإعلام، والولي، ومَنَع المرأة أن تليه بنفسها، وندب إلى إظهاره حتى استحب فيه الدف والصوت والوليمة.

وكان أصل ذلك في قوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [المائدة:٥]، و﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء:٢٥]؛ لأن في الإخلال بذلك ذريعة إلى وقوع السِّفاح بصورة النكاح، وزوال بعض مقاصد النكاح من جحْد الفراش، ثم أكد ذلك بأن جعل للنكاح حريمًا من العِدَّة تزيد على مقدار الاستبراء، وأثبت له أحكامًا من المصاهرة وحرمتها ومن المواريث زائدة على مجرد الاستمتاع.

فعلم أن الشارع جعله سببًا ووُصْلة بين الناس بمنزلة الرحم كما جمَع بينهما في قوله: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا

MOSTAFALAWY.COM

=وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان:٥٤]، وهذه المقاصد تمنع شَبَهَهُ بالسفاح، وتبين أن نكاح المحلل بالسفاح أشبهُ منه بالنكاح (حيث كانت هذه الخصائص غير متيقنة فيه).

الوجه الثاني والعشرون: أن النبي ﷺ نَهى أن يجمع الرجل بين سَلفٍ وبيع، وهو حديث صحيح.

ومعلوم أنه لو أفرد أحدَهما عن الآخر صح؛ وإنما ذاك لأن اقتران أحدهما بالآخر ذريعة إلى أن يُقْرِضهُ ألفًا، ويبيعه سلعة تساوي ثمانمائة بألف أخرى، فيكون قد أعطاه ألفًا وسلعة بثمانمائة ليأخذ منه ألفين، وهذا هو معنى الربا.

فانظر إلى حمايته الذريعة إلى ذلك بكل طريق، وقد احتج بعض المانعين لمسألة مُدِّ عَجْوَة بأن قال: إن مَنْ جَوَّزها يجوز أن يبيع الرجل ألف دينار في منديل بألف وخمسمائة مفردة، قال: وهذا ذريعة إلى الربا، ثم قال: يجوز أن يقرضه ألفًا ويبيعه المنديل بخمسمائة.

وهذا هو بعينه الذي نَهَى عنه رسول الله ﷺ، وهو من أقرب الذرائع إلى الربا، ويلزم مَنْ لم يسدَّ الذرائعَ أن يخالف النصوص ويجيز ذلك، فكيف يترك أمرًا ويرتكب نظيره من كل وجه؟<

الوجه الثالث والعشرون: أن الآثار المتظاهرة في تحريم العِينَةِ عن النبي ﷺ، وعن الصحابة تدل على المنع من عَوْدِ السلعة إلى البائع، وإن لم يتواطئا على الربا، وما ذاك إلا سدًّا للذريعة.

الوجه الرابع والعشرون: أن النبي ﷺ مَنَع المُقْرِضَ من قبوله الهدية، وكذلك أصحابه، حتى يحسبها من دَيْنه؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تأخير الدين لأجل الهدية فيكون ربًا، فإنه يعود إليه مالُه وأخذ الفضْل الذي استفاده بسبب القرض.

الوجه الخامس والعشرون: أن الوالي والقاضي والشافع ممنوع من قبول الهدية، وهو أصل فساد العالم، وإسنادِ الأمر إلى غير أهله، وتولية الخونة والضعفاء والعاجزين، وقد دخل بذلك من الفساد ما لا يحصيه إلا الله، وما ذاك إلا لأن قبول الهدية ممن لم تجر عادته بمهاداته ذريعة إلى قضاء حاجته، وحُبُّكَ الشيء يُعْمي ويُصِمُّ، فيقوم عنده شهوة لقضاء حاجته مكافأة له مقرونة بشَرَه وإغماض عن كونه لا يصلح.

الوجه السادس والعشرون: أن السنة مَضَتْ بأنه ليس للقاتل من الميراث شيء: إما عمدًا كما قال مالك، وإما مباشرة كما قال أبو حنيفة، وإما قتلاً مضمونًا بقصاص أو دية أو كفارة، وإما قتلاً بغير حق، وإما قتلاً مطلقًا كما هي أقوال في مذهب الشافعي وأحمد، والمذهب الأول، وسواء قصد القاتل أن يتعجل الميراث أو لم يقصده، فإن رعاية هذا القصد غير معتبرة في المنع وفاقًا؛ وما ذاك إلا أن توريث القاتل ذريعة إلى وقوع هذا الفعل، فسدَّ الشارعُ الذريعة بالمنع.

الوجه السابع والعشرون: أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وَرَّثوا المطلقة المبتوتة في

. . . . . .

=مرض الموت حيث يُتَّهم بقصد حرمانها الميراث بلا تردد وإن لم يقصد الحرمان؛ لأن الطلاق ذريعة، وأما إذا لم يُتَّهم ففيه خلاف معروف مأخذه أن المرض أوجب تعلق حقها بماله، فلا يمكَّنُ من قطعه أو سدًّا للذريعة بالكلية، وإن كان في أصل المسألة خلاف متأخر عن إجماع السابقين.

الوجه الثامن والعشرون: أن الصحابة وعامة الفقهاء اتفقوا على قتل الجميع بالواحد وإن كان أصل القصاص يمنع ذلك؛ لئلا يكون عدمُ القصاص ذريعةً إلى التعاون على سَفْك الدماء.

الوجه التاسع والعشرون: أن النبي ﷺ نهى أن تقطع الأيدي في الغَزْو؛ لئلا يكون ذريعة إلى إلحاق المحدود بالكفار، ولهذا لا تقام الحدود في الغزو كما تقدم.

الوجه الثلاثون: أن النبي ﷺ نَهَى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن تكون له عادة توافق ذلك اليوم، ونهى عن صوم يوم الشك؛ وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذريعةً إلى أن يلحق بالفرض ما ليس منه.

وكذلك حرم صوم يوم العيد تمييزًا لوقت العبادة عن غيره لئلا يكون ذريعة إلى الزيادة في الواجب، كما فعلت النصارى، ثم أكد الغرض باستحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور، واستحباب تعجيل الفطر في يوم العيد قبل الصلاة، وكذلك نَدَب إلى تمييز فرض الصلاة عن نفلها، فكره للإمام أن يتطوع في مكانه، وأن يستديم جلوسَهُ مستقبل القبلة، كل هذا سدًّا للباب المفضِي إلى أن يزاد في الفرض ما ليس منه.

الوجه الحادي والثلاثون: أنه ﷺ كره الصلاة إلى ما قد عُبِدَ من دون الله تعالى وأحبَّ لمن صلى إلى عود أو عمود أو شجرة أو نحو ذلك أن يجعله على أحد جانبيه، ولا يَصْمُدُ إليه صَمْدًا، قطعًا لذريعة التشبه بالسجود إلى غير الله تعالى.

الوجه الثاني والثلاثون: أنه شرع الشُّفعة، وسَلَّط الشريك على انتزاع الشقص من يد المشتري سدًّا لذريعة المفسدة المتعلقة بالشريك والقسمة.

الوجه الثالث والثلاثون: أن الحاكم منهيٌّ عن رفع أحد الخصمين على الآخر، وعن الإقبال عليه دونه، وعن مشاورته والقيام له دون خصمه؛ لئلا يكون ذريعة إلى انكسار قلب الآخر وضعفه عن القيام بحجته وثقل لسانه بها.

الوجه الرابع والثلاثون: أنه ممنوع من الحكم بعلمه؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى حكمه بالباطل ويقول: حكمت بعلمي.

الوجه الخامس والثلاثون: أن الشريعة منعت من قبول شهادة العدو على عدوه؛ لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى بلوغ غرضه من عدوه بالشهادة الباطلة.

الوجه السادس والثلاثون: أن الله تعالى منع رسوله حيث كان بمكة من الجَهْرِ بالقرآن، حيث كان=

Mostafa.com

. . . . . .

=المشركون يسمعونه فيسبون القرآن، ومن أنزله ومَن جاء به، ومن أُنزل عليه.

الوجه السابع والثلاثون: أن الله تعالى أوجب الحدود على مرتكبي الجرائم التي تتقاضاها الطباع وليس عليها وازع طبعِي، والحدود عقوبات لأرباب الجرائم في الدنيا كما جعلت عقوبتهم في الآخرة بالنار إذا لم يتوبوا، ثم إنه تعالى جعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فمن لقيه تائبًا توبة نصوحًا لم يعذبه مما تاب منه.

وهكذا في أحكام الدنيا إذا تاب توبة نصوحًا قبل رفعه إلى الإمام سقط عنه الحد في أصح قَولِي العلماء، فإذا رفع إلى الإمام لم تسقط توبته عنه الحدَّ [وإن غلب على ظنه أنه لا يعود إليها] لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى تعطيل حدود الله، إذ لا يعجز كل من وجب عليه الحدُّ أن يظهر التوبة ليتخلص من العقوبة، وإن تاب توبة نصوحًا سدًّا لذريعة السكوت بالكلية.

الوجه الثامن والثلاثون: أن الشارع أمر بالاجتماع على إمام واحد في الإمامة الكبرى، وفي الجمعة والعيدين والاستسقاء وصلاة الخوف، مع كون صلاة الخوف بإمامين أقرب إلى حصول صلاة الأمن؛ وذلك سدًّا لذريعة التفريق والاختلاف والتنازع؛ وطلبًا لاجتماع القلوب وتألُّف الكلمة، وهذا من أعظم مقاصد الشرع، وقد سد الذريعة إلى ما يُناقضه بكل طريق، حتى في تسوية الصف في الصلاة؛ لئلا تختلف القلوب، وشواهِدُ ذلك أكثر من أن تذكر.

الوجه التاسع والثلاثون: أن السنة مَضَتْ بكراهة إفراد رجب بالصوم، وكراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلتها بالقيام،سدًّا الذريعة اتخاذ شرْع لم يأذن به الله من تخصيص زمان أو مكان بما لم يخصه به؛ ففي ذلك وقوعٌ فيما وقع فيه أهل الكتاب.

الوجه الأربعون: أن الشروط المضروبة على أهل الذمة تضمنت تمييزهم عن المسلمين في اللباس والشعور والمراكب وغيرها؛ لئلا تفضي مشابهتهم إلى أن يُعامل الكافر معاملة المسلم، فسدت هذه الذريعة بإلزامهم التميز عن المسلمين.

الوجه الحادي والأربعون: أن النبي ﷺ أمر ناجية بن كعب الأسلمي وقد أرسل معه هديه إذا عطب منه شيء دون المحل أن ينحره ويصبغ نعله التي قلده بها في دمه ويخلي بينه وبين الناس، ونهاه أن يأكل منه هو أو أحد من أهل رفقته.

قالوا: وما ذاك إلا لأنه لو جاز أن يأكل منه أو يطعم أهل رفقته قبل بلوغ المحل فربما دعاه ذلك إلى أن يقصر في علفها وحفظها لحصول غرضه من عطبها دون المحل كحصوله بعد بلوغ المحل من أكله هو ورفقته وإهدائهم إلى أصحابهم، فإذا أيس من حصول غرضه في عطبها كان ذلك أدعى إلى حفظها حتى تبلغ محلها، وأحسم لمادة هذا الفساد، وهذا من ألطف أنواع سد الذرائع.=

Nostrabooks.com

. . . . . .

=**الوجه الثاني والأربعون:** أن النبي ﷺ أمر الملتقط أن يشهد على اللقطة، وقد علم أنه أمين، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة الطمع والكتمان، فإذا بادر وأشهد كان أحسم لمادة الطمع والكتمان، وهذا أيضًا من ألطف أنواعها.

الوجه الثالث والأربعون: أنه ﷺ قال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد**»، وذم الخطيب الذي قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى؛ سدًّا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ، وحسمًا لمادة الشرك حتى في اللفظ؛ ولهذا قال للذي قال له: ما شاء الله وشئت: «**أجعلتني لله ندًّا؟**» فحسم مادة الشرك وسد الذريعة إليه في اللفظ كما سدها في الفعل والقصد، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها، وأعمها.

الوجه الرابع والأربعون: أنه ﷺ أمر المأمومين أن يُصلوا قعودًا إذا صلى إمامهم قاعدًا، وقد تواتر عنه ذلك، ولم يجئ عنه ما يَنسخه، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة مُشابهة الكفار حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود، كما علله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وهذا التعليل منه يبطل قول من قال: إنه منسوخ، مع أن ذلك دعوى لا دليل عليها.

الوجه الخامس والأربعون: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمر المصلي بالليل إذا نعس أن يذهب فليرقد، وقال: «**لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**»، فأمره بالنوم؛ لئلا تكون صلاته في تلك الحال ذريعة إلى سبه لنفسه، وهو لا يشعر لغلبة النوم.

الوجه السادس والأربعون: أن الشارع صلوات الله عليه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يستام على سوم(*) أخيه أو يبيع على بيع أخيه، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى التباغض والتعادي؛ فقياس هذا أنه لا يستأجر على إجارته، ولا يخطب ولاية ولا منصبًا على خطبته، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه.

الوجه السابع والأربعون: أنه نهى عن البول في الجحر، وما ذاك إلا لأنه قد يكون ذريعة إلى خروج حيوان يؤذيه، وقد يكون من مساكن الجن فيؤذيهم بالبول، فربما آذوه.

الوجه الثامن والأربعون: أنه نهى عن البراز في قارعة الطريق والظل والموارد، لأنه ذريعة لاستجلاب اللعن كما علل به ﷺ بقوله: «**اتقوا الملاعن الثلاث**»، وفي لفظ: «**اتقوا اللاعنين**»، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس، وفي ظلهم**».

الوجه التاسع والأربعون: أنه نهاهم إذا أقيمت الصلاة أن يقوموا حتى يروه قد خرج؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قيامهم لغير الله، ولو كانوا إنما يقصدون القيام للصلاة، لكن قيامهم قبل خروج الإمام ذريعة، ولا مصلحة فيها، فنهوا عنه.

=

MOSTAFAADEL.COM

(*) المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة، وفصل ثمنها، يقال: سام يسوم سومًا، ومساوم واستام. والمنهي عنه أن يتساوم المتبايعان في السلعة ويتقارب الانعقاد، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة، ويخرج من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر عليه الأمر بين المتساومين، ورضيا به قبل الانعقاد، قاله المعلق على إعلام الموقعين.

الوجه الخمسون: أنه نهى أن توصل صلاة بصلاة الجمعة، حتى يتكلم أو يخرج؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى تغيير الفرض، وأن يزاد فيه ما ليس منه. قال السائب بن يزيد: صليت الجمعة في المقصورة، فلما سلم الإمام قمت في مقامي فصليت، فلما دخل معاوية أرسل إليَّ، فقال: لا تعد لما فعلت، إذا صليت الجمعة فلا تَصِلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمر بذلك ألا توصل الصلاة حتى يتكلم أو يخرج.

الوجه الحادي والخمسون: أنه أمر من صلى في رحله ثم جاء المسجد أن يصلي مع الإمام وتكون له نافلة؛ لئلا يتخذ قعوده والناس يصلون ذريعة إلى إساءة الظن به، وأنه ليس من المصلين.

الوجه الثاني والخمسون: أنه نهى أن يسمر بعد العشاء الآخرة إلا لمصل أو مسافر، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها، وما ذاك إلا لأن النوم قبلها ذريعة إلى تفويتها، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره.

الوجه الثالث والخمسون: أنه نهى النساء إذا صلين مع الرجال أن يرفعن رءوسهن قبل الرجال؛ لئلا يكون ذريعة منهن إلى رؤية عورات الرجال من وراء الإزار كما جاء التعليل بذلك في الحديث.

الوجه الرابع والخمسون: أنه نهى الرجل أن يتخطى المسجد الذي يليه إلى غيره، كما رواه بقية عن المجاشع بن عمرو عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «**ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه، ولا يتخطاه إلى غيره**».

وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى هجر المسجد الذي يليه وإيحاش صدر الإمام، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة، أو يرمي ببدعة، أو يعلن بفجور، فلا بأس بتخطيه إلى غيره.

الوجه الخامس والخمسون: أنه نهى الرجل بعد الأذان أن يخرج من المسجد حتى يصلي؛ لئلا يكون خروجه ذريعة إلى اشتغاله عن الصلاة جماعة كما قال عمار لرجل رآه قد خرج بعد الأذان: أما هذا فقد عصى أبا القاسم.

الوجه السادس والخمسون: أنه نهى عن الاحتباء(*) يوم الجمعة، كما رواه أحمد في مسنده من حديث سهل بن معاذ عن أبيه: نهى رسول الله ﷺ عن الاحتباء يوم الجمعة، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى النوم.

الوجه السابع والخمسون: أنه نهى المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب أو تصيب بخورًا؛ وذلك =

Mostafawy.com

. . . . . .

=لأنه ذريعة إلى ميل الرجال وتشوفهم إليها، فإن رائحتها وزينتها وصورتها وإبداء محاسنها تدعو إليها، فأمرها أن تخرج تفلة وأن لا تتطيب، وأن تقف خلف الرجال، وأن لا تُسَبِّح في الصلاة إذا نابها شيء، بل تصفق ببطن كفها على ظهر الأخرى، كل ذلك سدًّا للذريعة وحماية عن المفسدة.

(*) الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره أو يشده عليهما، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب.

الوجه الثامن والخمسون: أنه نهى أن تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها، ولا يخفى أن ذلك سد للذريعة، وحماية عن مفسدة وقوعها في قلبه، وميله إليها بحضور صورتها في نفسه، وكم ممن أحب غيره بالوصف قبل الرؤية.

الوجه التاسع والخمسون: أنه نهى عن الجلوس بالطرقات وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى النظر إلى المحرم، فلما أخبروه أنه لا بد لهم من ذلك، قال: «**أعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حقه؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام**».

الوجه الستون: أنه نهى أن يبيت الرجل عند امرأة إلا أن يكون ناكحًا، أو ذا رحم محرم، وما ذاك إلا لأن المبيت عند الأجنبية ذريعة إلى المحرم.

الوجه الحادي والستون: أنه نهى أن تُباع السلع حيث تباع حتى تنقل عن مكانها، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى جحد البائع البيع وعدم إمامه إذا رأى المشتري قد ربح فيها، فيغره الطمع، وتشح نفسه بالتسليم كما هو الواقع. وأكد هذا المعنى بالنهي عن ربح ما لم يضمن، وهذا من محاسن الشريعة وألطف باب لسد الذرائع.

الوجه الثاني والستون: أنه نهى عن بيعتين في بيعة، وهو الشرطان في البيع في الحديث الآخر، وهو الذي لعاقده أوكس البيعتين، أو الربا في الحديث الثالث، وذلك سد لذريعة الربا فإنه إذا باعه السلعة بمائة مؤجلة، ثم اشتراها منه بمائتين حالة فقد باع بيعتين في بيعة، فإن أخذ بالثمن الزائد أخذ بالربا، وإن أخذ بالناقص أخذ بأوكسهما.

وهذا من أعظم الذرائع إلى الربا، وأبعد كل البعد من حمل الحديث على البيع بمائة مؤجلة أو خمسين حالة، وليس هاهنا ربا ولا جهالة ولا غرر ولا قمار ولا شيء من المفاسد، فإنه خيره بين أي الثمنين شاء، وليس هذا بأبعد من تخييره بعد البيع بين الأخذ والإمضاء ثلاثة أيام.

وأيضًا فإنه فرق بين عقدين كل منهما ذريعة ظاهرة جدًّا إلى الربا، وهما السلف والبيع والشرطان في البيع، وهذان العقدان بينهما من النسب والإخاء والتوسل بهما إلى أكل الربا ما يقتضي الجمع بينهما في التحريم، فصلوات الله وسلاه على من كلامه الشفاء والعصمة والهدى والنور.

=

MostafaAdw.com

. . . . . .

=الوجه الثالث والستون: أنه أمر أن يفرق بين الأولاد في المضاجع، وأن لا يترك الذكر ينام مع الأنثى في فراش واحد، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما المواصلة المحرمة بواسطة اتحاد الفراش، ولا سيما مع الطول، والرجل قد يعبث في نومه بالمرأة في نومها إلى جانبه وهو لا يشعر، وهذا أيضًا من ألطف أنواع سد الذرائع.

الوجه الرابع والستون: أنه نهى أن يقول الرجل: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست (*) نفسي؛ سدًّا

(*) لقست: غثت، واللقس: الغثيان.

لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش وسدًّا لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ، فإن الألفاظ تتقاضى معانيها وتطلبها بالمشاكلة والمناسبة التي بين اللفظ والمعنى، ولهذا قَلَّ من تجده يعتاد لفظًا إلا ومعناه غالب عليه، فسد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذريعة الخبث لفظًا ومعنى، وهذا أيضًا من ألطف الباب.

الوجه الخامس والستون: أنه نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي، وفتاتي، ونهى أن يقول لغلامه: وضِّئ ربك، أطعم ربك، سدًّا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى، وإن كان الرب هاهنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد، حماية لجانب التوحيد، وسدًّا لذريعة الشرك.

الوجه السادس والستون: أنه نهى المرأة أن تسافر بغير محرم، وما ذلك إلا أن سفرها بغير محرم قد يكون ذريعة إلى الطمع فيها والفجور بها.

الوجه السابع والستون: أنه نهى عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فيما يحدثون به، لأن تصديقهم قد يكون ذريعة إلى التصديق بالباطل، وتكذيبهم قد يكون ذريعة إلى التكذيب بالحق، كما علل به في نفس الحديث.

الوجه الثامن والستون: أنه نهى أن يسمي عبده بأفلح ونافع ورباح ويسار، لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى ما يكره من الطيرة بأن يقال: ليس هاهنا يسار، ولا رباح، ولا أفلح، وإن كان إنما قصد اسم الغلام، ولكن سدًّا لذريعة اللفظ المكروه الذي يستوحش منه السامع.

الوجه التاسع والستون: أنه نهى الرجال عن الدخول على النساء؛ لأنه ذريعة ظاهرة.

الوجه السبعون: أنه نهى أن يسمى باسم برة؛ لأنه ذريعة إلى تزكية النفس بهذا الاسم، وإن كان إنما قصد العلمية.

الوجه الحادي والسبعون: أنه نهى عن التداوي بالخمر، وإن كانت مصلحة التداوي راجحة على=

Nosrabooks.com

. . . . . .

=مفسدة ملابستها؛ سدًّا لذريعة قربانها واقتنائها ومحبة النفوس لها، فحسم عليها المادة حتى في تناولها على وجه التداوي، وهذا أبلغ سد الذرائع.

الوجه الثاني والسبعون: أنه نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث؛ لأن ذلك ذريعة إلى حزنه وكسر قلبه وظنه السوء.

الوجه الثالث والسبعون: أن الله حرم نكاح الأمة على القادرعلى نكاح الحرة إذا لم يخش العنت، لأن ذلك ذريعة إلى إرقاق ولده، حتى لو كانت الأمة من الآيسات من الحبل والولادة لم تحل له سدًّا للذريعة، ولهذا منع الإمام أحمد الأسير والتاجر أن يتزوج في دار الحرب خشية تعريض ولده للرق، وعلله بعلة أخرى، وهي أنه قد لا يمكن منع العدو من مشاركته في زوجته.

الوجه الرابع والسبعون: أنه نهى أن يورد ممرض على مصح؛ لأن ذلك قد يكون ذريعة إما إلى إعدائه، وإما إلى تأذيه بالتوهم والخوف، وذلك سبب إلى إصابة المكروه له.

الوجه الخامس والسبعون: أنه نهى أصحابه عن دخول ديار ثمود إلا أن يكونوا باكين؛ خشية أن يصيبهم مثل ما أصابهم، فجعل الدخول من غير بكاء ذريعة إلى إصابة المكروه.

الوجه السادس والسبعون: أنه نهى الرجل أن ينظر إلى من فضل عليه في المال واللباس، فإنه ذريعة إلى ازدرائه نعمة الله عليه واحتقاره بها، وذلك سبب الهلاك.

الوجه السابع والسبعون: أنه نهى عن إنزاء الحمر على الخيل؛ لأن ذلك ذريعة إلى قطع نسل الخيل أو تقليلها، ومن هذا نهيه عن أكل لحومها إن صح الحديث فيه، إنما كان لأنه ذريعة إلى تقليلها، كما نهاهم في بعض الغزوات عن نحر ظهورهم لما كان ذريعة إلى لحوق الضرر بهم بفقد الظهر.

الوجه الثامن والسبعون: أنه نهى من رأى رؤيا يكرهها أن يتحدث بها، فإنه ذريعة إلى انتقالها من مرتبة الوجود اللفظي إلى مرتبة الوجود الخارجي، كما انتقلت من الوجود الذهني إلى اللفظي، وهكذا عامة الأمور تكون في الذهن أولاً، ثم تنتقل إلى الذكر، ثم تنتقل إلى الحس، وهذا من ألطف سد الذرائع وأنفعها، ومن تأمل عامة الشرِّ رآه متنقلاً في درجات الظهور طبقًا بعد طبق من الذهن إلى اللفظ إلى الخارج.

الوجه التاسع والسبعون: أنه سُئِل عن الخمر تتخذ خلاًّ، فقال: «لا»، مع إذنه في خل الخمر الذي حَصَل بغير التخليل، وما ذاك إلا سدًّا لذريعة إمساكها بكل طريق،، إذ لو أذن في تخليلها لحبسها أصحابها لذلك، وكان ذريعة إلى المحذور.

الوجه الثمانون: أنه نهى أن يتعاطى السيف مسلولاً، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى الإصابة بمكروه، ولعل الشيطان يعينه، وينزع في يده فيقع المحذور ويقرب منه.

=

Mostafa Nabawy.com

=**الوجه الحادي والثمانون:** أنه أمر المار في المسجد بنبال أن يمسك على نصلها بيده؛ لئلا يكون ذريعة إلى تأذي رجل مسلم بالنصال.

الوجه الثاني والثمانون: أنه حرم الشياع وهو المفاخرة بالجماع؛ لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس والتشبه، وقد لا يكون عند الرجل من يغنيه من الحلال فيتخطى إلى الحرام، ومن هذا كان المجاهرون خارجين من عافية الله وهم المتحدثون بما فعلوه من المعاصي، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه، وفي ذلك من الفساد المنتشر ما لا يعلمه إلا الله.

الوجه الثالث والثمانون: أنه نهى عن البول في الماء الدائم، وما ذاك إلا أن تواتر البول فيه ذريعة إلى تنجيسه، وعلى هذا فلا فرق بين القليل والكثير وبول الواحد والعدد، وهذا أولى من تفسيره بما دون القلتين أو بما يمكن نزحه، فإن الشارع الحكيم لا يأذن للناس أن يبولوا في المياة الدائمة إذا جاوزت القلتين أو لم يمكن نزحها، فإن في ذلك من إفساد مياه الناس ومواردهم ما لا تأتي به شريعة، فحكمة شريعته اقتضت المنع من البول فيه، قل أو كثر سدًّا لذريعة إفساده.

الوجه الرابع والثمانون: أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، فإنه ذريعة إلى أن تناله أيديهم، كما علل به في نفس الحديث.

الوجه الخامس والثمانون: أنه نهى عن الاحتكار، وقال: لا يحتكر إلا خاطئ، فإنه ذريعة إلى أن يضيق على الناس أقواتهم، ولهذا لا يمنع من احتكار ما لا يضر الناس.

الوجه السادس والثمانون: أنه نهى عن منع فضل الماء، لئلا يكون ذريعة إلى منع فضل الكلأ، كما علل به في نفس الحديث، فجعله بمنعه من الماء مانعًا من الكلأ، لأن صاحب المواشي إذا لم يمكنه الشرب من ذلك الماء لم يتمكن من المرعى الذي حوله.

الوجه السابع والثمانون: أنه نهى عن إقامة حد الزنا على الحامل حتى تضع؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى قتل ما في بطنها، كما قال في الحديث الآخر: «**لولا ما في البيوت من النساء والذرية لأمرت فتياني أن يحملوا معهم حزمًا من حطب فأخالف إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**» فمنعه من تحريق بيوتهم التي عصوا الله فيها بتخلفهم عن الجماعة كون ذلك ذريعة إلى عقوبة من لم يجب عليه حضور الجماعة من النساء والأطفال.

الوجه الثامن والثمانون: أنه نهى عن إدامة النظر إلى المجذومين، وهذا - والله أعلم - لأنه ذريعة إلى أن يصابوا بإيذائهم، وهي من ألطف الذرائع، وأهل الطبيعة يعترفون به، وهو جار على قاعدة الأسباب، وأخبرني رجل من علمائهم أنه أجلس قرابة له يكحل الناس، فرمد ثم برئ، فجلس يكحلهم فرمد مرارًا، قال: فعلمت أن الطبيعة تنتقل، وأنه من كثرة ما يفتح عينيه في أعين الرُّمد نقلت الطبيعة الرمد إلى عينيه، وهذا لا بد مع من نوع استعداد، وقد جبلت الطبيعة والنفس على التشبه=

Nostrabook.com

. . . . . .

. . . . . .

=والمحاكاة.

الوجه التاسع والثمانون: أن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه، كما يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة، بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلاً، حتى يصير أحده بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع.

كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها.

وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة فتقاسمت الفرقُ الثلاث أجزاء الصلاة.

والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سدًّا لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله، كما نهاهم أن يقوموا في الصلاة على رأس الإمام وهو جالس، مع أن قيامهم عبادة لله تعالى، فما الظن إذا كان القيام تعظيمًا للمخلوق عبودية له فالله المستعان.

الوجه التسعون: أنه حرم التفريق في الصرف وبيَّن الربوي بمثله قبل القبض؛ لئلا يتخذ ذريعة إلى التأجيل الذي هو أصل باب الربا، فحماهم من قربانه باشتراط التقابض في الحال، ثم أوجب عليهم فيه التماثل، وأن لا يزيد أحد العوضين على الآخر إذا كان من جنس واحد حتى لا يباع مد جيد بمدين رديئين، وإن كانا يساويانه، سدًّا لذريعة ربا النساء الذي هو حقيقة الربا، وأنه إذا منعهم من الزيادة مع الحلول حيث تكون الزيادة في مقابلة جودة أو صفة أو سكة أو نحوها، فمنعهم منها حيث لا مقابل لها إلا مجرد الأجل أولى.

فهذه هي حكمة تحريم ربا الفضل التي خفيت على كثير من الناس، حتى قال بعض المتأخرين: لا يتبين لي حكمة تحريم ربا الفضل، وقد ذكر الشارع هذه الحكمة بعينها؛ فإنه حرمه سدًّا لذريعة ربا النساء، فقال في حديث تحريم ربا الفضل: «**فإني أخاف عليكم الرِّماء**» هو الربا.

فتحريم الربا نوعان: نوع حرم لما فيه من المفسدة، وهو ربا النسيئة، ونوع حرم تحريمًا للوسائل وسدًّا للذرائع، فظهرت حكمة الشارع الحكيم وكمال شريعته الباهرة في تحريم النوعين، ويلزم من لم يعتبر الذرائع ولم يأمر بسدها أن يجعل تحريم ربا الفضل تعبدًا محضًا لا يعقل معناه كما صرح بذلك كثير منهم.

الوجه الحادي والتسعون: أنه أبطل أنواعًا من النكاح الذي يتراضى به الزوجان سدًّا لذريعة الزنا؛ =

. . . . . .

=فمنها النكاح بلا ولي؛ فإنه أبطله سدًّا لذريعة الزنا؛ فإن الزاني لا يعجز أن يقول للمرأة: أنكحيني نفسك بعشرة دراهم ويشهد عليها رجلين من أصحابه أو غيرهم، فمنعها من ذلك سدًّا لذريعة الزنا.

ومن هذا تحريم نكاح التحليل الذي لا رغبة للنفس فيه في إمساك المرأة واتخاذها زوجة بل له وطر فيما يقضيه بمنزلة الزاني في الحقيقة، وإن اختلفت الصورة.

ومن ذلك تحريم نكاح المتعة الذي يعقد فيه المتمتع على المرأة مدة يقضي وطره منها فيها، فحرم هذا الأنواع كلها سدًّا لذريعة السفاح، ولم يبح إلا عقدًا مؤبدًا يقصد فيه كل من الزوجين المقام مع صاحبه، ويكون بإذن الولي وحضور الشاهدين أو ما يقوم مقامها من الإعلان؛ فإذا تدبرت حكمة الشريعة وتأملتها حق التأمل رأيت تحريم هذه الأنواع من باب سد الذرائع، وهي من محاسن الشريعة وكمالها.

الوجه الثاني والتسعون: أنه منع المتصدق من شراء صدقته ولو وجدها تباع في السوق سدًّا لذريعة العود فيما خرج عنه لله ولو بعوضه، فإن المتصدق إذا منع من تملك بعوضها فتملكه إياها بغير عوض أشد منعًا وأفطم للنفوس عن تعلقها بما خرجت عنه لله، والصواب ما حكم به النبي ﷺ من المنع من شرائها مطلقًا.

ولا ريب أن في تجويز ذلك ذريعة إلى التحيل على الفقير بأن يدفع إليه صدقة ماله ثم يشتريها منه بأقل من قيمتها، ويرى المسكين أنه قد حصل له شيء - مع حاجته - فتسمح نفسه بالبيع، والله عالم بالأسرار، فمن محاسن هذه الشريعة الكاملة سد الذريعة ومنع المتصدق من شراء صدقته، وبالله التوفيق.

الوجه الثالث والتسعون: أنه نهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها؛ لئلا يكون ذريعة إلى أكل مال المشتري بغير حق إذا كانت معرضة للتلف، وقد يمنعها الله، وأكد هذا الغرض بأن حكم للمشتري بالجائحة إذا تلفت بعد الشراء الجائز، كل هذا لئلا يظلم المشتري ويؤكل ماله بغير حق.

الوجه الرابع والتسعون: أنه نهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك، وذلك يضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا أعرض القلب عن هذا انفتح له عمل الشيطان.

وما ذاك لمجرد لفظ «**لو**» بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان، بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية وأنه ما شاء الله كان ولا بد، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، =

noorsalaw.com

. . . . . .

=فصلوات الله وسلامه على من كلامه شفاء للصدور، ونور للبصائر، وحياة للقلوب، وغذاء للأرواح، وعلى آله، فلقد أنعم به على عباده أتم نعمه، ومَنَّ عليهم به أعظم مِنَّة، فلله النعمة، وله المنة، وله الفضل، وله الثناء الحسن.

الوجه الخامس والتسعون: أنه ﷺ نهى عن طعام المتباريين، وهما الرجلان قصد كل منهما مباراة الآخر ومباهاته، إما في التبرعات كالرجلين يصنع كل منهما دعوة يفتخر بها على الآخر ويباريه بها، وإما في المعاوضات كالبائعين يرخص كل منهما سلعته لمنع الناس من الشراء من صاحبه، ونص الإمام أحمد على كراهية الشراء من هؤلاء.

وهذا النهي يتضمن سد الذريعة من وجهين، أحدهما: أن تسليط النفوس على الشراء منهما وأكل طعامهما تفريج لهما وتقوية لقلوبهما وإغراء لهما على فعل ما كرهه الله ورسوله، والثاني: أن ترك الأكل من طعامهما ذريعة إلى امتناعهما وكفهما عن ذلك.

الوجه السادس والتسعون: أنه تعالى عاقب الذين حفروا الحفائر يوم الجمعة فوقع فيها السمك يوم السبت، فأخذوه يوم الأحد، ومسخهم الله قردة وخنازير، وقيل: إنهم نصبوا الشباك يوم الجمعة وأخذوا الصيد يوم الأحد، وصورة الفعل الذي فعلوه مخالف لما نهوا عنه، ولكنهم لما جعلوا الشباك والحفائر ذريعة إلى أخذ ما يقع فيها من الصيد يوم السبت نزلوا منزلة من اصطاد فيه، إذ صورة الفعل لا اعتبار بها، بل بحقيقته وقصد فاعله، ويلزم من لم يسد الذرائع ألا يحرم مثل هذا كما صرحوا به في نظيره سواء، وهو لو نصب قبل الإحرام شبكة فوقع فيها صيدٌ وهو محرم جاز له أخذه بعد الحل، وهذا جارٍ على قواعد من لم يعتبر المقاصد ولم يسد الذرائع.

الوجه السابع والتسعون: قال الإمام أحمد: نهى رسول الله ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة، ولا ريب أن هذا سد لذريعة الإعانة على المعصية، ويلزم من لم يسد الذرائع أن يُجَوِّز هذا البيع كما صرحوا به، ومن المعلوم أن هذا البيع يتضمن الإعانة على الإثم والعدوان.

وفي معنى هذا كل بيع أو إجارة أو معاوضة تعين على معصية الله كبيع السلاح للكفار والبغاة وقطاع الطريق، وبيع الرقيق لمن يفسق به أو يؤاجره لذلك، أو إجارة داره أو حانوته أو خانه لمن يقيم فيها سوق المعصية، وبيع الشمع أو إجارته لمن يعصي الله عليه، ونحو ذلك مما هو إعانة على ما يبغضه الله ويسخطه.

ومن هذا عصر العنب لمن يتخذه خمرًا، وقد لعنه رسول الله ﷺ هو والمعتصر معًا، ويلزم من لم يسد الذرائع أن لا يلعن العاص، وأن يجوز له أن يعصر العنب لكل أحد، ويقول: القصد غير معتبر في العقد، والذرائع غير معتبرة، ونحن مطالبون في الظواهر، والله يتولى السرائر، وقد صرحوا بهذا، =

س: إذا أسكن رجلٌ رجلاً مسكنًا على شرط فنقض الساكن الشرط هل يجوز لصاحب السكن إخراجه، اذكر دليلاً على ذلك؟

ج: نعم يجوز ذلك، واستدل له بعض أهل العلم بأن الله ﷻ[1] أسكن آدم الجنة وأباح له الأكل من شجرها إلا شجرة فلما خالف آدم وعصى ربَّه وأكل من الشجرة أخرجه الله ﷻ من الجنة. وثمَّ أدلة أُخر في هذا الباب[2]،والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل الأنبياء عليهم السلام معصومون؟

ج: لأهل العلم في ذلك تفصيلات منها ما يلي:

=ولا ريب في التنافي بين هذا وبين سنة رسول الله ﷺ.

الوجه الثامن والتسعون: نهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة - وإن ظلموا أو جاروا - ما أقاموا الصلاة،سدًّا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن، وقال: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»؛ سدًّا لذريعة الفتنة.

الوجه التاسع والتسعون: جمع عثمان المصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة؛ لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن، ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم.

ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة تفاؤلاً بأنه من أحصى هذه الوجوه، وعلم أنها من الدين وعمل بها دخل الجنة؛ إذ قد يكون قد اجتمع له معرفة أسماء الرب تعالى ومعرفة أحكامه؛ ولله وراء ذلك أسماء وأحكام.

قلت (القائل مصطفى): وقد أفاد العلامة ابن القيم خ وأجاد وخدم المسألة بما لا تكاد تراه لغيره، بل لم أقف لغيره على مثل هذا الذي ذكر، لكن لنا تحفظ على بعض الأمثلة التي ذكرها، وكذلك لنا تحفظ على بعض الأحاديث التي استدل بها من ناحية صحتها وعلى كل فالقاعدة التي أراد بناءها سلمت له من عدة أدلة صحيحة ذكرها فجزاه الله خيرًا، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) ولله المثل الأعلى.

(٢) منها: «**المؤمنون عند شروطهم**».

MOSTAFABDW.COM

أولاً بالنسبة لتبليغهم الرسالة: فهم عليهم الصلاة والسلام معصومون، قال الله تعالى في شأن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٥].

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء.

ثانيًا: بالنسبة للكبائر، فالذي يظهر لي أنهم بعد البعثة معصومون منها عليهم الصلاة والسلام، فلا أعلم نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أتى كبيرة بعد بعثته، بل ولا قبل بعثته، اللهم إلا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن موسى ﷺ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

ويقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيامة: «**نفسي نفسي، إني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها**».

وقد نقل القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عددٍ من العلماء الاتفاق على أنه لم تصدر من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كبائر.

أما بالنسبة للصغائر: فقد تصدر منهم صغائر على سبيل الخطأ في الاجتهاد أو تعليم أممهم أو تأويل مثلاً، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- أكل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشجرة بعد أن نهاه الله وَجَلَّ عن الأكل منها.
- قول نوح ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[1] [هود: ٤٥]، فقال له ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].
- قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]

---

(١) وإن كان هذا ليس بصريح في أنه ذنب.

mostafaladawy.com

❁ قول الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [عبس: ١ - ١١].

❁ قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

❁ قول النبي ﷺ: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر..»[(١)].

❁ قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيُغفر لهم»[(٢)].

❁ قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

❁ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[(٣)] [الأنفال: ٦٧، ٦٨].

❁ قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]

❁ قوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

❁ وقد سئل موسى عليه السلام: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله ﷻ عليه إذ لم يرد العلم إليه، وقال له: بل عبدنا خضر، هو أعلم منك.... الحديث،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٢١٢) ومسلم (حديث ٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) وسبب نزولها قبول الفدية من أسارى بدر.

MOSTAFAADWAN.COM

فكل هذا يؤيد أنهم عليهم السلام قد تصدر منهم صغائر لكنها تُغمر في بحر فضائلهم، وإنما تصدر منهم - بإذن الله - بيانًا لأقوامهم وتعليمًا لأممهم[1]، والله أعلم.

وقد أحسن القرطبي رحمه الله إذ قال: وإن كان قد شهدت النصوص لوقوع ذنوب منهم فلم يُخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكَّاهم واختارهم واصطفاهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦]؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ فمعناه - والله أعلم -: استزلهما، أي: أوقعهما في الزلل وهو الخطأ.

قال الطبري رحمه الله: من قولك: زلَّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه، وأزلَّهُ غيره إذا سبب له ما يزل من أجله في دينه أو دينه. انتهى المراد منه.

قد قرئ فأزالهما أي: نحاهما.

أما قوله: ﴿عَنْهَا﴾ فقيل: إن المراد به (عن الجنة)، وقيل: عن (الشجرة).

فعلى القول بأن عنها: (الجنة) فالمعنى: نحاهما الشيطان عن الجنة، وعلى القول بأن عنها: (الشجرة) فالمعنى: أزلهما الشيطان بسببها (أي: بسبب أكلهما منها)، وهذه كقوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩] أي: يُصرف بسببه من هو مأفوك، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

(١) هذا وقد استفاض الرازي في تفسيره الكبير في هذا الباب استفاضة زائدة، فمن شاء راجعها(٣/ ٧-٨) إلى ما بعدها.

MOSTAFAADEL.COM

س: كيف كانت وسوسة إبليس لآدم وحواء عليهما السلام ؟

ج: كانت الوسوسة بالإغراء والقسم.

قال الله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]

وقال تعالى: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾ [الأعراف: ٢٠ - ٢٢].

س: أخرج إبليس من الجنة مذمومًا مدحورًا، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٨]، فكيف وسوس إلى آدم، وآدم في الجنة؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة.

منها: أنه دخل الجنة في فم الحيَّة، وهذا القول لا مستند له من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، وإن قال به عدد من المفسرين.

❁ ومنها: أنه مُنع من دخولها مكرمًا، أما على وجه الإهانة فلا يمتنع أن يدخلها مهانًا زيادة في إذلاله وإهانته، وهذا القول يحتاج إلى دليل[1].

❁ ومنها: أنه وسوس إلى آدم وهو خارج باب الجنة.

ويحتمل أنه وسوس لهما وهو بالأرض، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) ويشابه هذا القول من بعض وجوهه قوله تعالى في شأن يونس ﷺ: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ [القلم: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٥]، فيونس عليه السلام نبذ بالعراء، لكنه لم ينبذ بالعراء وهو مذموم، بل نبذ وقد استجاب الله له لما دعا فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والله تعالى أعلم.

Mostafawy.com

س: ما مدى صحة التعليل الذي يذكره البعض حيث يقولون: إن العلة من قتل الحية أن إبليس دخل الجنة في فمها ليوسوس إلى آدم ﷺ فكانت العداوة بينها وبين بني آدم لقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦].

وأن العلة من قتل الوزغة أنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم عليه السلام.

وأن العلة من قتل الغراب أنه خان نوحًا عليه السلام فلما بعثه نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض (ونوح في السفينة) ترك أمر نوحٍ وأقبل على جيفةٍ.

وأن العلة من قتل الفأرة أنها عمدت إلى حبال سفينة نوح فقطعتها؟

ج: أما كون إبليس دخل الجنة في فم حية أو في جوفها ليوسوس إلى آدم عليه السلام، فهذا قد ذكره بعض المفسرين، لكن لا أعلم له أصلاً من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ في خبر ثابت عنه.

أما الوزغة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»[1]، لكن هل هذا هو علة قتلها أم لا؟ الله أعلم، أما الغراب والفأرة فصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بقتلهما، لكن هل قطعت الفأرة حبال سفينة نوح؟ وهل أقبل الغراب على الجيفة وترك أمر نوح عليه السلام؟ هذا مما لا أعلم فيه شيئًا ثابتًا في الكتاب ولا في السنة، والله تعالى أعلم.

س: هل أكل آدم من الشجرة ناسيًا؟

ج: بعض أهل العلم يرى ذلك محتجًّا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وهذا القول عندي ضعيف لوجوه:

أولاً: أن الله عز وجل قال: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، والناسي لا

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٣٥٩)، ومسلم (حديث ٢٣٣٧) من حديث أم شريك رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: «**كان ينفخ على إبراهيم** عليه السلام».

يكون عاصيًا، وكذلك قال النبي ﷺ: «**فعصى آدم فعصت ذريته...**».

ثانيها: أن النسيان يُطلق على الترك أحيانًا، قال تعالى في شأن الكفار: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

الثالث: أن آدم وحواء عليهما السلام قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، والناسي لا يكون ظالمًا لنفسه.

الرابع: أن الناسي لا يؤاخذ[1] ولا يعاقب، فالنسيان شيء لا يتحكم فيه الشخص، والذي يظهر أن آدم عليه السلام طمع في جنة الخلد فلذلك أكل من الشجرة، كما أفادت ذلك الآيات، منها قول إبليس: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: ذكر بعض أهل العلم أن حواء هي التي أغوت آدم عليهما السلام حتى أكل من الشجرة فهل ورد دليل صحيح صريح يفيد ذلك؟

ج: لا نعلم في هذا الباب دليلاً صحيحًا صريحًا يفيد ذلك، والحديث الذي احتج به البعض على ذلك ليس بصريح وإن كان صحيحًا ألا وهو حديث «**لولا حواء لم تخن أنثى زوجها..**» الحديث وقد قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقد قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على

---

(١) إلا أن يقال: إن النسيان شيء كانت تؤاخذ به الأمم قبل أمة محمد ﷺ، وقد قال المؤمنون من أمة محمد ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال الله: «**قد فعلت**».

MOSTAFAADAWY.COM

ابن كثير (عمدة التفسير ١ / ١٣٦):

وقد دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب بما حرفوا وكذبوا ثم اجترأوا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء وتصويرهما في صور قبيحة منكرة جرأة منهم على الدين واستهزاء بأول النبيين، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقوله أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون.

❁ ❁ ❁

س: هل شاركت حواء في الأكل من الشجرة؟

ج: لا شك في ذلك، وقد قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟

ج: لأهل العلم في بيان هذه الكلمات أقوال أمثلها وأقواها - والله أعلم - هي قوله مع زوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وذلك لأن الله ﷻ ناداهما بعد أكلهما من الشجرة كما قال سبحانه: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ عقب عتاب الله ﷻ لهما.

MOSTAFAADLY.COM

هذا وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب وما قدمناه هو المعتمد عند كثير من أهل العلم فإن من شأن المذنب أن يستغفر قال ذو النون عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وذلك بعد ذهابه مغاضبًا والتقام الحوت له.

وقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

هذا ولا يمتنع أن يكون آدم وحواء عليهما السلام ذكرا كلمات أخر مع الكلمات التي ذكرناها والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]؟

ج: أصل التوبة الرجوع، فالتوبة من آدم رجوعه عن المعصية، وهي من الله تعالى رجوعه عليه بالرحمة، والتوَّاب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير:

وقال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] يعني: رزقه التوبة من خطيئته، والتوبة معناها: الإنابة إلى الله، والأوبة إلى طاعته مما يكره من معصيته. والله أعلم، وقال الطبري أيضًا: وتأويل قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه، وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه، فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويئوب إليه من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه.

Mostafa.com

وأما قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ فإنه يعني: أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة، ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جُرمه.

❀ ❀ ❀ ❀

س: لماذا لم تذكر حواء في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

أن حواء داخلة في الخطاب؛ لأنها من آدم عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

ومنها أن ذكرها حذف اختصارًا وإيجازًا كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] وكما قال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: عرِّف الحين وبيِّن المراد بالحين في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]؟

ج: أمثل ما قيل في الحين أنه اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان طالت أم قصرت.

فيطلق على المدة كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

ويطلق على القطعة من الدهر، قال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤].

ويطلق على الغدوة والمساء كما قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ

MOSTAFAADWI.COM

وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧، ١٨] والأظهر لي أن حين هنا بمعنى وقت. والله أعلم.

ونحوه قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٥٨].

ويطلق على السنة أو على فصولها، قال تعالى: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

أما المراد بالحين في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦] فقيل: إلى الموت، وقيل: إلى قيام الساعة، وقد فصَّل البعض القول في ذلك فقالوا: المتاع لآدم إلى موته، والمتاع لذرية آدم غايته إلى قيام الساعة، والمتاع لإبليس إلى قيام الساعة كذلك لقوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [ص: ٧٩ - ٨١]، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] الآية؟

ج: ابتداءً فآدم وحواء عليهما السلام داخلان في هذه الآية بالإجماع[١] أي: داخلان في قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ أما على العموم فيدخل فيها آدم وحواء وإبليس وذرية هؤلاء، وبعض أهل العلم يدخل معهم الحيَّة[٢].

❀ ❀ ❀

(١) نقل هذا الإجماع الطبري رحمه الله في تفسيره (١/ ٥٣٥).

(٢) بناءً على ما قرره قائل هذا القول من أن إبليس دخل إلى الجنة في فم الحية.

MOSTAFAADAWY.COM

س: ما مدى صحة ما ذكره بعض المفسرين من أن المراد بقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨] خطاب لآدم وحواء خاصة، وعُبر بالجمع في قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾ لاستتباعهما الذُّرية؟

ج: هذا القول خطأ[1] فإنه وإن حدثت عداوة بين بعض بني آدم أو بين آدم

(١) قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» (ص:١٣٤): قول الله تعالى ذكره: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨].

قد ظن الزمخشري أن قوله: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرايتهما، قال: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه:١٢٣] قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٣٨، ٣٩] وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم، ومعنى قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضًا.

وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية. فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦] وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو. وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها له ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة. فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته، والعداوة بين الشيطان والإنسان. وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس، وهم ثلاثة، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور، مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه؟ مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئًا.

وأما قوله تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه:١٢٣] فهذا خطاب لآدم وحواء. وقد جعل بعضهم لبعض عدوًّا، فالضمير في قوله: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾ إما أن يرجع إلى آدم وزوجته، وإما أن يرجع إلى آدم وإبليس، ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له.

وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط، وهما آدم وإبليس، فالأمر ظاهر.

وأما على الأول - وهو رجوعه إلى آدم وزوجه - فتكون الآية قد اشتملت على أمرين:

أحدهما: أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط.

والثاني: إخباره بالعداوة بين آدم وزوجه، وبين إبليس، ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني، دون الأول. ولا بد أن يكون إبليس داخلاً في حكم هذه العداوة قطعًا.

=

Nostrabook.com

وحواء فإن هذه العداوة من نزغات الشيطان كما قال يوسف ﷺ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠] وكما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي

=كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ [طه:١١٧] وقال لذريته: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر:٦].

وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع، دون التثنية.

وأما الإهباط: فتارة يُذكر بلفظ الجمع، وتارة بلفظ التثنية. وتارة بلفظ الإفراد، كقوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾ [الأعراف:٢٤] وكذلك في سورة ص، وهذا لإبليس وحده. وحيث ورد بصيغة الجمع، فهو لآدم وزوجه وإبليس، إذ مدار القصة عليهم. وحيث ورد بلفظ التثنية، فإما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقدما على المعصية. وإما أن يكون لآدم وإبليس، إذ هما أبوا الثقلين، وأصلا الذرية. فذكر حالهما ومآل أمرهما، ليكون عظة وعبرة لأولادهما. وقد حكيت القولين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله: ﴿ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعًاۖ﴾ [طه:١٢٣] لآدم وإبليس: أن الله سبحانه لما ذكر المعصية أفرد بها آدم، دون زوجه. فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعًاۖ﴾ [طه:١٢١-١٢٣] وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم وإبليس الذي زين له المعصية ودخلت الزوجة تبعًا. فإن المقصود إخبار الله تعالى الثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر، فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنسان فقط. وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم، وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة. فعلم أن حكم الزوجة كذلك، وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم. وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريدها إلى ذكر أبي الإنس وأمهم، فتأمله.

وبالجملة فقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّۖ﴾ [البقرة:٣٦] ظاهر في الجمع، فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله: ﴿ٱهۡبِطَا﴾ من غير موجب.

قول الله تعالى ذكره: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [البقرة:٨٨] قد اختلف في معنى قولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ [البقرة:٨٨].

فقالت طائفة: المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم. فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به؟ أو لا تحتاج إليك؟ وعلى هذا فيكون ﴿غُلۡفُۢ﴾ جمع غلاف والصحيح: قول أكثر المفسرين: إن العنى قلوبنا لا تفقهه، ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف، كأحمر وحمر. قال أبو عبيدة: كل شيء في غلاف فهو أغلف، كما يقال: سيف أغلف، وقوس أغلف، ورجل أغلف، غير مختون.

Mostafa.com

يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقد قال تعالى في شأن الزوجين: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

أما العداوة المذكورة في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [البقرة: ٣٦] فهي بالدرجة الأولى بين آدم وذريته من ناحية وبين إبليس وذريته من ناحية أخرى، وكذلك بين بني آدم والحيات[1]، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠]، ولا يمنع أن يكون هناك عداوات بين البشر أنفسهم والمتسبب فيها إبليس، والأمور كلها بقدر الله، والله أعلم.

المعاصي سبب لزول النعم

س: المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

ج: الأدلة على ذلك في غاية الكثرة نورد منها ما يلي:

١ - أُخرج آدم عليه السلام وزوجه حواء عليها السلام من الجنة بمعصيتهما لله عز وجل وأكلهما من الشجرة وتعريا بعد ستر كانا فيه.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣].

---

(١) وقال النبي ﷺ في شأن الحيات: «ما سالمناهن منذ حاربناهن»، وكان النبي ﷺ يأمر بقتل الحيات.
* وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان».

NOSTRADAMUS.COM

وقال تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: ٣٦].

❁ وقد قال موسى لآدم عليهما السلام: «أنت أبونا الذي خيبتنا وأخرجتنا بخطيئتك من الجنة».

❁ وقال الله ﷻ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

❁ وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

❁ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٥، ١٦٦].

❁ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ

Noorfarabi.com

يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٦، ٧٧].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦]

❁ وقال تعالى: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ١٧ - ٢٠].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الطلاق: ٨ - ١٠].

❁ ❁ ❁

س: لماذا تكرر ذكر الإهباط في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة: ٣٦]؟

ج: للعلماء فيه أقوال:

١ - تكرر ذكر الإهباط أن معنى ما بعده يتعلق به في السياقين.

٢ - وقيل: تكرير وتأكيد.

٣ - وقيل: إن الإهباط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا إلى الأرض وهذا القول لا أعلم دليلاً عليه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ [البقرة: ٣٨]؟

ج: معناها - والله أعلم - إن يأتكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وتأويل قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ فإن يأتكم و (ما) التي

MOSTAFALADAWY.COM

مع (إن) توكيدٌ للكلام ولدخولها مع (إن) أُدخلت النون المشددة في ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ تفرقة بدخولها بين (ما) التي تأتي بمعنى توكيد الكلام - التي تسميها أهل العربية صلة وحشوًا - وبين (ما) التي تأتي بمعنى الذي فتؤذن بدخولها في الفعل أنَّ (ما) التي مع (إن) التي بمعنى الجزاء توكيد، وليست (ما) التي بمعنى (الذي).

س: ما تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: فإما يأتينكم يا معشر من أُهبط إلى الأرض من سمائي وهو آدم وزوجته وإبليس - كما قد ذكرنا قبل في تأويل الآية التي قبلها - إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد إلى سبيلي وديني فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإن قد سلف منهم قبل ذلك إلى معصية وخلافٌ لأمري وطاعتي، يعرِّفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب إليه من ذنوبه، والرحيم لمن أناب إليه كما وصف نفسه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].... ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] يعني: فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله ولا هم يحزنون يومئذٍ على ما خلَّفوا بعد وفاتهم في الدنيا.

❀ ❀ ❀

س: هل ينال المسلم خوف أو حزن يوم القيامة؟

ج: من أهل العلم من ينفي ذلك مطلقًا، ومنهم من يُثبته ويؤول الآية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] بأن مآلهم يكون إلى السلامة وإلى

Nourpalaw.com

الأمن، وها هي أدلة كل فريق:

أولاً: بعض أدلة القائلين بنفي الخوف والحزن عن المؤمن يوم القيامة:

❁ قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

❁ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

❁ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

❁ قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]

ثانيًا: بعض أدلة القائلين بأن المؤمنين ينالهم شيء من الفزع يوم القيامة:

❁ منها حديث الشفاعة، وفيه: «**أن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون**».

❁ ومنه قول النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسعديك فينادي إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**»[(١)] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

mostafadev.com

❁ ومنه قول النبي ﷺ: «**إنكم محشورون إلى الله ﷻ حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده...**» الحديث، وفيه أن عائشة قالت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**»(١).

❁ **قال القرطبي** رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين لما وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد يوم القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]؟

ج: قال الطبري رحمه الله: يعني: والذين جحدوا آياتي وكذَّبوا رسلي، وآيات الله حُججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها، وقد بينا أن معنى الكفر التغطية على الشيء.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ **[البقرة: ٣٩]** يعني أهلها الذين هم أهلها دون غيرهم المخلدون فيها أبدًا إلى غير أمدٍ ولا نهاية.... ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوامًا أصابتهم النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا صاروا فحمًا أذن لهم في الشفاعة**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٧)، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ١٨٥) وقد تقدم.

Mostafalaby.com

(٤١٨) أحمر أسود

MOSTAFAALADWY.COM

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

الكلمة	معناها
﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾	اخشونِ.
﴿فَٱتَّقُونِ﴾	اجعلوا بينكم وبين غضبي وعقابي وقاية بطاعتكم لي وبُعدكم عن معصيتي.
﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ﴾	لا تخلطوا.

MOSTAFALAW.COM

س: من إسرائيل؟ وهل لإسرائيل معنى؟

ج: إسرائيل هو يعقوب ﷺ، وقد نقل الشوكاني الاتفاق على ذلك[1]، وسيأتي لذلك مزيد في آل عمران إن شاء الله.

أما إسرائيل فذهب بعض العلماء إلى أنه اسم كسائر الأسماء< ومنهم من قال: هو مركب من إسر بمعنى (عبد) وإيل بمعنى (الله) فعليه فإسرائيل هو عبدالله كما أن جبرائيل عبدالله، وميكائيل كذلك، وإسرافيل كذلك...، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠] فائدة في كيفية الدعوة إلى الله ﷻ وضحها؟

ج: هذه الفائدة فحواها أننا نستجيش الناس بما نعلم فيهم من صلاح وخير وإحسان، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يا أولاد يعقوب، ومن المعلوم أن يعقوب نبي كريم فكأنه قيل لهم: يا أولاد النبي الكريم يعقوب كونوا صالحين كرماء أتقياء كأبيكم، ونحوه قول الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ﴾ [الإسراء: ٣] أي: يا ذرية الصالحين المحمولين مع نوح،(فما حمل مع نوح إلا مؤمن) كونوا صالحين كآبائكم، ونحوه قول قوم مريم لمريم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨].

فوجه الاستفادة في الدعوة إلى الله أننا نخاطب الناس فنقول: يا ابن الشجاع بارز الأبطال، يا ابن الحسن تصدق، يا ابن العالم تعلَّم، ونحو ذلك من وجوه الاستجاشة، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر «فتح القدير».

mostafawy.com

س: خاطب الله ﷻ بني إسرائيل بجملة آيات يستفاد منها في الدعوة إلى الله، اذكر بعض هذه الفوائد؟

ج: استعملت مع بني إسرائيل وسائل في دعوتهم منها التذكير بالنعمة عليهم وعلى آبائهم ومنها التخويف، ومنها التوبيخ على سوء الأفعال، وقد أوجز ذلك ابن جزي الكلبي في تفسيره فقال: (يا بني إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عمومًا وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصًا وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٤٢] فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم، وذكر العقوبات التي عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء، وهي: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩]، و ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، و ﴿بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، و ﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]، و ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، و ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، و ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء: قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، و ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢]، و ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، و ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: ٥٩]، و ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، و ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥] و ﴿تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤]، و ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ [البقرة: ٧٤]، و ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥]، وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾

[البقرة:٦١]، ﴿يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة:٢٩]، و﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٤]، و﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ [البقرة:٦٥]، و﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف:١٦٢] و﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، و﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلي الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر، وهي: كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

❀ ❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] هل الذكر بالقلب أو باللسان في هذا المقام؟

ج: الذكر هنا - والله تعالى أعلم - هو الذكر الذي هو ضد النسيان بمعنى اذكروا ما أنعمت به عليكم واشكروه ولا تنسوا شكره والعمل بمقتضى ذلك الشكر. ولا يبعد أيضًا أن يدخل فيه الذكر باللسان لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] [الضحى:١١]

❀ ❀ ❀ ❀

(١) وهذا عند من لا يخشى من ورائه الحسد، أما من يخشى منه الحسد فلا يُتحدث عنده بالنعمة، قال يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥] وقال النبي ﷺ: «إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث بها من يحب».

MOSTAFALAW.COM

س: اذكر بعض النعم التي أنعمها الله ﷻ على بني إسرائيل؟

من هذه النعم ما يلي:

۞ فضلهم الله ﷻ على عالمي زمانهم كما قال سبحانه: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] وكما قال سبحانه ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

۞ نجاهم الله ﷻ من آل فرعون إذ كانوا يسومونهم سوء العذاب كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

۞ أغرق الله ﷻ عدوهم فرعون وهم ينظرون كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

۞ عفا عنهم بعد اتخاذهم العجل إلهًا لما تابوا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٢].

۞ آتاهم الله الكتاب والفرقان كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

۞ بعثهم الله بعد موتهم لعلهم يشكرون.

۞ ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى.

۞ فجَّر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينًا.

۞ كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلَّفه آخر[1] كما قال النبي ﷺ.

۞ جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من

---

(١) أخرج البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلَّفه نبي وإنه لا نبي بعدي...» الحديث.

MOSTAFALAWY.COM

العالمين.

۞ وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥، ٦].

س: ما هو العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠]؟

ج: قيل: إن العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ ﴾ [البقرة: ٤٠] هو عام في كل العهود التي أخذها الله ﷻ عليهم على لسان أنبيائهم، فمن هذه العهود ما أخذه الله عليهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، إذا بُعث، كما قال تعالى:

۞ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

۞ ومنها ما ذكره الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

۞ وما ذكره سبحانه في كتابه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

MoshafAbiy.com

❁ وكما قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، فعلى ذلك فعهد الله هو عام في كل ما أخذه عليهم وعهدهم هو ما ذكره الله سبحانه حيث قال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢] فهو تكفير السيئات وإدخال الجنات، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ٤١]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أن القرآن مصدق للتوراة التي بأيديهم فآمنوا بهذا القرآن الذي قد علمتم أنه مصدق لما معكم، ووجه تصديقه لما معهم في الآتي:

١ - أنهم أُخبروا به في كتبهم ثم ظهر كما أُخبروا به، فصدَّق هذا القرآن ما كان موجودًا في كتبهم.

٢ - أن النبي ﷺ أخبر (بما في كتاب الله) أنهم أنبياء وأُنزلت عليهم الكتب فهو مصدق لهم أي: شاهد بصدقهم.

٣ - أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرع، فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك، والله تعالى

MOSTAFADAWY.COM

أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف يقال لليهود: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] وقد كفر قبلهم مشركو مكة؟

ج: المعنى -والله أعلم-: لا تكونوا أول فريق كافرٍ به من أهل الكتاب.

❁ ❁ ❁

س: إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]؟

ج: يرجع إلى القرآن الكريم.

❁ ❁ ❁

س: هل يقتضي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] إباحة الكفر في ثاني الحال؟

ج: لا يقتضي هذا بحال من الأحوال، وذلك لأن النهي عن الكفر مطلقًا جاء صريحًا في عدة آيات، وهذا يسميه العلماء مفهوم معطل، وجاء التقييد بأول كافر به لكون أول كافر يسن الكفر لمن بعده فيكون إثمه أعظم والعقوبة عليه أغلظ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما الآيات المرادة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، وما هو الثمن القليل؟

ج: قيل: إن الآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ، والثمن القليل هو ما يتفعون به في الدنيا من بقاء رئاستهم ونحو ذلك فكتموا الآيات التي فيها صفة محمد ﷺ مقابل الحرص على جاههم ورئاستهم.

MOSTAFAALWY.COM

۞ وقيل أعم من ذلك بمعنى: أن كل ما فيه مال أو جاه يقدمونه وإن كان خلاف الآيات فيخفون الآيات، كما قال تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] مقابل المتاع الفاني.

۞ وقيل: إنهم كانوا يأخذون الأجر على تعليم الدين.

۞ وقيل: كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه لشرف الشريف ونحو ذلك، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**».

وكل هذا وارد ومحتمل، والعلم عند الله ﷻ.

۞ ۞ ۞ ۞

س: هل يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن؟

ج: ذهب الجمهور إلى جواز ذلك لحديث: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**»(١) فقالوا: إن الحديث وإن كان قد ورد في أخذ الأجر على الرقية لكن لفظه عام.

۞ واحتجوا أيضًا بحديث: «**زوجتكها بما معك من القرآن**»(٢)، فجعل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماءٍ(*) فيهم لديغ(**) أو سليم فعرض لهم(***) رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ، إن في الماء رجلاً لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ(****) فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجرًا، قال رسول الله ﷺ: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**».
وقد ورد الحديث مطولاً عند البخاري في عدة مواضع منها (٢٢٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضًا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ١٣١)، ومسلم (مع النووي ٩/ ٢١١) من حديث سهل بن سعد مرفوعًا.

=

MOSTAFANOW.COM

تعليمها القرآن عوضًا عن الصداق في حال انعدامه، وثمَّ أدلة أخر.

بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٥٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧]، ونحو ذلك من الآيات.

وكذلك بعض الأحاديث مثل حديث: «**اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به....**»(١) وحديث: «**اقرءوا فكلٌ حسن، فسوف يأتي قوم يتعجلونه ولا يتأجلونه....**» إلى غير ذلك، والذي تطمئن إليه النفس أن التعليم إذا لم يكن فرض عين على المعلم جاز له أن يأخذ أجرًا عليه وخاصة إذا كان من

(*) أي: على أهل ماء.

(**) سليم: بمعنى لديغ، والعرب تطلق على اللديغ (سليم) تفاؤلًا بالشفاء، كما يقولون في: (الأعمى) البصير صنع كذا وكذا.

(***) في بعض الروايات أن أصحاب النبي ﷺ سألوهم أن يقروهم (أي: يضيفوهم) فأبوا.

(****) أي: مقابل عددٍ من الشياه.

(١) صحيح أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٤)، (٣/ ٤٢٨)، وأبو يعلى (٨/ ١٥/ ٣)، والطحاوي (٣/ ١٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٠٠)، والطبراني في الأوسط (٣/ ١٩٩٧) من حديث عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه مرفوعًا.

والحديث عندهم مداره على يحيى بن أبي كثير، فرواه مرة عن أبي راشد الحبراني عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا، ومرة عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعًا كذلك، ومرة عن زيد بن سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن شبل بدون ذكر أبي راشد، وهو اختلاف غير مؤثر، فالذين رووه عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي راشد عن عبد الرحمن بن شبل ثقات أثبات، فالحديث صحيح، والله أعلم.

وقد ورد للحديث طريق آخر معلول شاذ وهو من رواية أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، رواه عنه أبو سلمة وعن أبي سلمة يحيى بن أبي كثير فرجع الحديث إلى يحيى بن أبي كثير.

ورواية أبي هريرة حكم عليها عدد من أهل العلم بالوهم منهم الدارقطني رحمه الله، والله أعلم.

Mostafadiw.com

أهل الاحتياج وكان متفرغًا لذلك، أما إذا كان فرض عين عليه فطلب منه رجل مثلاً أن يعلمه الفاتحة يصلي بها وامتنع عن أن يعلمه إلا بأجر فإنه - والحال هذه يأثم - والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ٤٢]، وما صور ذلك؟

ج: أما (اللبس) فهو الخلط، (الحق بالباطل) هو الصدق بالكذب، ومن صور ذلك:

❁ أنهم يخلطون التوراة المنزلة على موسى بالأكاذيب والتحريفات التي يسطرونها بأيديهم، ويقولون: هذا من عند الله، وما هو من عند الله.

❁ أنهم يخلطون النصرانية واليهودية بالإسلام.

❁ أنهم يؤمنون ببعض ما في أيديهم ويكفرون ببعض، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢] تعلمون ماذا؟

ج: تعلمون أنكم لابسون الحق بالباطل وكاتمون للحق، فأنتم تلبسون الحق بالباطل عن علم وليس عن جهل، وهذا أشد قبحًا وأعظم جُرمًا ولا شك.

ومحتمل أيضًا: وأنتم تعلمون عقوبة من لبس الحق بالباطل والوعيد الشديد الوارد في حقه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

Mostafa.com

س: اذكر الأحاديث الواردة في فضل صلاة الجماعة والحث عليها والترهيب من تركها؟

ج: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة**»[(١)].

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة الرجل في جماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خَمْسًا وعشرين ضِعْفًا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوُضُوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخْرجه إلا الصلاة لم يَخْطُ خَطْوَة إلا رُفعَت له بها دَرَجة وحُطَّتْ عنه بها خطيئةٌ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مُصلاه ما لم يُحْدِثْ تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**»[(٢)].

كما روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد هَمَمْتُ أن آمُر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم**»[(٣)].

كما روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: من سرَّه أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنَّ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٥)، ومسلم (حديث ٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٧)، ومسلم (حديث ٦٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٤٤)، ومسلم (حديث ٦٥١).

mostafabdw.com

لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف[١].

❁وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم قال: «**فأجب**».

❁ وأخرج مسلم[٣] من حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كلَّه**».

❁ ❁ ❁

س: لماذا خصَّ الركوع في قوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]؟

ج: خصَّ الركوع - كما ذكر بعض أهل العلم - لأنه كان أثقل عليهم من كل فعل، وقيل: إنه الانحناء لغة، وذلك يعم الركوع والسجود، وقد كان الركوع أثقل شيء على القوم في الجاهلية حتى قال بعض من أسلم للنبي ﷺ: على ألا أخرَّ إلا قائمًا، فمن تأوله على ألا أركع فلما تمكن الإسلام من قلبه اطمأنت نفسه بذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٤٥٣ عقب حديث ٦٥٤)، وفي رواية لمسلم (٦٥٤): قال عبد الله: لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة، وقال: إن رسول الله ﷺ علمنا سن الهُدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.

(٢) حديث (٦٣٥).

(٣) حديث (٦٥٦).

Mostafawi.com

۞ وقيل: إن المراد بقوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: صلُّوا مع المصلين (ففيه على هذا القول: الحث على الجماعة).

۞ وقيل: إن صلاة اليهود لا ركوع فيها فأُمروا بالصلاة التي فيها ركوع، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

MOSTAFAALADWY.COM

أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ
وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم
مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

الكلمة	معناها
﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾	تتركونها ولا تأمرونها بالبر.
﴿تَتْلُونَ﴾	تقرؤون وتدرسون، وأصل التلاوة: الاتباع، تلوته إذا تبعته.
﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾	اطلبوا العون.
﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾	مشقة ثقيلة ـ ومنه قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] وقوله عليه الصلاة والسلام: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء**».
﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾	المتواضعين الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدقين بوعده ووعيده، والخاشع هو: الذي يُرى عليه أثر الذُّل والانكسار ـ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: سكنت.
﴿يَظُنُّونَ﴾	يتيقنون، فالظن هنا بمعنى: اليقين، ومنه: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

MOSTAFALADWI.COM

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]؟ وما هو الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة؟

ج: المخاطبون بهذه الآية الكريمة هم اليهود بالدرجة الأولى، والكتاب المشار إليه هو التوراة، ويلتحق بهم كل من أمر بالبر ونسي نفسه من نصارى وأهل نفاق، ومن قال ما لم يعمل وهو قادر على العمل وإن كان من المسلمين.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]؟

ج: المراد من الاستفهام التقريع والتوبيخ، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالبر في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤]؟

ج: ابتداء كل طاعة لله ﷻ تسمى برًّا[(١)]، لكن المراد بالبر في هذه الآية الكريمة، لأهل العلم فيه أقوال منها ما يلي:

١ - أن المراد بالبر هنا التمسك بالتوراة، فكان بنو إسرائيل يأمرون الناس بالتمسك بها ولا يتمسكون بها هم أنفسهم.

٢ - أن المراد بالبر اتباع محمد ﷺ، فكان الرجل من اليهود يوصي أقاربه سرًّا باتباع محمد ﷺ ويقول له: إنه هو الرسول الحق - ولا يتمسك هو بذلك[(٢)].

---

(١) ونقل الطبري رحمه الله الإجماع على ذلك (٢/ ٧ بتحقيق أحمد شاكر).

(٢) وقد أخرج البخاري (حديث ١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له أطع

MOSTAFAOBAY.COM

٣ - أن المراد بالبر هنا الصدقة، فقد كان علماء اليهود يأمرون بها ولا يتصدقون.

٤ - أن المراد بالبر الحث على اتباع النبي ﷺ، فقد كان جماعة من اليهود يخبرون الناس بخروج النبي ﷺ ويحثونهم على اتباعه قبل أن يبعث فلما بُعث رسول الله ﷺ كفروا به وجحدوا نبوته وأعرضوا عن دينه(١).

٥ - أن المراد بالبر عموم الطاعات، فكان الأحبار يحضون أتباعهم على طاعة الله ﷻ وتقواه ويواقعون هم المعاصي ويقترفونها. فالمعنى أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه.

وثمَّ أقوال أخر في هذا الباب، وأولي هذه الأقوال عندي بالصواب - والله تعالى أعلم - هو آخرها لأن كل الأقوال التي قبله داخلة فيه هذا، وقد يأتي البر بمعنى متسع كما في قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:

=أبا القاسم ﷺ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

(١) أخرج ابن إسحاق في السيرة من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقلتكم معه قتل عادٍ وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت الآيات من البقرة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩] انظر «سيرة ابن هشام» (١/ ٢١١).

١٧٧]، وقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[(١)] [المائدة:٢]، وقد يأتي البر بمعنى أضيق بعض الشيء كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وكما قال النبي ﷺ: «... **فإن الصدق يهدي إلى البر...**»[(٢)]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**البر حسن الخلق...**»[(٣)].

❁ هذا والآية الكريمة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ وإن كان سياقها في اليهود إلا أن معناها عام فيدخل فيها كل من أمر بالبر وترك نفسه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]؟

ج: المراد بالنسيان في قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] الترك فالمعنى: أتأمرون الناس بالبر وتتركون أنفسكم لا تأمرونها ولا تعملون به، وذلك لأن النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر لا يؤاخذ صاحبه، وذلك لأن المؤمنين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: (قد فعلت)،وفي رواية: (نعم)[(٤)].

هذا، والنسيان بمعنى الترك يأتي كثيرًا في كتاب الله ﷻ.

❁ قال الله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[(٥)] [التوبة: ٦٧].

---

(١) وسيأتي مزيد لهذا البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (ص ٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**».

(٤) وسيأتي تخريج هذا في أواخر سورة البقرة بتمامه إن شاء الله تعالى، وهو في صحيح مسلم (٢/ ١٤٥).

(٥) وقد قال موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢]، فتبين بذلك أن =

MOSTAFAWY.COM

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

❁ وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]

❁ وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

❁ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أفلا تمنعون أنفسكم من الوقوع في هذه الحالة المخزية وهي أمر الناس بالبر ونسيان النفس. فالعقل: المنع، ومنه عقال البعير؛ لأنه يمنعه من الحركة، وقولهم: فلان معتقل أي: محبوس ممنوع من التصرف.

وأيضًا معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]: أفلا تفهمون وتفقهون؟!.

❁ ❁ ❁

س: هل يترك الإنسان الأمر بالبر حتى يفعله، أو أن للإنسان أن يأمر بالبر وإن لم يفعله؟

ج: لا يترك الإنسان الأمر بالبر، بل عليه أن يأمر البر وإن لم يفعله، فالآية الكريمة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤] حوت ثلاث فقرات:

=المراد بالنسيان ليس النسيان المعهود الذي هو ضد التذكر، والله أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

الفقرة الأولى: أمر الناس بالبر في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾.

الفقرة الثانية: نسيان النفس في قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

الفقرة الثالثة: تلاوة الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

ولا شك أن الذم في الآية الكريمة وكذلك التوبيخ والتقريع منصبٌّ على الفقرة الثانية بالدرجة الأولى، فأمر الناس بالبر مستحب وقد يصل إلى الوجوب في بعض الأحيان، وكذلك تلاوة الكتاب.

فمن نسي نفسه وأمر الناس بالبر وتلا الكتاب خير[(١)] ممن نسي نفسه وترك تلاوة الكتاب، وترك أمر الناس بالبر، وكذلك فهو خير ممن نسي نفسه وأمر بالمنكر وترك تلاوة الكتاب وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء رحمهم الله تعالى[(٢)].

---

(١) وإن لحقه الإثم.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف، وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعصية لا ينهي غيره عنها، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية، فإنه لا حجة لهم فيها، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه، قال مالك عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

قال مالك: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟

قلت (القائل هو الحافظ ابن كثير رحمه الله): لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم.

وقال السعدي رحمه الله: «في تفسيره تيسير الكريم المنان»: فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه دلَّ على عدم عقله وجهله خصوصًا إذا كان عالمًا بذلك قد قامت عليه الحجة، وهذه =

Nofan-arabic.com

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث وأيضًا بعض الأشعار في ذم من يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه؟

ج: أما الآيات الكريمات فمنها:

❁ قوله تعالى: ﴿ ❁ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟!! [البقرة: ٤٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف٢، ٣].

❁ وقول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [هود: ٨٨].

❁ وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ﴾ [الجمعة: ٥].

❁ أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها: ما أخرجه البخاري[١] من طريق أبي وائل قال: قيل لأسامة: لو أتيت فلانًا[٢] فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه

=الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل فهي عامة لكل أحدٍ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣] وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضًا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧).

(٢) هذا الفلان هو عثمان رضي الله عنه، كما هو واضح في سائر الروايات.

Mostafa Adwy.com

إلا أسمعكم؟!! إني أكلمه في السِّر دون أن أفتح بابًا لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجلٍ أن كان عليَّ أميرًا إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ، قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «**يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقي في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه**».

❁ أما من الأشعار فنورد هنا ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ، نقلاً عن غيره.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال منصور الفقيه فأحسن:

إِنَّ قَوْمًا يَأْمُرُونَا ... بِالَّذِي لا يَفْعَلُونَا

لَمَجَانِينٌ وَإِنْ هُمْ ... لَمْ يَكُونُوا يُصْرَعُونَا

وقال أبو العتاهية:

وَصَفْتَ التُّقَى حَتَّى كَأَنَّكَ ذُو تُقًى ... وَرِيحُ الْخَطَايَا مِنْ ثيابك تسطع

وقال أبو الأسود الدُّؤَلي:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِنِ انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى ... بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

وقال أبو عمرو بن مطر: حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته؛ فناداه رجل كان يعرف بأبي العباس: ترى أن تقول في سكوتك شيئًا؟ فأنشأ يقول:

وَغَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى ... طَبِيبٌ يُدَاوِي وَالطَّبِيبُ مَرِيضُ

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج.

MOSTAFALABWAB.COM

الرابعة - قال إبراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ الآية [البقرة: ٤٤]، وقوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]. وقال سلم بن عمرو:

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ ... يُزَهِّدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ

لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا ... أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتُهُ الْمَسْجِدُ

إِنْ رَفَضَ الدُّنْيَا فَمَا بَالُهُ ... يَسْتَمْنِحُ النَّاسَ وَيَسْتَرْفِدُ

وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ عَلَى مَنْ تَرَى ... يَنَالُهُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ

❀ ❀ ❀ ❀

س: من المخاطبون بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]؟

ج: المخاطبون بذلك هم بنو إسرائيل، والمؤمنون لهم تبع في هذا الخطاب أما قولنا: إن المخاطبين هم بنو إسرائيل فذلك لأن سياق الكلام فيهم ابتداءً من قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

أما قولنا: إن المؤمنين لهم تبعٌ، في هذا الخطاب فذلك لأن العبرة بالعموم والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: على ماذا يطلب من بني إسرائيل الاستعانة بالصبر والصلاة؟

ج: يطلب منهم الاستعانة على طاعة الله ﷻ بصفة عامة وعلى ما يُذهب عنهم شهوة الرئاسة فقد كانوا ذوي جاهٍ ورئاسةٍ فقيل لهم: استعينوا بالصبر

Nostrabadw.com

والصلاة لتذهب عنكم شهوة الرئاسة والجاه.

❁ ❁ ❁

س: على ماذا يطلب المؤمنون العون من الله ﷻ؟

ج:إجمالي القول في ذلك أن يقال: إن الاستعانة مطلوبة لفعل ما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتجنب ما يسخطه ﷻ، وببعض التفصيل:

❁ فهي مطلوبة لتحمل المصائب والصبر على أقدار الله ﷻ.

❁ وكذلك فعل الخليل إبراهيم عليه السلام لما دخلت سارة على الجبار قام إبراهيم عليه السلام يصلي[1].

❁ فكذلك ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2] [البقرة: ٤٥].

وكذلك خُبيب قام يصلي بين يدي القتل[3].

❁والاستعانة مطلوبة لدفع البلاء كذلك فعند كسوف الشمس تشرع الصلاة حتى تنجلي، ومن المعلوم أن كسوف الشمس أو القمر آيتان يخوف الله ﷻ بهما عباده، وقد قال النبي ﷺ: «**إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر**

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال.... الحديث وفيه أن إبراهيم عليه السلام قام إلى الصلاة لما أدخلت سارة على الجبار، وأخرجه البخاري مختصرًا (٥٠٨٤) مرفوعًا ومطولاً موقوفًا (٢٣٥٨) وسيأتي بطوله في آل عمران عند سؤال تسليط قوم على قوم.

(٢) أخرجه الطبري (رقم ٨٥٢) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه.. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت.

MOSTAFABOOKS.COM

الله ودعائه واستغفاره»[(١)] الحديث.

❁ وقد قال الله تعالى في شأن نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ فسرها بعض العلماء بـ(المصلين)، والله أعلم.

❁ والاستعانة بالصلاة مطلوبة للحفظ ودفع الشرور، قال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

❁ وكذلك الاستعانة مطلوبة للتوفيق إلى أعمال الخير كما في صلاة الاستخارة، فإننا نركع ركعتين ثم ندعو الله عز وجل بالدعاء المذكور[(٢)].

❁ وكذلك الاستعانة مطلوبة لجلب الرزق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى الصبر لغة؟

ج: الصبر يطلق على الحبس، ومنه قولهم: قتل فلان صبرًا أي أُمسك

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٤٥)، ومسلم (٦/ ٢١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) حديث الاستخارة أخرجه البخاري (مع الفتح ١/ ١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فيركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال - في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضِّني به، ويسمي حاجته».

MOSTAFAADAWY.COM

وحُبس حتى قُتل، وقوله: صبرتُ نفسي على الشيء إذا حبستها عليه.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالصبر في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ...﴾ [البقرة:٤٥]؟

ج: الصبر هنا عام يدخل فيه كل أنواع الصبر، فمنه صبر على طاعة الله ﷻ (أي: حبس النفس وإلزامها طاعة ربها ﷻ).

❁ ومنه الصبر عن محارم الله ﷻ (أي: منع النفس عن المحارم).

❁ وصبر على أقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (من السراء والضراء).

❁ ومن الصبر الصوم كذلك، وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]: إنهم الصائمون[(١)].

س: ما وجه الاستعانة بالصلاة؟

ج: وجه ذلك أن الصلاة يتلى فيها ما يرغِّب في الآخرة ويزهِّد في الدنيا، وفي إقبال العبد عليها اعتراف من العبد بأنه سيلقى ربه ﷻ فتهون عليه المصائب وتسهل عليه الطاعات، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا عُقب قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٦]؟

ج: وجه ذلك - والله أعلم - أن العبد إذا أيقن بالمعاد وبالجزاء وبلقاء الله ﷻ سهلت عليه الطاعات وتيسر عليه عمل الخير، فالذي خفف عليهم

---

(١) ومستندهم في ذلك أن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**والحسنة بعشر أمثالها، وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**». ومن ثمَّ أطلق على رمضان شهر الصبر كذلك، والله أعلم.

MOSTAFAADWI.COM

الطاعات وأوجب لهم التسلي في المصيبات وزجرهم عن فعل السيئات هو ما قذفه الله ﷻ في قلوبهم من يقين بأنهم ملاقو ربهم ﷻ وأنهم إليه راجعون.

❁ ❁ ❁ ❁

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، يرجع إلى ماذا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ **منها أن الضمير يرجع إلى الصلاة[1] وحدها لأنها أقرب مذكور** في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ **[البقرة: ٤٥]**، ومن المعلوم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا إذا جاء دليل على التعميم.

ويرد على هؤلاء القائلين بأن الضمير يرجع إلى الصلاة وحدها سؤال وهو لماذا لم يقل في الصبر: إنه كبير أيضًا؟

فأجاب أهل هذا القول بأجوبة منها:

أولاً: أن الضمير رجع إلى الصلاة وحدها لأهمية الصلاة فاقتصر على الصلاة لأهميتها، كما اقتصر على ذكر التجارة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ **[الجمعة: ١١]**، لأن الحامل الأصلي على الانفضاض هو التجارة.

الثاني: أن الصبر داخل في الصلاة.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ **[التوبة: ٦٢]**، لأن رضا رسول الله ﷺ داخل في رضا الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثالث: قيل: تغليبًا، كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ

---

(١) ويشهد له قول النبي ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء...**» الحديث.

Mostafa.com

وَلَا يُنفِقُونَهَا[1] فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

الرابع: قيل: اختصارًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ولم يقل: وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية.

۞ ومنها أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ راجع إلى الوصية بالاستعانة بالصبر والصلاة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] أي: وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا.

۞ ونحوه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠] أي: هذه الوصية لا يلقاها إلا الصابرون.

۞ ومنها أن الضمير يرجع إلى الاستعانة نفسها أي: أن الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين، وهذا القول قريب من الذي قبله.

۞ ومنها أن الضمير يرجع إلى الأوامر التي كلف بها بنو إسرائيل، وتبدأ من قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠] الآيات، ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا ﴾ (أي: هذه الأوامر والتكاليف التي كلفتم بها ﴿لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾، والله تعالى أعلم).

(١) بعض العلماء يقول: إن الضمير فيقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ راجع إلى الأشياء المكنوزة، والله تعالى أعلم.

س: هل في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ....﴾ [البقرة: ٤٦]، دليل صريح على رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الآخرة؟ وهل يرى المؤمنون ربهم ﷻ يوم القيامة؟

ج: نعم يرى المؤمنون ربهم ﷻ يوم القيامة[1]، أما هذه الآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] ففيها دليل إلا أنه ليس بصريح، أما عدم صراحته فلأن اللقاء لا يستلزم الرؤية، ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» وقد يحلفها كافر، والكافر لا يرى ربه لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

❁ وقال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وهذا عام.

❁ وقال تعالى في شأن المنافقين: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧].

س: ما المراد بالظن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ...﴾ [البقرة: ٤٦]؟

ج: المراد بالظن هنا اليقين لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال في شأن المتقين: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]. وليس المراد بالظن هنا الشك، فإن الله ﷻ قال في شأن الكافرين: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]، فالشك في الآخرة كفر، والعياذ بالله.

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في محله من التفسير إن شاء الله تعالى. وقد قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]، وقال النبي ﷺ كما ثبت عنه في الصحيح: «إنكم سترون ربكم ﷻ يوم القيامة...» الحديث، وسيأتي مزيد لذلك في أبوابه إن شاء الله.

MOSTAFAADEL.COM

❁وكون الظن يطلق على اليقين فهو جائز بل وارد بكثرة.

❁ قال الله ﷻ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

❁ وقال تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

❁ وفي الحديث القدسي: «... **أفظننت أنك ملاقي**».

MOSTAFAALADWY.COM

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

الكلمة	معناها
﴿لَّا تَجۡزِي﴾	لا تغني ـ لا تقضي.
﴿عَدۡلٞ﴾	فدية (فداء).
﴿يُنصَرُونَ﴾	يُمنعون من عذاب الله.

س: من المعلوم أن بني إسرائيل الذين وجه إليهم الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، هم بنو إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى، فإن قال قائل: بماذا فضل هؤلاء على العالمين؟ فكيف الجواب عليه؟

ج: الجواب يتلخص في أن الذين فضلوا هم آباؤهم الأولين، فشرف آبائهم شرف لهم، ومجد آبائهم مجدٌ لهم، والدليل على أن بني إسرائيل الذين فضلوا هم الآباء وليسوا الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ وما جاورها، قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٩]، وهم لم يروا فرعون بل الذين رأوه هم آباؤهم[1].

(١) هذا وتمام التفضيل خاص بمن انتفع بنعم الله منهم وأطاع الله سبحانه وتعالى، أما من عصاه منهم

Nostrapdf.com

س: قولـه تعـالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، فيه عطف للخاص على العام، وضح ذلك؟

ج: توضيح ذلك أن يقال: إن قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ يجمع النعم التي أنعم الله ﷻ بها على بني إسرائيل، وضمن هذه النعم تفضيل الله ﷻ إياهم على العالمين، فكونه يكرر: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فمعناه: أنه سبحانه ذكر أحد أفراد النعم بعد أن ذكرها مجتمعة، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: لماذا كرر التذكير بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٧]؟

ج: كرر التذكير للتأكيد عليهم وبيان كمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعم التي أنعم الله ﷻ بها عليهم، وكرر كذلك ليربط بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بطريقتي الترغيب والترهيب في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ [البقرة: ٤٨]، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل فضلت بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ؟

ج: لم تفضل بنو إسرائيل على أمة محمد ﷺ، وقد قال الله ﷻ في شأن أمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال النبي

=فكانوا قردة خاسئين وكانوا من المغضوب عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٦]، وكما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

MOSTAFAADAWY.COM

ﷺ: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ﷻ»[(١)].

س: من المراد بالعالمين في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]؟

ج: المراد عالمو زمانهم، وقيل: إنه تفضيل عام لكن بوجهٍ من الوجوه مخصوص ألا وهو كثرة أنبيائهم، كما قال النبي ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي...**» الحديث[(٢)].

لكن القول الأول (وهو أنهم فُضِّلوا على عالمي زمانهم) عليه جمهور أهل العلم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ **[الجاثية: ١٦]**.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ **[المائدة: ٢٠]**.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ **[الدخان: ٣٢]**.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض النعم التي فضل الله بها بني إسرائيل على العالمين؟

---

(١) حديث حسن، وسيأتي تخريجه مع مزيد من الأدلة التي تشهد لهذا المعنى في آل عمران إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا..

Mostafalabib.com

ج: من هذه النعم كثرة الأنبياء فيهم - كما تقدم عن رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم[1] الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي...**».

❁ جعلهم الله ﷻ ملوكًا[2] بما أغدق عليهم من النعم.

❁ ظلَّل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى.

❁ أنزل الألواح على نبيهم موسى ﷺ.

وثَمَّ نعم أخر يعرف بعضها البشر، والبعض الآخر لا يحصيه إلا الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: ٤٨]، وما هو اليوم المراد؟

ج: **المعنى - والله أعلم -:** واحذروا يومًا أو واخشوا يومًا، وقيل: هنا إضمار، والمعنى: واتقوا عذاب يوم، والمقصود من اتقاء اليوم الخوف من أهواله وعظائمه، كما قال الله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ **[المزمل: ١٧، ١٨]**.

وكما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ **[الحج: ١، ٢]**. أما اليوم المراد فهو يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أي: تقودهم.

(٢) وسيأتي إن شاء الله تعالى تفسير الملوك في بابه في سورة المائدة.

MOSTAFAPOWER.COM

س: ما المراد بالنفس في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]؟

ج: المراد - والله أعلم -: النفس الكافرة، فهذا من العام الذي أريد به الخصوص.

قال القرطبي رحمه الله: وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: ٤٨]، النفس الكافرة لا كل نفس.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].

ج: من هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨].

❀ ❀ ❀

بحث في الشفاعة

س: هل المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] نفي الشفاعة مطلقًا؟ أم ماذا؟

ج: ليس المراد من الآية الكريمة نفي الشفاعة مطلقًا إلا إذا أُريد الكافرون

Nosrania.com

كما هو الصحيح في الآية[١]، فالشفاعة فيهم ومنهم مرفوضة منفية تمامًا[٢]، أما شفاعات أهل الإيمان في أهل الإيمان بإذن الله ﷻ فثابتة، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وكما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠].

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحديد: ١٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

---

(١) أعني تفسير النفس في الآية بأنها النفس الكافرة كما تقدم.

(٢) باستثناء أبي طالب، فشفاعة رسول الله ﷺ خفف الله عنه بها بعض العذاب، وسيأتي تحرير ذلك إن شاء الله.

noorlibrary.com

س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَاهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]؟

ج: من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَمَالَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٥، ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

س: من هم الذين لا تقبل فيهم الشفاعة؟ ولا تقبل منهم؟

ج: هم الكفار، ودليل ذلك قولهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

س: الشفاعة مأخوذة من ماذا؟ وما معنى استشفعه إلى فلان؟

ج: الشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان، والشفع ضد الوتر، فالوتر واحد والشفع اثنان، تقول: كان وترًا فشفعته، فالشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال منفعة للمشفوع.

قال الطبري رحمه الله: و (الشفاعة) مصدرٌ من قول الرجل: (شفع لي فلان إلى فلان شفاعة) وهو طلبه إليه في قضاء حاجته، وإنما قيل للشفيع: شفيع وشافع ؛لأنه ثَنَّى المستشفع به فصار به شفعًا، فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به في حاجته فردًا فصار صاحبه له فيها شافعًا،وطلبه فيه وفي حاجته شفاعة، ولذلك

MostafaDiy.com

سمي الشفيع في الدار وفي الأرض (شفيعًا) لمصير البائع به شفعًا.

قلت: والمشفِّع هو الذي يقبل الشفعة، والمشفَّع هو الذي تُقبل شفاعته، والشفاعة كذلك التوسط للتجاوز عن الذنوب والجرائم وأيضًا التوسط لجلب خير أو لدفع ضُرٍّ عن أحد من الناس.

أما معنى استشفعه إلى فلان أي: سأله أن يشفع له إليه، ومنه القول المنقول عن الأعشى:

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا ... يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي ... نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَا

واستشفعت من سراة الحي ذا ثقة ... فقد عصاها أبوها والذي شفعا

ومنه أيضًا:

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾؟

ج: أمثل ما قرأته في تأويلها إجمالاً هو قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: واتقوا يومًا لا تقضي نفس عن نفس حقًّا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره، ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حق.

وتأويل قوله[1]: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] يعني: أنهم لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية، بطلت هنالك المحاباة

(١) هذا أيضا قول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ.

Mostafa Adly.com

واضمحلت الرُّشى والشفاعات وارتفع[1] بين القوم التعاون والتناصر وصار الحكم إلى العدل الجبار الذي لا ينفع لديه الشفعاء والنُّصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤، ٢٦]، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات التي نفت الشفاعة والشفيع مطلقًا؟

ج: من هذه الآيات:

❁ قول الله ﷻ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨].

❁ قول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

---

(١) أي: ذهب وانقضى.

❁ وقول أهل النار: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]

❁ وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤].

❁ وقول بعض الصالحين: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس: ٢٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات التي أثبتت الشفاعة والشفيع؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ

MOSTAFAADWY.COM

وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود.

❁ ❁ ❁ ❁

س: كيف تجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها؟

ج: يجمع بين الآيات التي نفت الشفاعة الأخروية والآيات التي أثبتتها بالآتي:

أولاً: لابد أن يُعلم أن أمر الشفاعة كله موكولٌ إلى الله ﷻ لقوله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤].

ثانيًا: لا شفاعة في كافر[1] لقول الله ﷻ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ

---

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ - وذكر عنده عمه أبو طالب - فقال «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»، وقد جاء هذا مجزومًا به في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»، أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، فأبوطالب مستثنى، ثم إن الشفاعة لم تخرجه من النار، وقد يقال: إن الكافر الداعي إلى كفره ليس كالكافر الذي لا يدعو إلى الكفر وهذا صحيح، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ

MOSTAFALABWY.COM

﴿ [غافر: ١٨].

ولقول الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: إني حرمت الجنة على الكافرين»(١).

ثالثًا: أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

رابعًا: أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

خامسًا: أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها، قال الله تعالى«: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

=خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢- ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٤، ٢٥].

فأبوطالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًا إلى الكفر بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثم خُفف عنه.

لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «ولولا أنا...» أقوى من هذا المفهوم، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٩).

MOSTAFALADAWY.COM

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ (١) وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

❁ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

❁ وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣] والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر أنواع الشفاعات مع (بيان أمثلة لكل نوع منها)؟

ج: الشفاعات على وجه الإجمال تحصل لي أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي:

❁ شفاعات في الآخرة.

❁ شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا.

❁ شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم.

أما على وجه التفصيل **فبالنسبة لشفاعات الآخرة** فنذكر منها الآتي:

١ - الشفاعة العظمى (والشافع فيها هو رسول الله ﷺ(٢) بإذن ربه) وهي لأمور ثلاثة:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا استثناء منقطع أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له. وسيأتي لهذا مزيد في تفسير الآية المذكورة إن شاء الله.

(٢) وهي التي ذكرها النبي ﷺ في حديث: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي**

MOSTAFAADWI.COM

(أ) للتفريج عن الناس مما هم فيه من الغم والكربات التي لا يطيقونها ولا يحتملونها لما يجمعهم الله ﷻ في صعيدٍ واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رءوسهم.

(ب) لإدخال أقوامٍ الجنة.

(ج) لإخراج أقوامٍ من النار.

وها هي بعض الأحاديث الواردة في بيان الشفاعة العظمى:

۞ حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (حديث ١٩٤) واللفظ له، وفيه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «أتى رسول الله ﷺ يومًا بلحمٍ. فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه. فنهس منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة. وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين**

=**المغانم ولم تحلَّ لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**» أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (حديث ٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

* وهي التي أخَّرها النبي ﷺ لأمته فقد أخرج مسلم رحمه الله في صحيحه (حديث ٨٢٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسَّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقًا وكأنما أنظر إلى الله ﷻ فرقًا فقال لي: «**يا أبي أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف. فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثانية. اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوِّن على أمتي فردَّ إليَّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردَّةٍ رددتكها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم** ﷺ».

* وأخرج البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (حديث ١٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قالك قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**».

Mojtaba-Lahiji.com

والآخرين في صعيدٍ واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون. وما لا يحتملون. فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: آئتوا آدم. فيأتون آدم. فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر. خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله. إنه نهاني عن الشجرة فعصيته. نفسي. نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح! أنت أول الرسل إلى الأرض. وسماك الله عبدًا شكورًا. اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض. اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته. نفسي. نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله. فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها. نفسي. نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم،

وروح منه. فاشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. ولم يذكر له ذنبًا. نفسي. نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتوني فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء. وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي. ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي. ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك. سل تعطه. اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب! أمتي أمتي.

فيقال: يا محمد! أدخل الجنة من أمتك، من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة. وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمدٍ بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجرٍ أو كما بين مكة وبصرى».

❁ حديث أنس رضي الله تعالى عنه(١) وفيه أن أنسًا رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقول: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، علمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناك - ويذكر لهم خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحًا فيقول: لست هناك - ويذكر خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم خطاياه التي أصابها - ولكن

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤١٠)، ومسلم (حديث ١٩٣).

ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه تكليمًا. فيأتون موسى فيقول: لست هناكم - ويذكر لهم خطيئته التي أصابها - ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه. فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيأتونني، فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع، فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد وقل يسمع وسل تطعه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد ليحدًّا، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود»، فقال النبي ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة».

❁ وهذا سياق آخر لحديث أنس رضي الله تعالى عنه مع حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[1]، فقال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٢ ترتيب محمد فؤاد).

حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحى فاستاذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه. فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ فقال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها،ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى. فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي! فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخِرُّ له ساجدًا فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار، فأنطلق فأفعل»، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فحدثنا بما حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا: لم يزد

لنا على هذا فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلموا، فقلنا: يا أبا سعيد فحدثناه فضحك، وقال: خلق الإنسان عجولاً، ما ذكرته إلا وأنا أريد أحدثكم حدثني كما حدثكم به، قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك، ثم أخر له ساجدًا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي في من قال: لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله».

۞ ومنها حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه ومعه أبو هريرة رضي الله عنهما قالا[١]: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس. فيقول المؤمنون حتى تزلف[٢] لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم! لست بصاحب ذلك واذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله. قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك. إنما كنت خليلاً من وراء وراء[٣]. اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمدًا ﷺ. فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم[٤] فتقومان جنبتي الصراط[٥] يمينًا وشمالاً فيمر أولكم كالبرق» قال:

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥).

(٢) (تزلف): أي تقرب. كما قال الله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي: قربت.

(٣) (من وراء وراء) قال الإمام النووي: قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه. وقال: الفتح صحيح وتكون الكلمة مؤكدة كَشَذَرَ مَذَرَ وشَغَرَ بَغَرَ وسقطوا بين بين فركبهما وبناهما على الفتح.

(٤) (وترسل الأمانة والرحم) إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما. فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.

(٥) (جنبتي الصراط) معناهما: جانباه، ناحيتاه اليمنى واليسرى.

Mostafabay.com

قلت: بأبي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح. ثم كمر الطير وشد الرجال**[١]. **تجري بهم أعمالهم**[٢] **ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب! سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد. حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا**». قال: «**وفي حافتي الصراط**[٣] **كلاليب معلقة. مأمورة بأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج ومكدوس**[٤] **في النار**».

والذي نفس أبي هريرة بيده! إن قعر جهنم لسبعون خريفًا.

٢ - الشفاعة لأهل الكبائر[٥]:

وعليها أدلة كثيرة منها ما هو خاص ومنها ما هو عام.

أما الخاص:

۞ حديث رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٦].

---

(١) (وشد الرجال) الشد هو العَدْوُ البالغ والجري.

(٢) (تجري بهم أعمالهم) هو تفسير بقوله ﷺ: فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح إلى آخره.

(٣) (حافتي الصراط) هما جانباه.

(٤) (ومكدوس قال في «النهاية»: أي مدفوع. وتكدَّس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط.

(٥) ليس المقصود قصر الشفاعة على أهل الكبائر وحصرها منهم، بل المراد - والله أعلم أن الشفاعة تنفع أكثر ما تنفع أهل الكبائر، وذلك لأن الكبيرة يعذب عليها صاحبها - إلا أن يشاء الله أن تغفر له - فإذا أذن الله ﷻ لنبيه ﷺ في الشفاعة في صاحب الكبيرة فقد ارتفع عن صاحب الكبيرة العذاب ومن ثمَّ حصل له الانتفاع، والحامل على هذا القول أن هناك أنواعًا من الشفاعات لرسول الله ﷺ كما بيناه ونبينه إن شاء الله، والله أعلم.

(٦) وهو حدث صحيح بمجموع طرقه، فله عن رسول الله ﷺ طرق منها حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبو داود (في كتاب السُّنة من سننه أبواب الشفاعة حديث ٤٧٣٩) من طريق سليمان بن حرب ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحداني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». وله طرق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه مرفوعًا =

Mostafa Adwi.com

أما الأدلة العامة فمنها ما يلي:

❁ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه أنه قال لرسول الله ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه**»[(١)].

❁ الأحاديث التي قدمناها عند ذكر الشفاعة العظمى وفيها: «**فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود**»، وقول النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة**».

❁ وفي الأحاديث المتقدمة أيضًا: «**... فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأنطلق فأفعل... إلى أن قال: فيقول (أي: الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى): انطلق فأخرج منها من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار من النار فأنطلق فأفعل...**» الحديث.

❁ وفي الحواشي المتقدمة كذلك قول النبي ﷺ: «**وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**».

ومنها قول النبي ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي**

=وله أيضًا طرق أخرى عن غير أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ كجابر بن عبد الله وغيره من الصحابة، انظر هذا كله بتفصيل في كتاب الشفاعة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٩٩، ٦٥٧٠).

MOSTAFALAW.COM

وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»[(١)].

فيدخل في هذا أهل الكبائر أيضًا.

٣ - الشفاعة لإدخال قوم الجنة بغير حساب:

۞ تقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما ذكرناه من أحاديث في أبواب الشفاعة العظمى أن النبي ﷺ قال: «فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

۞ وعن رفاعة[(٢)] الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال: بقديد فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر» فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكيًا فقال رجل إن الذي يستأذنك بعد هذا السفيه فحمد الله وقال حينئذ: «أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صدقًا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة قال: وقد وعدني ربي عَزَّ وَجَلَّ أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب وإني لأرجو ألا يدخلوها حتى تبوَّءوا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة وقال إذا مضى نصف الليل أو قال ثلثا الليل ينزل الله عَزَّ وَجَلَّ إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري من ذا يستغفرني فأغفر له من الذي يدعوني أستجيب له من ذا الذي يسألني أعطيه حتى ينفجر الصبح».

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٩٩)، وأبو داود (١/ ٣٦٢) وغيرهم من حدث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٦).

٤ - الشفاعة في خروج الموحدين من النار:

۞ عن أبي هريرة[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحابٌ؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحابٌ؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم. قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو. حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود. فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار - وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة - مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيقول: هل عسيت أن فعل

(١) أخرجه البخاري (حديث (٨٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣، ١٦٤).

ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب، لا أكون أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله: ويحك يا بن آدم، ما أغدرك! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. فيضحك الله ﷻ منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ، فيتمنى. حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله ﷻ: من كذا وكذا - أقبل يذكره ربه - حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه». قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله». قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: «لك ذلك ومثله معه». قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: «ذلك لك وعشرة أمثاله».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال[1]: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما، ثم قال: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم. حتى

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩).

يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبراتٌ من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون، قالوا: نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون فيقولون نريد أن تسقينا، فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق: فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم» قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مدحضةٌ مزلةٌ عليها خطاطيف وكلاليب وحسكةٌ مفلطحة لها شوكةٌ عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون

من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا»، قال أبو سعيد فإن لم تصدقوني فاقرءوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه».

وعن أنس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيقول لست هناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها، ولكن ائتوا نوحًا أول نبي بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض. فيأتون نوحًا، فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لست هناكم، ويذكر ثلاث كذبات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبدًا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيًّا،

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٤٤٠).

قال فيأتون موسى فيقول إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله، وروح الله وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول ارفع محمد وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، فيحد لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وسمعته أيضًا يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيأذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنة»، قال قتادة: «وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأخرج، فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وقد سمعته يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود، ثم تلا الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقام الذي وعده نبيكم ﷺ».

٥ - الشفاعة لدخول الجنة:

❁ وفي ذلك حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس

يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[١] وفي رواية عن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[٢].

٦ - شفاعة النبيين:

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «... فيشفع النبيون».

٧ - شفاعة الملائكة:

۞ قال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

۞ وتقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «.... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون....» الحديث.

٨ - شفاعة المؤمنين:

۞ تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «.... فما أنتم بأشدَّ لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم أيضًا (حديث ١٩٧).

Mostafa Adwi.com

عرفوا»، قال أبو سعيد فإن لم تصدقوني فاقرءوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون...».

٩ - شفاعة الآباء لأبنائهم المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

١٠ - شفاعة الشهداء:

❁ عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة[١]، ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه»[٢].

١١ - شفاعة الجبار ﷻ:

❁ تقدم في حديث أبي سعيد الخدري المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «... **فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه**».

شفاعة الأطفال لآبائهم يوم القيامة:

---

(١) هذه كلها واحدة (يغفر له عند أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة».

(٢) صحيح وسيأتي أخرجه الترمذي وسيأتي في آل عمران إن شاء الله.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها:

❁ ما أخرجه مسلم (٢٦٣٥) من طريق أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة إنه قد مات لنا ابنان فما أنت[1] محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم: «**صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى أو قال: فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة**».

❁ وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (المسند ٤ / ١٠٥) بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ: «**يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيأتون قال: فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ما لي أراهم محبنطئين ادخلوا الجنة قال: فيقولون يا رب آباؤنا وأمهاتنا، قال فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**».

شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب[2]:

وقد تقدم في بعض الحواشي السابقة الحديث عنها وفيه أن العباس ابن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» متفق عليه. وفي رواية في «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه. فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي**

---

(١) وفي رواية عند مسلم أيضًا: فهل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا تطيب به أنفسنا عن موتانا؟.

(٢) من المعلوم أن أبا طالب عم رسول الله ﷺ قد مات على الكفر فكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب، وقد نزل فيه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣] ونزل فيه أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦].

NOSTRALAW.com

فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه».

شفاعة القرآن وخاصة سورة البقرة وآل عمران:

۞ أخرج مسلم ﷺ في «صحيحه»[١] من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[٢] أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان[٣] من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»[٤].

۞ وفي «صحيح مسلم» أيضًا[٥] من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران**». وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد - قال: «**كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق[٦] أو كأنهما حزقان[٧] من طير صواف تحاجان[٨] عن صاحبهما**».

شفاعات من أقوام أحياء لأقوام قد ماتوا لرفع درجاتهم

۞ ويدخل فيها عموم الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ لمن مات ومنها

---

(١) أخرجه مسلم (حديث رقم ٨٠٤).

(٢) المراد سحابتان، والله أعلم.

(٣) الفِرق هو الجماعة أو القطعة.

(٤) البطلة هم السحرة.

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٨٠٥).

(٦) شرق أي: ضياء ونور.

(٧) الحزق الجماعة أو القطعة.

(٨) تحاجان: تدافعان وقال بعض العلماء: تحاجان الجحيم والزبانية.

MOSTAFALADAWY.COM

الوارد في أدعية الصلاة على الجنائز، ونحو ذلك، وها هي بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب.

۞ أخرج البخاري رحمه الله في «صحيحه»[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما فرغ النبيُّ ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشميٌّ بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت: يا عمِّ من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له، فلحقته، فلما رآني ولى، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي، ألا تثبت فكف. فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزل منه الماء قال: يا ابن أخي، أقرئ النبي ﷺ السلام وقل له: استغفر لي. واستخلفني أبوعامر على الناس. فمكث يسيرًا ثم مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل، وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: «**اللهم اغفر لعبيد أبي عامر**»، ورأيت بياض إبطيه. ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**». فقلت: ولي فاستغفر. فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريمًا**». قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى.

۞ وأخرجه مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره. فأغمضه. ثم قال: «**إن الروح إذا قبض تبعه**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (ص ١٩٤٣ - ١٩٤٤).

البصر». فضج ناس من أهله. فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير. فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم قال «اللهم! اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين. واغفر لنا وله يا رب العالمين. وافسح له في قبره. ونور له فيه».

شفاعة المصلين على الميت:

۞ أخرج مسلم[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس، قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم، قال: أخرجوه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه».

۞ وأخرج مسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه».

شفاعة الأبناء لآبائهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك»[٣].

۞ ۞ ۞

س: هل يجوز أن أطلب الشفاعة من المخلوق الحي فيما يقدر عليه؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٥٥ حديث رقم ٩٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٥٤ حديث رقم ٩٤٧) وفيه بعض الانتقاد ويشهد له ما قبله والمسلمون في الحديث الثاني لا يشركون بالله شيئًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩) بإسناد حسن.

MOSTAFALAW.COM

ج: نعم يجوز ذلك فقد أخرج الإمام أحمد[١] رحمه الله في مسنده من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير**»، فقال: ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم شفعه فيَّ.

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض أسباب جلب الشفاعات؟

ج: منها: قراءة القرآن والعمل به، وقد تقدم في ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**....» الحديث.

٢ - سكنى مدينة رسول الله والصبر على لأوائها فقد أخرج مسلم في صحيحه[٢] من طريق أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرَّة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال ويحك لا آمرك بذلك إني سمعت رسول الله يقول: «**لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة إذا كان مسلمًا**».

وأخرج مسلم نحوه أيضًا من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم[٣].

٣ - الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكرير ما يقوله المؤذن

---

(١) المسند (٤/ ١٣٨)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (ص:١٠٠٢).

(٣) حديث (١٣٧٧)، (١٣٧٨).

Mostafawy.com

فقد أخرج مسلم[١] من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليَّ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**».

٤ - الصلاة على الميت، وقد تقدم في ذلك الحديث عن رسول الله ﷺ.

٥ - كثرة السجود، فقد أخرج أحمد في مسنده[٢] من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «**ألك حاجة**» قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله حاجتي، قال: «**وما حاجتك؟**» قال: أن تشفع لي يوم القيامة. قال: «**ومن دلَّك على هذا؟**» قال: ربي. قال: «**أما لا فأعني بكثرة السجود**».

س: متى يمنع المسلم من أن يشفع؟

ج: إذا أكثر من اللعن، فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠٠) من طريق عفان ثنا خالد يعني الواسطي (قال مصطفى وهو خالد الطحان) قال: ثنا عمرو بن يحيى الأنصاري عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي ﷺ... وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج مسلم (حديث ٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**».

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٠٦).

MOSTAFALADY.COM

الشفاعات الدنيوية

س: هل تشرع الشفاعات الدنيوية؟

ج: من الشفاعات الدنيوية ما هو مشروع ومنها ما هو محرم قال الله ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

س: اذكر نماذج للشفاعات الدنيوية المشروعة؟

ج: منها ما ورد في حديث رسول الله ﷺ أنه كان إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تؤجروا**» ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء[1]، أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

❁ وأخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له: مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: «**يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا**»؟ فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته**» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «**إنما أنا أشفع**» قالت: لا حاجة لي فيه. أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر مثالاً للشفاعات الدنيوية المحرمة؟

ج: من أمثلة ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص.

أخرج البخاري[2] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمتهم المرأة

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، وفي غير موطن من صحيحه، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٨)، ومسلم (حديث ١٦٨٨).

Mostafa.com

المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلَّم رسول الله ﷺ فقال: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله**»؟ ثم قام فخطب فقال: «**يا أيها الناس إنما ضلَّ**[1] **من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**».

ويدخل في الشفاعات المحرمة الواسطة التي تذهب بحقوق أناس إلى آخرين لا حقَّ لهم.

MOSTAFAALADWY.COM

(١) في روايه إنما هلك.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ
﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ
ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا
مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ
بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

الكلمة	معناها
﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾	خلصناكم.
﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾	يذيقونكم أسوأ العذاب أو أشد العذاب أو العذاب الذي يسيء صاحبه.
﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾	يتركونهن أحياء.
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	لتشكروني.
﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾	ما يفرق به بين الحق والباطل، والله أعلم.

MOSTAFALABIB.COM

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٤٩]؟

العامل فيها هو قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ فالمعنى - والله أعلم - واذكروا إذ نجيناكم.

❀ ❀ ❀

س: من المراد بالخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ...﴾ [البقرة: ٤٩]؟

ج: الخطاب موجه للموجودين من بني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ، والمراد من سلف من آبائهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، أي حملنا آباءكم.

وقيل إن الخطاب للأبناء، وذلك لأن نجاة الآباء كانت سببًا في ميلاد هؤلاء الموجودين، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٤٩]؟

ج: المعنى - أنقذناكم وأخلصناكم، والمعنى الأصلي ألقيناكم على نجوة من الأرض وهي ما ارتفع منها هذا هو الأصل في تعريف النجاة ثم سُمِّيَ كل فائزٍ ناجيًا، فالناجي من خرج من ضيق إلى سعة، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: في أي يوم أنجى الله ﷻ بني إسرائيل من فرعون وأغرق فرعون وآله...؟

ج: كان ذلك في يوم عاشوراء، فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث

---

(١) هو عند البخاري (حديث ٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠).

MOSTAFALADAWY.COM

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: «**فأنا أحق بموسى منكم**». فصامه وأمر بصيامه).

❁ ❁ ❁

س: فرعون علم، على كل من حكم مصر وكان كافرًا من العماليق ومن غيرهم[1]، فما هو العلم لكل من حكم الفرس والروم والأحباش واليمنيين والهنود؟

ج: أما من حكم الفرس كافرًا فيطلق عليه (كسرى).

❁ ومن حكم الروم كافرًا فيطلق عليه (قيصر) وكذلك يطلق عليه (هرقل).

❁ ومن حكم اليمن يطلق عليه (تُبَّع) وجمعه تبابعة.

❁ ومن حكم الحبشة يطلق عليه (النجاشي).

❁ ومن حكم الهند يطلق عليه (بطليموس)، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من المراد بآل فرعون؟

ج: هم أهل دينه من قومه وأشياعه وأتباعه[2].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]؟

ج: المعنى - والله أعلم - يولونكم - يدعون عذابكم - يذيقونكم

---

(١) وكذلك كلُّ عاتٍ وظالم فرعون، ويقال: تفرعن، وهو ذو فرعنة أي: دهاء ومكر.

(٢) وتفسير الآل بتفصيل سيأتي في سورة «آل عمران» إن شاء الله.

MOSTAFAADEL.COM

يوردونكم، وكل هذا صحيح.

وأصل السوم الدوام، ومنه قيل للغنم سائمة لمداومتها الرعي.

ومن المعاني المتقدمة «يذيقونكم» وقال الشاعر«عمرو بن كلثوم»:

إذ ما الملك سام الناس خسفًا[1]

أبينا أن نقرَّ الخسف فينا

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما سوء العذاب الذي أنجى الله ﷻ منه بني إسرائيل؟

ج: فُسر سوء العذاب في باقي الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩].

❀ ❀ ❀ ❀

س: من المراد بالنساء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]؟

ج: من العلماء من قال: إن المراد بالنساء هنا الأطفال الإناث وعبر عنهن بالنساء (مع كونهن أطفالاً) باعتبار المآل (أي باعتبار ما سيئول إليه أمر الطفلة فأمرها سيئول إلى أن تكون من النساء إذا كبرت) وليذكرهم بالاسم الذي في وقته سيستخدمن ويمتهن، ونفس الاستحياء ليس عذابًا ولكن العذاب فيما يأتي من وراء هذا الاستحياء من امتهان...، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: لماذا اتجه فرعون إلى قتل الأبناء واستحياء النساء؟

ج: بعض أهل العلم يذكر لذلك سببًا وهو خوف فرعون من زوال ملكه

---

(١) الخسف المراد به هنا النقيصة والإذلال.

Nosweadow.com

على يد بعض بني إسرائيل، وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره[١] بإسناد صحيح إلى عبدالله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله - أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشِّفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه ففعلوا فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم، ودعوا عامًا فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة حتى إذا كان القابل حملت بموسى[٢].

(١) أخرجه الطبري (أثر رقم ٩٨)، وهو صحيح إلى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا عليه لكن صحة المتن علمها عند الله سبحانه وتعالى، وليس للأثر حكم الرفع فقد يكون متلقى من أهل الكتاب، والله تعالى أعلم.

(٢) وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره «محاسن التأويل» (ص:١٢٢): وسبب سومه بني إسرائيل سوء العذاب من تذبيح أبناءهم - وعلى ما روي في التوراة[*] خوفه من نموهم وكثرة توالدهم، وكانت أرض مصر امتلأت منهم، فإن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما استقدم أباه وإخوته وأهلهم من أرض كنعان إلى مصر أعطاهم ملكًا في أرض مصر في أفضل الأرض كما أمره ملك مصر، وكان لهم في مصر مقام عظيم بسبب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فتكاثروا وتناسلوا، ولما توفي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ والملك الذي اتخذه وزيرًا عنده انقطع ذلك الاحترام عن بني إسرائيل إلى أن قام على مصر أحد ملوكها الفراعنة فرأى نمو الإسرائيليين فقال لقومه: أضحى بنو إسرائيل شعبًا أكثر منا وأعظم فهلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويخرجون من أرضنا، فسلط عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، وكانوا كلما اشتد تعبدهم ازدادوا كثرة وشدة، فشق على المصريين كثرتهم واختشوا منهم فجعل أهل مصر يستعبدونهم جورًا ويُمَرِّرون عليهم حياتهم بالعمل الشديد بالطين واللبن وكل فلاحة الأرض، وكل الأفعال التي استعبدوهم بها بالمشقة، وأمر فرعون بذبح أبنائهم كما قصَّه الله تعالى، ولم يزل الأمر في هذه الشدة عليهم حتى نجاهم سبحانه بإرسال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(*) الله أعلم بصحة ذلك.

Mostafa Adly.com

س: ما المراد بالبلاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن المراد بالبلاء هنا ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النساء وهذا هو قول جمهور العلماء، قالوا البلاء ها هنا في الشر والقول الثاني أن المراد بالبلاء هنا نعمة فالمعنى وفي ذلكم نعمة عظيمة من ربكم إذ أنجاكم من آل فرعون، وحجة أصحاب هذا القول أن البلاء يطلق على الخير كما يطلق على الشر، قال الله ﷻ: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] قال الطبري ﷺ في تفسيره: والعرب تسمي الخير بلاءً، والشر بلاءً غير أن الأكثر في الشر أن يُقال (بلوته أبلوه بلاءً) وفي الخير (أبليته أبْليه إبلاء وبلاءً) ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

جزى الله بالإحسان ما فعَلا بكم ... وأبلاهُما خير البَلاء الذي يَبْلو

فجمع بين اللغتين لأنه أراد: فأنعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده.

س: ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية الكريمة ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩] دليل على أن كل من باشر القتل وإن كان بأمر غيره أو تحت قهر غيره يُعد قاتلاً وضح ذلك؟

Mostafalaw.com

ج: وجه قول هذا الفريق من أهل العلم هو أن آل فرعون كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب ويقتلون الأبناء ويستحيون النساء وهذا كله كان بأمر فرعون، لكن نسب الربُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأفعال إليهم لأنهم باشروها بأنفسهم.

❁ قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حي بنفسه، وإن كان عن أمره غيره ففاعله المتولي ذلك هو المستحق إضافة ذلك إليه، وإن كان الآمر قاهرًا الفاعل المأمور بذلك - سلطانًا كان الآمر أو لصًّا خارجًا أو متغلبًا فاجرًا كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم إلى آل فرعون دون فرعون وإن كانوا بقوة فرعون وأمره إياهم بذلك فعلوا ما فعلوا مع غلبته إياهم وقهره لهم فكان كل قاتل نفسًا بأمر غيره ظلمًا فهو المقتول عندنا به قصاصًا، وإن كان قتله إياها بإكراه غيره له على قتله.

قلت: وقد أورد القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره خلافًا للعلماء على ثلاثة أقوال لهم في هذه المسألة، إن شئت فراجعه عند تفسير الآية الكريمة هناك،وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما معنى ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا ففرق البحر اثني عشر طريقًا فسلك كل سبط منهم طريقًا منها فذلك فرق الله عَزَّوَجَلَّ بهم البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر. انتهى.

فذهب ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن البحر كان فيه اثنا عشر طريقًا بينما ذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه كان طريقًا واحدًا مرّ عليه بنو إسرائيل جميعًا مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

MOSTAFAADAWY.COM

والدليل يشهد للقول الثاني، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

هذا وأصل الفلق والفصل، ومنه فرق الشعر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي فصلناه، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: لماذا سُمي البحر بحرًا؟

ج: سُمي البحر بحرًا لاتساعه، ومنه قول النبي ﷺ في شأن فرس أبي طلحة: «وإن وجدناه لبحرًا»(١) أي واسع الجري.

❀ ❀ ❀

س: اذكر حديثًا في فضل صوم يوم عاشوراء؟

ج: أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه حديثًا فيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال كيف تصوم.. الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال: «وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله»(٢).

❀ ❀ ❀

س: الإنجاء من القوم الظالمين نعمة يتغافل عنها الكثيرون وقد ذكرنا الله عز وجل بها في جملة آيات من كتابه العزيز حتى نشكره عليها اذكر بعض هذه الآيات؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٢٠)، وفي عدة مواطن من صحيحه، ومسم (حديث ٢٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١١٦٢) وفي رواية عند مسلم: وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية».

Mostafawi.com

❁ قوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿... وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[البقرة: ٤٩]

❁ وقوله تعالى لأمة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

[قريش: ١ - ٤]

❁ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

❁ وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

❁ ❁ ❁

س: لماذا واعد الله ﷻ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أربعين ليلة؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

الأول: أنه سبحانه واعده أربعين ليلة لإنزال التوراة عليه وأخذ الألواح أي أن التوراة ستنزل عليه بعد أربعين ليلة.

الثاني: أن هذه المواعدة كانت للتكليم (كي يكلمه ربه ﷻ).

❁ ❁ ❁

MostafaLaw.com

س: متى كانت هذه المواعدة؟ وما معنى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١]؟

ج: جمهور المفسرين يذكرون أن هذا بعد إغراق فرعون وآله في اليم وإنجاء موسى ومن معه من بني إسرائيل، فبعد أن أنجاهم الله ﷻ ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل سألوا موسى (أو أن موسى وعد بني إسرائيل) كتابًا فجاءت المواعدة بذلك والله أعلم.

أما معنى ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] واعدناه انقضاء أربعين ليلة. وانظر السؤال التالي.

س: ما الليالي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١]؟

ج: لا أعلم دليلاً من كتاب الله ﷻ أو من سنة رسول الله ﷺ يُحدِّدُ هذه الليالي بالضبط ما هي. إلا أن جمهور المفسرين يذكرون أنها شهر ذي القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، والله تعالى أعلم بالصواب.

❀ ❀ ❀

س: هل كانت المواعدة أربعين ليلة من بداية الأمر؟

ج: البعض يرى أنها كانت على مرحلتين لقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] وفريق من أهل العلم يرى أن المواعدة أربعين ليلة كانت مجتمعة من أول الأمر وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أنها كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

MOSTAFAADWY.COM

س: لماذا ذكرت الليالي دون الأيام في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾؟

ج: بعض العلماء يعوِّل في ذلك على أن عادة العرب التأريخ بالليالي لأن أول الشهر ليلة، واعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعًا لليالي، والله أعلم.

❁ وقال بعض العلماء إن الليالي أسبق من الأيام، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما موقع قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]، من الآية الكريمة؟

ج: موقعها - والله تعالى أعلم - وأنتم تعلمون بظلمكم قد قامت عليكم الحجة، ومن المعلوم أنهم في هذه الحالة التي يعبدون فيها العجل والحجة قائمة عليهم أعظم جرمًا وأكبر إثمًا من الذي يعبد على جهل لم تصله الحجة، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صفات موسى عليه السلام الخلقية؟

ج: كان موسى عليه السلام وجيهًا كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

❁ وأخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام:

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٣٩٤).

NOSTARABIYA.COM

«ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضرْبٌ رجلٌ[1] كأنه من رجال شنوءة».

❀ ❀ ❀

س: ما هو المضمر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]؟

ج: المضمر هو (إلهًا أو معبودًا) فالمعنى ثم اتخذتم العجل إلهًا، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿... فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٧، ٨٨].

❀ ❀ ❀

س: ما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥١، ٥٢]؟

ج: المعنى - والله أعلم - أن من نعم الله ﷻ عليكم أن عفا عنكم بعد اتخاذكم العجل إلهًا تعبدونه لتتجهوا إليه سبحانه بالشكر على عفوه عنكم إذ العفو يوجب الشكر عند أهل اللبِّ والعقل، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى: ﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]، وما الفرق بين العفو والغفران؟

---

(١) أي: دهين الشعر مسترسله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (فتح الباري ٦/ ٤٩٤): قوله: «كأنه من رجال شَنُوْءة» بفتح المعجمة وضم النون وسكون الواو بعدها همزة ثم هاء التأنيث «حيّ من اليمن» ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله، والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو، قال ابن قتيبة: سمي بذلك من قولك رجل أي: والتقزز(*) بقاف وزايين التباعد من الأدناس، قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول. انتهى.

ووقع في حديث ابن عمر عند المصنف بعد (كأنه من رجال الزط) وهم معروفون بالطول والأدمة.

(*) كأن في الكلام سقط، والله أعلم.

MOSTAFALAWY.COM

ج: عفونا عنكم معناها محونا ذنوبكم، أما بالنسبة للفرق بين العفو والغفران أن الغفران لا يكون معه عقوبة، بينما العفو قد يكون بعد العقوبة أو قبلها ومما يدل على أن العفو قد يكون معه بعض المؤاخذة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، مع أن القاتل عُفي عنه ولم يقتل لكنه مع ذلك لزمته الدِّية[١] والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب وما هو المراد بالفرقان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]؟

ج: أما الكتاب فهو التوراة، وقد نقل عدد من أهل العلم الإجماع على ذلك في هذا الموطن.

أما الفرقان فلأهل العلم فيه أقوال:

❁ منها: أن الفرقان هو التوراة وأعيد ذكره باسمين تأكيدًا.

وذلك كقول الشاعر:

وقددت[٢] الأديم[٣] لِرَاهشَيْهِ[٤] وألفَى قولها كذبًا ومَينًا

فالكذب هو المين.

وأيضًا: قول الشاعر:

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأى والبعدُ

---

(١) إلا أن يعفو أهل القتيل عفوًا آخر عن الدية كذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) في سياق آخر للبيت (وقدَّمت). أما القدُّ فهو القطع.

(٣) الأديم هو الجلد.

(٤) الراهشان: عرقان في بطن الذراع.

MOSTAFALADIW.COM

فالنأي هو البعد.

❁ من العلماء من قال إن الفرقان هو النصر الذي نصر الله ﷻ به موسى عليه السلام وبني إسرائيل كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] فعليه الفرقان هو الفصل بين الحق والباطل.

❁ ومن العلماء من يقول إن الفرقان هنا هو انفلاق البحر، وهذا راجع إلى القول الثاني.

وسيأتي للفرقان مزيد من التفسير في سورة آل عمران إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم.

MOSTAFAALADWY.COM

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ
أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ
فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ
بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ
بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

الكلمة	معناها
﴿بَارِئِكُمْ﴾	خالقكم، والبريَّة: الخلق.
﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾	لن نصدقك ـ لن نتابعك.
﴿جَهْرَةً﴾	عِيانًا (يكشف ما بيننا وبينه) – علانية.
﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾	قيل: هي نار، وقيل: رجفة (ودليله: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾) وقيل: الموت.
﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾	الغمام هو: السحاب، وظللنا عليكم الغمام: جعلناه فوقكم كالظلة تقيكم حر الشمس.
﴿ٱلْمَنَّ﴾	مصدر يعم جميع ما منَّ الله به على عباده من الطعام والشراب من غير تعب ولا كد، وقيل: هو: طعام كالعسل.
﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾	طائر السُّماني، وهو: طائر طيب اللحم.

MOSTAFAHAMDY.COM

س: هل القوم يدخل فيهم النساء؟

ج: كثير من أهل العلم يرون أن القوم مختصة بالرجال لأنهم هم الذين يقومون بالأمور، واستدلوا بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات: ١١] واحتجوا أيضًا بقول زهير:

وما أدري وسوف أخال أدري ... أقومٌ آل حصن أم نساء

وقول الشاعر الآخر:

قومي هم قتلوا أُميم أخي ... فإذا رميتُ يُصيبني سهمي

واحتجوا أيضًا بقول الله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١] فالمراد بالقوم الرجال؛ والله أعلم.

❁ واعترض على هؤلاء بقوله تعالى: ﴿إِنَآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] ونوح عليه السلام كان مرسلاً للرجال والنساء ولما كذبته امرأته كفرت[1]، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ...﴾ [غافر: ٤١] لكن أجاب أهل القول الأول على هذا بأن قالوا: إن القوم في قوله تعالى: ﴿إِنَآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ...﴾ [غافر: ٤١] يدخل فيه الرجال والنساء بلا شك لكن دخول النساء فيه من باب الاستتباع أي لأنهم تبع للرجال فأطلق على الرجال والنساء قوم تغليبًا[2]. والله

---

(١) قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ...﴾ [التحريم:١٠].

(٢) ولقائل أن يقول إن القوم يدخل فيها الرجال والنساء ويجيب على قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ...﴾ [الحجرات:١١] بأن هذا من باب عطف =

تعالى أعلم.

س: هل اعترف بنو إسرائيل أنهم أخطئوا بعبادتهم للعجل؟

ج: نعم اعترفوا بذلك، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

❀ ❀ ❀

س: ما معنى بارئكم؟ ولماذا عُبِر بهذه الصفة من صفات الله ﷻ في هذا المقام؟

ج: بارئكم: خالقكم، وعُبِّر بهذه الصفة - والعلم عند الله تعالى - لبيان عظيم جرمهم وكبر ذنبهم، فالمعنى توبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: بعض أهل العلم يقولون هنا محذوف لابد أن يقدر في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] فما هو هذا المحذوف الذي يُقدر؟

ج: المحذوف هو (فامتثلتم) فالمعنى اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم، فامتثلتم ما أمركم الله به، فتاب عليكم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: كيف كانت توبة الله ﷻ على بني إسرائيل؟

ج: ظاهر الكتاب العزيز فيه ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ

=الخاص على العام لكن الأول عليه أكثر المفسرين، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALADY.COM

عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] وهذا الظاهر يفيد أنهم أمروا بقتل أنفسهم، لكن لما كان من المعلوم أن النفس في كثير من الأحيان تُطلق ولا يراد بها نفس الشخص المخاطب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: ١١] أي لا يلمز بعضكم بعضًا، وكما في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢] أي ظنوا بإخوانهم خيرًا، وكما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النور: ٦١] فعلى هذا يحتمل – وهو احتمال قوي جدًّا – أن يكون قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] معناه فليقتل بعضكم بعضًا[(١)].

ويتأيد هذا بأمور منها:

❁ قول القرطبي رحمه الله: وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحدٍ من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده.

❁ أخرج ابن أبي حاتم في التفسير[(٢)] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[(٣)]: ... فقال الله ﷻ إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والدٍ أو ولدٍ فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن فتاب أولئك الذين كان قد خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أُمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول.

❁ وأخرج ابن جرير الطبري رحمه الله وابن أبي حاتم رحمه الله[(٤)] في تفسيريهما

---

(١) أثر رقم (٥٣١).

(٢) وبعض العلماء يقولون: يقتل من لم يعبد العجل مَن عبد العجل، والله أعلم.

(٣) هو جزء من حديث الفتون.

(٤) أخرجه ابن جرير (أثر ٩٣٥)، وابن أبي حاتم (أثر ٥٣٢)، وهذا رجاله ثقات إلا أن حجاج بن محمد وإن كان ثقة إلا أنه تغير لما قدم بغداد، والله أعلم.

Mostafawy.com

من طريق حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدًا قالا قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا، لا يحنُّ رجل على رجل قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل، وإن الله أوحي إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت فذلك حين ألوى موسى بثوبه.

س: ما المراد بالصاعقة في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة:٥٥]؟

ج: قيل إن الصاعقة هي الموت وقيل إن الصاعقة هي الرجفة لما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

❁ وقيل: إن الصاعقة هي نار.

❁ **قال الطبري** رحمه الله: وأصل الصاعقة كل أمرٍ هائل رآه المرءُ أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتًا كان ذلك أو زلزلة أو رجفًا، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقًا وهو حي غير ميت قول الله ﷻ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني مغشيًّا عليه ومنه قول جرير بن عطية:

وهل كان الفرزدق غير قرد ... أصابته الصواعق فاستدارا[1]

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وعزا هذا البيت لجرير في ديوانه (٢٨١) والنقائض (٢٥١) وبعده في هجاء الفرزدق وهو من أشده:

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدار قومٍ ... رحلت بخزيةٍ وتركتَ عارَا

وما أشد ما قال! وقال في النقائض في شرح البيت: «ولغته - يعني جريرًا - الصواعق. فاستدار أي: استدار إنسانًا بعد أن كان قردًا(*)» وكأنه أخطأ المعنى فإنه أراد مسخ قردًا على هيئته التي كان عليها قبل أن يكون إنسانًا. فقوله (استدار) عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه) ومن ذلك قوله ﷺ في حجة =

MostafaAbdy.com

فقد عُلم أن موسى لم يكن - حين غشي عليه وصعق - ميتًا لأن الله تعالى أخبر عنه أنه لما أفاق قال ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولا شبه جريرُ الفرزدق، وهو حي بالقرد ميتًا، ولكن معنى ذلك ما وصفنا.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] كيف أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون؟

ج: قال بعض العلماء صُعق بعضهم والبعض الآخر ينظر، ثم بُعث الذين صعقوا، وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] [البقرة: ٥٥، ٥٦].

❁ وقال بعضهم: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التي أصابتكم، يقول أخذتكم الصاعقة عيانًا جهارًا وأنتم تنظرون إليها.

=الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئه يوم خلق الله السموات والأرض» أي: عاد كما بدأ، فهو يقول كان الفرزدق في أصل نشأته قردًا ثم تحوَّل إنسانًا فلما أصابته صواعق شعري عاد كما كان في أصل نشأته قردًا صريحًا.

(*) لا يعني ما يعنيه الملاحدة من أن الإنسان أصله قرد، فالله سبحانه يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، ويقول النبي ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدم طوله في السماء ستون ذراعًا...» ولكن قول جرير من أقوال الشعراء الظلمة الذي خرج هجاؤهم إلى القبح.

(١) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥٤٠)، بإسناد صحيح إلى عروة بن رويم قال: سأل بنو إسرائيل موسى فقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخبرهم أنهم لن يطيقوا ذلك فأبوا فسمعوا من كلام الله فصعق بعضهم، وبعضهم ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء، وفي رواية ثم بُعث الذين صعقوا وصعق الآخرون ثم بعثوا فقال الله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ASTRAALAW.COM

وهذا الأخير قول ابن جرير الطبري رحمه الله.

❀ ❀ ❀

س: هل مات الإسرائيليون من الصاعقة؟

ج: نعم ماتوا من الصاعقة لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٦].

❀ ❀ ❀

س: بعض العلماء يذكر أن موسى قام يدعو ربه ﷻ لما صعق من قومه من صُعق فهل من دليل على ذلك؟

ج: أما الدليل على ذلك فهو قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٥، ١٥٦].

❀ ❀ ❀

س: هل يؤخذ من الآية الكريمة ﴿... فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ...﴾ [البقرة: ٥٤]، مشروعية قتال المرتدين؟

ج: قتال المرتدين مشروع لكنه لا يؤخذ من هذه الآية الكريمة فالذي في هذه الآية الكريمة حكم خاص ببني إسرائيل ثم أنهم أيضًا كانوا قد تابوا قبل أن يؤمروا بقتل بعضهم البعض على ما قدمناه، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

MOSTAFAALY.COM

س: متى سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل جهرة، وما السبب الحامل لهم على ذلك؟

ج: بعض العلماء يذكرون أن ذلك حدث لما تاب الإسرائيليون من عبادة العجل فاختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلاً يخرجون معه لميقات ربه عز وجل حتى يعلموا يقينًا أنهم قد تيب عليهم[1] وذكر البعض من العلماء لسؤالهم رؤية الله جهرة أسبابًا منها أنهم أرادوا أن يتأكدوا أن الذي يكلمهم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن ليس معنا نص من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ يوضح سبب ذلك[2]، ومن ثم قال ابن جرير الطبري رحمه الله بعد أن أورد أسبابًا لذلك نقلها بإسناده إلى بعض أهل العلم.

ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى، تقوم به حجة فيُسلم له، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يُقال: إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] كما أخبر عنهم أنهم قالوه، وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخًا لهم في كفرهم بمحمد ﷺ، وقد قامت حُجَّته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك، وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها

---

(١) وسياق آيات سورة الأعراف يشهد لشيء من ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ ...» [الأعراف: ١٥٢ - ١٥٥]، وهذا ليس بصريح كذلك.

(٢) إلا أنه من المعروف أن من صفات بني إسرائيل التعنت.

حقًّا كما قال.

❁ ❁ ❁ ❁

س: من الأدلة التي تساق في كتاب الله ﷻ لإثبات البعث إحياء الله ﷻ لبعض الأنفس بعد موتها، اذكر أمثلة لذلك؟

ج: من أمثلة ذلك ما يلي:

❁ قوله تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿ ❁ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ

مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

❁ ومن المعلوم أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله، وكما قال الله سبحانه عن عيسى: ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:٤٩]، وكما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

❁ ❁ ❁

س: هل يرى الناس ربهم ﷻ في الدنيا؟

ج: لن يرى الناس ربهم ﷻ في الدنيا، وقد قال الله ﷻ لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام - لما سأله الرؤية -: ﴿لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال النبي ﷺ: «تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه ﷻ حتى يموت»(١).

س: هل سؤال رؤية الرب ﷻ في الدنيا جائز؟

ج: الذي يظهر أنه لا يجوز فقد سأل موسى عليه السلام ربه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلم يُجب إلى ذلك، فقال الله تعالى له: ﴿لَن تَرَانِي ﴾(٢) ولما علق بنو إسرائيل إيمانهم لموسى على رؤية الله ﷻ جهرة أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، وأيضًا:

❁ قال الله ﷻ: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٣]

❁ وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ❁ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ

---

(١) أخرجه مسلم (ص:٢٢٤٥) من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ.

(٢) وقد يقول قائل إن موسى عليه السلام لم يعتب عليه الله ﷻ إذ سأله ذلك، فالإجابة على هذا أن الله قال له: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[الأعراف:١٤٤] فهذا يحمل نهيًا عن سؤال الرؤية ثم الآيات التي استدللنا بها أعلاه يُفهم منها المنع، والله أعلم.

Mosgraphy.com

﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] فظهر بهذه الأدلة المنع من سؤال رؤية الرب ﷻ في الدنيا، لكن يسأل العبد ربه أن يراه في الآخرة، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] يرجع إلى ماذا؟

ج: يرجع الضمير إما إلى القتل أي أن قتلكم أنفسكم يا بني إسرائيل خير لكم عند بارئكم، أو يرجع إلى التوبة أي توبتكم خير لكم عند بارئكم، أو يقال: توبتكم بقتل أنفسكم خير لكم عند بارئكم[(١)].

❀ ❀ ❀

س: كيف يرد على من قال: إن الرب لا يرى يوم القيامة لأن (لن) تفيد التأبيد، وقد قال الله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] ؟

ج: الجواب أن (لن) لا تفيد التأبيد في كل الأحوال، وهي وإن أفادته في بعض الأحوال لا تفيده في هذا الموطن في الآخرة لورود الأحاديث الصريحة برؤية الرب ﷻ في الآخرة[(٢)].

ومن الأدلة على أن (لن) لا تفيد التأبيد قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥] فقال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ مع أن اليهود سيتمنون الموت يوم

---

(١) وهذا كما تقدم خاص ببني إسرائيل.

(٢) منها قول النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة..**»، وسيأتي في بابه إن شاء الله.

Mostafa Adawy.com

القيامة، فهم داخلون في جملة الكفار الذين يقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى الغمام؟

ج: الغمام هو السحاب[1]، وسمي السحاب غمامًا لأنه يغم السماء أي يغطيها ويواريها ويسترها، ومنه قولهم غُمَّ الهلال إذا غطاه الغيم، فالغمام كل ما غمَّ السماء فغطاها من سحاب وقتام وكل مغط فهو غمام، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: أين كان تظليل الغمام على بني إسرائيل؟

ج: كان ذلك في التيه الذي ضربه الله ﷻ عليهم وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿... فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، لكن أين كان هذا التيه؟ الله تعالى أعلم، ولم نقف على خبر ثابت يوضح لنا أين كان.

وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس:...ثم ظلل عليهم الغمام في التيه.

❁ ❁ ❁

س: ما المن؟ وما السلوى؟

ج: أما السلوى فأكثر العلماء على أنها طائر السُّماني، وهو طائر طيب اللحم، أما المن ففيه أقوال:

❁ منها: أنه طلٌّ ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلاً

---

(١) وخصه بعضهم بالسحاب الأبيض.

MOSTAFALAB.COM

ويجفف جفاف الصمغ وقيل: هو الترنجبين.

❁ ومنها: أنه العسل.

❁ ومنها: أنه شراب حلو مثل العسل.

❁ ومنها: أنه خبز الرقاق.

❁ وقيل: إنه مصدر يعم جميع ما مَنَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ولا عمل ولا كد طعامًا كان أو شرابًا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة حديث: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين»؟ وما معناه؟

ج: الحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ وقد أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**»، وفي بعض روايات مسلم: «**الكمأة من المن الذي أنزل الله على موسى وماؤها شفاء للعين**»، وفي رواية أخرى: «**الكمأة من المن الذي أنزل الله ﷻ على بني إسرائيل وماؤها شفاء للعين**».

أما الكمأة فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[2]: والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تُزرع، قيل: سميت بذلك لاستتارها، يُقال: كمأ الشهادة إذا كتمها، ومادة الكمأة من جوهر أرضي بخاري يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع متجسدًا، ولذلك كان بعض العرب يسميها جدري الأرض تشبيهًا لها بجدري مادة

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٨، ٤٦٣٩، ٥٧٠٨)، ومسلم حديث (٢٠٤٩) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٧٣).

Mostafa.dawy.com

وصورة، لأن مادته رطوبة دموية تندفع غالبًا عند الترعرع وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة ومشابهتها له في الصورة ظاهر.

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة: أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: الكمأة جدري الأرض، فقال النبي ﷺ: «**الكمأة من المن**» الحديث. وللطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال: كثرت الكمأة على عهد رسول الله ﷺ، فامتنع قوم من أكلها وقالوا: هي جدري الأرض، فبلغه ذلك فقال: «**إن الكمأة ليست من جدري الأرض، ألا إن الكمأة من المن**» والعرب تسمي الكمأة أيضًا بنات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض. وهي كثيرة بأرض العرب، وتوجد بالشام ومصر، فأجودها ما كانت أرضه رملة قليلة الماء، ومنها صنف قتال يضرب لونه إلى الحمرة. وهي باردة رطبة في الثانية رديئة للمعدة بطيئة الهضم، وإدمان أكلها يورث القولنج والسكتة والفالج وعسر البول، والرطب منها أقل ضررًا من اليابس، وإذا دفنت في الطين الرطب ثم سلقت بالماء والملح والسعتر وأُكلت بالزيت والتوابل الحارة قل ضررها،ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها، فلذلك كان ماؤها شفاء للعين.

قوله: (من المن) قيل في المراد بالمن: ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المراد أنها من المن الذي أنزل على بني إسرائيل، وهو الطلُّ الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوًا، ومنه الترنجبين فكأنه شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوًا بغير علاج.

قلت: وقد تقدم بيان ذلك واضحًا في تفسير سورة البقرة، وذكرت من زاد في متن هذا الحديث «**الكمأة من المن الذي أنزل على بني إسرائيل**».

والثاني: أن المعنى أنها من المن الذي امتن الله به على عباده عفوًا بغير

علاج، قاله أبو عبيد وجماعة.

وقال الخطابي: ليس المراد أنها نوع من المن أنزل على بني إسرائيل، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي، فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فيقع على الشجر، فيتناولونه.

ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني إسرائيل كان أنواعًا، منها ما يسقط على الشجر، ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه، وهذا هو القول الثالث وبه جزم الموفق عبداللطيف البغدادي ومن تبعه فقالوا: إن المن الذي أنزل على بني إسرائيل ليس هو ما يسقط على الشجر فقط بل كان أنواعًا منَّ الله عليهم بها من النبات الذي يوجد عفوًا، ومن الطير التي تسقط عليهم بغير اصطياد، ومن الطلِّ الذي يسقط على الشجر.

والمن مصدر بمعنى المفعول أي ممنون به، فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب كان منًّا محضًا، وإن كانت جميع نعم الله تعالى على عبيده منًّا منه عليهم، لكن خص هذا باسم المن لكونه لا صُنع فيه لأحد، فجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قوتهم في التيه الكمأة وهي تقوم مقام الخبز، وأدمهم السلوى وهي تقوم مقام اللحم، وحلواهم الطل الذي ينزل على الشجر، فكمل بذلك عيشهم.

ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: «**من المن**» فأشار إلى أنها فرد من أفراده، فالترنجبين كذلك فرد من أفراد المن، وإن غلب استعمال المن عليه عرفًا.اهـ.

ولا يعكر على هذا قولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ **[البقرة: ٦١]**؛ لأن المراد بالوحدة دوام الأشياء المذكورة من غير تبدل وذلك يصدق على ما إذا كان المطعوم أصنافًا لكنها لا تتبدل أعيانها.

قوله: (وماؤها شفاء للعين) كذا للأكثر وكذا عند مسلم، وفي رواية

المستملي: «من العين» أي شفاء من داء العين، قال الخطابي: إنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة، لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة، ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر، والعكس بالعكس.

قال ابن الجوزي: في المراد بكونها شفاء للعين قولان:

أحدهما: أنه ماؤها حقيقة، إلا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفًا في العين، لكن اختلفوا كيف يصنع به على رأيين:

أحدهما: أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها، حكاه أبو عبيد، قال: ويصدق هذا الذي حكاه أبو عبيد أن بعض الأطباء قالوا: أكل الكمأة يجلو البصر.

ثانيهما: أن تؤخذ فتشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها، ثم يؤخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة ويبقى النافع منه، ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع، وقد حكى إبراهيم الحربي عن صالح وعبدالله ابني أحمد بن حنبل أنهما اشتكت أعينهما فأخذا كمأة وعصراها واكتحلا بمائها فهاجت أعينهما ورمدا.

قال ابن الجوزي: وحكى شيخنا أبو بكر بن عبدالباقي أن بعض الناس عصر ماء كمأة فاكتحل به فذهبت عينه.

والقول الثاني: أن المراد ماؤها الذي تنبت به، فإنه أول مطر يقع في الأرض فتربى به الأكحال حكاه ابن الجوزي عن أبي بكر بن عبدالباقي أيضًا، فتكون الإضافة إضافة الكل لا إضافة جزء.

قال ابن القيم: وهذا أضعف الوجوه.

قلت: وفيما ادعاه ابن الجوزي من الاتفاق على أنها لا تستعمل صرفًا نظر، فقد حكى عياض عن بعض أهل الطب في التداوي بماء الكمأة تفصيلاً، وهو إن كان لتبريد ما يكون بالعين من الحرارة فتستعمل مفردة، وإن كان لغير

Mostafalaw.com

ذلك فتستعمل مركبة، وبهذا جزم ابن العربي فقال: الصحيح أنه ينفع بصورته في حال، وبإضافته في أخرى، قد جُرب ذلك فوجد صحيحًا. نعم جزم الخطابي بما قال ابن الجوزي فقال: تربى بها التوتياء وغيرها من الأكحال، قال: ولا تستعمل صرفًا فإن ذلك يؤذي العين.

وقال الغافقي في «المفردات»: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به، فإنه يقوي الجفن، ويزيد الروح الباصر حدة وقوة، ويدفع عنها النوازل.

وقال النووي: الصواب أن ماءها شفاء للعين مطلقًا فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه، قال: وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا فشفي وعاد إليه بصره، وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبد الدمشقي صاحب صلاح ورواية في الحديث، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركًا به فنفعه الله به.

قلت: الكمال المذكور هو كمال الدين بن عبد العزيز بن عبدالمنعم بن الخضر يعرف بابن عبد بغير إضافة الحارثي الدمشقي من أصحاب أبي طاهر الخشوعي، سمع منه جماعة من شيوخ شيوخنا، عاش ثلاثًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة قبل النووي بأربع سنين.

وينبغي تقييد ذلك بمن عرف من نفسه قوة اعتقاد في صحة الحديث والعمل به كما يشير إليه آخر كلامه، وهو ينافي قوله أولاً مطلقًا.

وقد أخرج الترمذي في «جامعه» بسند صحيح إلى قتادة قال: حدثت أن أبا هريرة قال: أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسًا أوسبعًا فعصرتهن فجعلت ماءهن في قارورة فكحلت به جارية لي فبرئت.

وقال ابن القيم: اعترف فضلاء الأطباء أن ماء الكمأة يجلو العين، منهم

المسبحي وابن سينا وغيرهما.

والذي يزيل الإشكال عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها من المخلوقات خلقت في الأصل سليمة من المضار، ثم عرضت لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الأسباب التي أرادها الله تعالى، فالكمأة في الأصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله، وإنما عرضت لها المضار بالمجاورة، واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله، ويدفع الله عنه الضرر بنيته، والعكس بالعكس، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: لماذا قيل في المن والسلوى ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] مع أن الأطعمة الحلال كلها من رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

ج: هذا - والله أعلم - ليبين أنه أتى إليهم من غير جهد ولا مشقة.

❀ ❀ ❀

س: هل بدَّل كل بني إسرائيل القول الذي كلِّفوا به؟

ج: الظاهر أن منهم من بدَّل ومنهم من لم يبدل بل امتثل الأمر، والشاهد على ذلك قوله ﷺ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ...﴾ [الأعراف: ١٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، والله أعلم.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] واذكر بعض الآيات وحديثًا في معناها؟

ج: المعنى - والله أعلم -: أنهم ما ظلمونا بمعصيتهم لنا وإنما ظلموا أنفسهم بمقابلتهم النعم بالمعاصي، فطاعتهم لنا لا تنفعنا، ومعصيتهم لنا لا تضرنا إنما كل ذلك إما لهم وإما عليهم كما قال الله سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وكما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس: ٢٣]، وكما قال سبحانه في الحديث القدسي[١] «... **يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني....**» الحديث، وفيه أيضًا: «... **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روي عن الله ﷻ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي(*) وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا(**)، يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته(***)، فاستهدوني أهدكم يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته. فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون(****) بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم. ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرًا فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

(*) (إني حرمت الظلم على نفسي) قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت. وأصل التحريم في اللغة المنع. فسمي تقدسه عن الظلم تحريمًا، لمشابهته للمنوع في أصل عدم الشيء.

(**) (فلا تظالموا) أي: لا تتظالموا. والمراد: لا يظلم بعضكم بعضًا.

(***) (كلكم ضال إلا من هديته) قال المازريُّ: ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال، إلَّا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد على الفطرة». فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا. وهذا الثاني أظهر.

(****) (إنكم تخطئون) الرواية المشهورة: تُخطئون، بضم التاء. وروى بفتحها وفتح الطاء. يقال: خطئ يخطأ إذا فعل ما يأثم به، فهو خاطئ. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩٧]، ويقول في الإثم أيضًا: أخطأ. فهما صحيحان. من التعليق على مسلم.

Mostafawy.com

(٥١٩) أحمر أسود

MOSTAFAALADWY.COM

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

الكلمة	معناها
﴿حِطَّةٌ﴾	دخولنا الباب سجدًا حطةٌ يحط الله بها خطايانا (فحطة مصدر حط يحط حطة).
﴿رِجْزًا﴾	عذابًا، وقيل: إن العذاب هو: الطاعون، والله أعلم.

MOSTAFAALAWY.COM

س: ما القرية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة:٥٨]؟

ج: الجمهور من العلماء على أن هذه القرية، هي بيت المقدس ودليلهم قول الله ﷻ: ﴿... وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ...﴾ ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١ ـ ٢٦].

فأمروا بدخول الأرض المقدسة فامتنعوا فضرب عليهم التيه، وظُلِّل عليهم الغمام وأُنزل عليهم المن والسلوى في هذا التيه وبعدها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨]، فدل ذلك على أنها الأرض المقدسة ولكن هل هي بيت المقدس؟ قال ذلك الجمهور.

❁ ومن العلماء من يقول إنها (أريحاء)، واحتج أصحاب هذا القول على أنه لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس؛ لأن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [البقرة: ٥٩] تقتضي التعقيب فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى عليه السلام، لكن موسى مات في أرض التيه[1] ولم يدخل بيت المقدس فثبت أنه ليس المراد من هذه

(١) ومما يدل على أن موسى عليه السلام لم يمت في الأرض المقدسة ما أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٣٩، ٢٤٠٧)، ومسلم (ص ١٨٤٣) (واللفظ له) من طريق معمر عن همام قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «**جاء ملك الموت إلى موسى** عليه السلام». فقال له: أجب ربك. قال: «**فلطم موسى** عليه السلام **عين ملك الموت ففقأها**». قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: «**إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت. وقد فقأ عيني**». قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة. فإنك تعيش بها سنة. قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب. رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ». قال رسول الله ﷺ: «**والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى**

Nostrabooks.com

القرية بيت المقدس، وأجاب الأولون بأنه ليس في هذه الآية أنا قلنا لهم ادخلوا هذه القرية على لسان موسى أو على لسان يوشع، وإذا حملناه على لسان يوشع زال الإشكال.

❁ وثمَّ قول ثالث (تالف لا دليل عليه البتة) وهو أن هذه القرية (مصر). والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا سميت القرية بالقرية؟

ج: سميت القرية بالقرية لاستقرار الناس فيها وتطلق القرية - في الأصل - على مجموعة البيوت المستقرة (سواء كانت قرية بالمعنى الاصطلاحي الموجود الآن أم كانت مدينة)، وقد أطلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على مكة قرية فقال سبحانه: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣].

وأخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة**

=جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (فتح الباري ٣/ ٢٤٦): ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم، ولم يدخلها معه أحدٌ، ممن امتنع أولاً أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء، ومات هارون ثم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا فكأن موسى لمَّا لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها طلب القرب منها؛ لأن ما قارب الشيء يُعطى حكمه..، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٨٧١)، ومسلم (حديث ١٣٨٢).

MOSTAFADEW.COM

تنفي الناس[(١)] كما ينفي الكير خبث الحديد». والله تعالى أعلم.

س: متى قيل لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: ٥٨]؟

ج: قيل لهم ذلك بعد خروجهم من التيه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى سجدًا في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]؟

ج: للعلماء في ذلك أقوال:

❁ منها: ركعًا[(٢)].

❁ ومنها: منحنين كالراكعين.

❁ ومنها: متواضعين شاكرين خاضعين متذللين، والحامل على هذا الانصراف عن ﴿سُجَّدًا﴾ هو أنه لا يتيسر لأحد المشي وهو ساجد، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أمروا بدخول الباب سُجدًا؟

ج: الله أعلم بالحكمة من وراء ذلك، ولعله ابتلاء من الله ﷻ لهم[(٣)] ثم إن بعض العلماء يشير إلى أن هذا من مستلزمات شكر النعمة فلما أنعم الله ﷻ عليهم بدخول الأرض المقدسة بعد التيه الذي ضربه الله ﷻ عليهم أربعين سنة - لزمهم شكر هذه النعمة بأن يدخول الباب (باب القرية) متواضعين خاضعين ذليلين لله ﷻ شاكرين لنعمائه عليهم، وسجود الشكر مشروع في

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (فتح الباري (٤/ ١٠٥)): المراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده.

(٢) صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن جرير الطبري (١٠٠٧، ١٠٠٨) وابن أبي حاتم (التفسير رقم ٥٨٠) قال: أمروا أن يدخلوا ركعًا (وفي رواية من باب صغير).

(٣) وبعض العلماء يقولون: (أمروا أن يخضعوا لله عند الفتح بالقول والفعل).

MOSTAFALADAWY.COM

شريعتنا[١] وقد سجده النبي ﷺ وسجده أصحابه[٢]، وعند الفتح أيضًا صلى النبي ﷺ ثماني ركعات بمكة[٣]، والله تعالى أعلم وعند دخول الناس في دين الله أفواجًا يشرع التسبيح بحمد الرب سبحانه والاستغفار كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] فرأى بعض الصحابة أن المراد كثرة الذكر والاستغفار عند الفتح والنصر، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه نُعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها[٤]، وأقرَّه على ذلك عمر، ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك ونُعي إليه روحه الكريمة أيضًا.

---

(١) وقد قال النبي ﷺ في شأن سجدة ﷺ كما عند النسائي: «**سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا**».
وقد سجد النبي ﷺ في ﷺ كما عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٥٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرج أبو داود بإسناد حسن لشواهده (٣/ ٢١٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا جاءه أمر سرورٍ أو بُشِّر به خَرَّ ساجدًا شاكرًا لله.

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١/ ٤٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٨، ٥/ ٢٣١ مع النووي) من حديث أم هانيء رضي الله عنها مرفوعًا.

(٤) أخرج البخاري (حديث ٤٩٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وَجَد في نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رئيتُ أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم أعلم منها إلا ما تقول.
* وقد أخرج مسلم رحمه الله ما يؤيد وجهة الصحابة الذين سألهم عمر فأخرج مسلم رحمه الله (ص ٣٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر من قول: «**سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه**» قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قال: «**خبَّرني ربي أني سأرى علامةً في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها** ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

Mojahedbook.com

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ منها: حطة مغفرة[١]، والمعنى: دخولنا الباب سجدًا حطة أي مغفرة يغفر الله ﷻ بها عنا خطايانا.

❁ وقيل: معناها لا إله إلا الله.

❁ وقيل: حط عنا خطايانا.

❁ وقيل: أُمروا أن يستغفروا.

❁ وحطةٌ بالرفع أي: مسألتنا حطة.

وهذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى واحد ألا وهو أنهم أمروا أن يقولوا قولاً يحط الله ﷻ بهم عنهم خطاياهم، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨] سنزيدهم من ماذا؟

ج: سنزيدهم إحسانًا إلى إحسانهم، وقيل: نزيدهم ثوابًا، والله أعلم.

س: كيف بدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم؟

ج: بدلاً من أن يدخلوا الباب سجدًا ويقولوا حطة دخلوا يزحفون على أستاههم قائلين حبة في شعرة، فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[٢]

---

(١) أخرج هذا ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠١٢) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥٨٤) قال: مغفرة استغفروا. وفي رواية لابن جرير عن ابن عباس (أمروا أن يستغفروا).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤١)، ومسلم (حديث ٣٠١٥).

Mostafawy.com

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ فبدَّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة**».

وقد أخرج الطبري (١٠٢٥)، وابن أبي حاتم في التفسير (أثر ٥٩٤) بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمروا أن يدخلوا ركعًا ويقولوا حطة قال: أمروا أن يستغفروا، قال: فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزءون فذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، والمرفوع إلى رسول الله ﷺ أولى أي: أنهم قالوا: حبة في شعرة، إلا أن يجمع بين الروايتين فيقال: بعضهم قال: حنطة وبعضهم قال: حبة في شعرة أو بأن يقال: إنهم جميعًا قالوا هذا وذاك[١] والله تعالى أعلم.

س: ما معنى ﴿رِجْزًا﴾ [البقرة: ٥٩]؟

ج: معناها: عذابًا، وقيل الرجز هنا هو الطاعون.

وقيل: الرجز الغضب، وقيل: العقوبة، وكلها يرجع إلى معنى العذاب، وأما من قال إن المراد بالرجز هنا الطاعون فحجته ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون رجسٌ[٣] أرسل على طائفة من بني إسرائيل - أو - على من كان قبلكم، فإذا**

---

(١) وقد وقع في رواية للبخاري (٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.... أنهم قالوا: حِنطة حبَّة في شعرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٣) وفي عدة مواطن من صحيحه، ومسلم (٢٢١٨).

(٣) وفي رواية: «رجزٌ».

MOSTAFAMOBY.COM

سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه».

فهذا يقوي رأي من قال: إن المراد بالعذاب هنا (أي المراد بالرجز) هو الطاعون، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: المعاصي سبب لنزول المصائب وزوال النعم اذكر عدة أدلة على ذلك؟

ج: قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٩].

❁ وقال سبحانه في شأن أصحاب القرية: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا

nosrfan.com

يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ١٧ - ٢٠].

۞ وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

۞ وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

۞ وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

۞ وقال ﷻ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق: ٨ - ١٠].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

۞ وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ...إلى قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١].

۞ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

۞ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ

MOSTAFAWY.COM

إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

۞ وقال سبحانه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الكهف: ٣٢ - ٤٢].

۞ وكذلك فرعون وقومه لما تمردوا وتجبروا وبغوا في الأرض قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

۞ وقال سبحانه في شأنهم أيضًا: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩].

وكذلك كل الأمم الظالمة من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات وغيرهم من أهل البغي والظلم والفساد.

۞ ومن عصى من المسلمين أيضًا حل عليه شؤم معصيته: (إلا أن يسترها الله سبحانه ويغفرها) فأصحاب نبينا ﷺ لما - خالفوا أمر نبيهم ﷺ يوم أحد حلَّ بهم ما حل من قتل وجراح وذهاب غنيمة وجرح نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وشج رأسه وكسرت رباعيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[1].

۞ وآدم ﷺ أسكنه الله ﷻ الجنان وقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩] فلما وسوس له الشيطان وأغواه وجرأه على الأكل من الشجرة باليمين الكاذبة[2] والوعود الباطلة

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في سورة آل عمران.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١].

Nostradamus.com

الذاهبة[١] فلما أكل منها آدم أُخرج عليه السلام من الجنة وطفق هو وزوجه يخصفان عليهما من ورق الجنة وغوى آدم عليه السلام، لكن تفضل الله عز وجل عليه بالهداية والاجتباء كما قال سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

❁ وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ...﴾.

[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

س: لماذا كرر لفظ الذين ظلموا في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]؟ واذكر أمثلة للتكرير؟

ج: كرر لفظ الذين ظلموا تأكيدًا لظلمهم وإلصاقًا للظلم بهم أما أمثلة التكرير لتغليظ الفعل وتأكيده فهي كثيرة في الكتاب العزيز.

منها: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] فقال في الآية الكريمة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ولم يقل: فويل لهم مما كتبوا. وكرر الويل تغليظًا لفعلهم وتقبيحًا لأمرهم.

ومنه أيضًا: قول الخنساء:

تعرقني الدهر نهسًا وخزًّا ... وأوجعني الدهر قرعًا وغمزًا[٢]

---

(١) كما في قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

(٢) تريد أن الدهر أوجعها بكبريات نوائبه وصغارها، ومن المعلوم أن الدهر لا يفعل ذلك بل الأمور

وهذا كله تكرير بعد تمام الكلام، وقد يأتي التكرير قبل تمام الكلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] فكررت الحاقة تعظيمًا لشأنها وبيانًا لهولها، وكرر ذكر أصحاب الميمنة تفخيمًا لما ينالهم من الثواب، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل يجوز رواية الحديث بالمعنى؟

ج: ذهب فريق من العلماء إلى المنع مستدلين بأدلة منها:

١ - أن الله ﷻ ذم بني إسرائيل وأنزل عليهم رجزًا من السماء لما بدلوا ما أمرهم به وقالوا: حبة في شعرة وقد أُمروا أن يقولوا: حطة.

٢ - قول النبي ﷺ: «**نضر الله أمرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره...**»[(١)].

٣ - رد النبي ﷺ على البراء بن عازب رضي الله عنهما لما علمه النبي ﷺ الذكر الذي يُقال عند النوم قال له فيه: «... **ونبيك الذي أرسلت**» فقال البراء لما عاد الحديث على رسول الله ﷺ يستذكره: «... **وبرسولك الذي أرسلت**» فقال له النبي ﷺ: «**لا، قل وبنبيك الذي أرسلت**»[(٢)] بينما ذهب آخرون من أهل العلم

=كلها من عند الله سبحانه وتعالى.

(١) صحيح متواتر، وهو بهذا اللفظ عند أحمد في المسند (٥ / ١٨٣) وأخرجه كذلك الدارمي (١ / ٧٥) وابن حبان (موارد الظمآن ٧٢، ٧٣) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرج البخاري (١١ / ١٠٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن آخر ما تقول**»، =

MOSTAAKBIY.COM

إلى جواز رواية الحديث بالمعنى إذا كان الذي يرويه عالمًا بالألفاظ ومدلولاتها فاهمًا متقنًا لما يحيل المعنى عن معناه، كل هذا بشرط المطابقة للمعنى بكماله، واستثنى هذا الفريق من العلماء الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها، فهذه الأحاديث التي يُتعبد بألفاظها تنقل كما هي، والله تعالى أعلم.

وأجاب هذا الفريق من العلماء على استدلالات الفريق الأول بالآتي:

قالوا: إن قول بني إسرائيل: (حبة في شعرة) لم يكن من باب الرواية بالمعنى ولا السمع والطاعة بالمعنى إنما كان على سبيل العناد والتبديل كما قال الله ﷻ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] فجمعت الآية الكريمة ثلاثة أوصاف لهم:

١ - أنهم بدَّلوا. ٢ - أنهم ظلموا. ٣ - أنهم فسقوا.

وأجابوا عن الدليل الثاني أنه الأفضل والأكمل لكن لا ينفي ما سواه، وأيضًا فهذا الحديث نفسه: «**نَضَّر الله امرأ...**» روي بعدة ألفاظٍ عن النبي ﷺ.

٣ - وأجابوا عن الدليل الثالث (حديث البراء) أن هذا من النوع الذي يتعبد به فيروى كما هو.

ثم استظهروا لأقوالهم بأن قالوا إنَّ جُلَّ الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ رويت بالمعنى وكذلك القصص التي ذكرت في كتاب الله تكرر كثيرٌ منها بألفاظ تؤدي نفس المعنى، وأيضًا لما جاز نقل الأحاديث إلى غير العربية بمعناها فكان نقلها من العربية إلى العربية من باب أولى.

=فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: «**لا وبنبيك الذي أرسلت**». وأخرجه أيضًا مسلم (مع النووي ١٧ / ٣٢).

Mostafa Abdo.com

وها هو بحث للإمام القرطبي رحمه الله في ذلك:

قال رحمه الله: استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن تبديل الأقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يخلو أن يقع التعبُّد بلفظها أو بمعناها؛ فإن كان التعبُّد وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها؛ لذمّ الله تعالى من بدل ما أمره بقوله. وإن وقع بمعناها جاز تبديلها بما يؤدي إلى ذلك المعنى؛ ولا يجوز تبديلها بما يخرج عنه.

وقد اختلف العلماء في هذا المعنى؛ فحكي عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم أنه يجوز للعالم بمواقع الخطاب البصير بآحاد كلماته نقل الحديث بالمعنى لكن بشرط المطابقة للمعنى بكماله؛ وهو قول الجمهور. ومنع ذلك جمع كثير من العلماء منهم ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة. وقال مجاهد: انقص من الحديث إن شئت ولا تزد فيه.

وكان مالك بن أنس يشدّد في حديث رسول الله ﷺ في التاء والياء ونحو هذا. وعلى هذا جماعة من أئمة الحديث لا يرون إبدال اللفظ ولا تغييره حتى إنهم يسمعون ملحونًا ويعلمون ذلك ولا يغيرونه.

وروى أبو مجلز عن قيس بن عباد قال: قال عمر بن الخطاب: من سمع حديثًا فحدث به كما سمع فقد سلم. وروي نحوه عن عبدالله بن عمرو وزيد بن أرقم. وكذا الخلاف في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان؛ فإن منهم من يعتد بالمعنى ولا يعتد باللفظ، ومنهم من يشدد في ذلك ولا يفارق اللفظ. وذلك هو الأحوط في الدين والأتقى والأولى؛ ولكن أكثر العلماء على خلافه. والقول بالجواز وهو الصحيح إن شاء الله تعالى؛ وذلك أن المعلوم من سيرة الصحابة رضي الله عنهم هو أنهم كانوا يروون الوقائع المتحدة بألفاظ مختلفة، وما ذاك

Mostafawy.com

إلا أنهم كانوا يصرفون عنايتهم للمعاني ولم يلتزموا التكرار على الأحاديث ولا كتبها.

وروي عن واثلة بن الأسقع أنه قال: ليس كل ما أخبرنا به رسول الله ﷺ نقلناه إليكم؛ حسبكم المعنى.

وقال قتادة عن زرارة بن أوفى: لقيت عدة من أصحاب النبي ﷺ فاختلفوا عليَّ في اللفظ واجتمعوا في المعنى.

وكان النخعي والحسن والشعبي رحمهم الله يأتون بالحديث على المعاني.

وقال الحسن: إذا أصبت المعنى أجزأك.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: إذا قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني؛ إنما هو المعنى.

وقال وكيع رحمه الله: إن لم يكن المعنى واسعًا فقد هلك الناس.

واتفق العلماء على جواز نقل الشرع للعجم بلسانهم وترجمته لهم؛ وذلك هو النقل بالمعنى.

وقد فعل الله ذلك في كتابه فيما قص من أنباء ما قد سلف، فقص قصصًا ذكر بعضها في مواضع بألفاظ مختلفة والمعنى واحد، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربي وهو مخالف لها في التقديم والتأخير، والحذف والإلغاء، والزيادة والنقصان. وإذا جاز إبدال العربية بالعجمية فلأن يجوز بالعربية أولى.

احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي، وهو الصحيح في الباب.

فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ: «**نضر الله أمرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها**»

وذكر الحديث.

وما ثبت عنه ﷺ أنه أمر رجلاً أن يقول عند مضجعه في دعاء علمه: «**آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت**»؛ فقال الرجل: ورسولك الذي أرسلت؛ فقال النبي ﷺ: «**ونبيك الذي أرسلت**» قالوا: أفلا ترى أنه لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ وقال: «**فأداها كما سمعها**». قيل لهم: أما قوله: «**فأدَّاها كما سمعها**» فالمراد حكمها لا لفظها؛ لأن اللفظ غير معتد به. ويدلك على أن المراد من الخطاب حكمه قوله: «**فُرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**». ثم إن هذا الحديث بعينه قد نقل بألفاظ مختلفة والمعنى واحد؛ وإن أمكن أن يكون جميع الألفاظ قول النبي ﷺ في أوقات مختلفة؛ لكن الأغلب أنه حديث واحد نقل بألفاظ مختلفة؛ وذلك أدل دليل على الجواز.

وأما رده عليه السلام الرجل من قوله: «**ورسولك**» إلى قوله «**ونبيك**»؛ لأن لفظ النبي ﷺ أمدح؛ ولكل نعت من هذين النعتين موضع.

ألا ترى أن اسم الرسول يقع على الكافة، واسم النبي لا يستحقه إلا الأنبياء عليهم السلام! وإنما فضل المرسلون من الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة.

فلما قال: «**ونبيك**» جاء بالنعت الأمدح، ثم قيده بالرسالة بقوله: «**الذي أرسلت**». وأيضًا فإن نقله من قوله: «**ورسولك**» إلى قوله «**ونبيك**» ليجمع بين النبوة والرسالة.

ومستقبح في الكلام أن تقول: هذا رسول فلان الذي أرسله، وهذا قتيل زيد الذي قتله؛ لأنك تجتزئ بقولك: رسول فلان، وقتيل فلان عن إعادة المرسل والقاتل، إذ كنت لا تفيد به إلا المعنى الأول.

MOSTAFALABIB.COM

وإنما يحسن أن تقول: هذا رسول عبدالله الذي أرسله إلى عمرو، وهذا قتيل زيد الذي قتله بالأمس أو في وقعة كذا. والله ولي التوفيق.

فإن قيل: إذا جاز للراوي الأول تغيير ألفاظ الرسول عليه السلام جاز للثاني تغيير ألفاظ الأول، ويؤدي ذلك إلى طمس الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفائها.

قيل له: الجواز مشروط بالمطابقة والمساواة كما ذكرنا؛ فإن عُدمت لم يجز.

قال ابن العربي: الخلاف في هذه المسألة إنما يتصور بالنظر إلى عصر الصحابة والتابعين لتساويهم في معرفة اللغة الجبلية الذوقية؛ وأما من بعدهم فلا نشك في أن ذلك لا يجوز؛ إذ الطباع قد تغيرت، والفهوم قد تباينت، والعوائد قد اختلفت؛ وهذا هو الحق. والله أعلم.

قال بعض علمائنا: لقد تعاجم ابن العربي رحمه الله؛ فإن الجواز إذا كان مشروطًا بالمطابقة فلا فرق بين زمن الصحابة والتابعين وزمن غيرهم؛ ولهذا لم يفصل أحد من الأصوليين ولا أهل الحديث هذا التفصيل. نعم، لو قال: المطابقة في زمنه أبعد كان أقرب، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: الزيادة في الدين والابتداع فيه وكذلك التبديل جرم كبير عظيم الخطر وضح من الآيات الكريمة ما يفيد ذلك؟

ج: وجه ذلك أن بني إسرائيل لما غيَّروا وبدلوا قوله تعالى: ﴿حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فقالوا مكانها: (حبة في شعرة) ولما تمردوا على أمر الله إذ قال لهم الله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة: ٥٨] فدخلوا يزحفون على أستاههم لقوا من البلاء ما لقوا ووصفهم الله عز وجل بالظلم وبالفسق وأنزل عليهم رجزًا من

MOSTAFALADY.COM

السماء كل ذلك لتبديل كلمة أمرهم الله ﷻ بها وفعل أمرهم الله به فكيف بمن بدَّل عموم الشريعة كفرًا وأحل قومه دار البوار ؟

MOSTAFAALADWY.COM

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

الكلمة	معناها
﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾	طلب الماء للقوم من ربِّه ﷻ.
﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾	لا تفسدوا ـ لا يشتد إفسادكم.

س: ما معنى ﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾ [البقرة: ٦٠]؟

ج: استسقى أي طلب السقي لقومه (أي طلب الماء لهم) كقوله تعالى في الحديث القدسي: «**استطعموني**» أي: اطلبوا مني أن أطعمكم، و «**استغفروني**» اطلبوا مني أن أغفر لكم، و «**استكسوني**» اطلبوا مني أن أكسكم.

❁ وقال ابن عطية في تفسيره: و ﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾ معناه: طلب السُّقيا، وعرف استفعل طلب الشيء، وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ **[التغابن: ٦]** أي غني، وكقولهم: (استعجب) أي: عجب، والله تعالى أعلم.

س: أين استسقى موسى لقومه؟

ج: استسقى موسى لقومه وهم في البرِّية أثناء فترة (التيه) التي ضربها الله ﷻ عليهم،وكانوا قد شكوا إلى موسى عليه السلام الظمأ.

Mostafalabib.com

وقد أخرج ابن جرير الطبري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ بإسناد صحيح إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذلك في التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ وجُعل بين ظهرانيهم حَجر مربع، وأُمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحيةٍ منه ثلاث عيون لكل سبط عين، ولا يرتحلون منقلةً[٢] إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان به معهم في المنزل الأول.

❁ وأخرج ابن جرير[٣] أيضًا بإسنادٍ حسن إلى قتادة قوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٦٠] الآية، قال: كان هذا إذ هم في البرِّية اشتكوا إلى نبيهم الظمأ فأُمروا بحجر طُوريٍّ أي من الطور - أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سبطٍ عين معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم.

❁ وقال الرازي في تفسيره (٣/ ٨٨): جمهور المفسرين على أن هذا الاستسقاء كان في التيه؛ لأن الله تعالى لما ظلَّل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش فأعطاهم الله الماء من ذلك الحجر، وأنكر أبو مسلم حمل هذه المعجزة على أيام مسيرهم إلى التيه فقال: بل هو كلام مفردٌ بذاته، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء؟

ج: الوارد في شريعتنا بالنسبة للاستسقاء إما دعاءٌ، يدعو به الإمام في خطبة

---

(١) هو عند الطبري (١٠٤٤).

(٢) المنقلة هي المرحلة من مراحل السفر والجمع مناقل.

(٣) هو عند ابن جرير رقم (١٠٤٣).

Nosrabooks.com

الجمعة، أو يخرج الإمام إلى المصلى فيستقبل القبلة ويدعو الله ﷻ ويصلي ركعتين على ما ورد في الأحاديث عن رسول الله ﷺ في ذلك، وعلى ما ورد تفصيله في كتب الفقه، أما بالنسبة للأحاديث الواردة في ذلك فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما»[١] من حديث عباد ابن تميم عن عمه (وهو عبدالله بن زيد رضي الله عنه) قال: رأيت النبي ﷺ لما خرج[٢] يستسقي قال فحوَّل إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو ثم حوَّل رداءه ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة. ففي هذا الحديث أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى يستسقي، ولكن الخروج إلى المصلى ليس بشرط فقد استسقى النبي ﷺ في المسجد كذلك.

أخرج البخاري[٣] ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا.

قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**». قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار.

قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت. قال: والله ما رأينا الشمس سبتًا.

ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٥) وفي عدة مواطن من صحيحه، ومسلم (٨٩٤).

(٢) في طرق هذا الحديث في الصحيحين أيضًا (خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى يستسقي...) الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧).

MOSTAFALOWY.COM

يخطب - فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها. قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، والأودية ومنابت الشجر**». قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[1]: وقد اتفق فقهاء الأمصار على مشروعية صلاة الاستسقاء وأنها ركعتان إلا ما روي عن أبي حنيفة أنه قال: يبرزون للدعاء والتضرع وإن خطب لهم فحسن، ولم يعرف الصلاة هذا هو المشهور عنه، ونقل أبو بكر الرازي عنه التخيير بين الفعل والترك، وحكى ابن عبدالبر الإجماع على استحباب الخروج إلى المصلى والبروز إلى ظاهر المصر لكن حكى القرطبي عن أبي حنيفة أنه لا يستحب الخروج وكأنه اشتبه عليه بقوله في الصلاة.

قلت (لفظ القرطبي): سنة الاستسقاء الخروج إلى المصلى - على الصفة التي ذكرنا[2] - والخطبة والصلاة وبهذا قال جمهور العلماء، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس من سنته صلاة ولا خروج وإنما هو دعاء لا غير واحتج بحديث أنس الصحيح أخرجه البخاري ومسلم ولا حجة له فيه.

فإن ذلك كان دعاءً عُجلت إجابته فاكتفى به عما سواه ولم يقصد بذلك بيان سنة، ولما قصد البيان بيَّن بفعله حسب ما رواه عبدالله بن زيد المازني قال خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين.

قلت: ومن السنة أن يرفع الإمام يديه في الاستسقاء، فقد أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان نبي الله ﷺ لا يرفع يديه[1]

(١) فتح الباري (٢ / ٥٧١).

(٢) أي التي ذكرها القرطبي رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٠١) وفي عدة مواطن من صحيحه، ومسلم (٨٩٥) واللفظ لمسلم.

Mostafabdw.com

في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء[٢] حتى يُرى بياض إبطيه.

❀ ❀ ❀ ❀

س: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادر على أن يُفجر الماء لموسى دون أن يضرب بعصاه الحجر فلماذا ضرب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الحجر بعصاه؟

---

(٢١) في رواية لمسلم فأشار بظهر كفيه إلى السماء.

(٢) ظاهره يفيد نفي رفع اليدين في كل موطن يُدعى فيه إلا في الاستسقاء، لكن هذا معارض فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في عدة مواطن، وقد ذكرنا بعضها في كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة، أما حديث أنس هذا فلأهل العلم في توجيهه قولان:

* أحدهما: أن المثبت مقدم على النافي فمن أثبت أن النبي ﷺ رفع يديه حتى ظهر بياض إبطيه في مواطن آخر غير الاستسقاء قدم قوله على قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن كلاً منهما حكى علمه في هذا الباب.

* والثاني: أن يكون أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روى صفة مخصوصة من الرفع عند الدعاء للاستسقاء، والله تعالى أعلم.

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ (فتح الباري ٢ / ٦٠١): قوله: (إلا في الاستسقاء) ظاهره نفي الرفع في كل دعاء غير الاستسقاء، وهو معارض بالأحاديث الثابتة بالرفع في غير الاستسقاء وقد تقدم أنها كثيرة، وقد أفردها المصنف بترجمة في كتاب الدعوات وساق فيها عدة أحاديث، فذهب بعضهم إلى أن العمل بها أولى، وحمل حديث أنس على نفي رؤيته وذلك لا يستلزم نفي رؤية غيره.

وذهب آخرون إلى تأويل حديث أنس المذكور لأجل الجمع بأن يحمل النفي على صفة مخصوصة أما الرفع البليغ فيدل عليه قوله: (حتى يرى بياض إبطيه) ويؤيده أن غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد به مد اليدين وبسطهما عند الدعاء، وكأنه عد الاستسقاء مع ذلك زاد فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذتاه وبه حينئذ يرى بياض إبطيه، وأما صفة اليدين في ذلك فلما رواه مسلم من رواية ثابت عن أنس: (أن رسول الله ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء) ولأبي داود من حديث أنس أيضًا: (كان يستسقي هكذا ومد يديه - وجعل بطونهما مما يلي الأرض - حتى رأيت بياض أبطيه) قال النووي: قال العلماء: السنة في كل دعاء لرفع البلاء أن يرفع يديه جاعلاً ظهور كفيه إلى السماء، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء. انتهى.

وقال غيره: الحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء دون غيره للتفاؤل بتقلب الحال ظهرًا لبطن كما قيل في تحويل الرداء، أو هو إشارة إلى صفة المسئول وهو نزول السحاب إلى الأرض.

Mostafa.com

ج: قال بعض أهل العلم إن ذلك لربط الأسباب بالمسببات حكمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للعباد في وصولهم للمراد وليترتب على ذلك الثواب والعقاب في المعاد، وقد قال الله ﷻ لمريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]، والله ﷻ قادر على أن يُسقط عليها الرطب الجني دون أن تهز إليها جذع النخلة.

❁ وكذلك اجتهد النبي ﷺ وأصحابه في حفر الخندق يوم أن تكالبت عليهم الأحزاب، والله جل وعلا قادر على أن ينصرهم بدون أن يُجهدوا أنفسهم في الحفر، إلى غير ذلك من الوقائع التي لا تنتهي في هذا الباب كالدعاء والتداوي والضرب في الأرض للبحث عن الرزق والإصلاح بين الناس، و...والله سبحانه قادر على أن يفعل كل ما يريد، ولكن التأويل على ما ذكرناه، والعلم عند الله.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: قال بعض أهل العلم: (إنه ما من معجزة أوتاها نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي نبينا ﷺ معجزة من جنسها وضح ذلك؟

ج: إيضاح ذلك أن موسى ﷺ لما ضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا كانت تلك معجزة لموسى ﷺ،ونبينا محمد ﷺ أوتي معجزة من نفس الجنس وهي تفجر الماء من بين أصابعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما ثبت ذلك في الصحاح وغيرها، وهذه المعجزة لنبينا ﷺ لا شك أقوى من معجزة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الجانب وذلك لأن من الحجارة أصلاً ما يتفجر منه الأنهار لكن ليس من الأصابع ما يتفجر من بينها الماء.

❁ ومن ذلك أيضًا أن سليمان عليه السلام سُخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ونبينا ﷺ سُخِّر له البراق فانطلق به من مكة إلى بيت المقدس،

MOSTAFALAW.COM

وكذلك عُرِج برسول الله ﷺ إلى السموات ولم يحدث هذا لسليمان عليه السلام .

❁ وموسى عليه السلام كلمه ربه بجانب الطور، ونبينا ﷺ كلمه ربه بعد السماء السابعة.

❁ وسليمان عليه السلام سخرت له الجن، والجن على عهد رسول الله ﷺ منهم من آمن به، ومنهم من كفر، ومن كفر وذهب يتسمع إلى الملأ الأعلى لحقه شهاب ثاقب كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].

❁ وأفضل من الجن وهم الملائكة وأفضل الملائكة وهو جبريل ﷺ يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ، وكذلك ميكائيل يقاتل، وملك الجبال يقول لرسول الله ﷺ: لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت.

❁ وداود عليه السلام كانت الجبال تسبح معه والطير، ونبينا ﷺ كان الحجر يسلم عليه، والشجر يذعن إليه، والجبل يحبه، والطعام يسمع له تسبيح وهو يؤكل على عهده ﷺ.

❁ وعيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

❁ وبعض المسلمين من أمة محمد ﷺ كان به برص فدعا الله عز وجل فشفاه[1]، وهذا ببركة اتباعه لرسول الله ﷺ، وأيضًا نبينا ﷺ رد إلى محمد ابن مسلمة رضي الله عنه رجله لما كسرت في الحال بإذن الله،وبصق في عين عليٍّ وهو أرمد فبرئ بإذن الله.

❁ وعيسى ﷺ كان يحيي الموتى بإذن الله، ونبينا عليه الصلاة والسلام حن له الجذع وسمع له صوت كصوت العشار لما فارقه النبي ﷺ وتحوَّل إلى المنبر

---

(١) وهو أويس القرني، وحديثه بذلك ثابت في صحيح مسلم.

يخطب عليه، وصوت الجمادات أعظم إعجازًا من صوت الحي الذي قد مات.

❁ وإبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ألقي في النار ولم تضره ونبينا ﷺ رأى من نور الله ﷻ ما لو رآه بشرٌ لاحترق، وشرب بعض أتباعه السم فلم يضره، وأنجاه الله ﷻ من القتل المحقق مرارًا ﷺ.

س: هل من حكمة في تفجير الحجر إلى اثنتي عشرة عينًا؟

ج: قال جمهور أهل العلم: إن هذا على عدد أبناء يعقوب عليه السلام فقد كانوا اثني عشر كما ذكر الله ﷻ في كتابه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، فالأحد عشر هم إخوة يوسف وهو ثاني عشر لهم، وقد قال الله ﷻ في شأن بني إسرائيل: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

❁ ❁ ❁

س: من المراد بالأناس في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]؟

ج: المراد: كل سبط من أولاد يعقوب ﷺ، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر أولاد يعقوب ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]؟

ج: أما المشرب فهو موضع الشرب الذي يشربون منه، وقيل: إنه المشروب، والمعنى الإجمالي: كل قد علم - كل سبط (أي كل قبيلة) - العين الخاصة به التي يشرب منها حتى لا يتشاحنوا ولا يتنازعوا على الماء.

MOSTAFALADAWY.COM

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن[١] إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: وأُعْلِم كلُّ سبطٍ منهم عينهم يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول.

❀ ❀ ❀ ❀

س: قسمة الماء هل تشرع أم أن المسلمين شركاء كلهم فيه؟

ج: المسلمون شركاء في الماء، كما ورد عن رسول الله ﷺ[٢] لكن هذا لا يمنع من تقسيم الماء إذا دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك، فقد قال النبي ﷺ للزبير لما حدث نزاع بينه وبين الأنصاري في شراج الحرَّة: «**اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصارى**»[٣].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٨) بسند حسن.

(٢) ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار**» وذلك عند أبي داود (حديث ٣٤٧٧) وأحمد (٥ / ٣٦٤) والبيهقي (السنن الكبرى ٦ / ١٥٠) من طريق حريز بن عثمان عن أبي خداش (وهو حبان بن زيد الشرعي) عن رجل من المهاجرين.. به مرفوعًا.
وحبان بن زيد الشرعي لم أقف على من وثقه إلا ابن حبان ولكن ذكر أبو داود أن شيوخ حريز كلهم ثقات (وعلى هذا القول تحفظ عندي).
وأخرج ابن ماجه (٢٤٧٣) بإسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا ثلاث لا يُمنعن الماء والكلأ والنار.

(٣) أخرج البخاري (٢٧٠٨) من حديث عروة بن الزبير أن الزبير كان يُحدِّث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا إلى رسول الله ﷺ في شراجٍ من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله ﷺ: «**اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك**» فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر**» فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم، قال عروة والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

MOSTAFALABWY.COM

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

وقال ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨]، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]؟

ج: أولاً: العثو: هو شدة الفساد، وقال بعض أهل العلم: العثو في الأصل يطلق على الاعتداء ثم غلب إطلاقه على الفساد. وقيل: لا تعثوا: لا تسيروا.

ثانيًا: فإن قال قائل: فلماذا كرر ذكر الإفساد إذا قلنا: إن لا تعثوا لا تفسدوا فيكون المعنى: (لا تفسدوا في الأرض مفسدين) فالإجابة من وجوه: أولها: أن التكرير حدث للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

قال الراغب (كما نقل عنه القاسمي في «محاسن التأويل» ص١٣٦):

فإن قيل: فما فائدة قوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ والعثو ضرب من الإفساد.

قيل: قد قال بعض النحويين: إن ذلك حال مؤكدة، وذكر ألفاظًا مما يشبه، وقال بعض المحققين: إن العثو، وإن اقتضى الفساد فليس بموضوع له، بل هو كالاعتداء، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد وهو مقابلة المتعدي بفعله نحو: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1] [البقرة: ١٩٤]، وهذا الاعتداء ليس بفساد بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل، ولولا كونه جزاءً

=والحديث أخرجه مسلم من طريق عبدالله بن الزبير أيضًا.

(١) وقريب من المعنى قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

Mostafa Adly.com

لكان إفسادًا، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه هو المقصود به الإفساد فالإفساد مكروه على الإطلاق، ولهذا قال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقد يكون في صورة العثو والتعدي ما هو صلاح وعدل كما تقدم وهذا ظاهر، والله أعلم.

قلت: والآية الكريمة نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

هذا وقد يقول قائل إن من معنى الآية الكريمة - وإن دب بينكم بعض نزاع لاختلافكم في مواضع الشرب فلا تتمادوا في هذا النزاع بل احسموا مادة النزاع بأن يرجع كل أناس إلى مشربهم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: في الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] محذوفات دل عليها السياق اذكر بعضها؟

ج: من هذه المحذوفات التي دل عليها سياق الكلام: محذوفٌ يقدر بأنه لفظ الجلالة (إما الله أو ربه) في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ فالمعنى: (وإذ استسقى موسى ربه..) أي: طلب السقيا من ربه ﷻ.

❁ ومنها: (فضربه) في قوله تعالى: ﴿لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ﴾ فالمعنى: (فقلنا لموسى اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت).

❁ ومنها: (منهم) في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:

Mostafawy.com

٦٠] أي: قد علم كل أناس من بني إسرائيل مشربهم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: كيف يُردُّ على الجاهل المنكر لمثل هذه المعجزة (تفجَّر اثنتي عشرة عينًا من الحجر)؟

ج: يرد عليه ابتداء بأن الله ﷻ على كل شيء قدير يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

هذا وقد قال الراغب[١]: وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده، وهذا المنكر مع أنه لم يتصور قدرة الله تعالى في تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات، فقد ترك النظر على طريقته إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجر الحديد، وأن الحجر المنفر للنحل ينفره، والحجر الحلاق يحلق الشعر[٢]، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة وإذا لم يكن مثل ذلك منكرًا عندهم فغير ممتنع أن يخلق الله حجرًا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض اهـ.

❀ ❀ ❀

س: هل كان الحجر الذي ضربه موسى حجرًا معينًا؟

ج: قال ابن عطية ﷺ: ولا خلاف أنه كان حجرًا منفصلاً مربعًا تطرد[٣]

---

(١) نقلاً من «محاسن التأويل» للقاسمي (ص١٣٦).

(٢) ومن الأحجار ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

وقد ضرب موسى الحجر الذي فر وعليه ثوب موسى وموسى يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر!!! وهو في الصحيح.

(٣) تطرد أي تجري بتتابع، ومنه قولهم: نهران يطردان أي: يجريان.

MOSTAFAADLY.COM

من كل جهة ثلاث عيون إذا ضربه موسى عليه السلام وإذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون.

وأخرج ابن أبي حاتم[1] بسند صحيح عن ابن عباس (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل ناحية ثلاث عيون).

وقد تقدم عن قتادة أنه كان حجرًا طوريًّا (من جبل الطور).

❁ ونقل ابن كثير عن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة، فكان يضرب الحجر بعصاه فينفجر ثم يضربه فييبس... إلى آخر ما قاله رحمه الله.

قلت: وليس هناك كبير فائدة في تحديد نوع الحجر وخاصة أنه لم يذكر لتحديده منفعة في الكتاب ولا في السنة فيما علمنا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: هل هناك فرق بين قوله تعالى في سورة البقرة ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] وبين قوله عز وجل: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠] في سورة الأعراف؟

ج: بعض أهل العلم يقول: إنهما يؤديان نفس المعنى؛ لأن القصة واحدة وبعضهم يُفرِّق بينهما، قال أبو حيان في «البحر المحيط»: وجاء هنا (انفجرت) وفي الأعراف (انبجست) فقيل: هما سواء انفجر وانبجس وانشق مترادفات، وقيل: بينهما فرق وهو أن الانبجاس هو أول خروج الماء والانفجار اتساعه وكثرته، وقيل: الانبجاس خروجه من الصلب، والانفجار خروجه من اللين، وقيل: الانبجاس هو الرشح والانفجار هو السيلان، وظاهر القرآن استعمالهما بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة.

---

(١) التفسير (أثر رقم ٦٠٦).

(٥٥١) أحمر أسود

MOSTAFAALADWY.COM

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا
وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ
لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟
يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

الكلمة	معناها

MOSTAFAALAWY.COM

﴿بَقْلِهَا﴾	كل نبات ليس له ساق ـ وقيل: هو: البقول كالكراث والفُجْلِ ونحو ذلك.
﴿وَفُومِهَا﴾	الحنطة (البر) – الثُّوم – الحبوب التي تُخبز بصفة عامة – الخُبز.
﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾	الذي هو: أخس وأرداً.
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾	كتبت عليهم وألزموها.
﴿ٱلذِّلَّةُ﴾	مأخوذة من الذل، وقيل: الجزية.
﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾	الفقر والمهانة (فترى اليهود وإن كانوا مياسير إلا أنهم كأنهم فقراء، وهم الآن وإن كانت لهم دولة إلا أن التسول في دمائهم وطلب المعونات ديدن لهم).
﴿وَبَآءُو﴾	رجعوا – انصرفوا – استحقوا (الغضب من الله).

MOSTAFAALAWY.COM

س: كيف قالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] وهم يأكلون صنفين المن والسلوى؟ وهل الشراب يدخل في الطعام؟

ج: مقصدهم - والله أعلم - أن الطعام يتكرر فلا يتغير ولا يتبدل، ومن ثم أطلق عليه طعام واحد.

أما كون الشراب يدخل في الطعام، فقد يذكر الطعام أحيانًا ويدخل في ثناياه الشراب، وقد يطلق الطعام على الشراب خاصة، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ الآية [المائدة: ٩٣].

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها في الخمر قبل التحريم.

❁ وقال رسول الله ﷺ في شأن زمزم: «إنها طعام طعم»(١)، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقول بني إسرائيل: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]؟

ج: المراد - والله أعلم - لن نحبس أنفسنا على طعام واحد.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالبقل في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]؟

ج: قيل: البقل كل ما أنبته الله ﷻ من الخضر.

وقيل: هو كل نبات ليس له ساق، والشجر هو كل نبات له ساق.

وقيل: أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFABADR.COM

وأشباهها.

س: ما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]؟

ج: هو استفهام استنكاري.

❁ ❁ ❁

س: اذكر قومًا كانوا في نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فطلبوا أدنى منها كما فعل بنو إسرائيل؟

ج: هؤلاء القوم هم سبأ، قال الله ﷻ فيهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ﴾[1] [سبأ: ١٥ - ١٩].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣ / ٥٣٣) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ..﴾ [سبأ: ١٨].

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد، والبلاد المرضية، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨] قال وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء، وكذا قال أبو مالك، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة، وقال العوفي عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها بيت المقدس، وقال العوفي عنه أيضًا: هي قرى عربية بين المدينة والشام ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ أي: بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا

Nostrabalw.com

س: ما المراد بمصر في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١]، وما معنى قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]؟

ج: لأهل العلم فيها قولان مشهوران:

الأول: هو أن المراد بمصر مصر من الأمصار (يعني بلدة من البلدان).

الثاني: هو مصر المعروفة لدى الناس الآن.

والقول الأول ذكره عدد من أهل العلم منهم قتادة[1] وغيره والقول الثاني نُقل عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ[2] وغيره.

وحجة أهل القول الثاني أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال في شأن قوم فرعون: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩]

=لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهارًا ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ وقرأ آخرون ﴿بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة، ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ﴾ [القصص: ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

وقال تعالى في حق هؤلاء: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي بكفرهم ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ أي: جعلناهم حديثًا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد.

(١) روي بإسناد حسن عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٨١).

(٢) قال ابن عطية في تفسيره: وقال أشهب: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون.

Mostafa Adly.com

۞ ومن أقوى حجج القول الأول التنوين في قوله تعالى: ﴿مِصْرًا﴾، وذكر الطبري ﷺ حجج الفريقين ثم ختمها بقوله والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر، وأهل التأويل متنازعون تأويله فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله ﷻ في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارًا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه، وجائز أن يكون ذلك القرار (مصر) وجائز أن يكون (الشام).

فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القرأة على ذلك، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضًا بينها.

قلت: أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾

فقد قال الحافظ ابن كثير ﷺ: هذا الذي سألتموه ليس بأمر عزيز بل هو كثير في أي بلدٍ دخلتموها وجدتموه فليس يساوي مع دنائته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه، ولهذا قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ **[البقرة: ٦١]** أي: ما طلبتم، ولما كان سؤالهم هذا من باب الأشر والبطر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه[(١)]، والله أعلم.

---

(١) كذا قال الحافظ ابن كثير ﷺ إنهم لم يجابوا إليه، فإن قصد ﷺ أن موسى لم يدع ربه لهم بما أرادوه فله وجه، وإن قصد أنهم لم يجابوا إلى طلبهم بنيل البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل فلا =

س: ما معنى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ [البقرة: ٦١]؟

ج: المعنى فرضت عليهم وكتبت عليهم وألزموها وجعلت محيطة بهم، ومنه قولهم: ضرب الإمام الجزية أي فرضها مأخوذ من ضرب القباب ومنه قول الفرزدق يهجو جريرًا:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] وهل هناك حق يستدعي أن تقتل الأنبياء به؟

ج: قال الطبري ﷺ: ويعني بقوله ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] أنهم كانوا يقتلون رسل الله بغير إذن[1] الله لهم بقتلهم منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم.

قلت: وليس المراد من الآية الكريمة أن قتل النبيين ينقسم إلى قتل بحق وقتل بغير حق، بل كل ما وقع من قتلهم إنما وقع بغير حق، لأن النبي معصوم من أن يأتي أمرًا يستحق عليه القتل وإنما جاء هذا القيد ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ على سبيل التشنيع لفعلهم والتقبيح لعملهم وسوء صنيعهم معهم.

ولقائل أن يقول أيضًا: إن هذا التقييد ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ذكر لبيان أن قتلة=

=وجه له عندي، وقد قال الطبري ﷺ: فتأويل الآية إذًا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، قال لهم موسى: أتستبدلون الذي هو أخس وأردأ من العيش بالذي هو خير منه، فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه فاستجاب الله له دعاءه فأعطاهم ما طلبوا وقال الله لهم: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾، والله أعلم.

(١) المراد بالإذن هنا الإذن الشرعي الديني وليس الإذن الكوني القدري، والله أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

الأنبياء ليست عندهم أدنى شبهة في بطلان صنيعهم إذ قتلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلو سألهم سائل لم قتلتم أنبياءكم؟ لم يجدوا أي وجهٍ يجيبون به على سائلهم، فقد يفعل الشخص كبيرة أو يتقلد قولاً باطلاً لشبهة عنده، أما هؤلاء فليست عندهم أي شبهة يجيبون بها عن سوء صنيعهم مع أنبيائهم عليهم السلام، والله تعالى أعلم.

س: ما مدى صحة حديث: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين»؟

ج: أخرجه أحمد في المسند (١ / ٤٠٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بإسناد حسن، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما الآيات المذكورة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال:

❁ منها: أنها الآيات التسع التي أيد الله عز وجل بها موسى عليه السلام، وذكرها الله سبحانه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

❁ ومنها: أنها التوراة بكل ما فيها.

❁ ومنها: أنها كل ذلك (التوراة والمعجزات التي أيد الله عز وجل بها موسى عليه السلام). والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

MOSTAFALADAWY.COM

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[1] [المجادلة: ٢١] وبين قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ولماذا يُخلي الله ﷻ بين الكفار وأنبيائهم حتى يتمكن هؤلاء الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام؟

ج: أما الجمع فمن وجوه:

❁ ومنها: أن الله ﷻ ما أمر نبيًّا بالحرب إلا نصره فلم يُقتل، وإنما خلَّى بين الكفار وبين من لم يؤمر بقتالٍ من الأنبياء، هذا الوجه نقل عن الحسن رضي الله عنه.

❁ ومنها: أن النصر بالحجة والبيان والبرهان، وكذلك الغلبة.

❁ ومنها: أن المراد الأخذ بثأر الأنبياء عليهم السلام ممن بغى عليهم وغدر بهم ونالهم بشيء من السوء والأذى، والله أعلم.

أما لماذا خلَّى الله ﷻ بين الكفار وبين أنبيائهم حتى يتمكن الكفار من قتل أنبيائهم عليهم السلام، فذلك - والله أعلم - لينالوا من أعالي الدرجات ورفيع المنازل ما لا ينالونه إلا بالقتل، وليس ذلك بخذلان للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل الأمر كما ذكره الله جل ذكره في عدة مواطن من كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦]، وكما قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠ - ١٤١]، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) وفي معناها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

س: ما حكم من أكل المستلذات من الطعام وشرب ما طاب من الشراب واستمتع بالحسناوات من النساء؟

ج: كل ذلك إذا كان من الحلال الطيب بدون إسراف ولا تبذير ولا أشر ولا بطر فهو جائز بل مستحب بشرط أن يؤدي ما عليه فيه من حق من شكر النعم والعمل بطاعة الله ﷻ، وذلك لما يلي:

۞ أنعم الله عز وجل على بني إسرائيل بالمن والسلوى فلما طلبوا تبديلها بالذي هو أدنى منها (من البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل) عتب الله ﷻ عليهم في ذلك وقال لهم نبيهم موسى عليه السلام: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ...﴾ [البقرة: ٦١].

۞ وكذلك قوم سبأ لما قالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] جعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق.

۞ وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

۞ وقال الله جل ذكره: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

۞ وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ...﴾ [القصص: ٧٧].

۞ وجمع النبي ﷺ بين تسع نسوة وكان عموم نسائه رضي الله عنهن حسناوات.

۞ وكان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦١٤) ومسلم (ص١١٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

Nostalgia.com

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما قرب إليه دون اللحم وكان قد رأى اللحم دخل: «**ألم أر البرمة؟**»[١] كل هذا وغيره يشعر بأن الشخص إذا وسع الله ﷻ عليه يوسع ولا يضيق على نفسه ولا يكون بائسًا متبائسًا، وإذا قدر عليه رزقه فينفق بحسبه وقد قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا...﴾ [الطلاق: ٧]، والله تعالى أعلم[٢].

❁ ❁ ❁

س: في تعاملات بني إسرائيل مع نبيهم موسى ﷺ الغاية من سوء الأدب وضح طرفًا من ذلك؟

ج: هذا واضح جلي في تصرفهم مع موسى ﷺ وخطابهم معه.

فمن ذلك قولهم: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ و﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾.

دون أي توقير في الخطاب مع النبي الكريم موسى ﷺ، فيخاطبون موسى ﷺ كأنه رجل منهم[٣].

ومن ذلك اشتراطهم للإيمان بموسى ﷺ شروطًا! (أن يروا الله جهرة).

ومن ذلك سوء أدبهم في قولهم: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[٤] وكأنه ليس بربهم وهذا كقولهم السيئ لموسى عليه السلام في سورة المائدة ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٧) ومسلم (ص١١١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) وفقه هذه المسألة يحتاج إلى شرح أوسع لعله يأتي بعد، إن شاء الله تعالى.

(٣) وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، وسيأتي تفسيرها إن شاء الله.

(٤) وإن كان يجوز الخطاب بذكر (ربك) لكن ليس على هذا الوجه الذي استعمله هؤلاء الظلمة من بني إسرائيل.

MOSTAFALAWY.COM

هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤].

هذا فضلاً عن الطامَّات الجسام والكبائر العظام والشرك الأعظم الذي يقترفونه من عبادة العجل واتخاذه إلهًا جاحدين في ذلك نعم الله السابغة وآلاءه الظاهرة عليهم.

MOSTAFAALADWY.COM

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

الكلمة	معناها
﴿هَادُواْ﴾	تابوا ـ مالوا، والمراد بهم هنا: اليهود.
﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	قوم لا دين لهم، وقيل: قوم يعبدون الملائكة.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم -: لا خوف عليهم فيما هو آتٍ ولا يحزنون على ما تركوه خلفهم من ذرِّية وأموال وأزواج وأهلين ونحو ذلك[1]، والله أعلم.

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] فيه تساؤلات منها:

١ - من المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؟

٢ - كيف يقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ ويقال بعدها: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فكيف يؤمن المؤمن؟

(١) وقيل أيضًا: لا يحزنون يوم القيامة، والله تعالى أعلم.

mostafa-dw.com

ج: في المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ للعلماء جملة أقوال:

الأول منها: أنهم المؤمنون بالله ورسوله محمد ﷺ، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن يُقال إن قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ معناه ثباته على الإيمان وتركه تبديله والحرص على الموت عليه وأيضًا ازدياده من الإيمان كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

الثاني: أنهم المؤمنون قبل بعثة رسول الله ﷺ الموحدون ربهم ﷻ كزيد بن عمرو بن نفيل وأمثاله، وعلى هذا يجاب على السؤال الثاني بأن من آمن بالله وكان موحدًا حنيفًا وجاءه رسول الله ﷺ فآمن به أيضًا وعمل صالحًا فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن.

الثالث: أن المراد بالذين آمنوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ هم من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه وهؤلاء أهل النفاق فمن تاب عن نفاقه منهم وصدق بالله وباليوم الآخر وآمن برسول الله ﷺ من قلبه فله أجره عند ربه ولا خوف عليه ولا هو يحزن، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من المراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [البقرة: ٦٢] ولماذا أطلق عليهم هذا الاسم؟

ج: المراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ اليهود وأطلق عليهم هذا الاسم لأمور ذكرها العلماء:

❁ منها: لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ[1] إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

---

(١) وانظر تفسير الهداية في سورة الفاتحة.

MOSTAFAADAWY.COM

❁ ومنها: أنهم ينسبون إلى أحد أولاد يعقوب ﷺ وهو (يهوذا).

❁ ومنها: أنهم يتهودون عند قراءة التوراة (أي: يتمايلون).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٦٢]؟

ج: قال الطبري ﷺ في تفسيره: القول في تأويل قوله ﷻ: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾:

قال أبو جعفر: و«النصارى» جمع، واحدهم نصران، كما واحد السكارى سكران، وواحد النشاوي نشوان. وكذلك جمع كل نعت كان واحده على «فعلان» فإن جمعه على «فعالى». إلا أن المستفيض من كلام العرب في واحد «النصارى» «نصراني». وقد حكي عنهم سماعًا «نصران» بطرح الياء، ومنه قول الشاعر:

تـــراه إذا زار العشـــي محنفًـــا ... ويضحي لديه وهو نصران شامس[(١)]

وسمع منهم في الأنثى: «نصرانة»، قال الشاعر[(٢)]:

فكلتاهمـا خـرت وأسـجد رأسـها ... كمـا سـجدت نصـرانة لـم تخـف[(٣)]

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: (تراه إذا دار العشا متحنفًا).

والبيت في صفة الحرباء. و«محنفًا»: قد تحنف، أو صار إلى الحنيفية. ويعني أنه مستقبل القبلة. وقوله: «لديه»، أي لدى العشي، ويريد قبل أن يستوي العشي أو لدى الضحى، ويكون قد ذكره في بيت قبله. وقوله: «شامس»، يريد مستقبل الشمس، قبل المشرق. يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا:

إذا حـــول الظـــل العشـــي رأيتـــه ... حنيفًـــا، وفي قـــرن الضـــحى يتنصـــر

(٢) هو أبو الأخزر الحماني.

(٣) سيبويه ٢: ٢٩، ١٠٤، واللسان (حنف)، يصف ناقتين، طأطأتا رءوسهما من الإعياء، فشبه رأس الناقة في طأطأتها، برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها.

وأسجد الرجل: طأطأ رأسه وخفضه وانحنى. قال حميد بن ثور، يصف نوقًا:

=

MOSTAFAADAWY.COM

يقال: أسجد، إذا مال[١]. وقد سمع في جمعهم «أنصار»، بمعنى النصارى.

قال الشاعر:

لمـــا رأيـــت نبطًـــا أنصـــارًا شـــمرت عـــن ركبتـــي الإزار

كنـت لهـم مـن النصـارى جـارَا[٢]

وهذه الأبيات التي ذكرتها، تدل على أنهم سموا «نصارى» لنصرة بعضهم بعضًا، وتناصرهم بينهم. وقد قيل: إنهم سموا «نصارى»، من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها «ناصرة».

❀ ❀ ❀

س: لماذا أطلق على النصارى نصارى؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

١ - لأن عيسى عليه السلام لما قال للحواريين من أنصاري إلى الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

٢ - نسبة إلى قرية يقال لها: ناصرة كان ينزلها عيسى بن مريم عليهما السلام[٣].

٣ - تسموا بذلك لنصرة بعضهم بعضًا، وهذا القول عندي ضعيف واهٍ، فإن الله سبحانه وتعالى قال في أهل الكتاب، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾

فقمـــا لـــوين علـــى معصـــم وكـــف خضـــيب وأســـوارها

فضـــول أزمتهـــا أســـجدت ســـجود النصـــارى لأحبارهـــا

(١) بيان الطبري عن معنى «أسجد» ليس بجيد.

(٢) لم أعرف صاحب الرجز. والأبيات، في معاني القرآن للفراء (١: ٤٤) أمالي ابن الشجري (١: ٧٩، ٣٧١)، أنشده شاهدًا على حذف واو العطف: أي «وكنت لهم من النصارى جارًا»، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهدًا على حذف الفاء العاطفة أي «فكنت لهم...».

(٣) أخرج الطبري (١٠٩٧) بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال: إنما سمُّوا نصارى لأنهم كانوا بقرية يُقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مريم فهو اسم تسمَّوا به ولم يؤمروا به.

Mostafawy.com

[الحشر: ١٤] وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

والقول الأول وكذلك الثاني كلاهما له وجه قوي، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: من الصابئ؟

ج: الصابئ: هو من ترك دينه ودخل دينًا غير دينه وصبأ فلان أي ترك دينه ودخل دينًا آخر.

س: من الصابئون المعنيون في قوله تعالى: ﴿... وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المعنيين هنا هم قوم لا دين لهم (ليسوا بيهود ولا نصارى ولا مجوس) (١).

وقال بعض أهل العلم إنهم قوم يعبدون الملائكة فروى الطبري ﷺ بإسناد صحيح (٢) عن الحسن قال: حدثني زياد (٣) أن الصابئين يُصلُّون إلى القبلة ويصلون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية، قال فخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة.

---

(١) وزاد ابن زيد وكما روى ذلك عنه ابن جرير بإسناد صحيح (١١٠٧): إنهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله، قال: ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون لرسول الله ﷺ وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم.

(٢) أخرجه الطبري (١١٠٨).

(٣) زياد هو (زياد بن أبيه) والي العراق في زمن معاوية رضي الله عنه.

MOSTAFADW.COM

أخرج الطبري بإسناد حسن[1] عن قتادة أيضًا: قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قال: الصابئون قوم يعبدون الملائكة يُصلُّون إلى القبلة ويقرءون الزَّبور.

وقال بعض أهل العلم إنهم طائفة من المجوس وقال غيرهم هم طائفة من أهل الكتاب، وثمَّ أقوال أُخر وأشهر الأقوال القول الأول والثاني الذين قدمناهما، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ...﴾ الآية ما هو المراد من إيمان اليهودي هنا وإيمان النصراني والصابئ؟

ج: المراد من إيمان اليهودي هنا تصديقه ما في التوراة ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ وما جاء به رسول الله ﷺ إذ صفة رسول الله ﷺ قد جاءت بها التوراة.

وكذلك إيمان النصراني تصديقه بالإنجيل ومن ثم تصديقه برسول الله ﷺ إذ قد جاء الإنجيل بصفة رسول الله ﷺ وصفة ما جاء به رسول الله ﷺ.

أما إيمان الصابئ فيكون بأن يدخل الصابئ في دين الإسلام ويتبع سبيل المؤمنين، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: اشترط لصحة قبول العمل شرطان ما هما؟

ج: الشرط الأول: هو (الإيمان).

والشرط الثاني: هو (العمل الصالح) وهو ما يصيغه بعض العلماء بقوله:

---

(١) أخرجه الطبري (١١٠٩).

Mostafa.com

(أن يكون خالصًا صوابًا) وكونه خالصًا أي خالصًا من شوائب الشرك والرياء ويكون صوابًا بموافقته سنة رسول الله ﷺ وهو نحو الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، والله أعلم.

س: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أفرد في الآية الكريمة ﴿مَنْ﴾ وجمع ﴿فَلَهُمْ﴾ فما وجه ذلك؟

ج: أُجيب على ذلك بأن ﴿مَنْ﴾ لفظها لفظ الواحد لكنها تقع على الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث فيحمل الكلام على لفظها فيوحد ويذكر ويحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

فإن قال قائل: وكيف قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾،وإنما لفظ ﴿مَنْ﴾ لفظ واحد والفعل معه موحد ؟

قيل: ﴿مَنْ﴾، وإن كان الذي يليه من الفعل موحد، فإن له معنى الواحد والاثنين والجمع، والتذكير والتأنيث، لأنه في كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير. فالعرب توحد معه الفعل - وإن كان في معنى جمع - للفظه، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣].

فجمع مرة مع ﴿مَنْ﴾ الفعل لمعناه، ووحد أخرى معه الفعل لأنه في لفظ الواحد كما قال الشاعر:

Nostradamy.com

ألمـا بسـلمى عنكمـا إن عرضـتما وقولا لها: عوجي على من تخلفوا[١]

فقال: «تخلفوا»، وجعل ﴿مَنْ﴾ بمنزلة «الذين»، وقال الفرزدق:

تعـال فـإن عاهـدتني لا تخـونني نكـن مثل من يا ذئب يصطحبان[٢]

---

(١) في ديوان لامرئ القيس، منسوب إليه من قصيدة عدتها ٢٣ بيتًا، وفيه: «ويقال إنها لرجل من كندة» وأولها:

ديـار بهـا الظلمـان والعـين تعكـف وقفـت بهـا تبكـي ودمعـك يـذرف

والأضداد لابن الأنباري: (٢٨٨)، قال: أنشده الفراء، وروايته صدره:

(ألما بسلمى لمة إذ وقفتما)

والذي في رواية الطبري من قوله: «عنكما» زائدة في الكلام، والعرب تقول: «سر عنك»، و «انفذ عنك» أي: امض، وجز - لا معنى لـ«عنك». وفي حديث عمر رضي الله عنه: أنه طاف بالبيت مع يعلى بن أمية، فلما انتهى إلى الركن الغربي الذي يلي الأسود، قال له: ألا تستلم؟ فقال: انفذ عنك، فإن النبي ﷺ لم يستلمه.

وفي الحديث تفسيره: أي دعه وتجاوزه.

وقوله: «عرضتما» من قولهم: عرض الرجل: إذ أتى العروض (بفتح العين)، وهي مكة والمدينة وما حولهما. والتعليق للشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) قوله: تعال فإن عاهدتني... أبيات من قصيدة للفرزدق (*) قالها لما خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب فلما عرسوا من آخر الليل عند الغربيين وعلى بعيرٍ لهم مسلوخة كان اجترها ثم أعجله المسير فسار بها فجاء الذئب فحرَّكها وهي مربوطة على بعير فذعرت الإبل وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق فأبصر الذئب ينهسها فقطع رجل الشاة فرمي بها إلى الذئب فأخذها وتنحى ثم عاد فقطع اليد فرمى بها إليه فلما أصبح القوم خبرَّهم الفرزدق بما كان وأنشأ يقول:

وأطلـس(**) عسـالٍ، ومـا كـان صـاحبًا دعـوت بنـاري مؤهنًـا فأتـاني

إلى أن قال:

تعـشَّ فـإن وثقتنـي لا تخـونني نكـن مثـل مـن يـا ذئـب يصـطحبان

وأنـت امـرؤ يـا ذئـب والغـدر كتمـا أخيـين كانـا أرضـعا بلبـان

(*) نقلًا من ديوان الفرزدق قصيدة «أنت والغدر أخيَّان» ص ٦٢٨.

(**) الأطلس: الذئب الأغبر المائل إلى السواد، والعسَّال: المضطرب في جريه، موهنًا: الموهن الليل

فثنى «يصطحبان» لمعنى ﴿مَنْ﴾. فكذلك قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وحد ﴿ءَامَنَ﴾ و﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ للفظ ﴿مَنْ﴾، وجمع ذكرهم في قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، لمعناه، لأنه في معنى جمع.

MOSTAFAALADWY.COM

=قاله المعلق على الديوان.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ
ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

الكلمة	معناها

MOSTAFAALADWI.COM

﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾	أعطيناكم ـ أمرناكم به في التوراة.
﴿بِقُوَّةٍ﴾	بجد واجتهاد.
﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	المراد بها هنا ـ والله أعلم ـ : الهالكين في الدنيا والآخرة.
﴿عَلِمْتُمُ﴾	عرفتم.
﴿ٱعْتَدَوْا﴾	الاعتداء هو: تجاوز الحد الذي حدَّه الله ﷻ، وكل متجاوزٍ حدَّ شيءٍ إلى غيره، فقد تعداه إلى ما جاوز إليه.
﴿كُونُوا۟﴾	صيروا.
﴿خَٰسِـِٔينَ﴾	الخاسئ هو: المُبعد المطرود ـ خاسئين مُبعدين مطرودين ـ أذلاء صاغرين.
﴿نَكَٰلًا﴾	النكال عبرة تنكل المعتبر بها، عبرٌ مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، وقيل: النكال الزاجر بالعقاب، والنكل والنكال: قيود الحديد، فالنكال: عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل.

س: ما الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل؟

ج: لأهل العلم فيه أقوال:

❁ منها: أنه الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ [١] وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟

(١) روى ابن جرير الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد (وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متكلم فيه قال: لما رجع موسى من عند ربه بالألواح. قال لقومه بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى يطلع الله إلينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى، فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ فجاءت غضبة من الله، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم، فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله بعد موتهم، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله. فقالوا: لا. قال: أي شيء أصابكم؟

MOSTAFAAMIN.COM

لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

❁ ومنها: أن هذا الميثاق هو العمل بالتوراة والإيمان بما جاء فيها.

❁ ومنها: أن هذا الميثاق هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما الطور؟

ج: لأهل العلم فيه ثلاثة أقوال:

❁ منها: أن الطور هو الجبل (أيُّ جبل كان)(١).

❁ ومنها: أنه نوع مخصوص من الجبال وهي الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت من الجبال.

❁ ومنها: أنه الجبل الذي ناجى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موسى ﷺ عليه، ويشهد

=قالوا: متنا ثم حيينا. قال: خذوا كتاب الله. قالوا: لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور! قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم. قال: فأخذوه بالميثاق، وقرأ قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣ - ٨٥]، قال: ولو كانوا أخذوه أول مرة، لأخذوه بغير ميثاق.

(١) روى ابن جرير الطبري رحمه الله: (١١١٨) بإسناد حسن عن قتادة أنه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [البقرة: ٦٣] قال: الطور: الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة: ٦٣] فأقروا بذلك.

MOSTAFALADWI.COM

لهذا الأخير قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿... ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ...﴾ [القصص: ٢٩] إلا أن يقال إن الذي ناجى الله ﷻ عليه موسى هو الطور لا شك لكن لا ينفي ما سواه فلهذا القول وجه، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]؟

ج: المراد - والله أعلم - ظاهره، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رفع الجبل فوق بني إسرائيل كما أخبر ﷻ بقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١] فالجبل اقتلع من أصله ورفع عليهم كأنه ظلة.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] هل فيه إضمار؟

ج: قال فريق من أهل العلم: إن فيه إضمارًا، والمعنى ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا قذفناه عليكم.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]؟

ج: المعنى - والله أعلم - اذكروا ما فيه من الوعد والوعيد، وتدبروه واعملوا بمقتضاه، ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤] من بعد ماذا؟

MOSTAFALAWY.COM

ج: من بعد أخذ الميثاق عليكم وإقراركم به، ومن بعد البرهان الذي أقمناه عليكم والترهيب الذي رهبناكم به، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل من رابط بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ...﴾؟

ج: نعم بينهما رابط، وهذا الرابط فيه وجهان عند أهل العلم.

أولهما: أخذنا عليهم الميثاق فلمانقضوه بالامتناع عن قبول الكتاب رفع عليهم الجبل.

الثاني: أخذ عليهم الميثاق عند رفع الطور فوقهم.

قال ابن الجوزي ﷺ (زاد المسير): وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل فوقهم لإبائهم التوراة.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [البقرة:٦٤]؟

ج: أما المراد بفضل الله ورحمته، فإمهاله لكم وعفوه عنكم وتوفيقكم للتوبة والإنابة إليه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟﴾ [البقرة:٦٥] لمن؟

ج: الخطاب لبني إسرائيل الذين كانوا يسكنون مدينة رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما صورة هذا الاعتداء الذي فعله بنو إسرائيل؟

Nostalgia.com

ج: لأهل العلم فيه وجهان[1]:

الوجه الأول: أنهم اصطادوا الحيتان وأخذوها يوم السبت على سبيل الاستحلال والمخالفة لأمر الله ﷻ بمنعهم الصيد في السبت.

الوجه الثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المقصود بالسبت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، وما هو أصل معنى كلمة السبت؟

ج: المراد بالسبت في الآية الكريمة يوم السبت الذي يلي يوم الجمعة أما أصل السبت فقد ورد في لسان العرب السَّبت والسُّبات: الدهر، والسَّبتُ أيضًا: برهة من الدهر، والسَّبتُ كذلك: الراحة، وسبت: استراح وسكن.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأصل (السبت) الهدوء والسكون في راحة ودعة ولذلك قيل للنائم (مسبوت) لهدوِّه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] أي: راحة لأجسادكم وهو مصدر من قول القائل: (سبت فلان يسبت سبتًا).

❁ وقد قيل: إنه سمي (سبتًا) لأن الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم

---

(١) أخرج الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (١١٤٠) بإسناد حسن إلى قتادة: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]: أُحلت لهم الحيتان وحُرِّمت عليهم يوم السبت بلاءً من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف: فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومَرَدَ على المعصية فلما أبوا إلا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] فصاروا قردة لها أذناب، تَعاوَى بعد ما كانوا رجالاً ونساءً.

MOSTAFAADEL.COM

الذي قبله من خلق جميع خلقه.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه التحذير لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]؟

ج: وجهه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر بني إسرائيل بما صنع أسلافهم وأجدادهم من نقض العهود والمواثيق، فلما اعتدى أسلافهم في يوم السبت الذي كان الصيد فيه محرمًا عليهم فاصطادوا وخالفوا أمر الله تعالى وقد كانت العهود أخذت عليهم ألا يعتدوا في السبت كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤] فلما خالفوا أمر الله ﷻ مسخهم الله ﷻ قردة كما ذكر الله سبحانه في كتابه: ﴿... فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] فأنتم يا معشر يهود يا من بعث محمد ﷺ بين أظهركم وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، وقد أخذت عليكم العهود والمواثيق أن تؤمنوا به، وها هي صفاته مطابقة لما بين أيديكم من التوراة، فإن لم تؤمنوا به فقد نقضتم العهد المأخوذ عليكم، فعليكم حينئذٍ أن تنتظروا العقوبة التي تحل بكم كما حلت العقوبة بأسلافكم الذين نقضوا العهود والمواثيق كما قال الله جل ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ...﴾ [البقرة: ٦٥] قول مجمل فما الآيات التي فصلت ذلك؟

ج: هي آيات من سورة الأعراف، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦].

❁ ❁ ❁

س: هل مُسخ الذين اعتدوا في السبت قردة على الحقيقة؟

ج: نعم مسخوا قردة على الحقيقة، وهذا ظاهر كلام الله ﷻ فالله جل ذكره قال: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

❁ وقد قال جل ذكره أيضًا: ﴿ ... قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠] وهذا رأي جمهور المفسرين، رأيهم أن المعتدين في السبت مسخوا قردة على الحقيقة، وقد خالف في ذلك مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتعقبه الطبري تعقبًا قويًّا في تفسيره وكذلك تعقبه الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، والقول الذي ندين الله بصحته هو قول الجمهور لموافقته ظاهر الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

mostafawy.com

س: ابتلي أصحاب محمد ﷺ بمثل ما ابتلي به بنو إسرائيل فنجح أصحاب محمد ﷺ وخسر بنو إسرائيل وضح ذلك باختصار؟

ج: ابتلي بنو إسرائيل كما تقدم بأن حرَّم الله ﷻ عليهم الصيد يوم السبت كما قال جل ذكره: ﴿...وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤] ولكنهم خالفوا أمر الله ونقضوا العهود والمواثيق على ما بينه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه.

وكذلك أصحاب محمد ﷺ فقال الله ﷻ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤] فحفظوا - في عمومهم - أمر الله ﷻ وانتهوا عما نهاهم الله ﷻ عنه فهنيئًا لهم بطاعة الله وهنيئًا لهم بالدرجات العلى والنعيم المقيم.

س: الضمير في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ [البقرة: ٦٦] يرجع إلى ماذا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، فمنهم من يقول: إن الضمير يرجع إلى العقوبة (التي هي المسخ)[١].

ومنهم من قال: يرجع إلى القرية (والمراد أهلها)[٢].

ومنهم من قال: إنها الحيتان وثمَّ أقوال أُخر وأقوى هذه الأقوال القول الأول والثاني.

---

(١) واختاره كثير من أهل العلم.

(٢) واختاره الحافظ ابن كثير وصححه.

MOSTAFALADY.COM

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿نَكَٰلًا﴾ [البقرة: ٦٦]؟

ج: النكال معناه الزجر بالعقاب، والنكل والنكال قيود الحديد، فالنكال عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن أن يفعل مثل ذلك الفعل، قاله ابن عطية.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ منها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم. وما خلفها الذين كانوا قد بقوا منهم.

❁ ومنها أن ما بين يديها الأمم التي ستأتي من بعدهم كما سبق وما خلفها القرى المحيطة بها.

❁ ومنها أن ما بين يديها الذنوب التي أصابوها بالاعتداء على الحيتان وما خلفها الذنوب التي أصابوها قبل الاعتداء على الحيتان[1] فالمعنى أنهم أُخذوا بالأول والآخر.

والمؤدى واحد وهو أن العاصي المعتدي مسخ فأصبح قردًا وفي هذه عبرة لكل معتبر، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خُصَّ المتقون بالموعظة في قوله تعالى: ﴿...وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]؟ ومن المراد بالمتقين هنا؟

---

(١) روى الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (١١٥٧) أنه قال: قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من ذنوب القوم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: للحيتان التي أصابوا.

MOSTAFAADWY.COM

ج: لأن المتقين هم المنتفعون بالموعظة.

أما المراد بالمتقين فقيل: هم الذين يتقون عقوبة الله ﷻ ويحذرونها وقيل: إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ.

❁ وقيل: إن المتقين هنا هم الذين يتقون عقوبة الله عزوجل ويحذرونها وقيل: إن المتقين هنا هم أمة محمد ﷺ.

❁ وقيل: إن المتقين هنا هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله.

والقول الذي ينتظمها جميعًا هو أن المتقين تشمل كل من تقدموا، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التذييل بقوله تعالى: ﴿...وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]؟

ج: قال بعض أهل العلم[١]: وفائدة تذييل قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ بقوله ﷻ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦] تأكيد ولفت انتباه إلى وجوب الحرص على تقوى الله ﷻ وملازمة الخوف منه والوقوف عند حدوده بتحليل ما أحلَّ وتحريم ما حرَّم.

❁ ❁ ❁

س: الممسوخ[٢] هل يتناسل؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن الممسوخ لا يتناسل وذلك لحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم وغيره، وفيه أن ابن مسعود قال:... فقال رجل: يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مُسخ؟ فقال النبي

(١) قائله عبد القادر بن شيبة الحمد في تفسيره «تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من أباطيل ورديء الأقاويل» (ص ١٦٤/ ١).

(٢) أي من مسخ من إنسان إلى قردٍ مثلاً.

MOSTAFALABBY.COM

ﷺ: «إن الله ﷻ لم يُهلك قومًا أو يعذِّب قومًا فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٣)، وفي رواية لمسلم «إن الله لم يجعل لمسخٍ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

هذا وقد ذكر القرطبي رحمه الله بحثًا مختصرًا في ذلك فقال رحمه الله: (٢ / ٤٤١، ٤٤٢): ولم يبق لهم نسل؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام. قال ابن عباس: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل.

قال ابن عطية: وروي عن النبي ﷺ وثبت أن الممسوخ لا ينسل ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام.

قلت: هذا هو الصحيح من القولين: وأما ما احتج به ابن العربي وغيره على صحة القول الأول من قوله ﷺ: «فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته». رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم، وبحديث الضب رواه مسلم أيضًا عن أبي سعيد وجابر؛ قال جابر: أُتي النبي ﷺ بضبٍّ فأبى أن يأكل منه؛ وقال: «لا أدري لعله من القرون التي مسخت» فمتأول على ما يأتي. قال ابن العربي: وفي البخاري عن عمرو بن ميمون أنه قال: رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم.

ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط في بعضها، وثبت في نص الحديث «قد زنت» وسقط هذا اللفظ عند بعضهم.

قال ابن العربي: فإن قيل: وكأن البهائم بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو؟ قلنا: نعم كذلك كان؛ لأن اليهود غيَّروا الرجم فأراد الله أن يقيمه في مسوخهم حتى يكون أبلغ في الحجة على ما أنكروه من ذلك وغيَّروه، حتى تشهد عليهم كتبهم وأحبارهم ومسوخهم، حتى يعلموا أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويحصي ما يبدلون وما يغيرون، ويقيم عليهم الحجة من حيث لا يشعرون، وينصر نبيه عليه السلام وهم لا ينصرون.

قلت: هذا كلامه في الأحكام، ولا حجة في شيء منه، وأما ما ذكره من قصة عمرو فذكر الحميدي في جمع الصحيحين: حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأودي في الصحيحين حكاية من رواية حُصين عنه قال: رأيت في الجاهلية قُرْدة اجتمع عليها قردة فرجموها فرجمتها معهم.

كذا حكى أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري من كتابه؛ فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها؛ فذكر في كتاب أيام الجاهلية. وليس في رواية النعيمي عن الفربري أصلاً =

Nostrapdf.com

١ - قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

٢ - قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

٣ - قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

٤ - قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

=شيء من هذا الخبر في القردة؛ ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري. والذي قال البخاري في «التاريخ الكبير»: قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبي بلج وحصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قرود فرجموها فرجمتها معهم. وليس فيه «قد زنت». فإن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري دلالة على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذي ظنه في الجاهلية.

وذكر أبو عمر في الاستيعاب عمرو بن ميمون وأن كنيته أبو عبدالله «معدود في كبار التابعين من الكوفيين، وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك؛ لأن رواته مجهولون.

وقد ذكره البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأودي مختصرًا قال: رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها - يعني القردة - فرجمتها معهم. ورواه عباد بن العوام عن حصين كما رواه هشيم مختصرًا.

وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبدالملك بن مسلم عن عيسى بن حطان؛ وليسا ممن يحتج بهما. وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنى إلى غير مكلف، وإقامة الحدود في البهائم.

ولو صح لكانوا من الجن؛ لأن العبادات في الإنس والجن دون غيرهما».

وأما قوله عليه السلام في حديث أبي هريرة: «ولا أراها الفأر» وفي الضب: «لا أدري لعله من القرون التي مسخت» وما كان مثله، فإنما كان ظنًا وخوفًا لأن يكون الضب والفأر وغيرهما مما مسخ، وكان هذا حدسًا منه ﷺ قبل أن يوحى إليه أن الله لم يجعل للمسخ نسلاً؛ فلما أوحي إليه بذلك زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، وعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ لمن سأله عن القردة والخنازير: هي مما مسخ؟ فقال: «**إن الله لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك**». وهذا نص صريح صحيح رواه عبدالله بن مسعود، رواه مسلم في كتاب القدر. وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكر؛ فدل على صحة ما ذكرنا. وبالله توفيقنا. وروي عن مجاهد في تفسيره هذه الآية أنه إنما مسخت قلوبهم فقط، وردِّت أفهامهم كأفهام القردة. ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. والله أعلم.

Mostafa.com

٥ - قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

٦ - قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

٧ - قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

٨- قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

٩ - معنى آمين..، ولو أنها ليست آية على رأي جمهور العلماء، وذكر ما يتعلق بها من فضل.

❁ البقرة ❁

١ - قوله تعالى: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

٢ - قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾

٣ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

٤ - قول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾

٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

٦ - قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾

٧ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

٨ - قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾

٩ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾

١٠ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

١١ - قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾

١٢ - قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾

١٣ - قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾

MOSTAFAADAWY.COM

١٤ - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾

١٥ - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾

١٦ - قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

١٧ - قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾

١٨ - قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

١٩ - قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾

٢٠ - قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

٢١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾

٢٢ - قوله تعالى ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

٢٣ - قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾

٢٤ - قوله تعالى: ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

٢٥ - قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾

٢٦ - قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾

٢٧ - قوله تعالى: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾

٢٨ - قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

٢٩ - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾

٣٠ - قوله تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

٣١ - قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾

٣٢ - قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

MOSTAAAOW.COM

٣٣ - قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾

٣٤ - قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾

٣٥ - قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾

٣٦ - قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

٣٧ - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾

٣٨ - قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

٣٩ - قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾

٤٠ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾

٤١ - قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

٤٢ - قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

٤٣ - قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾

٤٤ - قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

٤٥ - قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

٤٦ - قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ ﴾

٤٧ - قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا ﴾

٤٨ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

٤٩ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾

٥٠ - قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾

٥١ - قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾

٥٢ - قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

Mostafa.com

٥٣ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾

٥٤ - قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٥٥ - قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾

٥٦ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾

٥٧ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾

٥٨ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾

٥٩ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾

٦٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾

٦١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾

٦٢ - قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾

٦٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾

٦٤ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾

٦٥ - قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾

٦٦ - قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

٦٧ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾

٦٨ - قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾

٦٩ - قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى

Nostradamus.com

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾

٧٠ – قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾

٧١ – قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

٧٢ – قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾

٧٣ – قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾

٧٤ – قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾

٧٥ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾

٧٦ – قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾

٧٧ – قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾

٧٨ – قوله تعالى ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾

٧٩ – قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

انتهى بحمد الله

فهرست الأحاديث

الحديث

باب الألف

١ – «ائتيني من العام المقبل» قالت: فإن لم أجدك يا رسول الله؟ قال: «ائتي أبا بكر»

٢ – «ابدأ بمن تعول»

MOSTAFABAKRY.COM

٣ - «أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»

٤ - «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك»

٥ - «اتق الله وأمسك عليك زوجك»

٦ - «اتقوا اللاعنين»، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟

٧ - «أتدرون من المفلس؟»

٨ - «أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم»

٩ - «أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة الفجر، وصلاة العشاء»

١٠ - «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»

١١ - «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا...»

١٢ - «ادع لي أباك وأخاك...، إني أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن...»

١٣ - «إذا أتيت مضعجك فتوضأ وضوءك للصلاة»

١٤ - «إذا أصبت بحده فكل، وإذا أرسلت كلبك وسميت فكل»

١٥ - «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره»

١٦ - «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»

١٧ - «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

١٨ - «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل»

١٩ - «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وطعامه»

٢٠ - «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة»

٢١ - «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصل»

٢٢ - «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله؛ فليحمد الله عليها»

٢٣ - «إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث بها من يحب»

MOSTAFAADAWY.COM

٢٤ - «إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره»

٢٥ «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول»

٢٦ - «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه»

٢٧ - «إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم»

٢٨ - «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله»

٢٩ - «إذا قال أحدكم: آمين؛ قالت الملائكة في السماء: آمين»

٣٠ - «إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين»

٣١ - «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي»

٣٢ - «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها»

٣٣ - «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم»

٣٤ - «إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعضهم»

٣٥ - «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة»

٣٦ - «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه»

٣٧ - «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا»

٣٨ - «ارجع فصل فإنك لم تصل»

٣٩ - «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»

٤٠ - «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا...»

٤١ - «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى الأنصاري»

٤٢ - «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدحبشي كأن رأسه زبيبة»

٤٣ - «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله»

٤٤ - «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضًا»

MOSTAFAADAWY.COM

٤٥ - «أشد الناس عذابًا يوم القيامة: رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا، وإمام ضلالة...»

٤٦ - «اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»

٤٧ - «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء»

٤٨ - «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»

٤٩ - «اعتقها فإنها مؤمنة»

٥٠ - «أعطوا الطريق حقه»

٥١ - «أعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء»

٥٢ - «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي»

٥٣ - «اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفعيًا لأصحابه»

٥٤ - «اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به، ولاتستكثروا به »

٥٥ - «اقرءوا سورة البقرة»

٥٦ - «اقرءوا فكلٌّ حسن»

٥٧ - «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل»

٥٨ - «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»

٥٩ - «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً»

٦٠ - «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»

٦١ - «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي»

٦٢ - «ألم أر البرمة؟»

٦٣ - «إلا أن تروا كفرًا بواحًا»

MOSTAFAADWY.COM

٦٤ - «اللهم اسقنا...»

٦٥ - «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»

٦٦ - «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس»

٦٧ - «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»

٦٨ - «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم»

٦٩ - «اللهم اهدني فيمن هديت»

٧٠ - «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض»

٧١ - «اللهم ربنا لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض»

٧٢ - «اللهم صل على آل فلان»

٧٣ - «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»

٧٤ - «اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه أسألك من خيره»

٧٥ - «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن»

٧٦ - «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله...»

٧٧ - «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله»

٧٨ - «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب وهي المدينة»

٧٩ - «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»

٨٠ - «أما الركوع فعظموا فيه الرب»

٨١ - «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»

٨٢ - «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون»

MOSTAFAADW.COM

٨٣ - «أما لا فأعني بكثرة السجود»

٨٤ - «أما ما ذكرت من أنك بأرض قوم أهل كتاب تأكل في آنيتهم، فإن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها»

٨٥ - «أنا سيد الناس يوم القيامة»

٨٦ - «أن تلد الأمة ربتها»

٨٧ - «إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذاك فهو خير»

٨٨ - «إن إبراهيم عليه السلام قام إلى الصلاة لما أدخلت سارة على الجبار»

٨٩ - «إن أحب الكلام إلى الله عز وجل: سبحان الله وبحمده»

٩٠ - «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»

٩١ - «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس»

٩٢ - «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»

٩٣ - «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»

٩٤ - «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه»

٩٥ - «إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»

٩٦ - «إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض»

٩٧ - «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة»

٩٨ - «إن الكمأة ليست من جدري الأرض»

٩٩ - «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات»

١٠٠ - «إن الله جميل يحب الجمال»

١٠١ - «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»

١٠٢ - «إن الله عز وجل لا ينام»

MOSTAFALADAWY.COM

١٠٣ - «إن الله ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض»

١٠٤ - «إن الله ﷻ لم يهلك قومًا أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلاً»

١٠٥ - «إن الله ﷻ ليرفع للعبد الصالح في الجنة»

١٠٦ - «إن الله ﷻ يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»

١٠٧ - «إن الله لما قضي الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»

١٠٨ - «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها»

١٠٩ - «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم»

١١٠ - «إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير»

١١١ - «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا»

١١٢ - «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه»

١١٣ - «إن اللعانين لا يكونون شهداء»

١١٤ - «إن المغضوب عليهم اليهود»

١١٥ - «إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم»

١١٦ - «إن الناس يبلغ بهم من الهم والكرب ما لا يطيقون»

١١٧ - «إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم»

١١٨ - «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»

١١٩ - «إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا»

١٢٠ - «إن في الجنة مائة درجة»

١٢١ - «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير»

١٢٢ - «إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم»

MOSTAFALOUR.COM

١٢٣ - «إنكم تختصمون لدي»

١٢٤ - «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها»

١٢٥ - «إنكم سترون ربكم ﷻ يوم القيامة»

١٢٦ - «إنكم محشورون إلى الله ﷻ حفاة عراة غرلاً»

١٢٧ - «إني لأفعل ذلك أنا وهذه»

١٢٨ - «إن لله تسعة وتسعين اسمًا»

١٢٩ - «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق»

١٣٠ -«إن له مرضعًا في الجنة»

١٣١ - «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة»

١٣٢ - «إنما أهلك من كان قبلكم»

١٣٣ - «إنما جُعل الإمام ليؤتم به»

١٣٤ - «إنما خيرني الله - أو أخبرني الله - فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم»

١٣٥ - «إنها طعام طعم»

١٣٦ - «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة»

١٣٧ - «إن هذا الأمر في قريش»

١٣٨ - «إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب»

١٣٩ - «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»

١٤٠ -«إني لم أومر أن أنقب على قلوب الناس»

١٤١ -«أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»

MOSTAFALADAW.COM

١٤٢ - «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك»

١٤٣ - «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر»

١٤٤ - «آية المنافق ثلاث:إذا حدث كذب»

١٤٥ -«أيُّ الذنب أعظم يا رسول الله؟»

١٤٦ - «الأئمة من قريش»

١٤٧ - «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله»

١٤٨ - «الإيمان بضع وستون - وفي رواية: وسبعون - شعبة»

باب الباء

١٤٩ - «بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده»

١٥٠ -«بل أنت فتربت يمينك.. نعم فلتغتسل يا أم سليم إذا رأت ذاك»

١٥١ - «بين كل أذانين صلاة»

١٥٢ - «بينما ثلاثة يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل»

١٥٣ - «البر حسن الخلق»

باب التاء

١٥٤ - «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا»

١٥٥ - «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت»

باب الثاء

١٥٦ - «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين»

١٥٧ - «ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا»

١٥٨ - «ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»

MOSTAFALADY.COM

١٥٩ - «ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل»

باب الجيم

١٦٠ - «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له: أجب ربك»

باب الحاء

١٦١ - «الحسنة بعشر أمثالها، وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم»

١٦٢ - «الحياء لا يأتي إلا بخير»

١٦٣ - «الحياء من الإيمان»

باب الخاء

١٦٤ - «خالفوا اليهود صوموا يومًا قبله يومًا بعده»

١٦٥ - «خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي»

١٦٦ - «خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى

١٦٧ - خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا.... وقال «هذه سبل»

١٦٨ - «خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعًا»

١٦٩ - «خلق الله ﷻ آدم على صورته طوله ستون ذراعًا»

١٧٠ - «خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار»

١٧١ - «خلقك الله بيديه وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه»

MOSTAFADW.COM

١٧٢ - «خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم»

١٧٣ - «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

١٧٤ - «الخلق كلهم عيال الله»

باب الدال

١٧٥ - «دعوها فإنها خبيثة»

الباب الراء

١٧٦ - «الرؤيا الصادقة جزء من ست وأربعين جزءًا من النبوة»

١٧٧ - «الراحمون يرحمهم الرحمن»

باب الزاي

١٧٨ -«زادك الله حرصًا ولا تعد»

١٧٩ - «زوجتكها بما معك من القرآن»

باب السين

١٨٠ - «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»

١٨١ - «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»

١٨٢ - «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برىء، ومن أنكر سلم»

١٨٣ - «سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكرًا»

١٨٤ - «سموا الله عليه وكلوا»

١٨٥ - «سمعت النبي ﷺ قرأ: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ فقال: «آمين» مدَّ بها صوته

MOSTAFALADWY.COM

١٨٦ - «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية»

باب الشين

١٨٧ - «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»

باب الصاد

١٨٨ - «صدقك وهو كذوب»

١٨٩ - «صغارهم دعاميص الجنة»

١٩٠ - «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ سبع وعشرين درجة»

١٩١ - «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمس وعشرين ضعفًا»

١٩٢ - «صلاة المرأة في مخدعها خير من صلاتها في بيتها»

١٩٣ - «الصلاة لوقتها»

١٩٤ - «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن»

باب الضاد

١٩٥ - «ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما»

١٩٦ - «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جانبي الصراط سوران»

باب الطاء

MOSTAFAALDWY.COM

١٩٧ - «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل»

باب العين

١٩٨ - «عرض عليَّ قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا...»

١٩٩ - «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»

باب الفاء

٢٠٠ - «فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب»

٢٠١ - «فأستأذن ربي في داره فيؤذن لي عليه»

٢٠٢ - «فأعني على نفسك بكثرة السجود»

٢٠٣ - «فأنا أحق بموسى منكم»

٢٠٤ - «فإن الصدق يهدي إلى البر»

٢٠٥ - «فعصى آدم فعصت ذريته»

٢٠٦ - «فقدت أمة من بني إسرائيل»

٢٠٧ - «فوالله إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار...»

الحديث

٢٠٨ - «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون»

باب القاف

٢٠٩ - «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت»

٢١٠ - «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»

٢١١ - «قال الملك: أبشر بنورين قد أوتيتهما»

MOSTAFALABIB.COM

٢١٢ - «قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري»

٢١٣ - «قل سبع موات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»

٢١٤ - «قيل لبني إسرائيل: ﴿ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطَّة...﴾»الحديث

باب الكاف

٢١٥ - كان النبي ﷺ إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله

٢١٦ - كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها

٢١٧ - كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء

٢١٨ - «كان النبي ﷺ يحب الحلواء والعسل

٢١٩ - «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء

٢٢٠ - «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ

٢٢١ - «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»

٢٢٢ - «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة»

٢٢٣ - «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد»

MOSTAFANDW.COM

٢٢٤ - «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ما كان من ذكر الله وما والاه»

٢٢٥ - «كل مولود يُولد على الفطرة»

٢٢٦ - «كلمتان خفيفان على اللسان، ثقيلتان في الميزان...»

٢٢٧ - كنا والله إذا احمر البأس نتقي به (أي: بالنبي عليه السلام)

٢٢٨ -«الكمأة من المن الذي أنزل على بني إسرائيل»

٢٢٩ - «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»

باب اللام

٢٣٠ - «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن»

٢٣١ - «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم»

٢٣٢ - «لا أدري لعله من القرون التي مسخت»

٢٣٣ - «لا تشبهوا بالأعاجم»

٢٣٤ - «لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم»

٢٣٥ - «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان»

٢٣٦ - «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد»

٢٣٧ - «لا حسد إلا في اثنتين»

٢٣٨ - «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»

MOSTAFAADAWY.COM

٢٣٩ - «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»

٢٤٠ - «لا يدخل الجنة قاطع»

٢٤١ - «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»

٢٤٢ - «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»

٢٤٣ - «لا يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه»

٢٤٤ - «لا يصبر أحد على لأوائها فيموت»

٢٤٥ - «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد؛ فيتبع كل مشرك إله الذي كان يعبده»

٢٤٦ - «لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه»

٢٤٧ - «لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي»

٢٤٨ - «للشهيد عند الله ست خصال»

٢٤٩ - «لم أره على صوته التي خلق عليها غير هاتين المرتين»

٢٥٠ - «لما خلق الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه...»

٢٥١ - «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر فيها»

٢٥٢ - «لما قضي الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»

٢٥٣ - «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»

MOSTAFALADAWY.COM

٢٥٤ - «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا»

٢٥٥ - «لو رخصت لكم في هذه لأوشك أن تجعلوها مثل هذه»

٢٥٦ - «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»

٢٥٧ - «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها»

٢٥٨ - «لولا ما في البيوت من النساء والذرية لأمرت فتياني أن يحملوا معهم حزمًا من حطب....» الحديث

٢٥٩ - «ليس منا من تشبه بغيرنا»

٢٦٠ - «ليصل أحدكم في المسجد الذي يليه ولا يتخطاه إلى غيره»

٢٦١ - «ليلة أسرى بي رأيت موسى»

باب الميم

٢٦٢ - «ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟»

٢٦٣ - «ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكلوا ليس الظفر والسن»

٢٦٤ - «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم علي: السلام والتأمين»

٢٦٥ - ما رقيت إلا بأم الكتاب»

٢٦٦ - «ما سالمناهن منذ حاربناهن»

٢٦٧ - «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعورن رجلاً»

MOSTAFALADAWY.COM

٢٦٨ - «ما من عبد يقول: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء....»

٢٩٦ - «ما من مسلم يصيبه أذى: شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته...»

٢٧٠ - «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين»

٢٧١ - «ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات من آمن على مثله البشر»

٢٧٢ - «مثل القائم على حدود الله»

٢٧٣ - «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة»

٢٧٤ - «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث».

٢٧٥ - «مروا أبا بكر فليصل بالناس»

٢٧٦ - «من آمن الله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة»

٢٧٧ - «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم...»

٢٧٨ - «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله»

٢٧٩ -«من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة»

٢٨٠ - «من الكبائر شتم الرجل والديه»

٢٨١ - «من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه...»

٢٨٢ - «من تشبه بقوم فهو منهم»

٢٨٣ - «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب...»

٢٨٤ - «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»

MOSTAFAADLY.COM

٢٨٥ - «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»

٢٨٦ - «من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له»

٢٨٧ - «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه...»

٢٨٨ - «من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى»

٢٨٩ - «من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر»

٢٩٠ - «من ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»

٢٩١ - «من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا»

٢٩٢ - «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له»

٢٩٣ - «من صلى العشاء في جماعة»

٢٩٤ - «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج»

٢٩٥ - «من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين»

٢٩٦ - «من عرض عليه ريحان فلا يرده»

٢٩٧ - من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه»

٢٩٨ - «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة»

٢٩٩ - «من نسي أن يذكر الله ﷻ في أول طعامه»

٣٠٠ - «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا»

MOSTAFAADAWY.COM

٣٠١ - «من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له»

٣٠٢ - «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»

٣٠٣ - «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»

٣٠٤ - «المتباريات لا يجابان ولا يؤكل طعامهما»

٣٠٥ - «المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم...»

٣٠٦ - «المسلمون شركاء في ثلاث....»

باب النون

٣٠٧ - «نجيء نحن يوم القيامة على تل فوق الناس»

٣٠٨ - «نزلت عليَّ آنفًا سورة...»

٣٠٩ - «نسي آدم فنسيت ذريته»

٣١٠ - «نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها»

٣١١ - «نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره»

٣١٢ - «نهى النبي ﷺ أن يجمع الرجل بين سلف وبيع

٣١٣ - «نهى رسول الله ﷺ عن الاحتباء يوم الجمعة

٣١٤ - «نهى رسول الله ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة

باب الهاء

٣١٥ - «هؤلاء عتقاء الرحمن»

٣١٦ - «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا...»

MOSTAFALADY.COM

٣١٧ - «هل تدرون ماذا قال ربكم؟»

٣١٨ - «هل تسمع النداء بالصلاة؟»

٣١٩ - «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا»

٣٢٠ - «هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر»

٣٢١ - «هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل»

باب الواو

٣٢٢ - «وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار: البراق»

٣٢٣ «وإذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: آمين»

٣٢٤ - «وأنتم تسألون عني... فما أنتم قائلون؟»

٣٢٥ - «وإن وجدناه لبحرًا»

٣٢٦ - «وإن لزوجكعليك حقًّا»

٣٢٧ - «وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»

٣٢٨ - «والذي نفسي بيده أنها لتعدل ثلث القرآن»

٣٢٩ - «والذي نفسي بيده لقد تسأل الله باسمه الأعظم»

٣٣٠ - «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب...»

MOSTAFAADIYY.COM

٣٣١ - «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون...»

٣٣٢ - «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى...»

٣٣٣ - «وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار»

٣٣٤ - «وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»

٣٣٥ - «وقد وعدني ربي ﷻ أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا...»

٣٣٦ - «وما كان يدريه أنها رقية؟»

٣٣٧ - «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»

٣٣٨ - «ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله»

٣٣٩ - «ويحك قطعت عنق صاحبك»

باب الياء

٣٤٠ - «يا أُبي أُرسل إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون..»

٣٤١ - «يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه»

٣٤٢ - «يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»

MOSTAFAADW.COM

٣٤٣ - «يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لنقضت الكعبة»

٣٤٤ - «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني»

٣٤٥ - «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة»

٣٤٦ - «يا غلام سم الله وكل بيمينك»

٣٤٧ - «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم...

٣٤٨ - «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه»

٣٤٩ - «يجمع الله ﷺ الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة»

٣٥٠ - «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك»

٣٥١ -- «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من ا لخير ذرة»

٣٥٢ - «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة»

٣٥٣ - «يقال لصاحب القرآن: اقرأ ورتل...»

٣٥٤ - «يقال للولدان يوم القيامة ادخلوا الجنة فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا»

٣٥٥ - «يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك»

٣٥٦ - «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان»

MOSTAFAADW.COM

٣٥٧ - «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون»

٣٥٨ - «ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير»

٣٥٩ - «اليهود مغضوب عليه، والنصارى ضالون»

الموقوف من الأحاديث

٣٦٠ - «أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا التراب في وجوه المداحين

٣٦١ - «أمر النبي ﷺ ألا توصل الصلاة حتى تتكلم أو تخرج

٣٦٣ - «أمر النبي ﷺ بقتل الوزغة، وقال: إنها كانت تنفخ في النار على إبراهيم

MOSTAFAADAWY.COM

الموضوع

١ - المقدمة

٢ - سورة الفاتحة

٣ - الأسماء التي أطلقت على سورة الفاتحة

٤ - فضل سورة الفاتحة

٥ - هل يجهر بالبسملة في الفاتحة «في الصلاة»؟

٦ - «مواطن شعت فيه التسمية

٧ - الاستعانة بالبشر في بعض الأمور... جواز ذلك من عدمه

٨ - الناس بين العبادة والاستعانة

٩ - أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص

١٠ - أنواع العبودية لله ﷻ

١١ - موقف الناس وتصنيفهم بقدر إخلاصهم العبادة الله ﷻ

١٢ - مدى صحة الشعارات المرفوعة في بعض الدول تحت مسمى حرية الرأي والكلمة

١٣ - مقدمات بين يدي الدعاء رجاء الإجابة من الله ﷻ

١٤ - توضيح مراتب الهداية الخاصة والعامة

١٥ - جملة تفسيرات للحروف، ألم

١٦ - بحث لطيف في ثمار التقوى وأثرها في النفس

١٧ - كيفية الإنفاق وضوابطه

١٨ - حكم عظيمة في معنى النور والظلمات وارتباط ذلك بالمؤمنين والمنافقين

١٩ - مقارنة بين المؤمن الصادق الواعي لدينه، وبين غيره من المنافقين في تقبل أوامر الشرع

٢٠ - استدلالات العلماء نظرًا وعقلاً على وجود الله ﷻ

٢١ - «أدلة إمكان البعث والنشور يوم القيامة

٢٢ - وجوه إعجاز القرآن الكريم

MOSTAFALAW.COM

٢٣ - هل الجنة والنار مخلوقتان الآن؟
٢٤ - ما ينبغي من الحياء وما لا ينبغي
٢٥ - أصناف المخلوقات التي ضرب الله بها أمثالاً في القرآن
٢٦ - أيهما خلق أولاً: السماء أم الأرض؟
٢٧ - استواء الله سبحانه على العرش
٢٨ - أين الله؟ أدلة وبراهين
٢٩ - علاقة آيات القرآن بعضها من ناحية الترتيب
٣٠ - هل يجوز الخروج على الإمام؟
٣٢ - ما ينبغي للعالم أن يكون عليه إذا لم يكن عالمًا ببعض المسائل
٣٣ - جانب عن فضل العلم وأهله
٣٤ - إبليس: هل هو من الملائكة، أم من الجن
٣٥ - باب في سد الذرائع وأدلة ذلك من الكتاب والسنة
٣٦ - عصمة الأنبياء... هل هي مطلقة أم مقيدة؟
٣٧ - أثر المعاصي في زوال النعم وحلول النقم
٣٨ - مقترف المعاصي.. بين ترك الأمر بالمعروف وبين فعله
٣٩ - الاستعانة بالله... بيانها وثمارها
٤٠ - باب في بيان أنواع الشفاعات
٤١ - علاقة الكمأه بالمن... ومدى شفائها لأمراض العين
٤٢ - الذنوب وآثارها المدمرة على الإنسان
٤٣ - هل تروى أحاديث النبي ﷺ بالمعنى أم بالنص؟.. آراء مختلفة

MOSTAFAADAWY.COM

٤٤ – حكم الاستسقاء في الإسلام... وسائله وكيفيته

٤٥ – طرف من معجزته ﷺ

٤٦ – تتناسل من مسخ من الإنسان إلى غير نوعه.. ممكن أم لا

انتهى والحمد لله

MOSTAFAALADWY.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

س: على من أنزلت هذه الكتب: التوراة – الإنجيل – الزبور؟

ج: نزلت التوراة على موسى عليه السلام.

ونزل الإنجيل على عيسى عليه السلام.

ونزل الزبور على داود عليه السلام.

س: هل من كُتبٍ أخرى ذُكرت في الكتاب العزيز غير هذه؟

ج: ذُكرت كتب في الكتاب العزيز كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وذكرت الألواح كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ومن أهل العلم من قال: إن الإلواح وصحف موسى والتوراة شيء واحد ومنهم من فرَّق. والله أعلم.

وثم كتب أخرى ذُكرت جملةً كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾

MOSTAFAALAWY.COM

[الشعراء: ١٩٦] والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]؟

ج: معنى ذلك، والله أعلم: أن القرآن نزل مصدقًا لما تقدمه من كتب، فالكتب التي نزلت من عند الله أخبرت بأمور، منها خروج رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكان في الكتب المتقدمة – أيضًا – تحليلٌ لبعض الأشياء وتحريم للبعض الآخر، فأخبر الله في القرآن الكريم بما كان فيها من تحليل وتحريم.

فجاء الكتاب العزيز (القرآن الكريم) مصدقًا للكتب السابقة من هذا الباب. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: الهداية على نوعين اذكرهما مع أدلتهما؟

ج: الهداية تأتي بمعنى الدلالة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

MostafaLaw.com

۞ أما الهداية بالمعنى الآخر فهي هداية التوفيق كما في قوله تعالى لنبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١].

۞ ۞ ۞

س: ما هو وجه الربط بين الآية الكريمة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] والآية التي تليها ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]؟

ج: وجه الربط ظاهر، ألا وهو: إن معنى الحي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا، والقيوم: القائم بنفسه والمقيم لأمر غيره، فلا قوام لغيره إلا به كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]، وهو سبحانه الذي يقيم خلقه وأحوالهم وأرزاقهم وسائر معايشهم كما قال النبي ﷺ: «**اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن..**»(١)، ومن توابع ذلك أنه سبحانه نزل على عبده الكتاب بالحق.. وأنزل التوراة والإنجيل من قبل...، وذلك حتى تقام للناس حوائجهم وتستنير للناس بصائرهم، ويُرشدون إلى كل خيرٍ وصلاح.

۞ ۞ ۞

س: ما المراد بالفرقان في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾(٢) [آل عمران: ٤]؟

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٣)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٥٤)، وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) أخرجه الطبري (٦٥٦٢) بإسناد حسن إلى قتادة ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: هو القرآن أنزله على محمد وفرق

ج: الفرقان يأتي بمعان متعددة في الكتاب العزيز – شأنه في ذلك شأن كثيرٍ من اصطلاحات الكتاب العزيز – من هذه المعاني:

۞ الفرقان: بمعنى القرآن كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

۞ الفرقان: ما يفرَّق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وهنا يطلق أيضًا على التوراة، وكقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

۞ الفرقان: يوم بدر لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

والنار إلى هذه المعاني يرى أنها ترجع إلى معنى واحد، وهو ما يفرَّق به بين الحق والباطل، فالقرآن يُفرَّق به بين الحق والباطل، وكذلك يوم بدر، وكذلك التوراة.

۞ ولكن الذي يظهر لي أن المراد بالفرقان في آية آل عمران هو الزبور، وذلك لأن الله جل ذكره الثلاث كتب فقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]، ثم قال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فانتظمت الآيات الكريمة أربعة كتب: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور[(١)]، والله تعالى أعلم.

=به بين الحق والباطل فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه، وحدَّ فيه حدوده، وفرض فيه فرائضه، وبيَّن فيه بيانه، وأمر بطاعته ونهي عن معصيته.

(١) هذا مع أن هناك كثيرًا من المفسرين ذهب إلى أن المراد بالفرقان هنا هو القرآن أيضًا، وذهب بعضهم إلى أنه الزبور، وذهب بعضهم إلى أنه ما يُفرَّق به بين الحق والباطل كما قدمنا. والله أعلم.

Mostafalabiy.com

س: في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦] إيراد قويٌّ جيد على النصارى فما هو؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾؟

ج: وجه هذا الإيراد أن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صوَّره الله في بطن مريم عليها السلام كما شاء الله سبحانه، فتقلب عيسى عليه السلام في الخلق ولا يعقل أن ربًّا تحويه بطن أمٍّ؛ إذ كيف يكون إلهٌ يحكم السموات والأرض داخل بطن امرأة؟!!

أما المراد بقوله تعالى: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ فالمعنى والله أعلم: أنه سبحانه يصور الناس في بطون أمهاتهم هذا أبيض وهذا أسود، وهذا أحمر وهذا أصفر، وهذا طويل وهذا قصير، وهذا ذكي وهذا غبي، وهذا ذكر وهذه أنثى، وهذا جميل وهذ دميم و....

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾.

MOSTAFALADAWY.COM

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران: ٧]؟

ج: لأهل العلم أقوال في المراد بالآيات المحكمات والمراد بالمتشابهات نورد منها ما يلي:

١- منهم من يقول: إن المحكمات هي آيات الحلال والحرام والأحكام والفرائض، والمتشابهات هي آيات الأمثال ونحوها.

٢- **القول الثاني**: إن المحكمات هي التي لم تُنسخ، والمتشابهات هي المنسوخة[(١)].

٣- **القول الثالث**: إن المحكمات هي ما علم الناس تأويله، والمتشابهات ما لم يعلمه الناس كوقت الساعة وخروج يأجوج ومأجوج مثلًا ونحو ذلك.

۞ وهذا ثمَّ أقوال أُخر في هذا الباب.

والذي يظهر لي والعلم عند الله تعالى أن المراد بالمحكمات هن الآيات الواضحات البينات اللاتي لم تنسخ، وهي أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه والاختلاف[(٢)]، وهي آيات يعلمها وتأويلها أكثر الناس، أما الآيات المتشابهات فهي التي تحمل جملة معان وتشتبه معانيها على كثير من الناس، وهذا كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ وبينهما مُشبهات[(٣)] لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه....**»

---

(١) وهذا القول مروي عن قتادة عند الطبري (٦٥٧٧) بإسناد حسن.

(٢) إن ظهر لأحد اختلاف في شيء.

(٣) وفي رواية: (متشبهات).

الحديث[1]. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: مثِّل للآيات المحكمات بأمثلة، وكذا للمتشابهات، وكيف يتبع الذين في قلوبهم زيغ المتشابه ويتركون المحكم؟

ج: ذكر عدد من أهل العلم أمثلة للآيات المحكمات منها:

❁ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [الأنعام: ١٥١].

❁ وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ السورة. [الإخلاص: ١، ٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

❁ أما المتشابه فمن أمثلته قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

❁ أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم، فالنصارى – مثلًا – يتبعون قوله تعالى في شأن عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ويتركون قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، ويتركون قوله تعالى: أيضًا: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا.

MOSTAFAADEL.COM

قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، والذين في قلوبهم زيغ من الخوارج مثلًا يتبعون قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١]، ويتركون قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

❀ ❀ ❀

س: قد يكون القرآن كله محكمًا باعتبار، ويكون كله متشابهًا باعتبار آخر، وضح ذلك؟

ج: نعم قد يكون ذلك، وقال الله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ [هود: ١]، فالقرآن كله محكم من ناحية نظمه ووصفه وإتقانه.

وكله متشابه كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر: ٢٣] فهو متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن ويصدق بعضه بعضًا.

❀ ❀ ❀

س: لماذا لم يأت القرآن الكريم كله محكمًا؟

ج: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بذلك، ثم إن بعض أهل العلم ذكروا من فوائد إيراد المتشابه: امتحان قلوب العباد في التصديق، وبيان فضيلة الراسخين في العلم؛ إذ يقولون عند ورود المتشابه: آمنا به كلٌّ من عند ربنا، وإثابة المجتهدين للوصول إلى الحق على اجتهادهم، وإعمال العقل في تدبر آيات الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.

MOSTAFADIYA.COM

س: ما معنى التأويل؟

ج: التأويل يطلق على أشياء منها:

١- حقيقة الأمر التي يؤول إليها كما قول يوسف عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وكقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [يونس: ٣٩].

وأصل ذلك من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع. وهذا الغالب في الكتاب العزيز.

٢- التفسير والبيان:

ومنه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**اللهم فقه في الدين وعلّمه التأويل**»[(١)].

❁ ومنه قول الملأ: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤] فمحتمله بتفسير الأحلام.

❁ ومنه أيضًا أقوال العلماء كالطبري رحمه الله إذ يقول: القول في تأويل قول الله عز وجل....

❁ ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم وبحمدك الله اغفر لي**»[(٢)] يتأول القرآن أي: يمتثله ويعمل به، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٨) بإسناد حسن وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (٤/ ٢٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

MOSTAFALADY.COM

٣- صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لقرينة تدل على ذلك[(١)].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان» (١/ ٢٣٤): وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدةٍ من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح.

الأولى: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليلٍ صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح، والتأويل القريب كقوله ﷺ الثابت في الصحيح: «**الجار أحق بصقبه**»[(٢)] فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حملٌ له على محتمل مرجوح، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح المصرح بأنه إذا صرفت الطرق وضربت الحدود فلا شفعة.

الحالة الثانية: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمرٍ يظنه الصارف دليلًا وليس بدليل في نفس الأمر، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد والتأويل البعيد، ومثَّل له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ المرأة في قوله ﷺ: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل**»[(٣)] على المكاتبة والصغيرة، وحمله أيضًا المسكين في قوله تعالى: ﴿سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ على المد فأجاز إعطاء ستين مُدًّا لمسكين واحد.

---

(١) قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ «أضواء البيان» (١/ ٢٣٤): معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٥٨)، (٦٩٧٧) من حديث أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، (وروي بالسين في قوله سقبه)، ويطلق السقب على القرب والملاصقة.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٦٥)، وأبو داود (٢٠٨٣)، (٢٠٨٤) بإسناد صحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وله شواهد، وانظر (كتابنا الصحيح المسند من أحكام النكاح).

MostafaAdawy.com

الحالة الثالثة: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلًا، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعبًا، كقول بعض الشيعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧]، يعني: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قلت: ولمزيد بحث حول معنى التأويل انظر «محاسن التأويل» للقاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ، وتفسير «المنار» لمحمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: كيف يتأتى الرسوخ في العلم؟

ج: يتأتى ذلك بأمور: أولها وآخرها توفيق الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعد ذلك أمور منها:

❁ سؤال الله عَزَّوَجَلَّ ذلك، فقد قال الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

❁ تقوى الله عَزَّوَجَلَّ، فالله سبحانه يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

❁ العمل الجاد الدءوب؛ لتحصيل العلم الشرعي فهو نوع جهاد، والله سبحانه يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهذا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مع دعاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بقوله: «**اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل**»[(١)] يقف على أبواب الصحابة (كجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) في الليلة الباردة شديدة البرد تسفي الرياحُ الرمالَ على وجه من أجل البحث عن الفقه في الدين[(٢)].

---

(١) تقدم بيان أن إسناده حسن، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) صحيح أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٩٢٥) بإسناد صحيح، وسيأتي إن شاء الله.

MOSTAFALADAWY.COM

❁ التواضع في طلب العلم، فلن ينال العلم مستحي ولا مستكبر، كما قال قائل السلف رحمهم الله تعالى، وهذا نبي الله موسى عليه السلام رغم فضله وتكليم الله له يذهب إلى الخضر عليه السلام قائلًا له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وهنا تشرع الرحلة في طلب العلم، كما كان الشأن في سلفنا رحمهم الله عز وجل.

❁ التركيز على مصادر العلم الصحيحة (وهي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة) فالآية يرجع تفسيرها وينظر في أقوال أهل العلم من المفسرين من أهل السنة والجماعة فيها، وتحقق الآثار الواردة على الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تفسيرها، وكذلك حديث رسول الله ﷺ، تجمع طرقه وينظر في أسانيدها وأقوال العلماء فيه تصحيحًا أو تضعيفًا، وكذلك أقوال أهل علل الحديث فيه هل أعلُّوه أم صححوه، وأقوال أهل الفقه فيه وتصحيح نسبة هذه الأقوال إلى قائليها من صحابي أو تابعي أو من بعده وترجيح ما يقتضي الدليل ترجيحه، والاستئناس بأقوال أهل العلم المعاصرين بعد ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وبالله تعالى التوفيق ومنه يستمدُّ العون والسداد.

وثمَّ أمور أخر مبسوطة في محالها.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAADLY.COM

س: هل الوقف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ (١) فِى ٱلْعِلْمِ

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى مسروق أنه قال: (لقيت زيدًا فوجدته من الراسخين في العلم) «التفسير» (١٣٢).

يَقُولُونَ ءَامَنَّا ﴾ [آل عمران: ٧] عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أم إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾؟

ج: جمهور العلماء على أن الوقف عند لفظ الجلالة أي: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وقليل منهم من يرى الوقف عند العلم.

س: إذا كان الوقوف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] فما فضيلة الراسخين في العلم إذن؟!!

ج: فضيلتهم أن علمهم حملهم على الإيمان عند ورود المتشابه فيقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ فإنهم إن أشكل عليهم شيء في كتاب الله لا يتذبذبون ولا يتشككون بل هم مؤمنون في كل حال مستيقنون عند كل مقال يرد إليهم من الكبير المتعال، لا تعتريهم الشكوك ولا تجرفهم الشبهات، يعلمون أن ما قاله الله صدق، وما وعد به حق، وما قضى به عدل.

❀ ❀ ❀

س: هل من وجه آخر في الوقف في هذه الآية الكريمة؟

ج: نعم، فهناك قليل من العلم رأي ان الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ وحمل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ على أنها جملة حالية.

❀ ❀ ❀

س: إذا ذُكر قولٌ في القرآن الكريم منسوب لقائل معين فهل الأصح أن يقال:

MOSTAFALADY.COM

قال فلان (لهذا المعين) أو يقال: قال الله سبحانه حكاية عن فلان؟ بمعنى أنه ورد في الكتاب العزيز مثلًا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] هل الأصح أن يقال في الخطب والإنشاءات وغيرها (مما لم يكن تلاوة) قال الراسخون في العلم: آمنا به أو يقال: قال الله حكاية عن الراسخين في العلم؟ أو كمثال آخر في كتاب الله أن يوسف قال لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] هل الأصح عند حكاية ذلك أن نقول: قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أو يقال: قال الله حكاية عن يوسف؟

ج: الأصح في ذلك والله أعلم أن يقال: قال فلان (المعين) مباشرة بدون قول قال الله حكاية عن فلان، فالأصح أن يقال مما سبق: قال الراسخون في العلم، قال يوسف، مباشرة.

وشواهد ذلك قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: ... ولا أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣]. ولم تقل: قال الله حكاية عن أبي يوسف[(١)].

وشاهد آخر: قول النبي ﷺ: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال**: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]»[(٢)].

وشاهد ثالث: قول النبي ﷺ: «**فأقول كما قال العبد الصالح**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]»[(٣)].

وشاهد رابع: قول النبي ﷺ لأصحابه[(٤)]: «**ألم تسمعوا قول لقمان لابنه**: ﴿

(١) ورد ذلك في حديث الإفك في البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٣٧)، ومسلم (حديث ١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (ص ٢١٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFAADIB.COM

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قول الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] نوع توسل فما هو؟ وهل لهذا نظير في كتاب الله؟

ج: هو توسل بسابق إحسان الله ﷻ إليهم، فكأنهم قالوا: يا ربنا! يا من تفضلت علينا بالهداية!! لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية.

❁ ونظيره في كتاب الله: قول زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، فكأنه قال – قبل أن يقدِّم دعوته بطلب الولد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: يا رب يا من لم تجعلني شقيًّا بالرد والحرمان من قبل، يا رب كل ما سألتك أعطيتني ومن الخيرات منحتني هذا يا رب ظني بك أنك لا تخيب الدعاء، فيا رب هب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب.

وهذا نوع حسن جميل من أنواع التوسل، ولله المثل الأعلى.

فإنك إذا ذهبت إلى رجل تطلب منه ألف جنيهٍ – مثلًا – فأعطاك، ثم أتيته في العام القادم تسأله ألفًا أخرى فقال لك: من أنت، قلت: أنا الذي أعطيتني العام الماضي ألف جنيه، فيعلم هذا الرجل حينئذ أنك من نوع لا يجحد المعروف ولا ينكر الإحسان، بل أنت من الشاكرين للمعروف الذاكرين للإحسان؛ فيعطيك ولا يتردد في غالب الأحوال، وشواهد ذاك من التنزيل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

❁ ❁ ❁

Mostafa Adly.com

س: من هو الصحابي الذي دعا النبي ﷺ له وقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»؟ وأين يوجد هذا الحديث؟ وما مناسبته؟ اذكر طرفًا من فضل هذا الصحابي الكريم رضي الله عنه؟

ج: الصحابي هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومناسبة ذلك ما أخرجه أحمد في «مسنده» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فوضَعْتُ له وضوءًا من الليل قال: فقالت ميمونة: يا رسول الله: وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»(١).

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما في غاية الحرص على طلب العلم مع دعاء رسول الله ﷺ له فقد قال رضي الله عنه: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ، فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة فإن كان الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل(٢) فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، قال: بقي حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني(٣).

---

(١) أخرجه أحمد «المسند» (١/ ٣٢٨) بإسناد حسن، وفي «صحيح البخاري» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: «**اللهم علمه الحكمة**» وفي رواية للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعتُ له وَضوءًا قال: «**من وضع هذا؟**» فأخبر فقال: «**اللهم فقهه في الدين**».

(٢) أي: وقت القيلولة.

(٣) صحيح أخرجه أحمد في «الفضائل» (١٩٢٥)، والدارمي في «السنن» (١/ ١٤١ - ١٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٥٠٩٢).

وكان أمير المؤمنين عمر يدخله مع أشياخ بدر[١]، وأثنى عليه ابن مسعود فقال: (نعم ترجمات القرآن ابن عباس)[٢]، وقال أيضًا: (لو أدرك ابن عباس أسنانا ما عاشره منا رجل)[٣].

وأثنى عليه التابعيون فقال مجاهد: (كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه نورًا)[٤].

❁ وقال شقيق: كان ابن عباس على الموسم فخطب فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ثم يُفسر، فقال شيخ من الحي: سبحان الله ما رأيت كلامًا يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت[٥].

هذا، وقد أثنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على نفسه، فورد من طريق ابن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلِّي لا أقاضي إليه أبدًا؛ وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) كما ثبت ذلك في البخاري (٤٩٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في «الفضائل» (١٨٦٣)، وابن أبي شيبة «المصنف» (١٢٢٦٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٢٦٨) في المصنف بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد «زوائد فضائل الصحابة» (١٩٣٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد «زوائد فضائل الصحابة» (١٩٣٤) بسند صحيح، والحاكم (٣/ ٥٣٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه الطبراني «المعجم الكبير» (١٠٦٢١) من حديث ابن بريدة الأسلمي بسند صحيح.

MOSTAFALADWY.COM

س: هل من صحابي آخر أُوتي علمًا واسعًا في التفسير؟ اذكره مع شيءٍ من فضله؟

ج: نعم، فهناك عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد قال عن نفسه: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلمُ أين أنزلت ولا أنزلت من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلُغُه الإبِل لركبت إليه[(١)].

وقال عبد الرحمن بن يزيد: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد[(٢)].

س: كيف تجمع بين قول الله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وبين قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]؟

ج: الجمع بين هذا وذاك أن هذا يكون في موطنٍ وذاك يكون في موطن آخر، فمواقف القيامة تتعدد في يومٍ عند ربك كألف سنة مما تعدون، وهذا مقتضى رأي عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقد أخرج البخاري في «صحيحه» من طريق المنهال[(٣)] عن

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٢).

(٣) وصله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إيراد الحديث، وذلك مع «الفتح» (٨/ ٥٥٥ – ٥٥٦).

MostafaAbdo.com

سعيد قال: قال رجلٌ لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ: قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، و ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور: ٢٥]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1] [الأنعام: ٢٣]. فقد كتموا في هذه الآية، وقال: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إلى ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩- ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦] ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] فكأنه كان ثم مضى فقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى، ثم في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبه، وقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن الله لا يُكتم حديثًا وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [النساء: ٤٢]، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض ودَحوُها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩] فجُعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، وكان الله غفورًا رحيمًا سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يُرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد،

---

(١) في الأصل: (ربنا ما كنا مشركين) والتصويب من الآية.

Mostafa Nabawy

فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلًّا من عند الله.

س: شخص من الذين في قلوبهم زيغ بل في قلوبهم كفر بل المختوم على قلوبهم من الألمان ناقش مسلمًا فقال له: ما أصح كتاب في السُّنةِ عندكم؟ فأجابه قائلًا: هو صحيح البخاري، فقال الآخر متهكمًا: إذن دينكم يدعو إلى التخلف! قال له المسلم: ولمَ؟ قال: عندكم في هذا الصحيح حديث أبي أمامة الباهلي قال ورأي سكة وشيئًا من آلة الحرث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخُل هذا بيت قومٍ إلا أدخله الله الذل»[1]، فبم ترى المسلم يجيب؟

ج: هذا الحديث فقهه ومعناه على عكس ما فهمه هذا الألماني الغبي تمامًا، وذلك أن معنى الحديث والعلم عند الله ﷻ: أن المسلم إذا اشتغل بالحدث وآلاته والزراعة وأدواتها وترك أعمال القتال؛ تسلط عليه عدوه وأنزل به الذل والصغار، أما إذا اشتغل المسلم بأدوات القتل والقتال (ولم يضيع آلات الحرث) فإن عدوه سيهابه كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وثمَّ أوجه أُخر لتوجيه الحديث، والله أعلم.

ثم إن ديننا يدعو إلى تعمير الأرض لا إلى تخريبها، فقد قال النبي ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٢٣٢١) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

❁ وقال النبي ﷺ: «من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها»(١).

❁ وقال النبي ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها»(٢).

❁ وقال النبي ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»(٣).

❁ ❁ ❁

س: ما هو موقف المسلم عند سماع آية من المتشابه من الكتاب العزيز؟

ج: عليه أن يقول ابتداءً كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، ثم يسأل أهل الذكر لقول الله ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، وعليه أن يحذر من الذين يتبعون هذا المتشابه لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «إذا رأيت رجل يتبع المتشابه ويترك المحكم، فأولئك الذي سمى الله ﷻ فاحذروهم»(٤).

وفي الباب أيضًا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جهلتم فكِلُوه إلى عالمه»(٥).

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣٩).

(٣) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٣/ ١٩١)، (٦/ ١٨٣، ١٨٤).

(٤) صحيح، وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

(٥) هذا الحديث رواه عبد الرزاق «المصنف» (١١/ ٢١٦)، ومن طريقه أحمد بن حنبل «المسند» (٢/ ١٨٥) من طريق معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون في القرآن فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما =

MOSTAFABDW.COM

س: ما هو المشروع عند رؤية الذين يتبعون المتشابه؟

ج: المشروع أخذ الحذر منهم لما صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول

=**نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتهم منه فكلوه إلى عالمه**». وهذا إسناد حسن.

وقد رواه ابن أبي حازم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «**إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعلموا به، وما تشابه فآمنوا به**».

لكن اختلف علي أبي حازم، فرواها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص مرفوعًا كما هنا ورواها عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء في القرآن كفر – ثلاثًا – ما عرفتم منه فاعلموا به، وما جهلتهم منه فردوه إلى عالمه**».

قال ابن كثير عقب هذه الرواية: ولكن فيه علة بسبب قول الراوي: (لا أعلمه إلا عن أبي هريرة).

والحديث أورده ابن أبي حاتم في «العلل» من طريق شعيب بن أبي الأشعث عن هشام ابن عروة عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، أنه قال: «**المراء في القرآن كفر**» (قال ابن أبي حاتم): قال أبي: هذا حديث مضطرب ليس هو صحيح الإسناد، عروة عن أبي سلمة لا يكون، وشعيب مجهول.

قلت: وللحديث رواية مختصرة أخرجها أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٢، ٤٤٠) والطبري في «التفسير» (١/ ٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٥١٦) من طريق محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف عليمًا حكيمًا غفورًا رحيمًا**».

وإسنادها حسن أيضًا.

فالحاصل لدينا الآن أن لهذا الحديث طرقًا وهي:

* عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ مطولًا، رواها عن عمرو بن شعيب الزهريُّ وأبو حازم (في رواية عنه).
* أبو حازم (في الرواية الأخرى عنه) عن أبي سلمة قال: (لا أعلمه إلا عن أبي هريرة مرفوعًا).
* محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا مختصرًا.

وهذه فاتحة لمن أراد التوغل في جمع طرق هذا الحديث والنظر في علله، وبالله التوفيق.

Nofarabia.com

الله ﷺ هـذه الآيـة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللهُ فاحذروهم**»(١).

س: أهل الإيمان يعلمون أن ما هم فيه من خير وهى إنما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويقرون لله بذلك ويسألون الله الثبات، اذكر ما يفيد ذلك من الكتاب العزيز؟

ج: نعم أهل الإيمان يعلمون ذلك، وعلى رأسهم من أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إمام التوحيد إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ٨٠]، وكذلك نبي الله شعيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خطيب الأنبياء يقول لقومه: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وأهل الإيمان بصفة عامة يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣] ويقول الراسخون في العلم منهم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ويقول إمامهم وحامل لواء الحمد لهم: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**»(٢)،

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٤٥٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢)، وابن ماجه (١٣، ٢٣) بإسناد صحيح من حديث النواس بن سمعان

ARCHIVE.COM

وكانت أكثر أيمانه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا ومقلب القلوب**»(١).

❀ ❀ ❀

س: في دعاء الراسخين في العلم ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] طرف من فقه الدعاء، بيِّن هذا الطرف؟

ج: نعم فيها فائدة قيمة تتعلق بفقه الدعاء، حاصلها: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا – في غير هذه الآية الكريمة – أن ندعوه بأسمائه الحسنى حيث قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعلمنا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] أننا ندعوه باسم من أسمائه يوافق المسألة التي نريد ونطلب، ألا ترى (هب.... الوهاب) كما في قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وكما في قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وكما في قول النبي ﷺ: «**اشف وأنت الشافي**»(٢)، وفي قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني**»(٣)، وكما في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**هازم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم**»(٤) ونحو ذلك، فهذا يتنافى مع ما يصنعه كثير من

=رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥١٣ مع الفتح) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٩١٣١)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي (٩/ ٤٩٥ من التحفة)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٦/ ١٧١ – ٢٠٨)، وغيرهم بإسناد صحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ١٩٣ مع الفتح)، ومسلم (١٢/ ٤٧ مع النووي) من حديث ابن أبي وفي

MostafaDaw.com

الخطباء ويبين خطأهم حيث يقول قائلهم: (أذِلَّ الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين)، فلا يليق أن تسأل الله أن يذل باسم الرحمة كما لا يليق أن يقول قائل: ارحمني فإنك شديد العقاب، ولا يليق أن يقال: اعف عني يا منتقم، فليفهم هذا الملقدة من الخطباء الذين قلَّ فقههم!!!

❁ ❁ ❁

س: في قول أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] نوع توسلٍ وضحه؟

ج: نوع التوسل الذي فيها هو توسل بسابق إحسان الله تعالى إليهم، فكأنهم يقولون: يا ربنا يا من مننت علينا بالهداية ورزقتنا إياها مُن علينا بالثبات ولا تزغ قلوبنا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قالت المعتزلة: (إن الله لا يضل العباد) فهل هذه المقولة صحيحة؟

ج: بل هي مقولة خاطئة، فالله سبحانه يعلم من يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الضلال فيضله، والأدلة على ذلك في غاية الكثرة منها:

❁ قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

=رضي الله عنها.

MOSTAFALADY.COM

❁ ومنها قول الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

❁ ومنها قول رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه»(١).

❁ ومنها قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] بل قال إبليس: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

❁ وقال سبحانه: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

❁ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

❁ والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

س: المعاصي سبب لزوال النعم ونزول النقم، هل من أدلة على ذلك؟

ج: نعم، هناك جملة أدلة على ذلك من سورة آل عمران ومن غيرها منها:

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) بإسناد صحيح من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا، وقد تقدم.

❁ قول الله ﷻ في قوم فرعون والذين من قبلهم: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١١]، فهؤلاء قوم ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ – ٢٧]، فبذنوبهم أغرقهم الله ﷻ وأورث جناتهم وعيونهم وكنوزهم ومقامهم الكريم وتلك النعمة التي كانوا فيها فاكهين قومًا آخرين.

❁ وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ – ١٧].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣].

❁ وهؤلاء قوم عاد أمدهم الله بأنعام وبنين وجنات وعيون فلما كذبوا أهلكهم الله ﷻ، وما قوم صالح منهم ببعيد، فهؤلاء ثمود قال لهم نبيهم صالح: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ..... فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الشعراء: ١٤٦ – ١٥٨].

وغيرهم من المنعمين الذي امتلأ بذكرهم وذكر مصارهم كتاب الله ﷻ، وأقوام كفروا وعصوا الرسل فبدلت دنياهم بجحيم، عياذًا بالله.

❁ ❁ ❁

mostafa.ayw.com

س: مَنِ المراد بالفئتين في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]؟

ج: المراد بالفئتين هنا: هما الفئتان اللتان التقتا يوم بدر:

الفئة المسلمة: وهم رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

والفئة الكافرة: وهم المشركون.

❁ ❁ ❁

س: كيف تجمع بين قوله تعالى – في المتقاتلين يوم بدر: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]؟

ج: للجمع بين هاتين الآيتين طرق ومسالك لأهل العلم منها:

❁ أن المراد بقوله تعالى يرونهم: أن المسلمين يرون المشركين مثليهم في العدد، فإن قيل: فكيف توجِّه إذن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، فالإجابة أنه لا إشكال أصلًا، فإن المشركين كانوا ثلاثة أضعاف المسلمين في الحقيقة، فإذا رآهم المسلمون مثليهم (أي ضعفين) فقط فقد قُلِّلوا إذن في أعينهم.

❁ وجه ثان من أوجه الجمع: أن الحالات تنوعت فصوَّر الله المسلمين للمشركين بصورة في وقت من الأوقات، وكذلك صوَّر الله المشركين للمسلمين بصورة في نفس الوقت، ثم صوَّر الله المسلمين للمشركين بصورة أخرى في وقت آخر، وصور المشركين للمسلمين بصورة أخرى أيضًا، فأحيانًا يُقلل المشركين في أعين المسلمين حتى يتجرأ المسلمون عليهم، وأحيانًا يُكثِّرهم حتى يجأر

Mostafa Adly .com

المسلمون إلى ربهم بالدعاء والاستنصار، وأحيانًا يقلل اللهُ ﷻ المسلمين إلى ربهم بالدعاء والاستنصار، وأحيانًا يقلل اللهُ ﷻ المسلمين في أعين الكفار حتى يتجرأ الكفار على الذهاب لمقاتلة المؤمنين، ويكون ذلك كاستدراج لأهل الكفر، وأحيانًا يُكثِّر المسلمين في أعين الكفار ليَقذف في قلوب المشركين الوهن والرعب، هذا وذاك ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا وإلى الله ترجع الأمور.

ونظيره في المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

وثمَّ أوجه أخر للجمع قال بها بعض العلماء، والله تعالى أعلم.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾.

س: قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١٤] من الذي زينها؟

ج: الذي زينها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا رأي جمهور أهل العلم، وهو الصحيح لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

MostafaLabiz.com

عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، ويشهد لذلك أيضًا قول رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي ربِّ وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفَّها بالشهوات ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي ربِّ وعزتك لقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها**»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن.

وأخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٧٩) بإسناد حسن إلى أسلم (والد زيد) أنه قال: رأيت عبد الله بن أرقم جاء إلى عمر بن الخطاب (بحلية) من حلية جلولاء – آنية من فضة على نطع – فقال: اللهم إنك ذكرت هذا فقلت: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ حتى ختم الآية [آل عمران: ١٤]، وقلت: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] فإنا لا نستطيع (إلا أن) نفرح بما زينت لنا، اللهم فاجعلنا ننفقه في حقه وأعوذ بك من شره. وهذا كما قدمنا إسناد حسن.

* وأخرج ابن جرير الطبري في «التفسير» (أثر ٦٦٩٥) بإسناد منقطع إلى عمر قال: لما نزل ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقلت: الآن يا رب حين زينتها لنا فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥].

وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ١/ ١٠١).

* وأخرج ابن أبي حاتم أيضًا (٢/ ١/ ١٠٢) بإسناد منقطع أيضًا من طريق سيار أبي الحكم أن عمر بن الخطاب قرأ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: ١٤] ثم قال: الآن يا رب وقد = زينتها في القلوب.

* وأخرج ابن أبي شيبة (١٤/ ٦٣) بإسناد ضعيف إلى مجاهد قال: آية أنزلت في هذه الآية: ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ قال عمر: الآن يا رب.

وبالجملة فهذه الآثار تشهد بشيء وهو أن عمر يرى أن الذي زينها هو الله سبحانه وتعالى.

MOSTAFAMOURAD.COM

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الذي زينها هو الشيطان، وقولهم هذا مرجوح إلا ان يُنزَّل على أن الشيطان سبب كما هو مطرد، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: كيف تجمع بين قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وبين قول النبي ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء....» الحديث؟[(١)]

ج: لا تعارض أصلًا بين الآية الكريمة والحديث الشريف، فالآية الكريمة لا تفيد تحريم المذكور فيها، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال النبي ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[(٢)].

❀ ❀ ❀

س: فيما تتمثل فتنة النساء؟

---

(١) حديث: «**حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء**» أخرجه أحمد (٣/ ٢٨٥) في غير موضع، والنسائي في «عشرة النساء» (١، ٢)، وفي «السنن» (٧/ ٦١)، وفي سنده بعض الاختلاف في تحديد بعض رواته وهو سلام أبو المنذر هل هو سلام بن سليمان أو ابن (أبي الصهباء) وقد فصلنا في ذلك بحمد الله في كتابنا «جامع أحكام النساء» (قسم النكاح) فليراجعه من شاء، وفي إسناده الآن لدينا كلام أوضحناه هناك، وقد سبق أن صححناه في بعض كتبنا لكن التعويل على ما هو مسطر في «جامع أحكام النساء»، وبالله التوفيق.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

MOSTAFAADAWY.COM

ج: فتنة النساء من أخطر الفتن على أمة محمد ﷺ، بل أخطرها فقد قال النبي ﷺ: «**ماتركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»(١).

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]، فبدأ بالنساء لعظمِ الافتنان بهن.

وقد قال النبي ﷺ: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٢).

وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ذكر الدنيا فقال: «**إن الدنيا خضرة حلوة فاتقوها واتقوا النساء**» ثم ذكر نسوة ثلاثًا من بني إسرائيل امرأتين طويلتين تُعرفان، وامرأة قصيرة لا تُعرف فاتخذت رجلين من خشب وصاغت خاتمًا فحشته من أطيب الطيب المسك وجعلت له غلقًا فإذا مرت بالملأ أو بالمجلس قالت به فنفخته ففاح ريحه(٣).

وحذر النبي ﷺ أشد التحذر من الخلوة بالنساء فقال: «**ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان**»(٤).

وفتنةالنساء من أسبابها قلة دينهن كما قال النبي ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أَذهبِ لِلُبِّ الرجل الحازم من إحداكن**»(٥).

وتأتي أيضًا فتنة النساء من كثرة تشوف الأنفس إليهن وما جبل عليه الرجل من

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٢٦) بإسناد صحيح لشواهده من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

Mostafabdw.com

ميل إليهن، وما يصدر منهن من خضوع بالقول، وتغنج في المسير، وتبرج في الأزياء، وضرب بالأرجل ليُعلم ما خفي من الزينة فتتصور المرأة التي هي سوداء كالفحمة في عين الرجل كأنها حسناء كالقمر، ألا ترى الشاعر الماجن الذي ذهبت بِلُبِّه امرأة سواء فقال:

أحببت لحبها السودان حتى ... أحببت لحبها سود الكلاب

فأنظر إلى هذا الماجن الذي أحب هذه السوداء وبالغ في ذلك الحب حتى أحب كلَّ أسودَ حتى بلغ به ذلك إلى أن أحب سود الكلاب، وهي شياطين؟!!!

❁ وأيضًا المرأة تحمل زوجها على اكتساب المال من الحرام إمضاءً لرغباتها وإشباعًا لشهواتها.

❁ وتحمله على التخلف عن الجمع والجماعات لشدة حسنها أو لفرط محبته لها.

❁ وتحمله على التخلف عن الجهاد فيقول له الشيطان: تجاهد فتقتل فتنكح المرأة.. فيُصدُّ بسبب ذلك عن الجهاد وعن الخير.

❁ وتحمله على قطع الأرحام وعقوق الآباء والأمهات.

❁ يعاهد الناس عهودًا فتخفره في عهوده.

❁ تتزوج رجلًا وتحب آخر فيفسد الود ويتكدر جو المعيشة الأُسرية.

❁ تُخطب فتستشرف لرجل آخر فيخطب على خطبة أخيه فتدب البغضاء وتنشأ الشحناء وتدخل إلى قلوب العباد.

❁ تحتال بشتى الحيل للوصول إلى مآربها ولا تبالي.

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وها هو يوسف الصديق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول مستعينًا بالله لاجئًا إليه راغبًا في

MOSTAFALADAWY.COM

فَرَجه وفضله ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] هذا، ولا زال في النساء بقية من الصالحات اللواتي أثنى الله عليهن بقوله: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، ولكنهن قليل، قد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا القليل(١)، وقد اطلع النبي ﷺ على النار فرأى أكثر أهلها النساء(٢).

فيا معشر النساء تصدقن، وقمن إلى الصلاة من جوف الليل، فيارب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة.

هذا، وقد قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ(٣)(في تفسيره المنار ٣/ ٢٣٩): النساء وحبهن لا يعلوه حب لشيء آخر من متاع الحياة الدنيا، فهن مطمح النظر وموضع الرغبة وسكن النفس ومنتهى الأُنس وعليهن ينفق أكثر ما يكسب الرجال في كدهم وكدحهم، فكم افتقر في حبهن غني، وكم استغنى بالسعي للحظوة عندهن فقير، وكم ذل بعشقهن عزيز، وكم ارتفع في طلب قربهن وضيع!! ولعل في القارئين من يحب أن يعرف كيف يغني الفقير ويرتفع الوضيع بسبب حب النساء – إذا كان لا يوجد فيهم من يحتاج إلى معرفة كيف يُذل العاشق ويفتقر – فنقول: إن من يحب ذات شرف ورفعة ويرى أنه لا سبيل إلى الاقتران بها إلا بالتحصيل المال وتسنم غارب المعارلي فيوجه جميع قواه إلى ذلك ولا يزال به حتى يناله.

(١) قال النبي ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون**» أخرجه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث عائشة مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٢٧٣٨) من حديث ابن عباس مرفوعًا وله طرق.

(٣) لنا بعض التحفظ على عدة مقالات للشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ خاصة في أبواب دلائل النبوة ولكن هذا لا يمنع أن ننقل عنه ما نراه أصاب فيه، فقد قبل النبي ﷺ من اليهود قولهم: (يا محمد إنكم تشركون، أصحابك يقولون ما شاء الله وشاء محمد...) الحديث. وانظر لذلك مزيدًا في رسالتنا «مفاتيح الفقه في الدين».

noorabook.com

س: اذكر طرفًا من فتنة الولد؟

ج: الولد قد يفتتن أبوه به في كثير من الأحيان، فالولد مبخلة مجبنة، يكون سببًا في جبن أبيه وتخلفه عن الجهاد في سبيل الله، فيتأخر الأب عن الجهاد في سبيل الله خوفًا على ولده من بعده من الضياع، ويمتنع الأب عن الإنفاق في أوجه البر والخير خشية الفقر الذي يخشى أن يتسرب إلى ولده، ويجزع الأب ويحزن لمرض ولده بما يحمله في كثير من الأوقات على الجهل والاعتراض على الشرع، وكم من ولدٍ قد مات فحمل موتُه أمَّه على لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، وقد يحمل الولد أباه على الكسب المحرم من أجله.

وقد يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، كما قال الله سبحانه في شأن الغلام الذي قتله الخضر: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

س: اذكر وجهًا للافتتان بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة؟

ج: وجه ذلك: أن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة تحمل صاحبها على

الإعراض عن طريق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما تحمله على الطغيان والبغي.

۞ قال الله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧].

۞ وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣].

۞ وقال سبحانه: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، ألا ترى إلى قارون لما آتاه الله المال كيف صنع، قال الله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ [القصص: ٧٦].

۞ وأظن القارئ لا يخفى عليه حديث الثلاثة: (الأقرع والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم الله ﷻ)[1]، وحديث رسول الله ﷺ «لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي

(١) حديث الثلاثة نفر من بني إسرائيل..... أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله ع وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال: فمسحه فذهب عنه فأُعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال: البقر هو شك في ذلك، إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: وقال الآخر: البقر فأعطى ناقة عُشراء، فقال: يُبارك لك فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب هذا عني قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطى شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملًا، وقال: يبارك لك فيها، وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم؛ فأعطاه شاة والدًا فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم غلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال – بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذُرك الناس فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، وقال له: قد كنتُ أعمى فرد الله بصري وفقيرًا

المال»[(١)]، فإن قيل: قد يكون هناك من يشكر نعم الله عليه، فالإجابة على هذا: أن نعم الله قد يكون هناك من يشكر نعم الله عليه، فالإجابة على هذا: أن نعم الله قد يكون هناك من يشكر، ولكن كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

❁ قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: وعلته أن المال وسيلة إلى الرغائب وموصل إلى الشهوات واللذائذ، ورغائب الإنسان غير محدودة، وأفراد لذائذة غير معدودة، فهو لاستعداده الذي لا منتهى له يطلب الوسائل إلى رغائب لا منتهى لها، وهذه الرغائب يتولد بعضها من بعض:

فما قضى أحدٌ منها لبانته ... ولا انتهى أرب إلا إلى أرب

فلا جرم أن الإنسان لا يستكثر المال مهما كثر، بل إن كثرته هي التي تزيد فيه نهمته، حتى إنه لينسى أنه وسيلةٍ إلى غيره فيجعل جمعه مقصدًا، يتفنن في طرقه كلما سلك طريقًا عنَّ له من السلوك فيه طرق أخرى، قال ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى أن يكون له ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**» رواه الشيخان من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)].

والتعبير بالقناطير المقنطرة يشعر بأن الكثرة هي التي تكون مظنة الافتتان؛

=**فقد أغناني، فخذ ما شئت فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما بتليتم فقد رضي الله عنه وسخط على صاحبيك**».

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٢٢)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٢٤٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٨) من حديث كعب بن عياش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٧)، ومسلم (١٠٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، وله طرق عن رسول الله ﷺ.

MostafaAdawy.com

لأنها تشغل بالتمتع بها القلبَ، وتستغرق في تدبيرها الوقت، حتى لا يكاد يبقى في قلب صاحبها منفذٌ للشعور بالحاجة إلى غيرها، من طلب الحق ونصرته في الدنيا والاستعداد لما أعده الله للمتقين في الآخرة، وما بعث الله رسولًا في أمةٍ ولا مصلحًا في قومٍ إلا وكان الأغنياء أول من كفر وعاند وابى واستكبر، وإن مؤمني الأغنياء أقلهم عملًا(١)، وأكثرهم زللًا قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ [الفتح: ١١]، وقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فقدم الفتنة بالأموال على الفتنة بالأهلين، وكأنه إنما أخر ذكر الأموال هنا عن ذكر النساء والبنين؛ لأن الكلام في طبيعة الحب لا في الاشتغال والفتنة به خاصة، وحب النساء والبنين مقصد، وحب المال وسيلة، لا يجعله مقصدًا إلا من أعمته الفتنة عن الحقيقة، ولو أردنا أن نخوض في شرح فتنة الناس بالمال وكيف تشغلهم عن حقوق الله وحقوق الأمة والوطن وحقوق من نيعاملهم بل وعن حقوق بيوتهم وعياله، بل وعن حقوق أنفسهم على أنفسهم بما يثلمون شرفهم أو يقصرون في النفقة التي تليق بهم لأطلنا وخرجنا عن حد الوقوف عند بيان كون المال من متاع الحياة الدنيا بمقدار ما نفهم العبرة من الآية، ونكون قد جعلنا الكلام في المال مقصدًا كما جعله الأشحة من الأغنياء مقصدًا.

(١) إلا من رحم الله، وإلا فكم من غنيٍّ منفق محسن متصدق، ألا ترى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جهز جيش العسرة من ماله، وحفر رومة من خالص ماله، ولا يخفى فضل ابن عوفٍ وإنفاقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

Mostafa.com

(٦٥٥) أحمر أسود

س: كم مبلغ القنطار؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال: فمنهم من قال: القنطار ألف ومائتا أوقية، ورد ذلك عن معاذ بن جبل[١]، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢].

وقال بعضهم: القنطار ألف ومائتا دينار[٣].

ومنهم من قال: القنطار ثمانون ألفًا[٤].

وثَمَّ أقوال أخر.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: فالصواب أن يقال: هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحدَّ قدر وزنه بحدٍّ على تعسف.

س: كيف تكون الخيل فتنة لصاحبها وكذلك الأنعام والحرث؟

(١) أخرجه الطبري (٦٦٩٦) من طريق أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ بن جبل قال: القنطار ألف ومائتا أوقية.

(٢) أخرجه الطبري: (٦٧٠٠) بإسناد حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) روي ذلك عن الحسن البصري بإسناد صحيح عند الطبري (٦٧٠٣).

(٤) أخرجه الطبري (٦٧١٣)، (٦٧١٤) عن سعيد بن المسيب، وهو صحيح عنه بمجموع طرقه.

وأخرج الطبري بإسناد حسن إلى قتادة (٦٧١٥) قال: كنا نحدث أن القنطار مئة رطل من ذهب أو ثمانون ألفًا منن الورق (أي من الفضة).

وقلت: وقد ورد في الباب أحاديث مرفوعة وفيها مقال.

من هذه الأحاديث ما أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٣)، وابن ماجة (٣٦٦٠)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٦٦٣) من طريق حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا: «**القنطار اثنا عشر ألف أوقية**» وإسنادها حسن لكونها معلولة بالوقف، فقد رواه الدارمي (٢/ ٤٦٧) من طريق أبان العطار وحماد بن سلمة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: القنطار اثنا عشر ألفًا.

ورجح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ الوقف.

MOSTAFAADWY.COM

ج: تكون الخيل فتنة لصاحبها إذا ربطها أو ركبها فخرًا ورياء وسمعةً، ونواءً لأهل الإسلام، وكذلك الأنعام تكون فتنة لصاحبها إذا لم يؤد حق الله فيها، فتأتيه يوم القيامة تطؤه بأخفافها وأظلافها وتنطحه بقرونها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد(١).

وكذلك الحرث إذا شغل صاحبه عن الجهاد في سبيل الله ولم يؤد صاحبه ما افترضه الله عليه من زكاةٍ فيه.

---

(١) أخرج مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نارٍ فأُحمى عليها في نار جهنم فيكوي بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أُعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها – ومن حقها حلبها يوم ورها – إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلًا واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قرقر لا يفقد منها شيئًا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العابد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال: «الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر وهي لرجلٍ ستر وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً على أهل الإسلام فهي له وزر، وأما التي هي له ستر، فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرجٍ وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ولا تقطع طولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهرٍ فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات»، قيل: يا رسول الله فالحُمُر، قال: «ما أنزل عليَّ في الحُمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة ٧، ٨]».

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾.

س: قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥] أنهارٌ من ماذا؟

ج: فسرها قول الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، وكذلك قال الله جل ذكره: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

س: بعض أهل العلم يرى أن لفظ (الأزواج) عند ذكر أهل الإيمان يعطي معنى ألطف وأروق من ذكر المرأة أو النساء بيِّن هذه الوجهه؟

ج: نعم قد رأي بعض أهل العلم ذلك؛ فقد قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ «التفسير القيم» (ص ١٣١): وقد وقع في القرآن الكريم الإخبار عن أهل الإيمان بلفظ الزوج مفردًا

MOSTAFALAWY.COM

وجمعًا كما تقدم[1] وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، والإخبار عن أهل الشرك بلفظ (المرأة) قال تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد: ١ - ٥]، وقال تعالى في فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التحريم: ١١]، فلما كان هو المشرك وهي مؤمنة لم يسمها زوجًا له، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ [التحريم: ١٠] فلما كانتا مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة، وقال في حق آدم: ﴿أَنتَ وَأَزۡوَٰجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال للنبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وقال في حق المؤمنين: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ [البقرة: ٢٥].

فقالت طائفة منهم السهيلي وغيره: إنما لم يقل في حق هؤلاء «الأزواج»؛ لأنهن لسن بأزواج لرجالهن في الآخرة، ولأن التزويج حلية شرعية، وهو من أمر الدين فجرد الكافرة منه، كما جرد منه امرأة نوح وامرأة لوط، ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: ٥]، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ [الذاريات: ٢٩]، وأجاب بأن ذكر المرأة ألبق في هذه المواضع، لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة، فذكر المرأة أولى به، لأن الصفة التي هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجًا.

---

(١) يعني بالذي تقدم ما أورده رحمه الله، وهو قوله تعالى: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]، وقول ابن عباس في عائشة رضي الله عنها: (إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة).

MOSTAFALABY.COM

قلت: ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ (الأزواج): أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه لكان أولى، فإن الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان والمتساويان، ومنه قوله تعالى: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم)، وقاله الإمام أحمد أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧] أي: قرن بين كل شكلٍ وشكله في النعيم والعذاب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية: الصالح مع الصالح في الجنة، والفاجر مع الفاجر في النار، وقاله الحسن وقتادة والأكثرون، وقيل: زوجت أنفس المؤمنين بالحور العين، وأنفس الكافرين بالشياطين وهو راجع إلى القول الأول، وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ثم فسرها بقوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فجعل الزوجين هما الفردان من نوع واحد، ومنه قولهم: (زوجا خف وزوجا حمام) ونحوه، ولا ريب أن الله سبحانه قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال تعالى في حق مؤمن أهل الكتاب وكافرهم: ﴿۞لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقطع سبحانه المقارنة بينهما في أحكام الدنيا فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه، فكما انقطعت الصلة بينهما في المعنى انقطعت في الاسم فأضاف فيهما (المرأة) بلفظ الأنوثة المجرد دون لفظ المشاكلة والمشابهة، فتأمل هذا المعنى تجده أشد مطابقة لألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ولهذا وقع على المسلمة امرأة الكافر وعلى الكافرة امرأة المؤمن لفظ (المرأة) دون لفظ (الزوجة)، تحقيقًا لهذا المعنى والله أعلم.

Mostafa Abdy.com

وهذا أولى من قول من قال: (إنما سمى صاحبه أبي لهب امرأته ولم يقل زوجته؛ لأن أنكحة الكفار لا يثبت لها حكم الصحة بخلاف أنكحة أهل الإسلام، فإن هذا باطل بإطلاق اسم (المرأة) على امرأة نوح وامرأة لوط مع صحة ذلك النكاح).

وتأمل هذا المعنى في آية المواريث وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ (الزوجة) دون (المرأة) كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ [النساء: ١٢] إيذانًا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين.

❀ ❀ ❀

س: قال الله سبحانه: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥] مطهرة من ماذا؟

ج: مطهرة من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس والبزاق والمخاط والحقد والمكر وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا، وذلك كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧]، وكما قال سبحانه: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، وكما قال النبي ﷺ[1]: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امريء منهم زوجتان كلُّ واحدة منهما يُرى مخُّ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشيًّا لا يسقمون ولا**

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFALABIB.COM

يمتخطون ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة(١) ورشحهم المسك».

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأدلة من سورة آل عمران وكذلك من السنُّة المطهرة على مشروعية التوسل بصالح الأعمال؟

ج: أما الأدلة على مشروعية التوسل بصالح الأعمال فمنها:

❁ من سورة آل عمران قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، فكأنهم قالوا: يا ربنا قد آمنا بك فلإيماننا بك اغفر لنا ذنوبنا.... فهم قد توسلوا إلى الله ﷻ بإيمانهم به؛ لطلب المغفرة منه سبحانه، والوقاية من عذاب النار.

❁ وكذلك قول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، فتوسلوا إلى الله بإيمانهم بما أنزل واتباعهم الرسول؛ ليكتبهم مع الشاهدين.

❁ وقول أولي الألباب: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

❁ أما من سنة النبي ﷺ ففي الباب حديث الثلاثة أصحاب الغار، فقد توسل أحدهم: بعفته عن الزنا بابنة عمه التي كان يحبها كأشد ما يحب الرجالُ النساء، لما ذكرته بقولها: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام عنها، وتوسل الثاني: بعفته عن

---

(١) الألوة: العود الذي يُبَخَّر به.

Mostafalady.com

المال الحرام، وعن أكل حقوق الناس، بل قد ثمَّرها لهم ونماها، وتوسل الثالث: ببره بوالديه الشيخين الكبيرين فأنجاهم الله ﷻ جميعًا[1].

وكذلك قول رسول الله ﷺ: «**يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صحب النبي ﷺ فيقولون: نعم فيستفتحون فيفتح لهم**»[2] الحديث.

س: في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧] أطلق ذكر الصابرين هنا، فمن الصابر الذي يُثاب الثواب الأكبر؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأوَوا إلى غارٍ فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرُز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرقٌ من أرز، فقلت له: اعمد على تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساحت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنمٍ لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدَا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ وأني راودتها عن نفسها، فلما قعدت بين رجليها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة الدينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم فيفتح له، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقول: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم».

noorsabah.com

ج: كم من صابر يصبر تجلدًا، وكم من صابر يصبر خوفًا على صحته من المرض، وكم من صابر يصبر لأنه لا فائدة في غير الصبر، وكم من صابر يصبر حتى يُقال عنه إنه صابر!!! كل هؤلاء الله أعلم بثواب صبرهم، أما الصابر الذي يُثاب بإذن الله، فهو ممن قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]، فهو صبر ابتغاء ما عند الله ورجاء لثواب الله ﷻ.

❀ ❀ ❀

س: لماذا قُيِّد الاستغفار بالأسحار في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]؟

ج: قُيِّد الاستغفار في هذه الآية (بالأسحار) كما في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وذلك لفضيلة وقت السحر، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**ينزل الله ﷻ في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من سائل فأعطيه؟! هل من داع فأجيبه؟! هل من مستغفر فأغفر له؟! حتى يطلع الفجر**»(١).

هذا وإن كانت التوبة مفتوحة في كل وقت للتائبين قال النبي ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**يتنزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» وللحديث ألفاظ = أُخر قريبة.

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٧٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFALAWY.COM

لكن كما هو معلوم فالله فضل بعض الأوقات على بعض، وبعض الشهور على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض القرون على بعض و.... ولله الأمر من قبل ومن بعد.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

س: اذكر آية من سورة آل عمران فيها فضيلة لأهل العلم؟

ج: هي قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] فقرن الله سبحانه شهادة أولي العلم وشهادة الملائكة مع شهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أنه سبحانه قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. فهذه خصوصية عظيمة للعلماء جزاهم الله خيرًا ورفع الله قدرهم.

Mostafa Nour.com

س: هل يكون العلم سببًا للخلاف أحيانًا؟

ج: المفترض أن لا يكون العلم سببًا للخلاف، بل يكون وسيلة للالتفاف حول الحق، ولكن عند من أزاغ الله قلبه، قد يكون العلم سببًا للخلاف معه، فيكون القوم كلهم على ضلال وزيغ وتحريف مثلصا فيأتيهم من الله نور وكتاب مبين، فيتبع ذلك النور أقوام فيهديهم الله به وآخرون يأبون إلا العداوة والحسد والبغي، فينشأ حينئذ الخلاف والفرقة والتميز بين أهل الحق وأهل الباطل، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] فلما جاءهم العلم حسدوا أهله ومن جاء به ومن آمن به، وأضمروا لهم العداوة والبغضاء فنشأ البغي، والله أعلم.

هذا ويكاد هذا يُرى واضحًا عند كثير من الفِرَقِ التي تحجب أهلها عن تعلم العلوم الشرعية (كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى، ثم أقوال السلف الصالح رحمهم الله) من أجل أن كثيرًا من كبار دعاة هذه الفرق يظهر عورهم إذا تعلم أتباعهم، فمن ثمَّ تجدهم يصدون الأتباع عن تعلم العلوم الشرعية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

س: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] هل هو إعراض عن المحاججة، أو هو محاججة وإظهار الدليل؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: إنه إعراض عن المحاججة، والمعنى: إذا جادلوك بالباطل بعد أن بينت لهم الدلائل وأوضحت لهم الحجج، فأعرض أنت عنهم وأسلم وجهك لله،

MOSTAFALADWA.COM

ومن اتبعك أيضًا فليسلم وجهه لله.

❁ ومن قائل: إنه محاججة، والمعنى: فإن نازعوك يا محمد فقل: أنا مستمسك بطريقة إبراهيم ﷺ وأنتم تعلمون أن طريقته حق بعيدة عن كل شبهة وتهمة. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر دليلًا من سورة آل عمران على أن النبي ﷺ بُعث لأهل الكتاب وأدلة من سور أخر، وأدلة من سنة النبي ﷺ؟

ج: الدليل من آل عمران هو قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ودليلٌ من سورة أخرى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وأدلة من السنة: قول النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**»(١).

وقول النبي ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

MOSTAFAADIB.COM

ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أنه عليه السلام عاد غلامًا يهوديًا – كان يخدمه – فقال له النبي ﷺ: «**أسلم**....» الحديث[1].

❁ ❁ ❁

س: كيف تحبط الأعمال في الدنيا والآخرة؟

ج: معنى الآية – والله أعلم –: أن ثواب أعمالهم ذهب في الدارين، وأفسدوا أعمالهم التي عملوها بشركهم بالله ﷻ وقتلهم الأنبياء بغير حق وقتلهم الآمرين بالقسط من الناس.

❁ أما حبوط الأعمال في الدنيا: فإبدال المدح بالذم، والثناء باللعن والخزي، ويدخل فيه – كما قال بعض العلماء –: ما ينزل بهم في الدنيا من القتل والسبي وأخذ الأموال والاسترقاق إلى غير ذلك من أنواع الذل والصغار.

❁ وأما حبوطها في الآخرة. فإبدال النعيم بالجحيم، والثواب بالعذاب الأليم، وضياع أجر كل ما صنعوه من خير في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وكما قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ [إبراهيم: ١٨] والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

Mostafa Adly.com

س: قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] لماذا التقييد بقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ مع أنه معلوم يقينًا أن الأنبياء لا تقتل إلا بغير الحق فهم صلوات الله وسلامه عليهم لم يفعلوا مع أممهم ما يوجب قتلهم؟

ج: التقييد بقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ - والله أعلم - لبيان شناعة قتل النبيين وعظم هذا الجرم، فقاتل النبي أعظم الناس جرمًا وأشدهم إساءة، وهذه الآية - والله أعلم - كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فمن المعلوم أن من دعا مع الله إلهًا آخر فإنه كافر، وليس له برهان مطلقًا ولا حجة على وجود إله يستحق أن يعبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما قُيدت بهذا القيد ﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ لبيان شناعة الشرك والمشرك، وأن الشرك ليس عليه دليل ولا برهان لا عقلي ولا شرعي، ومن ثم استحق المشرك أليم العذاب وعظيم العقاب.

ففائدة هذا القيد - كما قاله السعديفي «القواعد الحسان لتفسير القرآن» - التشنيع البليغ على المشركين بما تملكهم؛ لغبائهم وبلادتهم التقليدية من المعاندة ومخالفة البراهين الشرعية والعقلية، وأنه ليس بأيديهم إلا أغراض بهيمية ومقاصد سيئة وتقليد أعمى كالأنعام، وأنهم لو التفتوا أدنى التفات لعرفوا أن ما هم عليه لا يستسيغه من له أدنى فهم وعقل.

س: اذكر دليلين من كتاب الله يُرهبان من إيذاء الدعاة إلى الله ﷻ وقتلهم؟

ج: **الدليل الأول:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ

Mostafa Adly.com

أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢].

والثاني: قول الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

س: ما هو المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] [آل عمران: ٢٣] وما هو الشيء الذي تنازعوا فيه ودُعوا إلى الحكم فامتنعوا؟

(١) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال: (أولئك أعداء الله اليهود دُعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم وإلى نبيه ليحكم بينهم، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل ثم تولوا عنه وهم معرضون) (الطبري في التفسير ٦٧٨٣).

MOSTAFABDW.COM

ج: الكتاب: هنا هو التوراة وهذا رأي جماهير المفسرين.

أما الذي تنازعوا فيه فلم يوضح في الآية، فمن المحتمل أن يكون ذلك هو أمر النبي محمد ﷺ وأمر نبوته، ومحتمل أن يكون أمر الخليل إبراهيم عليه السلام وكونه مسلمًا، ومحتمل أن يكون ما دعوا إليه من أمر الإسلام والإقرار به، ومحتمل أن يكون الطعام الذي كان حلالًا على إسرائيل وحرَّمه إسرائيل على نفسه، ويحتمل أن يكون أمر رجم الزاني والزانية، إلى غير ذلك، وكل ذلك محتمل فكله قد دُعي اليهود إلى التحاكم إلى التوراة فيه فأعرضوا، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: البشارة تكون في الخير وبالخير فهل تطلق البشارة على التبشير بالشر أيضًا؟

ج: نعم قد تكون البشارة بالشر أيضًا إلا أنها إذا أطلقت فإنها تحمل على التبشير بالخير، ومن أمثلة إطلاق البشارة على التبشير بالشر: قول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]، وقول النبي ﷺ: «**وحيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار**»[(١)].

❀ ❀ ❀

س: سوء المعتقد يَجرُّ إلى سوء العمل وضح ذلك؟

---

(١) أخرجه ابن ماجة حديث (١٥٧٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وهو صحيح بمجموع طرقه، وانظر تخريجه في كتابنا «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» (ط. دار ابن عفان).

MostafaLabwy.com

ج: نعم سوء المعتقد يجر إلى سوء العمل، فلما اعتقد اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه تجرأوا على اقتراف الكبائر والمعاصي، ولما اعتقد اليهود أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات[1]، جرأهم هذا الاعتقاد على انتهاك الحرمات وقتل النبيين بغير حق والإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

❁ وهؤلاء الخوارج لما بنوا معتقدهم الفاسد على تكفير المصر على المعصية حملهم ذلك على سلب أموال المسلمين وسبي نسائهم وانتهاك حرماتهم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: هل يجوز التسمي بملك الأملاك؟ وما هي الآية التي يُفترض أن يأتي عند تفسيرها هذا البحث؟

ج: لا يجوز التسمي بملك الأملاك؛ لحديث رسول الله ﷺ: «**إن أخنع اسم عند الله ﷻ رجل تسمى بملك الأملاك**»[2].

أما الآية التي يفترض أن يأتي عندها هذا البحث فقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ

---

(١) روى ابن جرير (٦٧٨٦) بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] قالوا: لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا. قال الله ﷻ: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤] أي: قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

MOSTAFAADAWY.COM

ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

❁ ❁ ❁

س: كيف يولج الليل في النهار، والنهار في الليل، وما هي الأقوال في إخراج الحي من الميت، والميت من الحي؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

❁ تخرج المؤمن من صلب الكافر، وتخرج الكافر من صلب المؤمن، فالكافر ميت والمؤمن حي، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقد أخرج الله إبراهيم إمام التوحيد من آذر، وآذر كافر.

❁ وأيضًا نوح مؤمن وخرج منه ولده الكافر، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] مع قول النبي ﷺ: «**الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا**»(١).

❁ وكذلك خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من صلب أبي طالب وأبو طالب كافر وهكذا.

❁ تخرج الزرع من الحب، والحب من الزرع، والنواة من النخلة، والنخلة من النواة.

❁ ❁ ❁

تخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «**أما الغلام فطبع يوم طبع كافرًا**».

MOSTAFA ABDO.com

وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء.

ومن الواضح أن هذه الأقوال ترجع لبعضها، وبالله التوفيق.

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]؟

ج: قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلمٍ بفعلٍ.

وقال قتادة[1] في تأويلها: نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين، وقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨] الرحم من

(١) أخرجه الطبري (٦٨٣٦) بإسناد حسن عن قتادة.

MOSTAFALARIF.COM

المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم إلا أن يصل رحمًا له في المشركين.

س: أذكر خمسة أدلة على تحريم اتخاذ الكافرين أولياء؟

ج: الأدلة على تحريم الكافرين أولياء كثيرة منها:

١- قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٢- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

٤- قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

❀ ❀ ❀

س: من القائل: «إنا لنكشر في وجوه أقوامٍ وقلوبنا تلعنهم»؟ وعند أية آية يُساق تفسيرها، وما معنى نكشر؟

Mostafa0w.com

ج: روي هذا عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، ويساق عند قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، ومعنى نكشر: نبتسم أو نضحك، فالكشر: هو بُدو الأسنان عند التبسم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: هل تجوز عيادة مرضى اليهود أو النصارى؟ وهل يجوز الأكل من طعامهم؟

ج: نعم يجوز ذلك فقد عاد النبي ﷺ غلامًا يهوديًّا كان يخدمه فمرض وعرض

---

(١) روي هذا عن أبي الدرداء من وجوه، وأولًا قد ذكره البخاري معلقًا في كتاب الأدب باب المداراة مع الناس (مع الفتح ١٠/ ٥٢٧) بلفظ: ويُذكر عن أبي الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم.

أما الوجوه التي رُوي منها عن أبي الدرداء فمنها ما يلي:

* طريق خلف بن حوشب عن أبي الدرداء أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٢)، وهذه منقطعة فخلف ابن حوشب ليست له رواية عن أبي الدرداء.

* طريق أبي الزاهرية عن أبي الدرداء عند البيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٦٦)، وعند الحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ١٠٣)، وفي إسناده ضعف فالأحوص بن حكيم في إسناده وقد تكلم فيه، وقد ضعف الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ إسناده.

* وروي من طريق الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء بإثبات واسطة بين أبي الزاهرية وأبي الدرداء.

وهذا أيضًا ضعيف فقيه الأحوص بن حكيم وهو ضعيف.

وهذا عند الحافظ في «التغليق» (٥/ ١٠٣).

* وروي هذا الأثر كذلك من طريق أبي صالح عن أبي الدرداء.

وفي إسناده ضعف أيضًا، وحكم عليه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٢٨) بالانقطاع، والله تعالى أعلم.

MOSTAFAADAWY.COM

عليه النبي ﷺ الإسلام[١].

وكذلك يجوز الأكل من طعامهم فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وقد أهديت لرسول الله ﷺ شاة[٢] فأجاب النبي ﷺ الدعوة.

❁ ❁ ❁

س: اذكر آيةً حاكمةً على مدعي محبة النبي ﷺ؟

ج: هي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعضًا مما يجلب محبة الله ﷻ للعبد، وما هي علامة حب الله للعبد؟

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) أخرج البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فُتحت خيبر أُهديت للنبي ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود**» فجمعوا له، فقال: «**إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟**» فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: «**من أبوكم؟**» قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم بل أبوكم فلان**»، قالوا: صدقت. قال: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال: «**مَنْ أهل النار؟**» قالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: «**اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدًا**»، ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» قالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟**» قالوا: نعم. قال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: إن كنت كاذبًا نستريح وإن كنت نبيًّا لم يضرك.

MOSTAFALABIB.COM

ج: مما يجلب محبة الله ﷻ للعبد: اتباع رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

والتقرب إلى الله ﷻ بالنوافل؛ لقول الله ﷻ -في الحديث القدسي-: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه**»(١).

وأما علامة حب الله للعبد فهي وضع القبول في الأرض، فقد قال النبي ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**»(٢).

ومن علامات ذلك أيضًا: أن يرزقه الله حب القرآن، وحب السنَّة، وحب الآخرة، وحب أعمال البر وأهل الصلاح.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: ما هو وجه الختام بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]؟

ج: وجه الختام ظاهر، والله أعلم، فإن الله سبحانه قال: ﴿﴾ [آل عمران: ٣٢].

والتولي عن طاعة الله ورسوله من صفات الكافرين، والله لا يحب الكافرين، فلا تتولوا عن طاعة الله ورسوله فتشابهوا الكفار في هذا التولي ومن ثم لا يحبكم الله ﷻ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا**.....» الحديث وفيه القدر المذكور.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣٧)، والبخاري (٧٤٨٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا.

mostafaalabw.com

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

س: ما هو وجه اصطفاء كل من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين؟ ومن المراد بآل إبراهيم وآل عمران؟

ج: أما وجه اصطفاء آدم عليه السلام فبالآتي:

١- خلقه الله بيده.

٢- سواه ونفخ فيه من روحه.

٣- أمر الملائكة بالسجود له.

٤- أسكنه جنته.

٥- جعله أبًا للبشر.

۞ ووجه اصطفاء نوحٍ عليه السلام، فإن الله سبحانه جعله أول رسول إلى أهل الأرض، وأطال الله عمره وأحسن الله عمله، وفي الحديث: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**»، وأنجاه الله عز وجل وأصحابَ السفينة، وجعلها الله آية للعالمين، وسماه الله عبدًا شكورًا، واستجاب الله دعوته على قومه، ثم هو من أولي العزم من الرسل.

۞ أما آل إبراهيم عليه السلام فقد قيل: إنهم من كانوا على دينه، وقد قيل: إنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعليه فالنبوة من بعدهم فيهم،

MOSTAFAALAWY.COM

كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ[1] بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]، ثم إننا نصلي عليهم في كل صلاة، ومن آل إبراهيم: خير البشر محمد ﷺ، وقد قيل: إن المراد بآل إبراهيم هو إبراهيم نفسه[2]، وعليه فلإبراهيم عليه السلام مناقب منها: أن الله أنجاه من النار وجعلها عليه بردًا وسلامًا، والثاني: أن الله جعله أبًا للأنبياء، وأتم الكلمات التي ابتلاه الله بها، وجعله الله إمامًا للناس، واتخذه الله خليلًا، وكانت النبوة في ذريته كما سبق.

۞ أما آل عمران فقد قيل هنا: إن المراد بعمران هو عمرن والد موسى وهارون، وعلى ذلك فآله منهم موسى وهارون، وقد اصطفى الله ﷻ موسى عليه السلام على الناس برسالاته وبكلامه.

وقيل: إن المراد بعمران هنا: عمران والد مريم عليها السلام، وعلى ذلك فوجه اصطفاء آل عمران: أن الله ﷻ جعل مريم وابنها آية للعالمين، وعلى العموم فكل المذكورين اصطفاهم الله ﷻ بالنبوة.

۞ هذا وثمَّ قول آخر في الاصطفاء بالجملة ألا وهو: إن المراد بقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ هو دين آدم ونوح، فهو دين الإسلام، وهو خير الأديان، ولا يقبل الله ﷻ دينًا سواه، لكن القول الأول أوجه، لأنه لا يحتاج إلى

---

(١) أي: كلمة التوحيد.

(٢) شاهده قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، أي: مما ترك موسى وهارون على ما ذكره عدد من العلماء، ومنه قول الشاعر:

يُلاقي من تذكر آل ليلى ... كما يلقي السليم من العِدَادِ

= أي: من تذكر ليلى نفسها، لكن رغم كل هذا، فالتفسير الذي يفيد: أنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد ﷺ أولى، والله أعلم.

Mostafadiv.com

تقدير[١]، والله تعالى أعلم.

س: من المراد بالعالمين في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]؟

ج: أشهر الأقوال في ذلك: أن المراد بالعالمين عالمي زمانهم، وقد قيل قول آخر مفاده: أن المراد بالعالمين جميع الخلق كلهم إلى يوم القيامة، والقول الأول أشهر، وعليه الأكثر ألا وهو أن المراد: عالمي زمانهم، وذلك حتى يستقيم الجمع بين الآية الكريمة وبين قوله تعالى في أمة محمد ﷺ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله** ﷻ»[٢].

۞ ونحو هذا التفسير يُفسر به قوله تعالى: في شأن بني إسرائيل-: ﴿ يَٰبَنِىٓ

---

(١) أي: أن الآية ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾، فإذا فسرت على هذا السياق أولى من أن تُفسر على أن الله اصطفى دين آدم (بتقدير كلمة دين) حيث إن الأصل عدم التقدير، ولا يصار إلى التقدير إلا إذا دعت الحاجة إليه، وإن كان المعنى الثاني صحيحًا أيضًا، والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه أحمد «المسند» (٥/ ٣)، والترمذي (حديث ٣٠٠١)، وابن ماجة (٤٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٤١٩ فما بعدها)، وابن حاتم في «التفسير» (١١٥٦)، والبغوي في «التفسير» (١/ ٣٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٥) والطبري في «التفسير» (٧٦٢٢)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٤٤٦)، وغيرهم من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا به، وإسناده حسن.

وأخرجه أيضًا الطبراني (١٠٣٠) من طريق الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعًا. وله طرق أخرى عن رسول الله ﷺ.

وبالجملة فالحديث ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ.

MOSTAFALAW.COM

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، أي: عالمي زمانهم أيضًا.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]؟

ج: المعنى والله أعلم، أن هذه الذرية بعضها ينصر بعضًا، ويؤيده ويُصدِّقه ويعاضده في الدين[1]، ويتبع منهجه في الإخلاص والتوحيد كما قال يوسف ﷺ: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، وكما قال يعقوب عليه السلام لبنيه حين حضرته الوفاة، وهو ما ذكره الله في كتابه حيث قال سبحانه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

فهي أمة متعاضدة موحدة مخلصة تتواصى بالتوحيد والإخلاص، ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، وذلك بسبب اشتراكهم في النفاق.

❁ وقيل: إن المعنى ذرية بعضها من ولد بعض، والله تعالى أعلم.

❁ أما الذرية فتطلق على الأبناء، وتطلق على الخلق، وتطلق على الصغار من الأبناء.

❁ ❁ ❁

(١) أخرج الطبري (٦٨٥٥) بإسناد حسن عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤] يقول: في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له.

MOSTAFAADEL.COM

س: ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

ج: وجه ذلك أن الله ﷻ سميع لأقوال الذين اصطفاهم، عليم بهم، حيث جعل رسالته فيهم، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فالحاصل: أن الله سبحانه إنما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم عنه الاستقامة في قوله وعمله ونيته، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: من المراد بآل محمد ﷺ؟

ج: اختلف العلماء في المراد بآل محمد على أربعة أقوال مشهورة:

❁ أولها: أن الآل (آل محمد ﷺ): هم من حرمت عليهم الصدقة[١]، ودليل هذا القول ما يلي:

١- قول النبي ﷺ: «**إنا آل محمد لا نأكل الصدقة**»[٢].

٢- قول زيد بن أرقم رضي الله عنه:.. ولكن أهل بيته (يعني: أهل بيت رسول الله ﷺ) من حُرم الصدقة بعده،... قال[٣]: وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

٣- قول النبي ﷺ: «**إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل**

---

(١) وسيأتي بيان من هم الذين حرمت عليهم الصدقة، إن شاء الله تعالى.

(٢) صحيح سيأتي.

(٣) القائل هو زيد بن أرقم رضي الله عنه.

MOSTAFALADWY.COM

لمحمد ولا لآل محمد»[(١)].

٤- قول النبي ﷺ لما ضحى بالكبش[(٢)]: «**بسم الله اللهم تقبل من محمد ومن آل محمد ومن أمة محمد**»، والعطف يقتضي المغايرة، وثمَّ أدلة أخرى لأصحاب هذا القول.

❁ **والقول الثاني**: أن آل محمد هم ذريته وأزواجه؛ لقول النبي ﷺ: «**اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته**»[(٣)]، وفي الأحاديث الأخرى: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**»[(٤)]، فالحديث الأول يفسر الثاني.

ولقول عائشة رضي الله عنها: «ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام»[(٥)]، ولقول النبي ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[(٦)]، ونحو ذلك.

❁ **والقول الثالث**: أن المراد بالآل: من هم على دينه وملته في عصره وفي سائر العصور، واستدل لذلك بقول الله ﷻ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [**غافر: ٤٦**]، وبقول النبي ﷺ: «**إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين**»[(٧)].

❁ **والقول الرابع**: أن المراد بالآل: هم الأتقياء من أمته؛ لقول النبي ﷺ: «**إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين**»، وثمَّ أدلة أخر، هذه أشهر الأقوال في تفسير الآل.

---

(١) صحيح سيأتي إن شاء الله.
(٢) صحيح سيأتي إن شاء الله.
(٣) صحيح وسيأتي إن شاء الله.
(٤) صحيح وسيأتي إن شاء الله.
(٥) صحيح وسيأتي إن شاء الله.
(٦) صحيح وسيأتي إن شاء الله.
(٧) صحيح وسيأتي إن شاء الله.

MOSTAFADIY.COM

والذي يظهر والله أعلم أن القول الأول وهو أن المراد بالآل: من حرمت عليهم الصدقة هو الأولى والأصح، وبيان ذلك يأتي عن قريب إن شاء الله، وأوسع من رأيته تكلم على هذا العلاَّمة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام»[1] ﷺ وها أنا أنقل بعون الله ما حرره ﷻ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ (جلاء الأفهام ص ١٦٤):

فصل

واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

فقيل: هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه.

والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب. فيدخل فيهم بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى بني غالب، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك، حكاه صاحب «الجواهر» عنه، وحكاه اللخمي في «التبصرة» عن أصبغ، ولم يحكه عن أشهب.

وهذا القول في الآل أعني: أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي.

والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في

---

(١) وأنظر أيضًا ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩].

Mostafa4dawy.com

«التمهيد»، قال في باب عبد الله بن أبي بكر في شرح حديث أبي حُميد الساعدي. استدل قوم بهذا الحديث على أن آل محمد هم أزواجه وذريته خاصةً، لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر، وفي غير ما حديث: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**»(١)، وفي هذا الحديث يعني: حديث أبي حميد: «**اللَّهُمَّ صلّ على محمَّدٍ وأزواجِهِ وذريَّتِهِ**»(٢)، قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته، قالوا: فجائز أن يقول الرجل لكل من كن من أزواج محمد ﷺ ومن ذريته صلى الله عليك، إذا واجهه، وصلى الله عليه إذا غاب عنه، ولا يجوز ذلك في غيرهم.

قالوا: والآل والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء، وهم الأزواج والذرية بدليل هذا الحديث.

والقول الثالث: أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقدم من روي عنه هذا القول جابر بن عبد الله، ذكره البيهقي عنه،

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (ص ١٦٥ - ١٦٦)، ومسلم (من طريقه) (٤٠٥)، والترمذي (٣٢٢٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٤)، والنسائي في «السنن» (٣/ ٤٥)، وغيرهم من طريق مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن محمد بن عبد الله بن زيد عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «**قولوا، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين = إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم**».

ولهذه اللفظة: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**» عدة طرق عن النبي ﷺ، منها ما ورد في «الصحيحين» من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦٠)، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

Mostafabadawy.com

ورواه عن سفيان الثوري وغيره، واختاره بعض أصحاب الشافعي، حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه، ورجَّحه الشيخ محيي الدين النواوي في «شرح مسلم»، واختاره الأزهري.

والقول الرابع: أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة.

فصل

في ذكر حجج هذه الأقوال، وتبيين ما فيها من الصحيح والضعيف

فأما القول الأول: وهو أن الآل مَنْ تحرمُ عليهم الصدقة على ما فيهم من الاختلاف، فحجته من وجوه:

۞ **أحدها**: ما رواه البخاري في «صحيحه»: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالنخل عند صِرَامِه، فيجيءُ هذا بتمرة وهذا بتمرةٍ حتى يصير عندَه كومٌ من تمر، فجعل الحسنُ والحسينُ يلعَبان بذلك التمر، فأخذ أحدُهما تمرةً فجعلها في فيه، فنظرَ إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه، فقال: «**أما علمت أن آل محمد لا يَأكُلونَ الصَّدقة**»[1]، ورواه مسلم وقال: «**إنَّا لا تحلُّ لنا الصدقةُ**»[2].

۞ **الثاني**: ما رواه مسلم في «صحيحه»: عن زيد بن أرقم، قال: قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا فينا بماء يُدعى خَمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وذكرَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٥)، ومسلم (حديث ١٠٦٩).

(٢) اللفظ المشار إليه عند مسلم (ص ٧٥١).

Mostafalaw.com

ووعظَ، ثم قال: «**أما بعدُ ألا أيها الناس إنما أنا بشرٌ يُوشكُ أن يأتيني رسول ربي ﷻ، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله ﷻ فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورغبَ فيه، وقال: «**وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**».

فقال له حصين بن سبرة: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عبَّاس. قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[(١)].

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة لا تحل لآلِ محمّد**»[(٢)].

❁ **الدليل الثالث**: ما في «الصحيحين»: من حديث الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها؛ أن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاءَ الله على رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صَدَقة**»[(٣)]، إنما يأكل آل محمدٍ منْ هذا المال – يعني: مال الله – ليس لهم أن يزيدوا على المأكل.

فآله ﷺ لهم خواص، منها: حرمان الصدقة، ❁ **ومنها**: أنهم لا يرثونه، ❁ **ومنها**: استحقاقهم خمس الخمس، ❁ **ومنها**: اختصاصهم بالصلاة عليهم.

وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس وعدم توريثهم مختص ببعض أقاربه ﷺ، فكذلك الصلاة على آله.

❁ **الدليل الرابع**: ما رواه مسلم: من حديث ابن شهاب، عن عبد الله بن

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٠٨).

(٢) تقدمت الإشارة إليه قريبًا، وأنه عند مسلم بلفظ قريب.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٢٥ - ٦٧٢٦)، ومسلم (١٧٥٩).

Mostafa.com

الحارث بن نوفل الهاشمي، أن عبد المطلب بن ربيعة أخبره، أن أباه ربيعة بن الحارث، قال لعبد المطلب بن ربيعة، وللفضل بن العباس رضي الله عنهما: ائتيا رسول الله ﷺ فقولا له: استعملنا يا رسول الله على الصَّدقات – فذكر الحديث – وفيه: فقال لنا: «**إن هذه الصَّدقة إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحِل لمحمدٍ ولا لآل محَمَّد**»[(١)].

الدليل الخامس: ما رواه مسلم في «صحيحه»: من حديث عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن، يطأ في سوادٍ – فذكر الحديث – وقال فيه: فأخذ النبي ﷺ الكبش، فأضجعه، ثم ذبحه، ثم قال: «**بسم الله، اللهم تقبل من محمد، وآل محمّد، ومن أمة محمّد**». ثم ضحَّى به[(٢)].

هكذا رواه مسلم بتمامه، وحقيقة العطف المغايرة وأمته ﷺ أعم من آله.

قال أصحاب هذا القول: وتفسير الآل بكلام النبي ﷺ أولى من تفسيره بكلام غيره.

فصل

وأما القول الثاني: أنهم ذريته وأزواجه خاصة، فقد تقدم احتجاج ابن عبد البر له، بأن في حديث أبي حميد: «**اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته**»[(٣)]، وفي غيره من الأحاديث: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**»[(٤)]، وهذا غايته أن يكون الأول منهما قد فسره اللفظ الآخر.

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٧٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٩٦٧).

(٣) قد تقدم.

(٤) قد تقدم.

MOSTAFAADAWY.COM

واحتجوا أيضًا بما في «الصحيحين»: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[١]. ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كل بني هاشم ولا بني المطلب؛ لأنه كان فيهم الأغنياء وأصحاب الجدة وإلى الآن. وأما أزواجه وذريته ﷺ فكان رزقهم قوتًا، وما كان يحصل لأزواجه بعد من الأموال كن يتصدقن به ويجعلن رزقهن قوتًا. وقد جاء عائشة رضي الله عنها مال عظيم فقسمته كله في قعدة واحدة، فقالت لها الجارية: لو خبيت لنا منه درهمًا نشتري به لحمًا؟ فقالت لها: لو ذكرتني فعلت.

واحتجوا أيضًا بما في «الصحيحين»: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل[٢]. قالوا: ومعلوم أن العباس وأولاده وبني المطلب لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادها.

قال هؤلاء: وإنما دخل الأزواج في الآل، وخصوصًا أزواج النبي ﷺ تشبيهًا لذلك بالسبب؛ لأن اتصالهن بالنبي ﷺ غير مرتفع، وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبي ﷺ قائم مقام النسب.

وقد نص النبي ﷺ على الصلاة عليهن، ولهذا كان القول الصحيح، وهو منصوص الإمام أحمد رحمه الله: أن الصدقة تحرم عليهن؛ لأنها أوساخ الناس، وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم، ويا لله العجب كيف يدخل أزواجه في قوله ﷺ: «**اللهم أجعل رزق آل محمد قوتًا**»[٣]، وقوله في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (حديث ١٠٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٢٣)، وانظر مسلم (حديث ٢٩٧٠).

(٣) صحيح وقد تقدم.

«الأضحية»: «**اللهم هذا عن محمد وآل محمد**»[(١)]، وفي قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بر[(٢)]، وفي قول المصلي: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد**»[(٣)]، ولا يدخلن في قوله: «**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**»[(٤)]، مع كونها من أوساخ الناس، فأزواج رسول الله ﷺ أولى بالصيانة عنها والبعد منها.

فإن قيل: لو كانت الصدقة حرامًا عليهن لحرمت على مواليهن، كما أنها لما حُرِّمتْ أن بريرة تصدق عليها بلحم فأكلته، ولم يحرمه النبي ﷺ وهي مولاة لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(٥)].

قيل: هذا هو شبهة من أباحها لأزواج النبي ﷺ.

وجواب هذه الشبهة: أن تحريم الصدقة على أزواج النبي ﷺ ليس بطريق الأصالة، وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ، وإلا فالصدقة حلال لهن قبل اتصالهن به، فهي فرع في هذا التحريم، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده، فلما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعًا، لم يقو ذلك على استتباع مواليهن، لأنه فرع عن فرع.

قالوا: وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) تقدم قريبًا.

(٥) أخرجه البخاري (٥٢٧٩) وفي غير موضع، ومسلم (ص ١١٤٣).

وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٠- ٣٤].

فدخلن في أهل البيت؛ لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن، فلا يجوز إخراجهن من شيء، والله أعلم.

فصل

وأما القول الثالث: وهو أن آل النبي ﷺ أمته وأتباعه إلى يوم القيامة.

فقد احتج له بأن آل المعظم المتبوع هم أتباعه على دينه وأمره، قريبهم وبعيدهم.

قالوا: واشتقاق هذه اللفظة تدل عليه، فإنه من آل يئول إذا رجع، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم، لأنه إمامهم وموئلهم.

قالوا: ولهذا كان قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، المراد به: أتباعه وشيعته المؤمنون به من أقاربه وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، المراد به: أتباعه.

واحتجوا أيضًا بأن واثلة بن الأسقع روى: أن النبي ﷺ دعا حسنًا وحسينًا، فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة رضي الله عنها من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوبه، ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»، قال واثلة: فقلت: يا رسول الله، وأنا

MOSTAFAADWY.COM

من أهلك؟ فقال: «**وأنت من أهلي**»[(١)]، ورواه البيهقي بإسناد جيد.

قالوا: ومعلوم أن واثلة بن الأسقع من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، وإنما هو من أتباع النبي ﷺ.

فصل

وأما أصحاب القول الرابع: أن آله الأتقياء من أمته.

فاحتجوا بما رواه الطبراني في «معجمه»: عن جعفر بن إلياس بن صدقة، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا نوح بن أبي مريم، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن أنس بن مالك، قال سئل رسول الله ﷺ: مَنْ آلُ محمد؟ فقال: «**كل تقي**»، وتلا النبيُّ ﷺ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، قال الطبراني: لم يروه عن يحيى إلا نوح، تفرد به نعيم.

وقد رواه البيهقي: من حديث عبد الله بن أحمد بن يونس، حدثنا نافع أبو هرمز، لا يَحتج بهما أحد من أهل العلم، وقد رُميا بالكذب.

واحتج لهذا القول أيضًا بأن الله ﷻ قال لنُوحٍ عن ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، فأخرجه بشركه أن يكون من أهله، فعُلِم أن آل الرسول ﷺ هم أتباعه.

وأجاب عنه الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بجواب جيد، وهو أن المراد أنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم، ووعدناك نجاتهم؛ لأن الله سبحانه قال له قبل ذلك: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]، فليس ابنه من أهله الذين ضمن نجاتهم.

قلت: ويدلُّ على صحة هذا أن سياقَ الآية يدلُّ على أن المؤمنين قسمٌ غيرُ أهله

(١) «سنن البيهقي» (٢/ ١٥٢).

MOSTAFAADIB.COM

الذين هم أهله؛ لأنه قال سبحانه: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود: ٤٠]، فمن آمن معطوف على المفعول بالحمل، وهم الأهل والاثنان من كل زوجين.

واحتجوا أيضًا بحديث واثلة بن الأسقع المتقدم، وتخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به، وكأنه جعل واثلة في حكم الأهل تشبيهًا بمن يستحق هذا الاسم.

فهذا ما احتجَّ به أصحاب كل قول من هذه الأقوال.

والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني. وأما الثالث والرابع فضعيفان؛ لأن النبي ﷺ قد رفعَ الشبهة بقوله: «**إن الصَّدقةَ لا تحلُّ لآلِ محمَّد**»(١)، وقوله: «**إنما يأكلُ آلُ محمَّدٍ مِنْ هَذا المال**»(٢)، وقوله: «**اللَّهم اجعلْ رزقَ آلِ محمَّد قُوتًا**»(٣)، وهذا لا يجوز أن يُرادَ به عموم الأمة قطعًا. فأولى ما حُمل عليه الآل في الصَّلاة الآل المذكورين في سائر ألفاظه، ولا يجوزُ العدولُ عن ذلك، وأما تنصيصُه على الأزواج والذرية، فلا يدلُّ على اختصاص الآل بهم، بل هو حجَّة على عدم الاختصاص بهم؛ لما روى أبو داود من حديث نعيم المجمر، عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصَّلاة على النبي ﷺ: «**اللَّهم صلِّ على محمّدٍ النبيِّ وأزواجه أمَّهاتِ المؤمنين، وذُريَّته، وأهل بيته، كما صَلَّيْتَ على إبراهيم**»(٤)، فجمعَ بين الأزواج والذرية والأهل، وإنما نصَّ عليهم بتعيينهم ليبيِّن أنه حقيقون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحقُّ من دخل فيه، وهذا كنظائره من عطف

---

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٧٢٦)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) صحيح وقد تقدم.

(٤) أخرجه أبو داود (٩٨٢).

الخاص على العام، وعكسه، تنبيهًا على شرفه، وتخصيصًا له بالذكر من بين النوع، لأنه من أحق أفراد النوع بالدخول فيه، وهنا للناس طريقان:

۞ أحدهما: أن ذكر الخاص قبل العام أو بعده قرينة تدلُّ على أن المراد بالعام ما عداه.

۞ **والطريق الثاني**: أن الخاص ذكر مرتين مرة بخصوصه ومرة بشمول الاسم العام له تنبيهًا على مزيد شرفه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وأيضًا فإن الصلاة على النبي ﷺ حقٌّ له ولآله دون سائر الأمة، ولهذا تجبُ عليه وعلى آله عند الشافعيِّ رحمه الله وغيره كما سيأتي، وإن كان عندهم في الآل اختلاف، ومن لم يوجبها فلا ريب أنه يستحبُّها عليه وعلى آله، ويكرهُها أو لا يستحبُّها لسائر المؤمنين، أو لا يُجوِّزُها على غير النبي ﷺ وآله، فمن قال: إن آله في الصَّلاة هم كالأمة، فقد أبعد غاية الإبعاد.

وأيضًا فإن النبي ﷺ شرع في التشهد السلام والصلاة، فشرع في السلام تسليم المصلِّي على الرسول ﷺ أولًا وعلى نفسه ثانيًا، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثًا، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**فإذا قُلتُم ذلك فقد سَلَّمتُم على كلِّ عبدٍ صالح في السَّماءِ والأرض**»[1]، وأما الصَّلاة فلم يشرعها إلا عليه وعلى آله فقط، فدلَّ على أن آله هم أهلُه وأقاربُه.

وأيضًا فإن الله سبحانه أمرنا بالصَّلاة عليه بعد ذكر حقوقه وما خصَّه به دون

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١) وفي عدة مواضع من «صحيحه». ومسلم (٤٠٢) ولفظه «**فقد أصبتم**...».

أمته من حِلِّ نكاحه لمن تَهَبُ نفسَها له، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة بعده، ومن سائر ما ذُكر مع ذلك من حقوقه وتعظيمه وتوقيره وتبجيله.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهنَّ آباءَهنَّ وأبناءهن ودخولهم عليهن، وخلوتهم بهن، ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته، وهو أمرُهم بصلاتهم عليه وسلامه، مستفتحًا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو ملائكتُه يُصلُّون عليه، فسأل الصحابةُ رسول الله ﷺ: على أي صفة يُؤدُّون هذا الحقَّ؟ فقال: «**قولوا اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد**»(١)، فالصَّلاة على آله هي من تمام الصَّلاة عليه وتوابعها، لأن ذلك مما تقُّر به عينُه، ويزيدُه الله به شرفًا وعُلوًّا. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا.

وأما من قال إنهم الأتقياء من أمته، فهؤلاء هم أولياؤهُ، فمن كان منهم من أقربائه فهو من آله، ومن لم يكن منهم من أقربائه، فهم من أوليائه، لا من آله، فقد يكون الرجل من آله وأوليائه، كأهل بيته والمؤمنين به من أقاربه، ولا يكون من آله ولا من أوليائه، وقد يكون من أوليائه وإن لم يكن من آله، كخلفائه في أمته الداعين إلى سنته، الذَّابِّين عنه، الناصرين لدينه، وإن لم يكن من أقاربه. وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا إنَّ أبي فُلان ليسوا لي بأولياء، إنْ أَوْلِيَائِي المتَّقونَ أينَ كانُوا ومَنْ كَانُوا**»(٢)، وغلط بعض الرواة في هذا الحديث وقال: «**إنَّ آل أبي بياض**».

والذي غرَّ هذا أن في الصحيح: «**إن آل بني.... ليسوا لي بأولياء**»، وأخلى

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ألا إن آل أبي (فلان) ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله صالح المؤمنين**».

بياضًا بين «بني» وبين «ليسوا» فجاء بعضُ النسَّاخ فكتب على ذلك الموضع «بياض» يعني أنه كذا وقع، فجاء آخر فظنَّ أن «بياض» هو المضاف إليه، فقال: بني بياض، ولا يُعرف في العرب بنو بياض، والنبيُّ ﷺ لم يذكر ذلك، وإنما سمَّى قبيلة كبيرة من قبائل قريش، والصَّوَابُ لمن قرأها في تلك النسخ أن يقرأها إن آل بني «بياض» بضم الضاد من بياض لا بجرِّها. والمعنى: وثمَّ بياضٌ، أو هنا بياضٌ.

ونظير هذا ما وقع في كتاب مسلم في حديث جابر[١] الطويل: «ونحن يوم القيامة – أي: فوق كذا انظر –»، وهذه الألفاظ لا معنى لها هنا أصلاً، وإنما هي من تخليط النُّسَّاخ، والحديث بهذا السند والسياق في «مسند الإمام أحمد»: «**ونحنُ يومَ القيامة على كومٍ أو تَلٍّ فوقَ النَّاس**»[٢]، فاشتبهَ على الناسخ التَّلُّ أو الكَوْمُ، ولم يفهم ما المراد فكتبَ في الهامش «انظر»، وكتبَ هو أو غيره «كذا» فجاء آخر فجمع بين ذلك كله وأدخله في متن الحديث، سمعته من شيخنا أبي العباس أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمقصود: أن المتقين هم أولياءُ رسول الله ﷺ، وأولياؤه هم أحبُّ إليه من آله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، وسُئل النبيُّ ﷺ أيُّ الناس أحبُّ إليكَ؟ قال: «**عائشة**» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قيل: مِنَ الرِّجال؟ قال: «**أبوها**»[٣] متفق عليه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١) وفيه أن جابرًا سئل عن الورود فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٥) وفي إسناده ابن لهيعة وفيه مقال.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث ابن عمرو مرفوعًا.

Mostafadwr.com

وذلك أن المتقين هم أولياءُ الله كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وأولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أولياء لرسوله ﷺ.

وأما عن زعم أن الآل هم الأتباع، فُيقال: لا ريبَ أن الأتباعَ يُطلق عليهم لفظ «الآل» في بعض المواضع بقرينة، ولا يلزم من ذلك أنه حيث وقع لفظ «الآل» يُراد به الأتباع، لما ذكرنا من النصوص، والله أعلم.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

س: هل ورد لامرأة فرعون اسم صحيح؟

ج: لم أقف على شيء صحيح عن رسول الله ﷺ يفيد ذلك ولكن أهل التفسير ذكروا أن اسمها حنَّة بنت فاقوذ، والله تعالى أعلم.

MostafaBarry.com

س: ما وجه قول امرأة عمران: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]، وهل يصح مثل هذا النذر؟

ج: في الغالب – كما ذكر بعض أهل العلم – أن المرء إنما يريد ولده للأنس به والاستنصار والتسلي، ومنهم من يريده كي يُذكر به بعد موته وأن يستغفر له كذلك، فكان من شأن امرأة عمران لما منَّ الله ﷻ عليها بالحمل أنها نذرت أن حظها به من الأُنس متروك لله ونصيبها منه متروك لخدمة بيت الله ﷻ، ومثل هذا النذر صحيح، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما هو وجه ختام قول امرأة عمران بـ ﴿إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]؟

ج: وجه ذلك أنها لما نذرت ما في بطنها لله ﷻ توسلت إلى الله بأسمائه التي تتوافق مع حالها، فقالت: إنك أنت السميع (أي: لأقوالي ودعائي وتضرعي إليك)، العليم (بنيتي وضميري وما يدور في نفسي وخلدي) والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: أهل الخير والصلاح وأهل التُّقي والإيمان يعملون أعمالاً صالحة ولا يغترون بها بل يسألون الله القبول، وأهل الشر والفساد والكفر والنفاق يرتكبون الكبائر ويدَّعون ولاية الله ﷻ لهم ومغفرته لذنوبهم، وضح ذلك؟

ج: نعم أهل الخير والصلاح وأهل التقي والإيمان يعملون الصالحات

MostafaLabw.com

ويسألون الله القبول، فهذا هو الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

❁ وهذه امرأة عمران تقول: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

❁ وهؤلاء عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ومع ذلك يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

❁ وهذا هو عبد صالح ﴿قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ مع ذلك ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

❁ وهذا المُحدَّث الملهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما فعل من خير ويقول: (وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي)[1].

❁ وهؤلاء أهل التقي والإيمان بصفة عامة، يقول الله عز وجل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠][2].

❁ أما أهل الشر والفساد والكفر والنفاق فيعلمون السيئات بل ويرتكبون أكبر الكبائر من إشراك بالله وقتلٍ وزنا و....، ولا يبالون ولا يهتشون.

❁ فهؤلاء اليهود والنصارى ينقضون العهود والمواثيق ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١]، ويدعون لله الولد والشريك ومع ذلك كله يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) وسيأتي لذلك مزيد عن هذه الآية الكريمة إن شاء الله عز وجل.

وكما قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩].

❀ ❀ ❀

س: من أي أنواع النذر قول امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]؟

ج: الذي يظهر لي أن هذا النذر نذر ابتداء، وليس نذر عوض، وذلك لأنه لم يرد سبب صحيح لهذا النذر، والعلم عند الله ﷻ.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦] أحد الوجوه فيه أن امرأة عمران هي قائلته، وذكره الله ﷻ حكاية عنها، فهل في هذا النص تفضيل الذكر على الأنثى؟ وإذا كان كذلك فكيف نجمع بينه وبين قول الله ﷻ: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ [النساء: ١١]؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: في القوة والجلادة والصبر والمقدرة على خدمة المسجد، وهذا الذي أرادته امرأة عمران بنذرها، فإن كان ثمَّ تفضيل للذكر على الأنثى في هذا المقام فهو في هذا الجانب جانب القوة والجلد وخدمة المسجد:

وثم أوجه أُخر لتفضيل الذكور على الإناث ليس محلها هنا، منها: قوامة الرجل على المرأة، وكون الأنبياء والرسل عليهم السلام رجالًا و.....

MOSTAFALADAWY.COM

۞ أما قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] فقد يحمل على النفع في الآخرة، فبقيام الرجل على بناته وإحسانه تربيتهن يأتي مع رسول الله ﷺ كما قال عليه السلام: «**من عال جاريتين حتى تبلغا؛ جاء يوم القيامة أنا وهو** (وضم أصابعه)»[(١)]، وقد يكون النفع في الدنيا أيضًا، فكم من رجل انتفع ببناته، وكنَّ سببًا لسعادته في الدنيا، وكم من رجل أُرهق طغيانًا وكفرًا بسبب بنيه الذكور، ولا يخفى في الباب حديث الطفل الرضيع الذي كانت ترضعه أمه، وحديثه في «الصحيحين»[(٢)] وفيه: «**وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل، فمر رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه يمصه** – قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه – **ثم مرَّ بأمةٍ، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبارة، وهذه الأمة يقولون: سرقتِ زنيتِ ولم تفعل**»[(٣)].

❀ ❀ ❀

س: متى تشرع تسمية المولود؟ وما الدليل على ذلك؟

ج: تشرع تسمية المولود فور ولادته، وذلك لقول امرأة عمران حين وضعت مريم عليها السلام: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، ولما صح عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (ص ١٩٧٦ – ١٩٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) وفي رواية: «**وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل**».

MOSTAFAADAWY.COM

قال: «**ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم**»(١). ولما ثبت من أن أنس بن مالك رضي الله عنه ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله(٢).

❁ وثبت أيضًا أن رجلًا قال: يا رسول الله وُلد لي الليلة ولد فما أُسميه؟ قال: «**سم ولدك عبد الرحمن**»(٣).

وثبت – أيضًا – أن أبا أسيد ولد له ولد فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فذهل عنه فأمر به أبوه فرده إلى منزلهم، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس سماه المنذر(٤).

❁ ويجوز لمن توقع أن يرزق بولد أن يسميه قبل ولادته تيمنًا أو استبشارًا أو نحو ذلك، قال الله سبحانه: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ **[هود: ٧١]**.

❁ وأيضًا يجوز أن يؤخر الاسم إلى اليوم السابع من ولادة الطفل لحديث: «**كل غلام رهين بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويسمى ويحلق رأسه**»(٥) وأيضًا تجوز التسمية بعد السابع لعدم ورود نهي عن ذلك، ولعدم ورود أمر بتحديد وقت التسمية، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما هي التعوذات المشروعة التي ينبغي أن يفعلها الرجل لحفظ بنيه؟ والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين؟

(١) أخرجه مسلم (ح ٢٣١٥)، وأبو داود (٣١٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٣/ ١٦٨٤)، وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.
(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٦١٩١)، ومسلم (٢١٤٩) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٨٣٨) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFAADAWY.COM

ج: لحفظ الطفل تشرع جملة من التعوذات منها:

❁ قبل الولادة عند جماع الرجل لزوجته فليقل: «**بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قُدِّر في ذلك، أو قُضي ولدٌ لم يضره شيطان أبدًا**»(١).

❁ **ومنها**: عند الولادة لقول امرأة عمران لما وضعت مريم عليها السلام: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

❁ **ومنها**: الاستمرار في تعويذهم عند طفولتهم لما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: «**إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»(٢).

❁ **ومنها**: كف الصبيان وحفظهم عند المساء لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في «الصحيحين» وفيه: أن النبي ﷺ يقول: «**إذا ان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، فأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله وخمِّروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا،**

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٨)، ومسلم (مع النووي ١٠/ ٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٤٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

Mostafa Adly.com

وأطفئوا مصابيحكم»[(١)].

❁ وتعليمهم سائر الأذكار التي يحفظهم الله ﷻ بها[(٢)].

❁ ❁ ❁ ❁

س: قول رسول الله ﷺ: «أما إن أحدهم إذا أتى أهله فقال: اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدًا» كيف تفهم هذا الحديث في ظل الواقع الذي نعيشه؟ فقد يقول شخص: هذا الدعاء عند الجماع ويرزق بولد، ولا بد أن يصدر من هذا الولد – يومًا ما – عصيان، ولابد وأن يأتي – يومًا ما – بذنب لقول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا الذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[(٣)]، ولقول النبي ﷺ: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزنها النظر....»[(٤)] الحديث أو بتعبير آخر كيف تجمع بين الحديث الأول «أم إن أحدهم» والأحاديث المذكورة؟س

ج: المراد – والله تعالى أعلم –: أن الشيطان لا يتسلط عليه ويوقعه في الشرك

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٨٨)، ومسلم (مع النووي ١٣/ ١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) انظر رسالة لي في هذا الشأن اسمها: «العواصم من الشيطان».

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه». هذا أحد ألفاظ مسلم.

MOSTAFALADAWY.COM

فهو – أي إبليس – وإن أوقعه في بعض الذنوب لكن لا يوقعه – بإذن الله – في الشرك، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل ترى أن دعوة امرأة عمران: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] استجيبت؟ وضح ذلك؟

ج: نعم، نرى – والله أعلم – أن دعوة امرأة عمران استجيبت، فقد رزقها الله ﷻ بمريم عليها السلام، التي اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وجعلنا وابنها آية للعالمين، وثبت عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه**» ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1] [آل عمران: ٣٦].

قال القرطبي رحمه الله في «التفسير»: قال علماؤنا: فأفاد هذا الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء؛ إلا مريم وابنها، قال قتادة: كل مولود يطعن الشيطان في جنبه حين يولد غير عيسى وأمه، جُعل بينهما حجاب فأصابت الطعنة الحجاب، ولم ينفذ لهما منه شيء، قال علماؤنا: وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما، ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال الممسوس وأغواؤه، فإن ذلك ظن فاسد فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك فعصمهم الله مما يرومه الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر:

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa Adly.com

٤٢]، [الإسراء: ٦٥]، هذا مع أن كل واحد من بني آدم قد وكِّل به قرينه من الشيطان، كما قال رسول الله ﷺ. فمريم وابنها فإن عصما من نخسة الشيطان فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته. والله أعلم.

قلت: والذي يظهر لي أن الله ﷻ أمدهما بمزيد حفظ، فإن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه – باستثناء نبينا محمد ﷺ – حينما دُعوا إلى الشفاعة ذكروا ذنوبًا، فلما أتوا عيسى عليه السلام لم يذكر ذنبًا، وقال: اذهبوا إلى محمد ﷺ، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: يفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] أن امرأة عمران قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ بعد ولادة مريم عليها السلام، وهذا شيء والشيء الآخر أن أبا هريرة رضي الله عنه لما ذكر حديث رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد؛ فيستهل صارخًا من مَسِّه إياه؛ إلا مريم وابنها»(١)، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فقد يفهم من هذا الشيء الآخر أن الاستدلال لا يتم لأبي هريرة رضي الله عنه؛ لأن امرأة عمران قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ بعد الوضع، والشيطان إنما يطعن عند الوضع فمن ثَمَّ لا يتم لأبي هريرة رضي الله عنه استدلاله الذي استدل به!! علِّق على هذا الكلام؟

ج: ابتداءً قد ورد عن رسول الله ﷺ ما قد تقدم من حفظ الله ﷻ لمريم وابنها

(١) صحيح وتقدم قريبًا.

mostafawy.com

عند وضع مريم لعيسى عليه السلام ، وهذا الذي قد يبدو أنه إشكال أثير بتصرف في تفسير «فتح البيان في مقاصد القرآن»[(١)]، ونقله عن غيره ولم يوفق الذي أثره بإثارته إذ قد فهم الأمر على غير وجهه كما سنبينه إن شاء الله وتعالى قال رحمه الله[(٢)]: وفي المقام إشكال قوي لم أر من نبه عليه، وحاصله أن قولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ معطوف على ما قبله الواقع في حيز لما وضعتها فيقتضي أن طلب هذه الإعاذة إنما وقع بعد الوضع؛ فلا يترتب عليه حفظ مريم من طعن الشيطان وقت نزولها وخروجها من بطن أمها، فلا يتلاقى الحديث مع الآية، بل مقتضى ظاهر الآية أن إعاذتها من الشيطان، إنما كان بعد وضعها، وهذا لا ينافي تسلط الشيطان عليها بطعنها ونخسها وقت ولادتها الذي هو عادته، فإن عادته طعن المولود وقت خروجه من بطن أمه، تأمل، قاله سليمان الجمل.

قلت: كذا قال، وكأنه فهم – غفر الله له – أن المراد بقوله عليه السلام : «**إلا مريم وابنها**» أن مريم حفظت هي وامرأة عمران عندما وضعتها امرأة عمران، وكذلك حفظ عيسى عليه السلام وأمه حينما وضعته أمه، وهذا الذي فهمه أولًا ليس بجيد إنما المراد – والله أعلم – بقوله عليه السلام : «**إلا مريم وابنها**» أي: إلا مريم عند ولادتها لابنها، وليس فيه تعلق بامرأة عمران ولا تعرض لها، ومن ثَمَّ لا إشكال، لأن امرأة عمران لما وضعت مريم قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] فأعاذ الله ﷻ مريم وابنها عند ولادتها من الشيطان الرجيم، فذهب يطعن فطعن في الحجاب على ما ورد في الحديث، والله ﷻ أعلم.

وما كان ينبغي لهذه الشبهات أن تطرح بدون جواب عليها، ولو أمعن كاتبها

---

(١) «تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن» لصاحبه صديق حسن خال.

(٢) ختمت هذه المقالة بقوله: قاله سليمان الجمل كما سترى.

Mostafa Adwy.com

النظر لتبين له خطؤه عفا الله عنه.

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الكرامات التي يكرم الله ﷻ بها أولياءه في الدنيا؟

ج: تلك كرامات لا تنتهي، يكرم الله بها الأنبياء والصالحين في الحياة الدنيا.

❁ فأغرق الله ﷻ الأرض بمن عليها؛ إلا نوحًا عليه السلام ومن آمن به كرامة لنوح عليه السلام، وانتقامًا من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥].

❁ وجعل الله ﷻ النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

❁ وفدى الله إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم.

❁ وأيد الله ﷻ موسى بالآيات البينات التسع، وأغرق الله فرعون وآله إكرامًا لموسى عليه السلام.

❁ وشفى الله ﷻ أيوب بعد مرض لبث به ثمانية عشر سنة وعجز الأطباء عن علاجه، وأنزل الله عليه جرادًا من ذهب وجرادًا من فضة، فأغناه الله ﷻ، ورد عليه عافيته لما اغتسل بالماء البارد[1] وشرب منه ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

❁ وسخر الله ﷻ لداود الجبال يسبحن معه والطير، وعلمه الله صنعة لبوس، وألان له الحديد.

---

(١) أخرجه ابن حبان (موارد ٢٠٩١)، وأبو يعلي الموصلي (٦/ ٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٥٨١) من حديث أنس رضي الله عنه بإسناد صحيح.

❁ وسخر الله لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناءٍ وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد.

❁ أما مريم عليها السلام فكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد رزق الله عندها، وولدها عيسى عليه السلام جعله الله معها آية للعالمين، وكان عليه السلام يبريء الأكمة والأبرص بإذن الله ويحيى الموتى بإذن الله وينبيء القوم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بما علمه الله إياه.

❁ أما ما أيد الله به رسوله محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلا يكاد يحصى، فأيده الله ﷻ بالقرآن المعجزة التي لا تنتهي إلى قيام الساعة، وأسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى السماء السابعة، وشق القمر على عهده آية له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحنَّ الجذع له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتأدب الحيوان معه، وأذعنت الأشجار إليه، وسلمت الأحجار عليه، وبورك له في الماء القليل، وكَثَّر الله له الطعام اليسير، وسبح الطعام على عهده ﷺ، وشفى الله الأمراض المستعصية على يديه بدون دواء حسي، وأعلمه الله بأمور لم تكن وقعت فوقعت، كما أخبر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأمور وقعت بعيدًا عنه فأخبر بها فور وقوعها، وحفظه الله، وآتاه الله ﷻ قوة في بدنه فكان يطوف على تسع نسوة في ليلة واحدة[1]، وأظهر الله دينه وأعز أولياءه، وأكرم أصحابه ببركة اتباعهم له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

❁ فشرب خالد السمَّ فلم يضره.

❁ وأضاءت العصى لأُسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما، وسلمت الملائكة على عمران بن حصين رضي الله عنه.

---

(١) انظر كل هذه مطولة في: «الصحيح المسند من دلائل النبوة» لشيخنا مقبل الوادعي حفظه الله، وكلها صحيحة.

MostafaAbdy.com

❁ ورزق الله خبيبًا، وحمى عاصمًا ببركة إيمانهما وتصديقهما لرسول الله ﷺ.

❁ وتنزلت الملائكة على أسيد بن حضير لتلاوته القرآن الذي نزل على رسول الله ﷺ(١).

إلى غير ذلك من الكرامات التي أكرم الله ﷻ بها أولياءه رحمهم الله.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧]؟

ج: أما معنى قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: أن الله ﷻ تقبلها من أمها لما نذرت ما في بطنها، ورضيها وفاءً للنذر الذي نذرته، وسلك الله بها مسلك السعداء وطريق الأتقياء.

❁ أما قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فالمراد: أنه سبحانه سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، وأعطاها منظرًا جميلًا وحُسنًا وبهاءً، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]؟

ج: المعنى: أن الله ﷻ جعله كافلًا لها، وقيل: ضمها إليه(٢).

❁ ❁ ❁

(١) انظر تلك الأحاديث في كتابنا: «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»، وكلها صحيحة.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري (٦٩٠٤) بإسناد حسن إلى قتادة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه.

MOSTAFALAWY.COM

س: ما معنى المحراب؟

ج: المحراب هو: صدر المجلس، وهو أكرم موضعٍ فيه.

❀ ❀ ❀

س: ما هي درجة القرابة بين يحيى وعيسى عليهما السلام ؟

ج: يحيى وعيسى عليهما السلام ابنا خالة لما ورد في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال في حديث المعراج: «**فإذا أنا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة**»(١).

❀ ❀ ❀

س: كيف توجه قول من قال: إن امرأة زكريا كانت خالة مريم؟

ج: هذا القول في حالة ثبوته يمكن توجيهه بأن يقال: إن خالة الأم يطلق عليها خالة أيضًا، وعلى ذلك يكون يحيى ومريم ابني خالة، ومن ثم يكون يحيى وعيسى ابني خالة لكون يحيى ابن خالة أمه مريم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما مدى صحة حديث: «الخالة بمنزلة الأم» وما مناسبته؟

ج: الحديث ثابت صحيح، ومناسبته: أن عليًّا وجعفر بن أبي طالب وزيد بن

---

(١) وهو في مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (حديث ١٦٢)، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما**».

MOSTAFALADWI.COM

حارثة اختصموا في ابنة حمزة من يكفلها، فقضى النبي ﷺ أن تكون عند خالتها (امرأة جعفر) وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**»(١).

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالرزق في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]؟

ج: ذهب فريق من العلماء إلى أن المراد بالرزق (فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء)(٢)، وذهب آخرون إلى أن المراد بالرزق: العلم، والقول الأول عليه أكثر العلماء، لكن تقييد الرزق بأن يكون فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف يحتاج إلى الدليل، والآية تفيد أعم من ذلك، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: هل صحيح أن مريم وفاطمة كانتا لا تحيضان؟

ج: لم نقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ في ذلك؛ والأصل أنهما كسائر بنات آدم، وقد قال النبي ﷺ لعائشة لما حاضت: «**هذا شيء كتبه الله على بنات آدم**»(٣). ومن المعلوم أن مريم وفاطمة يدخلان في بنات آدم، وعليه فالقول بأنهما تحيضان أولى من القول بأنهما لا تحيضان، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) وهذا قول جمهور المفسرين.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢)، ومسلم (ص ٨٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

MOSTAFADAW.COM

س: اذكر طرفًا من فضل مجالسة الصالحين؟

ج: مما ورد في ذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله ﷻ ملائكة سيارة فضلًا يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا بينهم وبين سماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله ﷻ – وهو أعلم بهم –: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رةأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربِّ فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[(١)].

❁ وورد في ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (حـ١٧/ ص ١٤ مع النووي) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وأخرجه البخاري من طريق آخر أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا أيضًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠١)، (٥٥٣٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما يحذيك، وأما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد =

❁ وفي التنزيل: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

❁ وقد منَّ الله ﷻ على مريم عليها السلام لما كلفها زكريا عليه السلام فتربت في بيت نبوة ونشأت فيه، فاقتبست من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما منَّ الله ﷻ عليها بالرزق ورأى ذلك زكريا عليه السلام استفاد هو الآخر من ذلك فدعا ربه قائلًا: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٨، ٣٩]، فاستفاد كل منهما من الآخر.

❁ وبمجالسة الصالحين يرزق الله العبد محبتهم، ومن أحب قومًا حُشر معهم.

❁ وبمجالسة الصالحين نقتبس من أخلاقهم وطيب نجواهم التي يتناجون فيها بالبر والتقوى، والأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، ومن ثَمَّ يؤتينا الله أجرًا عظيمًا.

❁ وبمجالستهم تسمع آذاننا الخير، وترى أبصارنا المعروف، وتخطو أرجلنا إلى الإحسان.

❁ ألا ترى أن أصحاب رسول الله ﷺ هم خير القرون وخير الناس لصحبتهم لخير ولد آدم محمد ﷺ.

❁ ألا ترى أن التابعين لصحبتهم أصحاب رسول الله ﷺ كانوا خير الناس بعد الصحابة.

❁ وإذا انتقلنا نقلة بعيدة نرى أنه حتى المنافقين (الذين هم أهل كفر ونفاق) مما يسكنون مدينة رسول الله ﷺ أقل في نفاقهم من أهل النفاق البعيدين عن مدينة رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا

=منه ريحًا خبيثة».

MOSTAFALADY.COM

حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٩٧] أي: أشد كفرًا ونفاقًا من منافقي المدينة على وجه الإجمال كما ذكره بعض العلماء.

❁ وكذلك النصارى الذين يساكنون المسلمين في ديارهم أقل كفرًا من النصارى الذين يساكنون الملاحدة مثلًا، فترى النصراني الذي يسكن بلاد المسلمين يستحي مثلًا من الزنا، بينما النصراني الذي يساكن الملاحدة لا يكاد يلتفت إلى إثم الزناة، ولا يجد في نفسه أدنى حياء عند اقترافه لهذه الكبيرة، وهكذا والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: هل يستحب طلب الولد ومن ثمَّ النكاح أم لا؟ اذكر أدلة على ذلك؟

ج: نعم يستحب طلب الولد ومن ثمَّ النكاح، والأدلة على ذلك كثيرة، منها ما يلي:

١- قول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل

Mostafalaw.com

عمران: ٣٨].

٢- قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

٣- قول عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

٤- قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

❁ ❁ ❁

س: قد يستدل جاهل على أن الملائكة إناث بقول الله ﷻ: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [آل عمران: ٣٩]، فكيف يُوجَّه هذا؟

ج: هذا استدلال لا يصح، فابتداءً أنكر الله ﷻ على المشركين مقالتهم التي قالوها، وزعموا فيها أن الملائكة إناث.

❁ قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] ثم إن العرب تقول: قال الرجال، وقالت الرجال.

وقد قال الله سبحانه: ﴿ ❁ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ [الحجرات: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣].

وقال ﷻ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALAWY.COM

س: قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩] هل المراد عموم الملائكة نادوه عليه السلام أم بعضهم؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الذي ناداه هم عموم الملائكة لظاهر الآية الكريمة، بينما ذهب آخرون إلى أن الذي ناداه هو جبريل عليه السلام، وقد تطلق الملائكة ويراد بعضهم كما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] فالمراد بالملائكة جبريل عليه السلام عند فريق من العلماء، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩] فضل الجلوس في المواطن الصالحة وضح ذلك؟

ج: نعم فيها فضل الجلوس في المواطن الصالحة، فالملائكة لم تنادِ زكريا عليه السلام وتبشره بيحيى في سوق من الأسواق، ولا في خلاء لقضاء الحاجات، ولا في ناد للعب، ولا في المسرح، ولا في شارع من الشوارع، بل نادته وهو قائم يصلي في المحراب، ففيه فضل المسجد وأن الخير يتنزل فيه، وقد قال النبي ﷺ: «**والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه، تقول: اللهم أغفر له، اللهم ارحمه... ما لم يُحدث ما لم يؤذ**»(١).

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه....**».

Mostafalaw.com

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]؟

ج: أما قوله كلمة من الله فهو: عيسى عليه السلام، والمعنى – والله أعلم –: أن يحيى عليه السلام يصدق بعيسى عليه السلام، أي: أنه يؤمن به وبرسالته، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا أطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله؟

ج: أطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله لأمور:

منها: أنه خلق بكلمة كن.

❁ ومنها: أن معنى كونه كلمة من الله أي معجزة من الله.

❁ ومنها: أنه كان يبريء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى كلمة (سيد) وهل يجوز إطلاق ذلك على البشر؟

ج: معنى (سيد)[1] السيد من ساد قومه، وهو الذي يرجع إليه قومه، وينتهون إلى قوله، وقيل: السيد هو الكريم، وقيل: هو الفقيه العالم، وقيل: هو الشريف في العلم والعبادة، ويجوز تسمية الإنسان سيدًا.

❁ لقول الله ﷻ في شأن يحيى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

❁ وقال النبي ﷺ لأصحابه يوم بني قريظة لما قدم سعد بن معاذ رضي الله عنه:

---

(١) وصح عن قتادة أنه قال: (وسيدًا) إي والله لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع، أخرجه الطبري بإسناد حسن (٦٩٦٦).

MOSTAFADEV.COM

«قوموا إلى سيدكم»[١].

❁ وقال النبي ﷺ في شأن الحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٢].

❁ وقال عمر رضي الله عنه في شأن أبي بكر وبلال: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)[٣].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى ﴿وَحَصُورًا﴾ وما هو الأثر الوارد عن عبد الله بن عمرو بن العاص في ذلك، وما مدى صحته؟

ج: أما الحصور ففيه أقوال:

❁ الحصور الذي لا يأتي النساء (فهو ما معه إلا مثل الهدبة)[٤].

❁ وقيل: الحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٨٠٤)، ومسلم (حديث ١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٤٦)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذي (٣٧٧٣)، والنسائي (الفضائل ٦٣)، وغيرهم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠١٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ١٦٦).

(٤) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب أنه قال: ليس أحد إلا يلقى الله عز وجل يوم القيامة ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا كان حصورًا معه مثل الهدبة (الطبري في «التفسير» ٦٩٨٢).

وصح عن عبد الله بن عمرو موقوفًا عليه نحو التفسير المذكور عن ابن المسيب للحصور، وقد روي عن ابن عمرو عن النبي ﷺ، ورجح ابن كثير أنه موقوف على ابن عمرو من قوله، وهذا الذي رجحه ابن كثير رحمه الله هو ما تطمئن إليه نفسي.

وانظر هذه المصادر: «الزهد» لأحمد (١١٤١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٨٣)، و«تفسير الطبري عند الآية المذكورة».

MOSTAFAADWAN.COM

❁ وقيل: الحصور الممنوع من الفواحش والقاذورات، فأصل الإحصار المنع.

أما أثر عبد الله بن عمرو بن العاص ففيه: (ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا)، ثم قرأ سعيد: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال: الحصور ما كان ذكره مثل ذي، وأشار يحيى (بن سعيد) القطان بطرف إصبعه السبابة.

وسنده صحيح موقوفًا، لكن لعل عبد الله بن عمرو تلقاه من الإسرائيليات، فهو معروف برواية الإسرائيليات. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن يحيى عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] فهل الصلاح أعلى أم النبوة؟

ج: الصلاح أعم من النبوة، فإذا انضم إلى الصلاح نبوة كان أعلى من الصلاح بلا نبوة، قال النبي ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**إن عبد الله رجل صالح**»[(١)]، فالصلاح هنا بلا نبوة فهو فضل؛ ولكنه أقل من الصلاح مع النبوة ولا شك، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٠ و ٣٧٤١) ومسلم (٢٤٧٨) من حديث حفصة رضي الله عنها مرفوعًا.

MostafaAdwi.com

س: بُشر زكريا عليه السلام ببشارة طيبة وهي البشارة بيحيى عليه السلام ، فهل من بشارة أخرى بُشر بها زكريا عليه السلام ؟

ج: نعم بشر زكريا عليه السلام ببشارة أخرى ألا وهي إيمان يحيي عليه السلام وعفته ونبوته وصلاحه.

❁ ❁ ❁

س: دعا زكريا عليه السلام ربه عز وجل بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] فلما بشرته الملائكة بيحيى قال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] فكيف سأل أولًا وكيف تعجب لما أجيب سؤاله ثانيًا؟

ج: لأهل العلم على ذلك أجوبة منها:

١ - أنه كان بين دعائه والوقت الذي بُشِّر فيه أربعون سنة، وهذا قول ضعيف يدُل على ضعفه أنه عليه السلام إنما سأل عند الكبر كما في سورة مريم حيث قال الله عز وجل: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٢- ٦] فدل ذلك على أنه دعا ربَّه عز وجل وهو كبير السن.

٢ - **الثاني**: أنه تعجب من سريع إجابة الله عز وجل لدعائه.

٣- **الثالث**: هل يرزق الولد من امرأته هذه، أم أنه سيتزوج بأخرى؟

٤ - **الرابع**: هل سيرد شبابًا مرة ثانية، أم أنه سيرزق بالولد على هذه الحالة من

ALMOSTAFALADY.COM

الكبر؟

٥- **الخامس**: أن زكريا عليه السلام طلب مزيدًا من الحديث للاستماع بالحديث، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى الغُلمة وعلى من يطلق الغلام؟

ج: الغلمة هي: شدة طلب النكاح، ويطلق الغلام على الصغير لهذه الآية ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] ولقول الملائكة: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣].

❁ ويطلق الغلام على من قارب الاحتلام لقول ابن عباس رضي الله عنهما: (وأنا غلام قد ناهزت الاحتلام).

❁ ويطلق على الرجل أحيانًا كقول علي الذي رُوي عنه:

أنا الغلام القرشي المؤتمن ... أبو حسين فاعلمن والحسن

وكقول ليلى الأخيلية في الحجاج:

إذا حلَّ الحجاج أرضًا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

❁ ❁ ❁

MOSTAFALAW.COM

س: ينبغي أن لا ينقطع رجاء المسلم في الله ﷻ، بل يواصل المسلم دعاء ربه ﷻ ما دامت الأمور التي يدعو الله بها مشروعة ففرج الله ﷻ قريب، وعطاؤه سبحانه لا ينتهي، وضح ذلك؟

ج: نعم، وهذا أصل عظيم من أصول الدعاء ألا وهو مواصلة الدعاء وكثرته وعدم اليأس من رحمة الله ﷻ.

۞ فهذا زكريا عليه السلام وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وبلغ من الكبر عتيًّا، ومع ذلك كله يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ورب العزة سبحانه لا يخيب دعاءه؛ بل يبشره بغلام اسمه يحيى.

۞ وهذا يعقوب عليه السلام يؤخذ ولده يوسف قرة عينه، ويُذهب به إلى غيابة الجب، ثم يُخرج منها، ويذهب به إلى بيت العزيز حتى يشب ويترعرع ويبلغ أشده، كل ذلك وهو بعيد عن أبيه ولا يعلم عنه أبوه شيئًا ولا يعرف له طريقًا، ثم تراوده امرأة العزيز عن نفسه، ثم يدخل السجن فيلبث فيه بضع سنين، ثم يُخرج من السجن ويبقى على خزائن الأرض حفيظًا عليمًا، ثم يأتي إخوانه من مصر إليه، ومع ذلك كله يقول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، فيرد الله ﷻ إليه ولده بعد طول غياب، وعقب طول سنين.

۞ وهذا نبي الله أيوب عليه السلام يلبث به بلاؤه ثمانية عشر سنة حتى يرفضه القريب والبعيد فيدعو ربه وهو يعلم أن الله ﷻ يجيب السائلين، فيقول عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فيستجيب الله ﷻ له، ويكشف ما به من ضرٍّ ويؤتيه أهله ومثلهم معهم رحمة من الله سبحانه وذكرى

MOSTAFAADEL.COM

للعابدين[١].

❁ وهذا نوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا؛ صابرًا على تكذيب قومه له وأذاهم إياه، ومع ذلك كله لا ييأس من استجابة الله لدعائه فيقول: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] فيفتح الله السماء بماءٍ منهمر، وتُفجر الأرض عيونًا فيلتقي الماء على أمر قد قدر، وينجيه الله بحمله على ذات ألواح ودسر، وغير هذا كثير.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي**»[٢].

❁ وقد كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء ويواصل.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قول زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ [آل عمران: ٤١]؟

ج: معناه – والله أعلم –: رب اجعل لي علامة أستدل بها على أن امرأتي حملت.

❁ ❁ ❁

س: ما هي الآية التي كانت لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ علامةً على حمل امرأته بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

---

(١) صحيح وقد تقدمت الإشارة إليه.

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٥١)، والبخاري (في الدعوات باب ٢٢).

MOSTAFALADAWY.COM

ج: الآية التي جعلها الله ﷻ علامة لزكريا عليه السلام على أن أمرأته حملت بيحيى هي أنه – عند حمل امرأته بيحيى – سيُمنع (أي: زكريا) من تكليم الناس (أي: لا يستطيع أن يكلمهم) وهو صحيح غير مريض، وذلك لمدة ثلاثة أيام (إلا رمزًا) أي: إلا إشارةً.

❁ وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك سيكون سببه أن مرضًا سيدخل عليه بمنعه من الكلام هذه المدة، وهذا قول ضعيف؛ لقول الله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] أي: وأنت صحيح، فالصواب أن المنع من الكلام يكون قهرًا، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: بعض العلماء ذكر أن امتناع زكريا عليه السلام من الكلام عقوبة له على ما طلب من الآيات بعد تبشير الملائكة له، اذكر قائل هذا القول ومقولته؟

ج: ذكر ذلك ابن جرير الطبري رحمه الله، فقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]: فعاقبه الله فيما ذكر لنا – بمسألته الآية بعد مشافهة الملائكة بيحيي أنه من عند الله آية من نفسه، جمع – تعالى ذكره – بها العلامة التي سأل ربه على ما بين له حقيقة البشارة أنها من عند الله، وتمحيصًا له من هفوته وخطأ قيله ومسألته.

ثم ذكر الطبري[1] رحمه الله بإسناد حسن إلى قتادة أنه قال: إنما عوقب بذلك، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه فأخذ عليه لسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار، فقال الله تعالى

(١) أخرجه الطبري (٧٠٠٥).

Mostafa Adwi.com

ذكره كما تسمعون: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالرمز في قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾؟

ج: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: أما (الرمز) فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانًا، وذلك غير كثير فيهم، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت.

ونقل أيضًا عن بعض العلماء أن المراد بالرمز: عموم الإيماء والإشارة.

❀ ❀ ❀

س: رجل نذر أن يصمت ولا يتكلم هل يمضي نذره؟ وهل عليه كفارة إذا لم يمضه؟

ج: من نذر أن يصمت ولا يتكلم لا يمضي نذره، ولا كفارة عليه، وذلك لأن النبي ﷺ رأى رجلًا واقفًا في الشمس لا يستظل ولا يتكلم ولا يأكل فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقول ولا يجلس ولا يُفطر ولا يستظل، فقال: «**مروه فيلتكلم وليستظل وليجلس وليتم صومه، إن الله** ﷻ **غني عن تعذيب هذا نفسه**»[(١)]. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٠٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «**مُره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**».

MOSTAFALABW.COM

س:اذكر طرفًا من أهمية ذكر الله ﷻ وفضله؟

ج: لذكر الله ﷻ أهمية كبرى وفوائد عظمى، ولا يكاد يُرخص لأحد في تركه، إما بالقلب أو باللسان، ولو رخص لأحد في تركه لرخص لزكريا عليه السلام (لما مُنع من الكلام) ولكن الله ﷻ قال له: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

❁ وكذلك لو رخص لأحد في تركه لرخص للرجل يكون في الحرب، ولكن الله ﷻ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

❁ وقد كان عليه السلام يذكر الله على كل أحيانه[1]، وأولو الألباب يذكرون الله ﷻ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم.

❁ وقد طلب موسى عليه السلام من ربه ﷻ أن يؤيده بهارون عليه السلام معللًا ذلك بقوله: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٥].

❁ وأمر الله سبحانه بكثرة الذكر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

❁ وقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

❁ وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٦٨ مع النووي) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

Mostafaadawy.com

﴿ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

❁ وقال ﷻ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وجعل الله ﷻ طمأنينة القلب في ذكره ﷻ، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

❁ وبيَّن النبي ﷺ أن أهل الذكر هم السابقون، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**سبق المفرِّدون**»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله، قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(١).

❁ وبين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن رطوبة اللسان تتأتى بذكر الله ﷻ، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله ﷻ**»(٢).

❁ وأهل الذكر يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(٣).

❁ ومجالس الذكر تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة وتتنزل عليها السكينة ويذكر الله ﷻ أهلها فيمن عنده، ويغفر الله ﷻ لهم(٤).

❁ ومن جالس الذاكرين غُفر له معهم وإن كان من الخطائين(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، والترمذي (٩/ ٣١٤ مع التحفة)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٢٣١٧) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٧/ ١٢٠)، والبخاري (مع الفتح ٢/ ١٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) انظر: «صحيح مسلم» (مع النووي ٢٢/ ١٧).

(٥) ففي «الصحيحين»: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**».

MOSTAFAALAWY.COM

۞ وبالذكر تغفر الذنوب وتحط الخطايا، وترفع الدرجات، وتقال العثرات ويُملأ الميزان، ويُملأ ما بين السموات والأرض، ويثقل الميزان، وتُدخر الكنوز في الجنان، وتخنس الشياطين، ويرد كيد السحرة والحاسدين، وتُوسع الأرزاق، وتدفع البليات، ويذكر الله ﷻ العبد ويُحلله رضوانه، ويسكنه فيسح جنانه.

۞ ۞ ۞ ۞

س: هل من الممكن أن تخاطب الملائكة بني آدم؟

ج: نعم، هذا من الممكن ولا إشكال في إمكانية وقوعه، بل قد وقع.

۞ فها هي الملائكة تنادي زكريا وهو قائم يُصلي في المحراب: إن الله يبشرك بيحيى.

۞ وكذلك مخاطبات لرسول الله ﷺ التي لا تكاد تحصى.

۞ وسؤاله له عن الإسلام والإيمان والإحسان بحضرة أصحاب رسول الله ﷺ[(١)]، وقول جبريل لرسول الله ﷺ: «**ما تعدون أهل بدر فيكم**»[(٢)] الحديث، وقول رسول الله ﷺ لعائشة: «**يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام**» قالت: وعليه السلام ورحمة الله ترى ما لا نرى يا رسول الله !!![(٣)].

۞ ودخلت الملائكة على لوط وعلى إبراهيم عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤].

۞ وهذه الأحاديث لا تحصى.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٩٢) من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

Nostrapdw.com

❁ وغير الأنبياء كذلك، فعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت الملائكة تُسلِّم عليه[١].

❁ وفي قصة الأقرع والأبرص والأعمى جاءهم الملك ليبتليهم[٢]، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿نُوحِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٤]؟

ج: تكلم الطبري على ذلك كلامًا جيدًا فقال: وأما قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ﴾ فإن تأويله: ننزله إليك.

وأصل الإيحاء: إلقاء الموحِي إلى الموحَى إليه، وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء وبإلهام ورسالة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل:

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٨/ ٢٠٦) من طريق مطرف قال: بعث إليَّ عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه، فقال: إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي، فإن عشتُ فاكتم عني، وإن مت فحدِّث بها إن شئت: إنه قد سُلِّم عليَّ، واعلم أن نبي الله ﷺ قد جمع بين حج وعمرة، ثم لم ينزل فيها كتاب الله، ولم ينه عنها نبي الله ﷺ حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء.

(٢) صحيح، وسيأتي إن شاء الله.

MOSTAFALADWI.COM

٦٨] بمعنى ألقى ذلك إليها فألهمها، وكما قال: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ [المائدة: ١١١] بمعنى ألقيت إليهم علم ذلك إلهامًا، كما قال الراجز:

أوحى لها القرار فاستقرَّتِ .....

بمعنى ألقى إليها ذلك أمرًا، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] بمعنى فألقى ذلك إليهم إيماءً، والأصل فيه ما وصف من إلقاء ذلك إليهم، وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماءً ويكون بكتاب، ومن ذلك قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١] يلقون إليهم ذلك وسوسةً، وقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] ألقي إليَّ بمجيء جبريل عليه السلام به إليَّ من الله عز وجل.

وأما (الوحي) فهو الواقع من الموحِي إلى الموحَي إليه، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب (وحيًا) لأنه واقع فيما كُتب ثابت فيه، كما قال كعب بن زهير:

أتى العجم والآفاق منه قصائد بقين بقاء الوحي في الحجر الأصم

يعني به الكتاب الثابت في الحجر، وقد يقال في الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب (وحي) بغير ألف، ومنه قول رؤبة:

كأنه بعد رياح تدهمه ومرثعنات الدجون تثمة

إنجيلُ أحبارٍ وحيُ منمنة .....

س: قول الملائكة: ﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢] هنا اصطفاءان وتطهير وضح المراد بهما؟

Mostafalibrary.com

ج: **أما الاصطفاء الأول**: فالاصطفاء هو الاختيار، فقال بعض أهل العلم: إن المراد منه: أن الله ﷻ اختارها من بين نساء زمانها لخدمة المسجد والبقاء في المحراب – ولم يكن هذا يحدث لنساء زمانها – فساعدها ذلك على كثرة العبادة والتفرغ لها، وزادها ذلك شرفًا ورفعة، ثم إن الله ﷻ رزقها من ذكره وشكره وحسن عبادته – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ما لم يرزق نساء زمانها، وهذا من عظيم فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا كملها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران و.....**» الحديث.

۞ أما التطهير، فالمراد به – والله أعلم –: تطهير من الشرك والأدناس والذنوب والمعاصي والأغلال والأحقاد ونحو ذلك.

۞ أما من قال: إنه تطهير من الحيض والنفاس فقوله ضعيف، فالحيض كتبه الله على بنات آدم، ومريم داخلة فيهن.

۞ وكذلك قول من قال: إنه تطهير من مسيس الرجال ومن المحيض والنفاس، فمريم عليها السلام لم يمسها رجل فيما علمنا، لكن هل يقال على من تزوجت ومسها زوجها إنها غير مطهرة؟!!! كلا، فأزواج النبي ﷺ قال الله ﷻ في شأنهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وكذلك فاطمة رضي الله عنها من سيدات نساء أهل الجنة، ومع ذلك تزوجها علي رضي الله عنه ووضعت له أولادًا.

ثم لم يرد لنا دليل عن المعصوم يُفيد أن مريم لم تحض ولم تنفس، والله تعالى أعلم.

۞ أما الاصطفاء الأخير فمعناه – والله أعلم –: التفضيل، والمراد: أن مريم

Nostrapalow.com

عليها السلام فضلها الله على نساء العالمين، وجعلها إحدى سيدات أهل الجنة، واصطفاها الله سبحانه لولادة عيسى عليه السلام، وجعلها وابنها آية للعالمين.

❀ ❀ ❀

س: هل يجوز لامرأة أن تَقم[1] المسجد وأن تبيت فيه (في شريعتنا)؟

ج: نعم يجوز لامرأة أن تَقُمَّ المسجد، وأن تبيت فيه في شريعتنا، ومحل ذلك إذا أُمنت الفتنة، والدليل على ذلك أنه كان هناك امرأة سوداء تقم المسجد على عهد رسول الله ﷺ، وكان لها حفش في المسجد تمكث فيه[2].

❀ ❀ ❀

س: أيهما أفضل للمرأة صلاتها في المسجد أم صلاتها في البيت؟

ج: صلاة المرأة في بيتها أفضل لقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن**»[3]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[4]، ولقول الله ﷻ: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولكن

---

(١) أي: تجمع القمامة منه.

(٢) أخرج البخاري (حديث ٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أسود – أو أمرأة سوداء – كان يقم المسجد فمات.... الحديث.

وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها (٤٣٩) أن وليدة كانت سوداء لحيٍّ من العرب فأعتقوها... الحديث، وفيه فكان لها خباءٌ في المسجد (أو حِفْشٌ).... الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٥٦٧) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وله شواهد يرتقي بها إلى الصحة (انظرها في كتابنا «جامع أحكام النساء» قسم الصلاة).

(٤) رجاله ثقات، وقد أخرجه أبو داود (١١٧٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٩٥)، والطبراني في

MOSTAFALADAWY.COM

إذا كان بالمسجد دروس علم تتفقه المرأة فيها في دينها، فيستحب لها ذلك – عند أمن الفتنة – وذلك لقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ولقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ولقول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١).

ولغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الباب، وبالله التوفيق.

❀ ❀ ❀

س: ما هو وجه إيراد الفقرة الأخيرة في هذا الحديث: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه لزوج في ذات يده» ولم تركب مريم عليها السلام بعيرًا قط(٢). واذكر مزيدًا من فضل مريم عليها السلام؟

ج: إيراد هذه الفقرة يُفيد أن صالح نساء قريش لم يُفضلن على مريم عليها السلام، فهن قد فُضِّلن على من ركبن الإبل، ومريم عليها السلام لم تركب الإبل، والله تعالى أعلم.

أما بالنسبة لفضل مريم عليها السلام، ففضلًا عما ذكر من أن الله عز وجل اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، فإن الله عز وجل جعلها صديقة، وجعلها وابنها آية للعالمين، وكملها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعلها إحدى سيدات نساء أهل الجنة(٣)، ولم يرد في كتاب الله عز وجل ذِكر امرأةٍ باسمها كما ذكرت مريم عليها السلام، وأحصنت فرجها

=«الكبير» (١٠١١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

وفي بعض الطرق: «**وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها**».

ولمزيد بحث حوله انظر رسالتي: «الحجاب أدلة الموجبين وشبه المخالفين».

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ١٢٥)، ومسلم (٥/ ٣٨٧)، والفقرة الأخيرة من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وقد رأى بعض العلماء أنها سيدة نساء أهل الجنة على الإطلاق.

noorsalafiyyah.com

وتمثل لها روح القدس بشرًا سويًّا، وكلمها وكلمته ونفخ فيها، ووهب لها غلامًا زكيًّا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه، وكانت من القانتين؛ ورجح بعض أهل العلم أنها نبية[١]، وإن كان في المسألة نزاع[٢] وذلك الترجيح منهم، لأن الله ﷻ أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالعالمين في قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن المراد بالعالمين: العالمين كلهم إلى يوم القيامة[٣] واستدل هذا القائل – إضافة إلى ما ذكر في فضل مريم – بحديث خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ.

ثم استدل بما رواه موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية**»[٤].

وآخرون من أهل العلم يرون أنها مفضلة على عالمي زمانها فقط، ولا يمتد هذا

---

(١) رجح ذلك القرطبي رحمة الله تعالى في تفسيره، وسيأتي لذلك مزيدٌ في بابه إن شاء الله ﷻ.

(٥) وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

(٢)

(٣) ممن اختار هذا القول القرطبي رحمه الله.

(٤) لم أقف عليه بلفظ ثم، ولكن هناك طرق عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ: «**خير نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليهن السلام**» انظر الطبراني (٢٢/ ٤٠٢)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٢٢٢٢)، وابن جرير (٣/ ١٨٠)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٥٨، ٧٦٠)، والحاكم (٣/ ١٥٧ – ١٥٨).

Mostafa1y.com

التفضيل إلى فاطمة وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذلك لما ورد من أحاديث عامة في فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم، ثم من أحاديث خاصة في كون فاطمة سيدة نساء العالمين، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: كلما أنعم الله ﷻ بمزيد من النعم لزمه مزيدٌ من الشكر وضح ذلك؟

ج: نعم كلما ازدادت النعم وتوالت لزم مزيد من الشكر، وهاك الأدلة على ذلك:

❁ لما أنعم الله ﷻ على موسى عليه السلام باصطفائه على الناس برسالاته وبكلامه أمره الله ﷻ بمزيد من الشكر، قال الله سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

❁ ولما أنعم الله عز وجل على مريم عليها السلام بالاصطفاء والتطهير، والاصطفاء أمرها بالقنوت والسجود والركوع، قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

❁ ولما منَّ الله سبحانه على نبينا محمد ﷺ بالرسالة وجاءه الوحي، قال الله ﷻ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ – ٨].

❁ وكان عليه الصلاة والسلام يقوم حتى ترم قدماه ويقول: «**أفلا أكون عبدًا**

شكورًا».

❁ ولما منَّ الله سبحانه على أزواج نبيه محمد ﷺ بالزواج منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ❁ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١].

❁ وقال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

❁ ولما منَّ الله سبحانه على يحيى بن زكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وآتاه الله الحكم صبيًّا قال الله له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

❁ ولما حفظ الله المؤمنين من أهل الكفر وكف أيديهم عنهم قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

❁ ❁ ❁ ❁

س: لماذا قدم السجود على الركوع في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]؟

ج: لا يؤثر هنا تقديم السجود على الركوع، فإن الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعِى﴾ لا تفيد الترتيب، فمثلًا إذا قلت: جاء زيد وعمرو لا يستفاد منه أن زيدًا جاء أولًا ثم جاء عمرو، ومنه قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، والسلام (سلام

MOSTAFALADY.COM

الاستئذان) يكون قبل الاستئناس (الذي هو داخل البيت).

❁ ولبعض العلماء وجهة أخرى في تقديم السجود على الركوع، فيقول ما حاصله: إن الخطاب هنا لمريم عليها السلام، ومريم عليها السلام امرأة، وصلاة المرأة في بيتها أقرب إلى ربها من صلاتها في المسجد، فقوله تعالى ﴿وَٱسْجُدِى﴾ مع قول النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[1] يجعلنا (على حد قولهم) نحمل اسجدي على الصلاة في البيت.

أما ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: اشهدي صلاة الجماعة مع المصلين، وإن كان جائزًا لها أن تصلي الجماعة مع الرجال خلف صفوفهم؛ إلا أنه في الفضل دون الصلاة في البيت، فقدم السجود على الركوع لهذا المعنى عندهم، والله تعالى أعلم[2].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3] [آل عمران: ٤٤]؟

ج: المراد – والله أعلم –: أنك ما كنت حاضرًا يا محمد عندما اختصم القوم

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) لكن الذي يظهر لي والعلم عند الله ﷻ أن معنى ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: افعلي فعلهم من كونهم مصلين راكعين، ولا يستلزم ذلك المشاركة في صلاة الجماعة معهم، والله أعلم.

(٣) أخرج الطبري (٧٠٥٥) بإسناد حسن على قتادة قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم، فتشاح عليها بنو إسرائيل، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها؟ فقرعهم زكريا، وكان زوج أختها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ يقول: ضمها إليه.

MostafaLabw.com

في تربية مريم عليها السلام وكفالتها، فقد تنازع القوم كلٌّ يريد أن يكفلها، واختصموا في ذلك، فاتجهوا إلى القرعة فيما بينهم، فألقوا أقلامهم في اليم. قال بعض العلماء: ألقوا جميعًا الأقلام في الماء، فمن ثبت قلمه كفلها، ومن جرى قلمه مع الماء الجاري لم يكفلها، فجرت أقلامهم جميعًا وثبت قلم زكريا عليه السلام، فكفلها زكريا عليه السلام.

❀ ❀ ❀

س: هل تجوز القرعة في المشكلات؟ اذكر جملة أدلة على ذلك؟ ومتى تكون هذه القرعة؟

ج: القرعة في المشكلات جائزة، وقد فعلها ثلاثة أنبياء (يونس وزكريا ومحمد عليهم الصلاة والسلام)، أما الأدلة على ذلك فمنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١].

٢- قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

٣- كون النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه[(١)].

٤- قول النبي ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها....**» الحديث[(٢)].

٥- قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما في النداء والصف الأول لاستهمتم**

---

(١) صحيح، وهو موجود في ثنايا حديث الإفك، وأُشير إلى تخريجه في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

MostafaLaw.com

عليه»[(١)].

٦- ولما هاجر المسلمون إلى المدينة اقترعت الأنصار سكنى المهاجرين فطار سهم عثمان بن مظعون لأم العلاء[(٢)].

٧- وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ عرض على قوم اليمين فأسرعوا فأمر أن يسهم بينهم في اليمين أيهم يحلف[(٣)].

۞ أما متى تكون فهي كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: سنة عند جمهور الفقهاء في المستويين في الحجة ليعدل بينهم، وتطمئن قلوبهم وترتفع الظُّنة عمن يتولى قسمتهم، ولا يفضل أحد منهم على صاحبه إذا كان المقسوم من جنس واحد اتباعًا للكتاب والسنَّة.

وقال القرطبي أيضًا: قال ابن العربي: القرعة إنما فائدتها استخراج الحكم الخفي عند التشاح، فأما ما يخرجه التراضي فيه فباب آخر، ولا يصح لأحد أن يقول: إن القرعة تجري مع موضع التراضي، فإنها لا تكون أبدًا مع التراضي، وإنما تكون فيما يتشاح الناس فيه ويُضَنُّ به.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وصفة القرعة عند الشافعي ومن قال بها: أن تُقطع رقاع صغار مستوية، فيكتب في كل رقعة اسم ذي السهم، ثم تجعل في بنادق طين مستوية لا تفاوت فيها، ثم تجفف قليلًا، ثم تلقى في ثوب رجل لم يحضر ذلك ويغطى عليها ثوبه، ثم يدخل ويخرج، فإذا أخرج اسم رجل أُعطي الجزء الذي أقرع عليه.

قلت: (القائل مصطفى): وهذه صورة لا دليل عليها، وغاية ما فيها أنها جائزة

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٩٦)، ومسلم (مع النووي ٤/ ١٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٧) من حديث أم العلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا به.

Mostafa.com

وغيرها – أيضًا – جائز، والله تعالى أعلم.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

س: لماذا لقب عيسى عليه السلام بالمسيح؟ ولماذا لقب الدجال بالمسيح؟

ج: أما لماذا لُقب عيسى عليه السلام بالمسيح[1]، فلأهل العلم في ذلك جملة أقوال:

الأول: لأنه كان يمسح الأبرص والأعمى والأكمة فيبريء كلاًّ منهم بإذن الله.

الثاني: لأنه عليه مسحة جمال.

---

(١) وقال البعض: إن المسيح أصله مشيحًا فعرِّب كما عُرِّب موشى بموسى، والله أعلم.

MOSTAFA ABDELRAZIK .com

الثالث: لأنه كان ممسوح القدمين مِن أسفل.

الرابع: لأنه مسح من الذنوب.

الخامس: لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها فلم يستكن بها.

السادس: لكثرة سياحته في الأرض.

❁ وبعض هذه الأقوال ضعيفٌ لديَّ، إذ لو كان سمي المسيح لجماله لأطلق ذلك على يوسف عليه السلام الذي أوتي شطر الحسن، أما القول بأنه كان ممسوح القدمين، فلا دليل عليه، ثم هو مخالف لما في قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥]، فقد وصفه الله ﷻ بالوجاهة[(١)] في الدنيا والآخرة.

والذي يظهر لي أن وجه الصواب في ذلك يعلمه الله، والله سبحانه هو الذي لقبه بالمسيح وسماه بعيسى قبل أن يولد، قالت الملائكة: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، والله تعالى أعلم.

❁ أما إطلاق المسيح (بالحاء المهملة) على الدجال، فقد قال بعض أهل العلم: (لأن ممسوح العين اليمنى كأنها عنبة طافية)، وقال آخرون: لأنه سيمسح الأرض (أي يجوبها جميعًا) إلا مكة والمدينة كما في الحديث: «**ما من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة.....**»[(٢)] الحديث.

❁ ❁ ❁

---

(١) والوجاهة كما أنها تطلق على القوة والمنعة وعلى الشرف والجاه تطلق على حسن الجسم والخلق أيضًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ومن صور إيذاء بني إسرائيل لموسى أنهم كانوا يقولون عنه: إنه آدر فبرأه الله من ذلك كما سيأتي في بابه إن شاء الله – ووصفه بالوجاهة، والله أعلم.

(٢) صحيح، وانظره في كتابنا الصحيح المسند من أحاديث الفتن وأعلام وأشراط الساعة، وقد أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFAADAWY.COM

س: عيسى عليه السلام اسمه المسيح عيسى ابن مريم، ونبينا محمد ﷺ اسمه محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وأبو بكر رضي الله عنه اسمه عبد الله بن عثمان، وعمر رضي الله عنه اسمه عمر بن الخطاب، وعثمان رضي الله عنه اسمه عثمان بن عفان، وعلي رضي الله عنه اسمه علي بن أبي طالب، وعائشة زوج رسول الله ﷺ هي عائشة بنت أبي بكر، وزينب زوج رسول الله ﷺ هي زينب بنت جحش، في هذا كله تنبيه سنة في الأسماء فاتت قومنا في بلادنا مصر وفي غيرها وتركها الناس بيِّن هذه السنة؟

ج: هذه السنة هي حذف كلمة ابن بين الولد وأبيه، فلا يكون سائغًا أن يقال: إن اسم رسول الله ﷺ «محمد عبد الله عبد المطلب»، ولا يستساغ أن يقال: عائشة أبو بكر، ولا زينب جحش، ولا عثمان عفان، ولا عمر الخطاب، ولا علي أبي طالب، ولا عيسى مريم، وكذلك لا يستساغ أن يقال: أحمد حنبل، ولا مالك أنس.

فاتضح أن السنة إثبات لفظة (ابن) بين الولد وأبيه.

والذي حذفها في الأصل هم الكفار، ثم قلدهم المسلمون في ذلك، ألا ترى أن أسماء الكفار نابليون بونابرت، بيل كلينتون، جيمي كارتر، شارل ديجول، ونحو ذلك! وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**لتتبع سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه..**»[1]. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبرٍ وذارعًا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فيمن؟**».

MostafaAbbas.com

س: ما هي صورة الوجاهة التي نالها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدنيا والآخرة؟

ج: أما وجاهته في الدنيا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما اجتباه به ربه من النبوة والرسالة والإنجيل الذي أنزله عليه، وأيضًا عند الناس بما أجرى الله على يديه من شفاء الأسقام (الأكمه والأعمى والأبرص) وإحياء الموتى بإذن الله وكونه مباركًا أينما كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

❁ أما وجاهته في الآخرة فمنها: علو منزلته في الآخرة؛ لأنه من أولي العزم من الرسل وشفاعته فيمن يشفعه الله فيه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: أذكر عددًا ممن تكلموا في المهد؟

ج: الذي تحصل لنا بالأدلة الصحيحة أن الذين تكلموا في المهد هم:

١- عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(١)].

٢- غلام جريج[(٢)].

---

(١) قال الله سبحانه: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٧-٣٣].

(٢) أخرج البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (ص ١٩٧٦- ١٩٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى، وكان في بني إسرائيل رجلٌ يُقال له: جريج كان يُصلي فجاءته أمه فدعته فقال: أُجيبها أو أُصلي فقالت: اللهم لا تُمته حتى تُريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من

ALSHAFAAdawy.com

٣- غلام أصحاب الأخدود[١].

٤- ابن ماشطة فرعون[٢].

=أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنًا لها - من بني إسرائيل - فمر رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله....» الحديث.

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر...» فذكر الحديث، وفيه: «فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أُمه اصبري فإنك على الحق». أخرجه أيضًا الترمذي (٣٣٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أيضًا ابن جرير الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩) من طريق حماد بن سلمة من عطاء بن السائب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت عليَّ رائحة طيبة فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون إذ سقطت المدري من يديها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربّ أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإن لك ربًّا غيري؟ قال: نعم ربي وربك الله ﷻ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضَع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت».

وهذا الراجح عندي فيه أنه صحيح، وإن كان بعض أهل العلم تكلم في سماع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب، وأنه بعد الاختلاط إلا أن جمهور المحدثين على أنه روى عنه قبل الاختلاط، وإن ذكر البعض أنه روى عنه بعد الاختلاط أيضًا، لكن يفهم من كلامهم أن جُل روايته عنه قبل الاختلاط، فضلًا عن هذا فإن الحديث مصحوب بقصة، وقد ذكر البعض أن الحديث إذا كان مصحوبًا بقصةٍ دل = ذلك على ثبوته وخاصة إذا كان فيه ما يشعر بالرفع كحالنا هذا، ففيه «ممرت ليلة أسري بي...» فضلًا عن هذا فلبعض فقرات الحديث شاهد بإسناد ضعيف عند ابن ماجه من طريق سعيد بن بشر (وهو ضعيف) عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ =

Mostafa Adawy.com

٥- الطفل الذي كانت ترضعه أمه فرأت جبارًا فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك ثديها، وقال: اللهم لا تجعلني مثله.... الحديث[١].

❀ ❀ ❀

س: على أي أساس (نُصب) رسولًا في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩]؟

ج: نُصب على أنه مفعول والفعل محذوف والتقدير: ونجعله رسولًا إلى بني

=ببعض معناه، فالحديث يصح. والله أعلم.

هذا، وفي آخر حديث عند أحمد موقوفًا على ابن عباس أنه قال: (تكلم في المهد أربعة صغار عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون)، وهذا موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما

(١) صحيح، وتقدم في ثنايا حديث غلام جريج.

أما على سبيل الحصر (بما في ذلك من ضعيف وصحيح) فقد أوصلوا الذين تكلموا في المهد إلى أحد عشر، نظمهم السيوطي في قوله:

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم

ومُبري جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم

وطفل عليه مُر بالأمة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم

وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

MOSTAFALAW2.COM

إسرائيل، كما قال الشاعر:

ورأيـــت زوجـــك في الـــوغي متلقـــدًا ســـيفًا ورمحًـــا

س: كيف تجمع بين حديث رسول الله ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة»[١] وبين قولكم: إنه صح لديكم أن الذين تكلموا في المهد أكثر من ذلك؟

ج: الجواب أن النبي ﷺ أُخبر بما كان في علمه، ثم بعد ذلك أعلمه الله ﷻ بآخرين قد تكلموا في المهد أيضًا، والله تعالى أعلم.

س: كل[٢] الناس يتكلمون في كهولتهم فما هو وجه الإعجاز في تكليم عيسى عليه السلام للناس في كهولته؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

١ - أنه عليه السلام كما أنه كان معجزة في تكليمه للناس في المهد، فإنه سيكلمهم

---

(١) صحيح، وقد تقدم قريبًا.

(٢) أحيانًا تأتي كلمة (كل) وتفيد العموم، وأحيانًا تأتي وتفيد التغليب.

أما كونها تأتي وتفيد التعليب فكما في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وكقوله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، وكقول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يصوم شعبان كله) أخرجه البخاري (١٩٧٠) ففي بعض الروايات: (وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان). أخرجه البخاري (١٩٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALADAWI.COM

بالوحي والنبوة في كهولته، وهذا وجه إعجاز أيضًا.

٢- أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان طفلًا وسيكون شابًّا، ثم كهلًا ففي هذا دليل على أنه يسري عليه ما يسري على البشر، كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤]، وعلى ذلك فلا يكون عيسى ربًّا بحال من الأحوال، ففي الآية رد على النصارى إذن.

٣- أنه سيعيش حتى يكون كهلًا، وفي هذا أيضًا إعجاز لكونه إخبارًا بالغيب وتبشيرًا لأمه بأنه سيعيش حتى الكهولة عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

❀ ❀ ❀

س: من المراد بقول مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: (رب) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]؟

ج: لأهل العلم قولان في المراد بقوله: (رب):

الأول: أن معناه سيدي والمراد الملك عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

الثاني: أن المراد الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: القضاء قضاءان قضاء كوني قدري، وقضاء ديني شرعي، بيِّن مثالًا لكلٍّ، ومن أي القضاءين قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]؟

ج: أما مثال القضاء الكوني القدري فقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى

MOSTAFALAWY.COM

﴿ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، وكقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

أما القضاء الشرعي الديني: فكقوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

۞ أما قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] فمن القضاء الكوني القدري. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالكتاب الكتابة والخط، ورُوي عن بعض أهل العلم أن عيسى عليه السلام كان أحسن الناس خطًّا، وقال آخرون: المراد بالكتاب جنس الكتب الإلهية، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: امتن الله عز وجل على عيسى عليه السلام بتعليمه التوراة والإنجيل، وجاء في بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه عليه السلام لما رأى في يد عمر بن الخطاب التوراة، فقال: «مهلًا يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية» أو كما قال عليه الصلاة والسلام، فكيف تجمع بين الآية والأثر؟

MostafaLabw.com

ج: **أولاً**: قد تكلم بعض أهل العلم في صحة الحديث.

ثانيًا: في حالة صحته فالجمع ممكن بأن يقال: إن عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معصوم، أو يقال بأن القرآن الكريم ناسخ لما قبله ومهيمن على الكتب التي قبله، أو يقال: إنه لا بأس لمن جمع بين القرآن وسائر الكتب، لكن من لم يجمع القرآن ويفقهه وتحول إلى بعض الكتب، فهذا يتنزل في حقه المنع.

❁ أو يقال: إن المنع من قراءة الكتب المتقدمة إنما هو لما اعتراها من تحريف وتبديل ولما شابها من اختلاقٍ لتحليل وتحريم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: هل صح شيء عن النبي ﷺ في أن المراد بقول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [آل عمران: ٤٩] أن الطير هو الخفاش؟

ج: لم أقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ يفيد أن الطير الذي كان يخلقه عيسى هو الخفاش، وإنما قال ذلك بعض أهل العلم ولعلهم تلقوه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، كما قال النبي ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**»[(١)]، بيد أن الطير أعم من الخفاش، والتفسير بعموم الطير أولى، والله أعلم.

وقد ذكر بعض المفسرين أن بني إسرائيل طلبوا من عيسى خلق الخفاش لما فيه من عجب الخلق، لأنه – كما ذكروا- لحم ودم يطير بغير ريش! ويلد كما يلد الحيوان! ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، فيكون له الضرع يخرج منه اللبن، ولا

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

nosrapaw.com

يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل. وإنما يرى في ساعتين، بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًّا، ويضحك كما يضحك الإنسان ويحيض ويطهر كما تحيض المرأة وتطهر، وله ناب وأسنان وأذن والأنثى منه لها ثدي.

❁ ❁ ❁

س: اذكر آية قريبة المعنى من قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]؟ وما معنى الآية الكريمة؟

ج: الآية المماثلة لها هي: قول يوسف عليه السلام: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا﴾ **[يوسف: ٣٧]**، والله تعالى أعلم.

أما معنى الآية الكريمة: فقال الطبري رحمه الله: وأما قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ فإنه يعني: وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ يعني بذلك: وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه.

ونقل عن بعض العلماء قولهم[1]: ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم وما تدخرون منها.

❁ ❁ ❁

MOSTAFA ADEL .COM

(١) أخرج ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ فكأن القوم لما سألوا المائدة، فكانت خِوانًا ينزل عليهم أينما كانوا: ثمرًا من ثمار الجنة، فأمر القوم أن لا يخونوا ولا يخبئوا ولا يدخروا لغد بلاءً ابتلاهم الله به، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئًا أنبأهم به عيسى ابن مريم فقال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (الطبري ٧١٠٩).

س: أعطى الله ﷻ بعض الأنبياء معجزات من جنس ما برع فيه أهل زمانهم، وضح ذلك؟

ج: توضيح ذلك: أن قوم موسى عليه السلام لما تفوقوا في السحر أيد الله ﷻ نبيه موسى عليه السلام بالعصا التي تحولت إلى حية تسعى، وأيده الله بأنه عليه السلام أُمر بإدخال يده في جيبه فإذا هي تخرج بيضاء من غير سوءٍ.

❁ وكذلك قوم عيسى عليه السلام لما كانوا متفوقين في الطب أيد الله ﷻ نبيه عيسى عليه السلام بمعجزات: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، ونحو ذلك.

❁ وكذلك أهل مكة لما برعوا في البلاغة والشعر أيد الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ بالقرآن وتحداهم الله ﷻ أن يأتوا بسورة من مثله، بل بآية من مثله. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: كل الأمور تحدث بإذن الله، وهذا بديهي مقرر يعلمه كل مسلم، فما فائدة التقييد في قول عيسى عليه السلام: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩] والآية قبلها؟

ج: التقييد هنا لدفع توهم النصارى الذين يزعمون أن عيسى عليه السلام إله لقوله: ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر دليلين على أن عيسى عليه السلام بُعث إلى قومه خاصة؟

noorabadi.com

ج: أما الدليل الأول فهو من الكتاب العزيز:

قال عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

أما الدليل الثاني فهو من السنة المطهرة: قال النبي ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»(١).

❁ ❁ ❁

س: ما هو الذي حرِّم على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٥٠] وما المراد بتحليله لهم؟

ج: هنا قولان للعلماء:

أولهما: أن الذي حرِّم عليهم هو الذي حرَّمه الله عليهم بذنوبهم التي ارتكبوها ومعاصيهم التي اقترفوها، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

وكما ورد في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١] ونحو ذلك.

الثاني: أن المراد بقول عيسى عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٥٠] أن المراد هنا بالذي حرَّم عليهم هو ما حرَّمه عليهم أحبارهم وافتروا على الله عز وجل القول بتحريمه.

❁ فعلى القول الأول فالمراد بتحليله لهم هو نسخ الحكم الأول، فالذي كان

(١) صحيح (وهو في الصحيحين)، وقد تقدم.

Mostafa.adawy.com

محرمًا بالنص جاء تحليله بالنص أيضًا.

❁ وعلى القول الثاني فالمراد بالتحليل كشف افتراءات الأحبار الذين أدخلوا في الدين ما ليس منه وبيان حِلِّ ما حرموه ولا مانع من أن تنتظم الآية الكريمة المعنيين معًا، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿ ❁ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: قول الحواريين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] فيه نوع توسل وضحه؟

ج: نعم فيه نوع توسل ألا وهو التوسل بصالح الأعمال، فكأنهم قالوا: ربنا لإيماننا بما أنزلت، واتباعنا للرسول اكتبنا مع الشاهدين.

MOSTAFA-ADEL.COM

س: من المراد بالشاهدين في قول الحواريين: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

ج: قيل: إن المراد: بالشاهدين أمة محمد ﷺ.

وقيل: إن المراد بالشاهدين: من شهدوا لله بالوحدانية ولرسله بالرسالة، والله تعالى أعلم.

س: قول الحواريين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ [آل عمران: ٥٣] وعقبها قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] قد يُشكل على البعض فيظن أن في قول الحواريين خداع، وضح ذلك؟

ج: ليس فيه تعارض بحمد الله، ولكن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ﴾ هم كفار بني إسرائيل، الذين أحس عيسى منهم الكفر، فكأن عيسى عليه السلام لما أحس من بني إسرائيل الكفر بدأ يطلب نصرة صالحيهم، فقال: من أنصاري إلى الله، فقال الحواريون له نحن أنصار الله، وبقيت فئة أخرى كافرة تمكر كما ذكر الله ﷻ، والله أعلم.

س: اذكر بعض أقوال العلماء في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ

Mostafadawy.com

خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:.... ثم قال تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإرادته بالسوء والصلب حين تمالئوا عليه، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافرًا فأنهوا إليه أن هاهنا رجلًا يُضل الناس، ويصدهم عن طاعة الملك، ويفند الرعايا ويُفرِّق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم، ورموه به من الكذب، وأنه ولد زانية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به، فلما أحاطوا به وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله من بينهم، ورفعه من روزنة[1] ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوةً وعنادًا للحق ملازمًا لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

❁ وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني بذلك – جل ثناؤه – ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر، وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضًا على الفتك بعيسى وقتله، وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد إخراج قومه إياه وأمَّه من بين أظهرهم عاد إليهم.

.. ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما مكر الله بهم – فيما ذكر السُّدي – إلقاؤه شبَه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عَزَّ وَجَلَّ

(١) الروزنة: هي الطاقة أو الكوة.

Mostafa-abdy.com

عيسى عليه السلام قبل ذلك.

وقال ابن جرير أيضًا: وقد يحتمل أن يكون معنى (مكر الله بهم): استدراجه إياهم ليبلغ الكتابُ أجله كما بينا ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥].

❁ ❁ ❁

س: هل يجوز للشخص أن يتمنى نصرة قومه له أو يسألهم إياها؟

ج: نعم يجوز ذلك، والله أعلم.

قال عيسى عليه السلام: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الصف: ١٤].

وقال لوط عليه السلام: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨].

وقال النبي ﷺ: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أُبلغ كلام ربي عز وجل»(١).

❁ وقال موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥].

❁ وقال النبي ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك (بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب»(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٦٩٢٥)، وابن ماجة حديث (رقم ٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٦٨١)، وأحمد (٢/ ٩٥)، وابن حبان (٢١٧٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٧٥٧)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٣١٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ١٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

ARCHIVE.COM

س: ما معنى قول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٥]؟

ج: قال بعض العلماء: إن (إلى) هنا بمعنى (مع)، فالمعنى والله أعلم: (من أنصاري مع الله) وإلى قد تأتي بمعنى مع كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢] أي: مع أموالكم.

وقال علماء آخرون: إن المعنى (من أنصاري في دعوتي إلى الله عز وجل) أي: من يؤازرني، ويشد عضدي في دعوتي إلى الله عز وجل.

وثمَّ أقوال أُخر، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى الحواري؟ ولماذا سمي الحواريون بذلك؟

ج: الحواري معناه: الناصر، وحواري الرجل هو: صفوته وخلاصته، وقال بعض العلماء: إنه مأخوذ من الحور، وهو البياض عند أهل اللغة[1]، وقال البعض:

---

(١) قال الطبري رحمه الله: وذلك أن (الحور) عند العرب شدة البياض، ولذلك سمِّي الحُوَّاري من الطعام (حُوَّاري) لشدة بياضه، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين: (أحور)، وللمرأة حوراء، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب، وأنهم كانوا قصَّارين، فعرفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا، فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كل خاصَّةٍ للرجل من أصحابه وأنصاره (حواريُّه)، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن لكل نبي حواري = وحواريِّي الزبير**». يعني خاصته، وقد تسمي العرب النساء اللواتي مساكنهن القرى والأمصار (حواريَّات) وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن، ومن ذلك قول أبي جلدة اليشكري:

إن الحواري: الوزير، وقيل: هم أصفياء الأنبياء.

❁ وقيل: إنهم سُمُّوا بالحواريين لبياض ثيابهم، والله أعلم.

وقيل: إن النساء أطلق عليهن الحواريات لبياضهن، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من هو حواري رسول الله ﷺ؟

ج: حواري رسول الله ﷺ هو الزبير، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**إن لكل نبي حواري وحواريي الزبير**»(١).

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، هل يفيد أن عيسى عليه السلام مات ثم رُفع؟ وكيف يُدفع كون الوفاة وردت قبل الرفع؟

ج: لا يفيد ذلك، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، أما كون الوفاة ورد ذكرها قبل الرفع فيدفع ما في ذلك من إشكال قد يَرد بالآتي:

١ - بعض العلماء يرى أن معنى الوفاة هنا النوم، وقد ورد ذلك في كتاب الله

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلام النوابح

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤١١٣)، ومسلم (٢٤١٤) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا، وله طرق أخرى عن النبي ﷺ.

MOSTAFALABWAB.COM

ﷻ، قال الله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر: ٤٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] فعلى ذلك فمعنى متوفيك: منيمك.

٢- بعض أهل العلم يرى أن معنى متوفيك: قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت، مثل: توفيت مالي من فلان أي: قبضته.

٣- وقال بعض العلماء: أماته الله ثم بعثه ثم رفعه، وهذا القول فيه نظر لقوله: ثم بعثه؛ إذ لا دليل عليه.

٤- القول الرابع - وهو الأوجه والأقوى عندي-: أن الواو لا تفيد الترتيب في كثير من الأحيان، بل تفيد مطلقى التشريك، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ﴾ [النور: ٢٧] فمن المعلوم أن التسليم يكون قبل الاستئناس.

❁ وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه: ١٢٩].

❁ وأيضًا استدل على أن الواو لا تقتضي الترتيب بقول الشاعر:

ألا يا نخلة من ذات عِرْق عليك ورحمة الله السلام

أي: عليك السلام ورحمة الله.

فعليه يكون المعنى: إني رافعك إليَّ ومتوفيك إذا جاء الأجل الذي قدرته لوفاتك. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم –: ومطهرك من خبث الذين كفروا، ومنجيك من مكرهم، وذلك برفعي إياك إلى السماء.

❁ ❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [آل عمران: ٥٥] جملة تساؤلات، منها:

١ – إلى من يرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾؟

٢ – من هم الذين اتبعوه؟

٣ – من هم الكفار المذكورون في الآية الكريمة؟

٤ – كيف يندفع الإشكال الوارد في كون بعض الأمم الكافرة مستعلية الآن على أهل الإسلام؟

ج: أما الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعُوكَ﴾ فالكاف ترجع إلى عيسى عليه السلام، وقد قال بعض العلماء: إن المعنى هو النبي محمد ﷺ، وهذا قول بعيد[1]، فالسياق

---

(١) وإن كان المعنى واردًا في حق نبينا ﷺ أيضًا، قال الله ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى**

والقصة كلها بشأن عيسى ﷺ.

٢- أما وقد قررنا أن الضمير يرجع إلى عيسى عليه السلام، فعلى ذلك فالذين اتبعوه هم الحواريون من أصحابه وهم أيضًا النصارى الذين آمنوا برسالته(١)، وصدقوا ما أخبرهم به من رسالة أحمد ﷺ، ويدخل فيهم أيضًا المسلمون من أمة محمد ﷺ فهم متبعي جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

❁ أما الذين كفروا فهم كل من كفر برسالة عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهم اليهود، ويدخل أيضًا من ألَّه عيسى عليه السلام، أو جعله ابنًا لله، أو قال: إنه ثالث ثلاثة، ويدخل فيهم أيضًا: مشركو قريش، وكل من كفر بالله العظيم.

❁ أما دفع الإشكال الوارد من غلبة بعض الأمم الكافرة لبعض الأمم المسلمة مع قول الله ﷻ: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] فلذلك وجوه:

❁ منها: أن يُقال: إن غلبة أهل الإيمان لأهل الكفر إنما هي بالحجة والبرهان، فحجة الذين آمنوا غالبة وحجة الذين كفروا داحضة عند ربهم.

❁ ومنها: أن يقال: إن متبعي عيسى حق الاتباع منصورون على أعدائهم من الكفار في الدنيا على الدوام، وإنما يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن ما يعتريهم

=يأتي أمر الله وهم على ذلك». أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان مرفوعًا وله طرق أخرى.

(١) * ولا يدخل فيهم النصارى الذين ألَّهوه، فإن هؤلاء كفار كما قال الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

* ولا يدخل أيضًا النصارى الذين قالوا: إنه ابن الله، فإنهم مشركون، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

* ولا يدخل أيضًا النصارى الذين قالوا: إنه ثالث ثلاثة، فإن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

Mostafalaw.com

لتقصيرهم في اتباعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومخالفتهم بعض أمره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمر رسول الله ﷺ.

ويقال أيضًا: إن الذين يعتريهم في بعض الأزمنة والأماكن هو من باب المخصوص من العموم، فالعموم أن لأتباع الرسل النصر بإذن الله، وقد يبتلي الله بعض عباده ببعض أعدائه لرفع درجات عباده واتخاذ الشهداء منهم.

❁ ولا شك أن عيسى سينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، وثمَّ أقوال أخر لأهل العلم في هذا الباب.

تنبيه: أشار صديق حسن خان رحمه الله في تفسيره «فتح البيان» إلى رسالة للشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية اسمها «وبل الغمامة في تفسير ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾»، وذكر حاصل ما فيها فليراجعها من شاء.

ولي توقف مع صديق حسن خان رحمه الله حيث قال: وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار أو لطوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين لطوائف المسلمين... إلى آخر ما قاله رحمه الله.

فحقًّا ما قال إن طوائف من المسلمين قاهرون لغيرهم، ولكن توقفي معه من ناحية تفريقه بين النصارى والمتبعين لعيسى والمسلمين، فالنصارى المتبعون لعيسى مسلمون[1]، ولا شك وهم الذين آمنوا برسولنا محمد ﷺ، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض صور العذاب الشديد للكافرين في الدنيا والآخرة؟

(١) مما يدل على ذلك قول الحواريين: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

MOSTAFALABBAD.COM

ج: أما صورة العذاب الشديد للكافرين في الدنيا فبالقتل والأسر والسلب والسبي والأوجاع والأسقام والجزية والإذلال والصغار ونحو ذلك. أما صور العذاب في الآخرة فتعذيب بالنار وجلد بالسياط ودفع إلى الجحيم وعرق يلجم أهله إلجامًا و.. أعاذنا الله والمسلمين من ذلك.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

س: ما هو وجه المماثلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]؟

ج: وجه المماثلة في بيان قدرة الله ﷻ على الخلق والإنشاء، فكما أن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام من تراب بدون أب ولا أم بل قال له كن فكان، فكذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب.

فالقادر على أن يخلق بشرًا بلا أب ولا أم قادرٌ بطريق الأولى أن يخلق بشرًا من

MOSTAFAADAWY.COM

أم بلا أب.

فإن استجزتم أن تتخذوا عيسى ابنًا لله – وحاشا لله – لكونه وُلد من غير أب فلتستجيزوا بطريق أولى أن تتخذوا آدم ولدًا لله، ومعلوم بالاتفاق أن هذا باطل، فالدعوى في عيسى أشد بطلانًا؛ وحاشا لله أن يتخذ صاحبة ولا ولدًا، و﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يشركون.

❀ ❀ ❀

س: اذكر دليلًا على أن ابن البنت يطلق عليه ابن؟

ج: الدليل هو قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ الآية [آل عمران: ١٦]. فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا[(١)].

وقال النبي ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد»[(٢)]، وقريبٌ من ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٤- ٨٧] الآيات، فذكر فيها عيسى ونسبته من ناحية أمه.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه مسلم (ص ١٨٧١ في طرق حديث ٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٦) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa.com

س: اذكر آية المباهلة في القرآن الكريم؟

ج: آية المباهلة هي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

❁ ❁ ❁

س: هل تمت المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى؟

ج: لم تتم المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفي رضي الله عنهما قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله إن كان نبيًا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من عبدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا رجلًا أمينًا، فقال: «**لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين**» فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عبيدة ابن الجراح**» فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمين هذه الأمة**»[1].

❁ وفي «المسند» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: إن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عنقه، قال: فقال: «**لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا**»، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعًا.

Mostafa.com

س: هل تجوز المباهلة بين المسلمين؟

ج: تجوز المباهلة بين المسلمين عند الضرورة القصوى[(١)]، فاللعان مثلًا من صور المباهلة[(٢)]، وإن لم يشابهها في كثير من الوجوه، وقد ورد أن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ دعا خصومه من أهل البدع إلى المباهلة، ففي مقدمة «النونية» (١/ ١٤ - ١٥): وقد دعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قيامًا في مواقف الابتهال حاسري الرءوس فسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.. وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه إلى هذا فوطن نفسه عليه غاية التوطين وبات يحاسب نفسه ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين.

۞ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «زاد المعاد» في فقه قصة أهل نجران (٣/ ٦٤٣):

والسنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لما أنكر عليه بعض مسائل الفروع ولم يُنكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفين الثوري في مسألة رفع اليدين ولم ينكر عليه، وهذا من تمام الحجة.

---

(١) كأن يكون هناك حقٌّ يُبطل، وباطل يثبت، وقدم النُّصح والتذكير ولم يُجْد وأقيمت الحجة وأزيلت الشبهة ولم ينفع ذلك أيضًا، فحينئذ تكون المباهلة لإثبات الحق وإبطال الباطل.

(٢) اللعان ورد ذكره في سورة النور في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦ - ٩].

Mostafabdo.com

س: من المراد بأبناء رسول الله ﷺ ونسائه في الآية الكريمة؟

ج: يوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ ففيه أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما دعاهم إلى المباهلة دعا عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا[1].

س: لما كان القصد من المباهلة تبين الصادق من الكاذب من المتباهلين فلماذا ضم إليهما الأبناء والنساء في المباهلة؟

ج: ضم الأبناء والنساء في المباهلة؛ ليدل ذلك على ثقة المباهل بحالة واستيقانه بصدقه حيث تجرأ على تعريض أعزته، وليدل ذلك أيضًا على ثقته بكذب خصمه، ولأجل أن يهلك خصمه مع أعزته جميعًا لو تمت المباهلة.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن

(١) صحيح وقد تقدم.

MOSTAFALAWY.COM

كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

❀ ❀ ❀

س: هل يجوز إرسال رسالة فيها آيات من الكتاب العزيز إلى الكفار؟

ج: نعم يجوز ذلك، وقد أرسل النبي ﷺ رسالة إلى هرقل فيها[1]: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد....

فأسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

❀ ❀ ❀

س: ما هي كيفية اتخاذ أهل الكتاب بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله؟

ج: لذلك صور منها:

١ - أن بعضهم يطيع بعضًا في معصية الله، وفي تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله الله ﷻ، فأنزلوهم منزلة ربهم من قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧، وفي غير موضع من «صحيحه»)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

MOSTAFADIYA.COM

ولم يحله الله[١].

٢- أن بعضهم يسجد لبعض.

٣- أنهم يعتقدون بألوهية بعضهم كاعتقاد بعض النصارى أن الله هو المسيح ابن مريم.

وبعضهم يدعي أن المسيح ابن الله، واليهود يدعون أن عزيرًا ابن الله.

❀ ❀ ❀

س: كيف حاجج أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام ؟ وكيف أبطل الله حجتهم؟

ج: حاجج أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام بادعائهم أنه منهم، فقالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًا، وقالت النصارى: كان إبراهيم نصرانيًّا، وأبطل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حجتهم بقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥] فكيف تدَّعون أن أبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا والتوراة والإنجيل إنما جاءت بعد إبراهيم ﷺ.

فهذا كقول القائل الجاهل: إن الإمام الشافعي رحمه الله كان وهابيًّا، وكان ابن عباس وهابيًّا أي أتباع لمحمد بن عبد الوهاب!!.

❀ ❀ ❀

س: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأهل الكتاب: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله، وهذا: (يعني الآية) يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي.

MOSTAFA ADLY.COM

بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦]، فما الذي حاجج فيه أهل الكتاب وكان عندهم منه علم، وما الذي حاجج فيه أهل الكتاب وليس لهم فيه علم؟

ج: الذي حاجج فيه أهل الكتاب وكان لهم فيه علم هو محمد ﷺ فكان عندهم في التوراة والإنجيل نعته ووصفه ووقت خروجه ومبعثه وصفة أصحابه وإلى ماذا يدعو وعن ماذا ينهي، ومع ذلك كله جادل فيه أهل الكتاب بالباطل، وكذبوه بغير وجه حق فعليهم العتب في ذلك ولكن العتب الأشد حينما يجادلون في إبراهيم الذي ليس لهم علم به ويصفونه بأنه كان يهوديًا ونصرانيًا.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض أدلة ذم الجدل؟ وهل من الجدل شيء مشروع؟

ج: أما أدلة ذم الجدل، والمذموم هو الجدل بالباطل والمراء فمنها:

❁ قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

❁ وقال سبحانه: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

❁ وقال سبحانه: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢].

❁ وقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًّا**».

mostafa.ibnbaz.com

إلى غير ذلك من الأدلة التي تنهي عن الجدل وهو الجدل المذموم الذي فيه إهدار الحقوق ومضيعة للوقت والجهد، وجلب للضغائن، والانتصار للنفس أو لفئة من الناس أو لمذهب من المذاهب بلا برهان ولا دليل.

أما الجدل المحمود، وهو الذي يؤدي إلى الوصول إلى الحق ويكون بالتي هي أحسن فلا مانع منه.

۞ قال الله سبحانه: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

۞ وقال سبحانه: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

۞ قال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]، إلى غير ذلك من الأدلة الواردة في هذا الباب.

والمدار في هذا الباب على مظنة غلبة المصالح أو المفاسد.

فإذا كانت المصلحة راجحة من وراء الجدل بالتي هي أحسن تم الجدل وإن كانت المفسدة راجحة فحينئذ يُترك الجدل ويبتعد عنه فهو حينئذ نوع من الجدل المذموم، والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞

س: هل اليهود والنصارى مشركون؟

ج: نعم اليهود والنصارى مشركون، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ

MOSTAFAALDAYR.COM

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧] إيماء إلى شركهم.

ونحوه قول الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥]، هذا وقد يرد اشتباهٌ على بعض الناس لحديث: «**إنما مثلكم فيمن خلا من قبلكم من الأمم كمثل رجل استأجر قومًا فعملوا له..**»[(١)] الحديث.

فهذا يفيد أن اليهود والنصارى لهم بعض الأجر فكيف يوجه هذا؟، وللإجابة على هذا أن هذا الحديث إنما هو في اليهود الذين آمنوا بموسى، والنصارى الذين آمنوا بعيسى وذلك قبل بعثة نبينا ﷺ، أما بعد البعثة فلابد من الإيمان بالنبي محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أخرج البخاري (٥٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أُوتي أهل التوراة التوراةَ فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ونحن كنا أكثر عملًا، قال: قال الله ﷻ: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال فهو فضلي أُوتيه من أشاء».

ونحوه عند البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل فعلموا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت، فعلموا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قومًا فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين».

Nasiralaly.com

س: قـــول الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمـــران: ٦٨] وضح معناه؟

ج: المعنى – والله أعلم –: إن أحق الناس بإبراهيم وأخصهم به لكونه منهم وهم منه هم الذين اتبعوا ملته واقتدوا بدينه واقتفوا أثره في توحيده لله ﷻ وسمعه وطاعته لله رب العالمين.

س: قـال الله سـبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أليس النبي ﷺ والذين آمنوا داخلين في الذين اتبعوه، فما فائدة ذكرهم مرة ثانية إذن؟

ج: نعم النبي ﷺ والمؤمنون داخلون في قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ ولكن هذا من باب عطف الخاص على العام للتعظيم والتشريف، فذكرت أحقية المتبعين لإبراهيم بإبراهيم ﷺ ثم نُص على النبي ﷺ وأفرد بالذكر تعظيمًا له وتشريفًا وبيانًا لكونه من المتبعين لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في التوحيد وكثير من أمور الشرع، وكذلك القول في الذين آمنوا.

❁ وعطف العام على الخاص وارد في جملة مواطن في كتاب الله ﷻ.

❁ قـــال الله ســـبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، فنص على الأنبياء المذكورين بأسمائهم لبيان

Nosrabadi.com

شرفهم وفضلهم عليهم الصلاة والسلام.

❁ وقال سبحانه: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، فنص على النخل والرمان مع كونهما داخلين في عموم الفاكهة.

❁ وقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ [النساء: ١٦٣]، وهذا باب واسع والأدلة فيه كثيرة، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: أهل الكفر والمتبعون للشهوات يريدون دائمًا إضلال المؤمنين، اذكر جملة أدلة على ذلك؟

ج: أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة.

❁ قال الله ﷻ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩].

❁ وقال ﷻ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

❁ وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

❁ وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

❁ وقال ﷻ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

Nostalgia4ever.com

❁ وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

❁ وقال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن طائفة من أهل الكتاب بل كثير منهم يتمنى ويرغب ويعمل على إضلال المؤمنين وصرفهم عن الإسلام والتوحيد والاستقامة إلى طرق الغي والفساد، ولكن من كتب الله له الهداية لا يتأثر بكيدهم ولا بتدبيرهم ولا بتمنيهم، كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ

MOSTAFABOOKS.COM

صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ١٦١- ١٦٣] أي: إنكم لا تستطيعون فتنة وإضلال من هداه الله، ولكنكم سبب في إضلال من كتب الله له الغواية، أعاذنا الله منها.

فما كان أهل الكتاب يتمنون إضلال أهل الإيمان ويسعون لذلك ويحفظ الله أهل الإيمان فتزداد حينئذ الآثام التي تلحق بأهل الكتاب من جراء سعيهم في الفساد، ويزداد صرف الله لقلوبهم كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف: ٥] فحينئذ يزداد ضلالهم بما اقترفوه من محاولات إضلال العباد، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠] تشهدون بماذا؟ وعلى ماذا؟

ج: يشهدون أنها آيات نزلت من عند الله إذ هي مصدقة للكتب التي نزلت عليهم، والكتب التي نزلت عليهم مصدقة لها أيضًا وبين أيديهم كتبهم فيها صفة رسول الله ﷺ وصفة أصحابه وأقوالهم وأعمالهم، والله تعالى أعلم.

❁ وثم قول آخر ألا وهو: وأنتم تشهدون على أن الدين عند الله هو الإسلام.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [آل عمران: ٧١]؟

ج: معنى تلبسون: تخلطون، والمعنى الإجمالي – والله أعلم – لم تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وتحرفون التوراة والإنجيل بما يتناسب مع باطلكم،

Mostafalaw.com

والله تعالى لكم.

❁ ❁ ❁

س: للكفار ولأهل الكتاب حيل لتشكيك المسلمين في دينهم وضح بعض تلك الحيل؟

ج: من حيل الكفار ولأهل الكتاب حيل لتشكيك المسلمين في دينهم.

❁ منها: اتباع المتشابه وترك المحكم.

❁ **ومنها:** التفاسير الزائغة لآيات الكتاب العزيز.

❁ ومنه: إيراد الأغلوطات على العامة والرعاع.

❁ **ومنها:** ما ذكره الله تعالى حيث قال: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

فيظهرون أن الرسول حق وما يقوله صدق أول النهار ثم يرجعون آخر النهار قائلين: نظرنا في كتبنا فوجدناه باطلًا ونحن أهل إنصاف ومن الدليل على إنصافنا كوننا قبلناه أول النهار ولكن بتحرينا وتتبعنا واستقصائنا وجدناه باطلًا فيشككون الناس فيه.

وقال آخرون منهم: بل نجعل هذا الدين ألعوبة نؤمن ثم نكفر فيتبعنا الناس على ذلك.

وثم طرق أُخر وحيل أُخر لأهل الفسق في ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

nostrabook.com

س: بين المراد من قول أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن رؤساء أهل الكتاب أوصوا السفلة منهم بذلك فقالوا لهم: لا تصدقوا محمدًا ولا تصدقوا من أسلم معه، إنما ليكن تصديقكم لمن هو من أهل الملة التي أنتم عليها.

وقول آخر: لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لأهل دينكم، والله تعالى أعلم. وانظر ما سيأتي في السؤال التالي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآية الكريمة بتمامها ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]؟

ج: لأهل العلم جملة أقوال في هذه الآية الكريمة منها:

❁ أن أهل الكتاب قال بعضهم لبعض: ولا تصدقوا إلا من كان على دينكم فلن يؤتي أحد مثل الذي أوتيتموه (من توراة وألواح ومنٍّ وسلوى و..... أو من مائدة و...) وليس عند أحدٍ غيركم حجة يحاججكم بها عند ربكم ﷻ.

فرد الله ﷻ عليهم بقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: الذي أعطاكم هذا الفضل قادرٌ على أن يعطي غيركم أيضًا أفضل منه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، جملة اعتراضية بين كلامين فحواها أن الذي هداكم قادر على أن يهدي غيركم، وقادر على أن يسلب الهدى منكم. والله أعلم.

MOSTAFAADWY.COM

❁ وقول آخر: لا تخبروا بما في كتابكم – من صفة محمد ﷺ والآيات التي معه – إلا من اتبع دينكم لئلا يكون ذلك سبب لإيمان الناس بمحمد ﷺ فيساووكم في الإيمان ويزدادوا عليكم لقوة إيمانهم وشدة تصديقهم وتركب الحجة عليكم في الدنيا والآخرة.

وثمَّ أقوال أخر والله ﷻ أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالفضل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣] وما وهو وجه ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج: أما المراد بالفضل فهو ما أنعم الله به من توفيق وهداية للإيمان والإسلام، وأيضًا ما أيد الله ﷻ به رسله وأنبياءه، أما وجه الختام بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: عليم بمن يستحق هذا الفضل والهداية للتوفيق من غيرهم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالرحمة في قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤]؟

ج: قيل في المراد بالرحمة هنا جملة أقوال منها النبوة، والإسلام، والقرآن، والهداية، وقيل: هي أعم من ذلك كله فيدخل فيها كل ما ذكره من غيره أيضًا، والله أعلم.

MOSTAFAADAWY.COM

س: هل النبوة تنال بالاستحقاق أم بالاختصاص؟

ج: قوله تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾، وقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، يفيدان – مع غيرهما من الأدلة – أن النبوة تُنال بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق، والله تعالى أعلم.

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

س: أهل الكتاب منهم الأمين ومنهم الخائن لكن أكثرهم خونة وضح ذلك، واذكر مثالًا لرجلٍ أمين منهم؟

ج: نعم أهل الكتاب منهم الأمين ومنهم الخائن كما قال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ

Mostafawy.com

ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥].

❁ ولكن أكثرهم خونة لقول الله ﷻ: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

❁ ومن أمثال هذا الرجل الأمين منهم ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقت: فدفعها إليه على أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أَجَّله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجَّج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلًا فقلت: كفى بالله كفيلًا فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا فرضي بذلك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرِف بالألف دينار راشدًا[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري معلقًا في كتابه «الكفالة» (٢٢٩١) فقال: وقال الليث حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ.

Mostafawy.com

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن من أهل الكتاب من هو خائن لا يؤدي الأمانة إلا ما دمت عليه قائمًا بالملازمة والمطالبة، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ أي ملازمًا له ومطالبًا بالدين الذي لك عليه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: الواقع بين أهل الكتاب على ثلاث أصناف:

❁ منهم: الأمين الذي إن تأمنه بقنطار يؤده إليك.

❁ ومنهم: الخائن الذي إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا.

❁ ومنهم: الخائن الذي لا يؤدي إليك حقك وإن طالبته به.

فلماذا اقتصر في سياق الكتاب العزيز على ذكر قسمين؟

ج: اقتصر في سياق الكتاب العزيز على ذكر صنفين؛ لأن هذا هو الغالب في أهل الكتاب على عهد النبي ﷺ، وأهمل ذكر الصنف الثالث لقلتهم، ومن المعهود في سياق القرآن الكريم أن الغالب هو الذي يُذكر ويعول عليه في كثير من الأحيان، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] مع أن من الأعراب من هو مؤمن، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٩٩].

❁ ❁ ❁

Mostafawy.com

س: الاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد وضح ذلك؟

ج: نعم الاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد، ألا ترى إلى بني إسرائيل لما اعتقدوا – بناء على ما اختلفوه من كذب وزور وتحريف – أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات حملهم ذلك على الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣- ٢٤].

وأيضًا لما قالوا كذبًا وزورًا: إنهم ليس في الأميين سبيل – أي ليس عليهم حرج إذا ظلموا العرب والمسلمين – حملهم هذا المعتقد الخبيث على الخيانات وأكل أموال الناس بالباطل، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ فالمراد به – والله أعلم –: أن أهل الكتاب لما قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ رد الله ﷻ عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ أي: بلى عليكم حرج وسبيل وإثم في الأميين إذا أكلتم أموالهم وظلمتموهم.

❁ أما قوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، فالمعنى –

MOSTAFABOOK.COM

والله أعلم: أن من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب مع الله ﷻ، هذا العهد الذي عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث وتصديقه فيما جاء به فإن الله يحب المتقين الذين اتقوا محارم الله واتبعوا شرعه، أو المراد: واتقي الشرك، أو المراد: واتقى أكل أموال الناس بالباطل والخيانة ونقض العهد، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: بيِّن سبب نزول قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]؟

ج: نزلت هذه الآية الكريمة في الأشعث بن قيس، وذلك كما رواه ابن مسعود[1] رضي الله عنه إذ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين – وهو فيها فاجر – ليقتطع بها مال امرئٍ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»، قال: فقال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «**ألك بينة؟**» قال: قلت: لا، قال: فقال اليهودي: أحلف، قال: فقلت: يا رسول الله إذن يحلف ويذهب بمالي، قال فأنزل الله: ﴿إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من «صحيحه»، منها (٢٦٦٦، ٢٦٦٧)، ومسلم (حديث ١٣٨)، وغيرهم.

وثمَّ سبب نزول آخر لهذه الآية الكريمة أخرجه البخاري (٤٥٥١) من طريق إبراهيم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رجلًا أقام سلعة في السوق فحلف فيها لقد أُعطى بها ما لم يُعطه ليوقع فيها رجلًا من المسلمين فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر، الآية لكن في إسنادها إبراهيم بن عبد الرحمن وهو السكسي متكلم فيه، وقد انتقد الدارقطني على البخاري إخراج بعض الأحاديث من طريقه.

MostafaLabiv.com

﴿ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية.

❀ ❀ ❀

س: حكم الحاكم هل يُحل الحرام أو يحرم الحلال؟

ج: حكم الحاكم لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال؛ بدليل قول النبي ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع منكم، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار»(١)، وبدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]، وبدليل قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة»(٢).

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٧] هذه الآية نفت تكليم الله ﷻ لطوائف من أهل الكفر، وثمَّ آيات أُخر أثبت تكليم الله ﷻ للكفار كقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢]، وكقوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وكقوله تعالى: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٩)، (٣٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFAADEL.COM

[المؤمنون: ٦٥] فكيف تجمع بين الآيات التي نفت تكليم الله لطوائف من الكفار والآيات التي أثبتها؟

ج: الجمع بأن يقال: إن الكلام المنفي هو الكلام الذي يقتضي اللطف بهم ورحمتهم، والكلام المثبت هو الكلام الذي فيه تأنيب وتعذيب وتبكيت لهم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر طوائف أُخر ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة؟

ج: من هذه الطوائف ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يُكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارٍ، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(١).

❁ ومنهم ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماءٍ بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعطه منها لم يف**»(٢).

❁ ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٦)، ومسلم واللفظ له (١٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

Nosrafan.com

كذاب، وعائل مستكبر»[(١)].

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

س: في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] مقدرات محذوفة ذكرها بعض العلماء ما هي هذه المقدرات المحذوفة؟

ج: أما الأول: وهو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ فقد ذكر كثيرٌ من المفسرين أن

(١) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFA ADLY .com

المعنى: ما كان ينبغي لبشر، وقال بعضهم: ما كان ينبغي ولا يستقيم لبشر.

وقال بعضهم: إن ذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]، وكقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، وقول المؤمنين: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ [النور: ١٦] فالمعنى: ما كان ينبغي، والله أعلم.

أما الثاني: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ فالمعنى – والله أعلم –: ولكن يقول (أي: يقول من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة): كونوا ربانيين، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]؟

ج: المعنى والله أعلم: أنه لا يصلح ولا يستقيم أن يكون هناك رجل رزقه الله الكتاب وعلمه الأحكام وفقهه في الدين وآتاه النبوة، ثم بعد ذلك يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله، فلا يستقيم أن يكون رجل نبيًّا عالمًا أمينًا ويأتي مع ذلك يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله، فلا تتناسب النبوة مع الكذب، ولا يصلح أن يكون النبي إلهًا في وقت واحد، ولكن من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة يدعو الناس إلى معرفة الله والعلم ويحدوهم على معرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته.

❀ ❀ ❀

Mostafa Adwy.com

س: بِم تُنال درجة الربانية؟ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]؟

ج: هذه الدرجة تنال بما ذكره الله ﷻ في كتابه حيث قال: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ فهي تنال بالتعلم والتعليم، والمعنى الإجمالي: ولكن كونوا سادة علماء حكماء فقهاء مربين للناس بدراستكم الكتاب وتعليمه للناس، والله تعالى أعلم.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»: وفي هذه الآية أعظم باعث لمن علم على أن يعمل، وإن من أعظم العمل بالعلم تعليمه والإخلاص لله سبحانه، والدراسة: مذاكرة العلم والفقه، فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا، فمن اشتغل بها لا لهذه المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه.

س: عبادة ملك من الملائكة أو نبيًّا من الأنبياء كفر بالله ﷻ، وكذلك سؤاله بعد موته وطلب كشف الضر منه وكذلك طلب جلب النفع كل هذا كفر بالله، وضح ذلك؟

ج: الدليل هو قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فبينت الآية الكريمة أن اتخاذ الأنبياء والملائكة أربابًا نوع من نوع الكفر.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

MOSTAFALADWY.COM

س: وضح المراد بهذه الآية الكريمة ﴿وَإِذْ [١] أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

الأول: أخذ الله ﷻ ميثاق النبيين أن يؤمن أولهم بآخرهم أي: يؤمن كل نبي بالذي يأتي بعده.

الثاني: أخذ الله ميثاق النبيين جميعًا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

الثالث: أخذ الله ميثاق أمم النبيين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

الرابع: أخذ الله ميثاق النبيين وأممهم لهم تبع أن يؤمنوا بمحمد ﷺ.

الخامس: أمر الله كل نبي أن يأخذ الميثاق على أمته إن بعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به، وثمَّ أقوال أخر أضربنا عن ذكرها.

أما قوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] أي للذي أعطيتكموه من الكتاب والحكمة، وقال آخرون: (لما) بمعنى مهما، والمراد مهما أوتيتم من كتاب وحكمة ثم جاءكم محمد ﷺ فلزام عليكم أن تؤمنوا به.

وقال بعض أهل العلم: إن (رسول) وإن كانت نكرة إلا أنه أُريد بها معين وهو محمد ﷺ، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(١) هنا مقدر محذوف قدره بعض أهل العلم فقالوا: واذكروا يا أهل الكتاب، وقدره آخرون على العموم: واذكروا إذ أخذ...، والله أعلم.

جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣] والله تعالى أعلم.

س: قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [آل عمران: ٨٣] كيف أسلم الكافر كرهًا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

١- أن الكافر، وإن أبى أن يسلم بلسانه فهو مستسلم لأقدار الله ﷻ التي تجري عليه فلا يستطيع تبديلها فهو يمرض ويُكسر وينجب أو لا ينجب ويكون عقيمًا أو له ولد ويكون صغيرًا فيشب ثم يتسرب إليه الضعف والشيب ثم يدركه الموت ولا يستطيع لذلك كله تبديلًا.

٢- أن الكافر وإن أبى أن يسجد لله فظله يسجد لله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥].

٣- أن الكافر يُسلم عند معاينة الموت حيث لا ينفعه إيمانه، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

٤- أن الكافر أسلم كارهًا خوفًا من السيف كما في «الصحيح»: «**عجب الله من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسل**»[(١)].

٥- أن إسلام الكافر هو معرفته بالله وإن أنكرها بلسانه.

٦- أن إسلام الكافر كرهًا كان عند أخذ الميثاق.

وأولى الأقوال عندي بالقبول القول الأول، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

Nostrapdf.com

س: ما هو سبب نزول قول الله ﷻ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]؟

ج: سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا من الأنصار ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، فأنزل الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، فبعث بها قومه إليه فرجع تائبًا إلى النبي ﷺ فخلَّى النبي ﷺ سبيله[(١)].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩١٤)، والطبري في «التفسير» (٧٣٦٠) وإسناده صحيح.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]؟

ج: المعنى – والله أعلم – أن من كفر بعد إيمانه وبعد معرفته اليقينية وشهادته أن الرسول ﷺ حق وأنه رسول من عند الله وبعد مجيء البينات إليه فقد تسبب لنفسه في إبعاد الهداية عنه، فقد جرت سنة الله أن من يسلك طرق الخير ييسرها الله عليه ومن سلك طريق الشر هيِّيء له في الغالب، قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ١٠].

۞ وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معناها: يعني كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قومًا جحدوا نبوة محمد ﷺ ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: بعد تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه ﴿وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ يقول: وبعد أن أقروا أن محمدًا رسول الله ﷺ إلى خلقه، حقًّا، ﴿﴾ يعني وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ يقول: والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظالمة، وهم الذين بدلوا الحق إلى الباطل فاختاروا الكفر على الإيمان، والله أعلم.

AlSirajLibrary.com

س: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] كيف تجمع بينه وبين الواقع من أن بعض الظالمين يهديهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

ج: وجه الجمع من ناحيتين:

الأولى: أن يقال إنهم ما داموا قائمين على ظلمهم وكفرهم وجحودهم لآيات الله ولا يتحرون الحق والصواب فلا يهديهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما إذا تحروا الحق والصواب فإن الله ﷻ يأخذ بأيديهم إليه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وكما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥- ٧].

الثانية: أن يقال: إن المراد بالظالمين الذين لا يهديهم الله هم من كتبت عليهم الشقاوة وطبعوا على الكفر، فهؤلاء قوم ذرأهم الله ﷻ لجهنم فلا تنفع الذكرى ولا تجدي معهم النصيحة، والله تعالى أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧] ما المراد بلعنة الله هنا، وما المراد بلعنة الملائكة والناس أجمعين؟

ج: المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾: أنه يحل بهم من الله ﷻ الإقصاء والبعد. كما قاله الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أما لعنة الملائكة والناس أجمعين، فالمراد بها دعاء الملائكة والناس أجمعين عليهم بالطرد من رحمة الله ﷻ، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

س: قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧] يفيد أن الكافر يلعن الكافر فكيف ذلك؟

ج: نعم، الكافر يلعن الكافر يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] فيدعو كل كافر على صاحبه كما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

وكما قال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] إلى غير ذلك من الآيات، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ٨٨] خالدين في ماذا؟

ج: خالدين فيها أي في اللعنة هذا قول، وقول آخر: خالدين فيها أي: في النار، والله تعالى أعلم.

س: بعض الذنوب لا يكفي للتوبة منها قول الرجل: أستغفر الله فقط، وضح ذلك؟

MOSTAFALADY.COM

ج: نعم ثمَّ جملة ذنوب لا يكفي فيها قول الرجل: أستغفر الله فقط، بل لابد مع التوبة أشياء أُخر، فإذا أكل رجل أموال الناس بالباطل فلا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل يرد الأموال إليهم أيضًا، وإذا غَشَّ عالمٌ الناس في فتوى أفتاها عن عمد لا يكفي أن يقول: أستغفر الله، بل يلزم أن يبين لهم الصواب كذلك، وإذا قذف رجل امرأة محصنة عليه أن يبين براءتها كذلك، والشواهد على ذلك ما يلي:

❁ قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، فاشترط هنا التوبة والإصلاح والبيان.

❁ وقول الله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٥] فاشترط كذلك الإصلاح هنا.

❁ وقول الله ﷻ في القذفة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤- ٥].

❁ وقال النبي ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(١).

❁ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إذا خلص المؤمنون يوم القيامة من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في**

(١) أخرجه مسلم (٦٥٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

MostafaLaw.com

الجنة أدَلُّ بمنزلة كان في الدنيا»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾ [آل عمران: ٩٠] من هم الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا؟

ج: قيل: هذه الآية عامة في كل من آمن ثم كفر ثم ازداد كفرًا، وقيل: هم اليهود آمنوا بموسى وبالتوراة ثم كفروا بعيسى وبالإنجيل ثم ازدادوا كفرًا لما كفروا بمحمد ﷺ.

❁ وقيل: هم اليهود والنصارى آمنوا بما عندهم في التوراة والإنجيل من صفة محمد ﷺ وصفة من معه وما معه، ثم لما جاء رسول الله ﷺ كفروا به ثم أصروا على كفرهم وازداد عنادهم.

❁ وقيل: هذا في الكفار أقروا بأن الله خالقهم ورازقهم ثم أشركوا بالله وازداد كفرهم بجحودهم رسالة محمد ﷺ واستمرارهم على الكفر حتى هلكوا عليه، والله أعلم.

فائدة: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا﴾ دليل على أن الكفر يتفاوت، فهناك كفر أعظم من كفر، وسيأتي بيان ذلك في محله إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: ما هو سبب نزول قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

MostafaLaw.com

كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠]؟

ج: سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾[1].

س: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠] كيف لا تقبل توبتهم والله ﷻ يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥] ويقول: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث فيها: «إن للتوبة بابًا مفتوحًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»، والآيات والأحاديث على هذا النحو وهذه الشاكلة كثيرة؟

ج: هناك جملة أجوبة لأهل العلم على ذلك، منها:

الأول: أن الكافر إذا أخر توبته حتى الممات ثم جاء يتوب عند مماته لا تقبل توبته، كما قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨]، ولما قال فرعون عند الغرق: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أجيب بقوله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

(١) تقدم قريبًا.

MOSTAFALADAWY.COM

قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١].

الثاني: أن الكفار يرتكبون كفرًا ويقترفون معاصي، فإذا تابوا من معاصيهم لا تغفر لهم تلك المعاصي ما داموا مقيمين على الكفر.

الثالث: أن اليهود الذين كفروا بعيسى ﷺ ثم ازداد كفرهم بمحمد ﷺ وأسرفوا على أنفسهم بالمعاصي لن تقبل توبتهم من المعاصي إلا إذا آمنوا بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

الرابع: أن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا وحاولوا إظهار التوبة للناس غشًّا وخداعًا فلن تقبل منهم هذه التوبة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: من مات على الكفر فلن يُقبل منه عملٌ – عمله – في الدنيا ولا فدية يفتدي بها في الآخرة دلل على ذلك؟

ج: أما الأدلة على ذلك فكثيرة منها:

❁ قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٩١].

❁ وقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧].

❁ وقول الله ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

MOSTAFAADWI.COM

❁ وقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقول الله ﷻ: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

❁ وقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] إلى غير ذلك من الآيات.

❁ أما من حديث النبي ﷺ:

❁ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؛ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك**»(١).

❁ وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»(٢).

❁ ❁ ❁

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وفي لفظ مسلم: «**قد أردت منك هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك**».

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها به.

MOSTAFALABIB.COM

س: ما معنى البر في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]؟

ج: المراد بالبر هنا ثواب البر وهو الجنة، فالمعنى: لن تنالوا الجنة حتى تنفقوا مما تحبون.

وقال بعض العلماء قولًا قريبًا من هذا، فقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني بذلك جل ثناؤه: لن تدركوا أيها المؤمنون (البر) وهو (البر) من الله الذين يطلبونه منه بطاعتهمي إياه وعبادتهم له ويرجونه منه، وذلك تفضله عليهم بإدخالهم الجنة وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل: (البر): الجنة، لأن بر الرب بعبده في الآخرة إركرامه إياه بإدخاله الجنة.

ثم نقل رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الآثار في ذلك.

❁ هذا وثم أقوال أخرى في تفسير البر هنا، فقال بعض العلماء: إن المراد به هنا التقوى، وقال آخرون: الطاعة، وكل هذا يؤدي إلى الجنة، وتوجيه من قال: إن البر هو التقوي أو الطاعة أن يقال: إنكم لن ترزقوا التقوى وحب طاعة الله ﷻ حتى تنفقوا مما تحبون، فإنفاقكم مما تحبون يورث قلوبكم التقوى ويورثها حب طاعة الله ﷻ، وهذا وذاك يؤدي بدوره إلى الجنة، والله أعلم.

هذا وقد يرد البر بمعان أخر في موطنَ أخر، كما قال الله ﷻ: ﴿❁ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

وكما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**البر حسن الخلق**»[(١)]، وكما جاء في

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر

حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة**»[(١)]، إلى غير ذلك.

فاصطلاح (البر) كسائر الاصطلاحات التي تتعدد معانيها ويفهم المعنى من السياق الذي ورد فيه، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض آيات من الكتاب العزيز تحث على الإنفاق مما نحب؟

ج: من هذه الآيات:

❁ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٩٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨-١٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ

=والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (ص ٢٠١٣ حديث ٢٠٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

nosfeal.com

نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

❁ ❁ ❁

س: اذكر صحابيًّا نال شرف العمل بهذه الآية الكريمة: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]؟

ج: الصحابة الذين علموا بهذه الآية كثير، لكن أصح ما ورد في ذلك إنما هو عن أبي طلحة، فأخرج البخاري وغيره[1] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله: «**بخٍ ذلك مال رايح ذلك مال رايح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

❁ وقد ورد في هذا الباب شيء عن عمر ﷺ، فأخرج الطبري في «تفسيره» (٧٣٩٢) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﷻ: ﴿ ﴾ قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من حلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال: إن الله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٤)، ومسلم (حديث ٩٩٨) من حديث أنس ﷺ.

Mostafa Adly.com

يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ فأعتقها عمر[(١)].

وقد وردت آثار أخرى في الباب فيها بعض الضعف منها: ما أخرجه الطبير (٧٣٩٧) من طريق يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن عمرو بن دينار قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ جاء زيد بفرسٍ له يقال له: (سَبَل) إلى النبي ﷺ فقال: تصدَّق بهذه يا رسول الله، فأعطاها رسول الله ﷺ ابنه أسامة بن زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق به! فقال رسول الله ﷺ: «**قد قبلت صدقتك**».

وهذا مرسل فعمرو بن دينار تابعي.

❁ وأخرج الطبري أيضًا (٧٣٩٨) من طريق الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أيوب وغيره أنها حين نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرسٍ له كان يحبها فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فحمل رسول الله ﷺ عليها أسامة بن زيد فكأن زيدًا وجد في نفسه، فلما رأى ذلك منه النبي ﷺ قال: «**أما إن الله قد قبلها**».

وهذا أيضًا مرسل[(٢)].

❁ وقال الحافظ أبو بكر البزار[(٣)]: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني،

---

(١) وهذا مرسل فمجاهد لم يدرك عمر رضي الله عنه، لكن ورد أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله لم أصب مالًا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر فما تأمرني به؟ قال: «**احبس الأصل وسبِّل الثمرة**».

(٢) وله شاهد مرسل آخر أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩٤٩) من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد المقريء ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر بنحوه، فهذه ثلاثة مرسلات ترقي الأثر للحسن. والله أعلم.

(٣) نقلًا عن ابن كثير.

MostafaDaw.com

حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال عبد الله: حضرتني هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ فذكرت ما أعطاني الله ﷻ، فلم أجد شيئًا أحب إليَّ من جارية رومية فقلت: هي حرة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها يعني: تزوجتها. وهذا أيضًا ضعيف.

❁ وذكر القرطبي في «تفسيره» بعض الآثار الأخرى فقال: وروي عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خثيم قالت: كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة أعطي السائل سكرًا، فإن الربيع يحب السكر، قال سفيان: يتأول قول الله ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾.

❁ وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالًا من سكر ويتصدق بها فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكر أحب غليَّ فأردت أن أنفق مما أحب.

❁ وأخرج البخاري (٢٥١٧) من طريق سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين قال: قال لي أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «**أيما رجل أعتق امرأ مسلمًا استنقذ الله بكل عضوٍ منه عضوًا منه من النار**»، قال سعيد بن مرجانة: فانطلقت به إلى علي بن الحسين، فعمد عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبد له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم – أو ألف دينار – فأعتقه.

❁ ❁ ❁

﴿❁ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ

مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

س: من هو إسرائيل؟

ج: إسرائيل هو يعقوب عليه السلام.

س: اذكر باختصار تأويل قوله الله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ [آل عمران: ٩٣]؟

ج: المعنى باختصار: أن كل الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل قبل أن تُنزَّل التوراة ولم يُحرم منها شيء إلا الذي كان إسرائيل قد حرمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة.

ثم بعد ذلك نزلت التوراة وفيها تحريم جديد لأشياء كانت حلالًا كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]، وكما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

Mostafawy.com

س: ما هو الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه؟

ج: في ذلك جملة أقوال:

الأول: أن الذي حرمه على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها.

الثاني: أنه لحوم الإبل.

الثالث: أنه لحوم الإبل مع عروقها.

الرابع: أنه حرَّم العروق فقط.

الخامس: أن الذي حرمه هو زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما كان على الظهر فإن ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار.

السادس: أن الذي حرَّمه على نفسه إنما هو الأنعام.

❁ وأصح هذه الأقوال قول من قال: إن الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه إنما هو اللحم (بما فيه من عروق)؛ وذلك لأن الأسانيد المرفوعة بذلك أمثل الأسانيد رغم ما فيها من مقال، والله تعالى أعلم[1].

---

(١) فقد أخرج أحمد (١/ ٢٧٤ «المسند») من طريق أبي أحمد ثنا عبد الله بن الوليد العجلي وكانت له هيئة رأيناه عند حسن عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا لاقاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذا قالوا: والله على ما نقول وكيل قال: «**هاتوا**» قالوا: أخبرنا عن علامة النبي، قال: «**تنام عينه ولا ينام قلبه**»، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر، قال: «**يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت**» قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه، قال: «**كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا**» قال عبد الله: قال أبي: قال بعضهم: يعني: الإبل «**فحرم لحومها**» قالوا: صدقت، أخبرنا ماهذا الرعد؟ قال: «**ملك من ملائكة الله ﷻ موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله**» قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع! قال: «**صوته**» قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخير، فأخبرنا من صاحبك قال: «**جبريل** عليه السلام» قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو

=قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى آخر الآية.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩٥٢) ولكن عنده «**فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان الأُتن فحرم لحمها**».

لكن لي بعض الملاحظات على هذا الإسناد والمتن فمتنه ليس صريحًا في إثبات أن الذي حُرِّم هو لحم الإبل، وأيضًا فيه قال عبد الله: قال أبي قال بعضهم: يعني: الإبل، وفي رواية ابن أبي حاتم (الأُتن). هذا شيء، الشيء الثاني أنه من طريق بكير بن شهاب، وقد اختلف عليه، وحديثه أيضًا لا يرتقي للحسن.

* أما القول القائل بأنه حرم لحوم الإبل وألبانها فمستنده:

ما أخرجه ابن جرير الطبري (٧٤٢٠) من طريق أبي كريب قال: حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضًا شديدًا فطال سقمه فنذر لله نذرًا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها؟**» فقالوا: اللهم نعم.

= وأخرجه أحمد وابن حاتم (٩٥١).

وفي إسناده شهر بن حوشب متكلم فيه.

* أما القول القائل بأنه حرم العروق ولحوم الإبل فمستنده:

* ما أخرجه الطبري في «التفسير» (٧٤١٨) من طريق أبي كريب حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ قال: حرم العروق ولحوم الإبل، قال: كان به عرق النسا فأكل من لحومها فبات بليلةٍ يزقو فحلف أن لا يأكله أبدًا.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩٥٣) لكن لفظه: لا آكل عرقًا.

وأخرجه ابن جرير أيضًا (٧٤١٧) بإسناد أحب إليَّ من الإسناد المتقدم، وذلك من طريق محمد بن بشار قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت قال: حدثنا سعيد عن ابن عباس فذكره وفيه: لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الإبل.

لكن ليس صريحًا في ذكر لحوم الإبل (لقوله: يعني) ثم إنه ورد من طريق الثوري أيضًا (بلفظ العروق عند الطبري (٧٤١١).

* أما القول القائل بأنه حرم على نفسه العروق فمستنده:

=

MOSTAFALAWY.COM

س: ما هو علاج عرق النسا[١]؟

ج: شفاء عرق النسا ألية شاة أعرابية تُذاب ثم تُجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الريق في كل يومٍ جزء[٢].

س: قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، فيه دليل من دلائل نبوة النبي محمد ﷺ، وضح ذلك؟

ج: نعم فيه دليل من دلائل النبوة، وذلك لأن النبي ﷺ كان أُميًّا[٣] (لا يقرأ ولا

ما أخرجه الطبري (٧٤٠٥) من طريق يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: إنه جعل امرأته عليه حرامًا، فقال: ليست عليك بحرام، قال: فقال الأعرابي، ولم؟ والله يقول في كتابه: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾؟ قال: فضحك ابن عباس، وقال: وما يدريك ما كان إسرائيل حرَّم على نفسه؟ قال: ثم أقبل على القوم يحدثهم، فقال: إسرائيل عرضت له الأنساء فاضنته فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عرقًا، قال: فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم.

وما أخرجه الطبير أيضًا (٧٤٠٨) من طريق بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن الذي حرَّم إسرائيل على نفسه أن الأنساء أخذته ذات ليلة فأسهرته فتألى إن شفاه الله لا يطعم نسًا أبدًا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم.

* أما القول القائل بأنه حرم على نفسه زائدتي الكبد والكليتين... إلخ

فهو عند ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩٥٤) من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول، وهو موقوف على ابن عباس أيضًا.

وكذلك القول القائل إنه حرَّم على نفسه (لحم الأغنام) فهو قول ضعيف إذ هو من طريق جابر الجعفي عن مجاهد، وجابر مهتم بالكذب (أخرجه الطبري ٧٤١٩) وابن أبي حاتم (٩٥٥).

(١) علق النسا: هو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر حتى يبلغ الكعب.
ذكر ذلك بعض أهل العلم.

(٢) وقد ورد بذلك حديث أخرجه ابن ماجة من طريق هشام بن عمار وراشد بن سعيد الرملي قالا: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا هشام بن حسان حدثنا أنس بن سيرين أنه سمع أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:.... فذكره. وإسناده صحيح.

(٣) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

=

MOSTAFALEDWY.COM

يكتب)، ومع ذلك أخبرهم بالموجود في كتابهم التوراة، وبالذي هو غير موجود فيها رغم ما أخفوه من شأن التوراة وما حرفوه منها. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: لقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، مناسبة بعد ذكر ما تقدم من آيات وضح هذه المناسبة؟

ج: أما مناسبة ذلك فمن وجوه:

أولها: أن المشروع عندنا الإنفاق مما نحب، لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢][1]، ثم بُين الذين كان مشروعًا في شريعة إسرائيل عليه السلام وهو تحريم بعض الأشياء (أو أحب الأشياء إلى نفسه)، على نفسه.

الوجه الثاني: أن سياق الآيات المتقدم كان للرد على النصارى وتزييف أباطيلهم وبيان كذبهم وافترائهم على عيسى عليه السلام، ثم جاء بعد ذلك الرد على اليهود في كذبهم وافترائهم أيضًا، وكذبهم وافتراؤهم هنا يتلخص في أنهم كانوا ينكرون النسخ، ومن ثم زعموا أن المحرمات عليهم في التوراة إنما هي محرمات على سائر الأنبياء من قبلهم (وذلك حتى يسلم لهم القول بأنه ليس هناك نسخ)، فكذبهم الله عز وجل بقوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾، ثم جاء تحريم أشياء أخرى في التوراة كما ذكر

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

(١) وكذلك لقوله تعالى أيضًا: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولقوله سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]، ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

Mostafa Adly .com

سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وكما ذكر سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية، فدل هذا على أن هناك نسخ إذ هذه أشياء قد حرمت وكانت حلالًا من قبل، ثم تحداهم الله ﷻ بقوله: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾، أي: حتى تعلموا الذي كان محرمًا مما لم يكن محرمًا. وصدق الله.

❀ ❀ ❀

س: هل تشرع المحافظة على قول صدق الله العظيم عقب تلاوة القرآن؟

ج: لم أقف على دليل يفيد ذلك، وقد قال النبي ﷺ لما رأى الحسن والحسين مقبلين: «**صدق الله** ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]»[(١)].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود: «**أقرأ عليَّ**»، قال: أقرأ عليك وعليك أُنزل يا رسول الله؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأ عليه من سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، فقال له رسول الله ﷺ: «**حسبك**»، قال فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ١١٠٩) من طريق عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال: «**صدق الله** ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ **رأيت هذين فلم أصبر**» ثم أخذ في الخطبة، وهو حديث صحيح، وقد أخرجه أيضًا الترمذي (٣٧٧٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد، وأخرجه أيضًا النسائي (٣/ ١٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٣٧)، وابن ماجه (٣٦٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، وفي غير موضع، ومسلم (حديث ٨٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه،

Nostrapdf.com

الشاهد لو كان قوله: (صدق الله العظيم) عقب انتهاء القراءة مشروعًا لأوقفه النبي ﷺ بقوله: قل (صدق الله العظيم)، والله تعالى أعلم.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾.

س: ما المراد بالبيت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]؟

ج: المراد والله تعالى أعلم: أول بيت وضع لعبادة الناس ونسكهم يصلون فيه ويطفون ويعتكفون عنده. هذا هو الذي استظهره من أقوال العلماء في ذلك.

س: ما هو أول مسجد وضع في الأرض؟ والدليل؟

ج: أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام، والدليل على ذلك

=قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**»، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**نعم**»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال: «**حسبك**» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان، وله ألفاظ أُخر قريبة المعنى من هذا اللفظ.

MOSTAFAADAWY.COM

حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**» قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**» قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد**»[1].

ودليل آخر وهو الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، على التأويل الذي ذكرناه في ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما هو وجه البركة في المسجد الحرام؟

ج: أصل البركة النمو والازدياد، وتطلق أيضًا على ثبوت الخير في الشيء، ووجه البركة حاصل هنا من وجوه:

❁ منها: مضاعفة ثواب الصلاة فيه، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد.

❁ ومنها: الأجر الذي أُعد للطائفين والحاجين والمعتمرين.

❁ ومنها: تواجد زمزم، فماؤها طعام طعم وشفاء سقم.

❁ ومنها: ما دعا به إبراهيم الخليل لمكة أن يبارك الله في ثمارها ومدها وصاعها، إلى غير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٢)، ومسلم (حديث ٥٢٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

MOSTAFALADWY.COM

س: ما هو وجه هداية البيت الذي وضع ببكة للعالمين؟

ج: وجه هدايته من وجوه، منها:

أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم.

أن به دلائل وآيات تدل على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أنه هدى للعالمين إلى الجنة.

❀ ❀ ❀

س: هل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] مناسبة في الرد على اليهود؟

ج: نعم به مناسبة، وذلك لأنهم ادعوا أن أول بيت وضع للناس الذي ببيت المقدس، ففي هذه الآية ردٌّ عليهم.

❀ ❀ ❀

س: اليهود مشهورون بالكذب والتحريف والكتمان، اذكر حديثًا يبين ذلك؟

ج: أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٥٥٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجلٍ منهم امرأة قد زنيا فقال: «**كيف تفعلون بمن زنى منكم؟**» قالوا: نحممهما ونضربهما، فقال: «**لا تجدون في التوراة الرجم؟**» فقالوا: لا نجد فيها شيئًا، فقال لهم عبد الله بن سلامٍ: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فوضع مِدراسُها الذي يُدرِّسها منهم كفَّه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءه ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه، فما رأوا

MOSTAFALADAW.COM

ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد، قال: فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة.

❁ ❁ ❁

س: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شأن الحرم: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ونحن أحيانًا نسمع عن أناس قتلوا في الحرم، بل ونرى ذلك أحيانًا، فكيف يُجمع بين الآية الكريمة وبين الواقع الذي نراه ونسمع عنه؟

ج: الإجابة أن يقال: إن الآية الكريمة خير بمعنى الأمر، فالمعنى والله أعلم: أمنوا أيها الناسُ من دخل الحرم ولا تتعرضوا له بسوء، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] فالمعنى والله أعلم: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج.

❁ وقال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] إخبار عن الحال الذي عليه الحرم شرعًا، فكان كان من جرَّ جريرة في الجاهلية ثم عاذ بالبيت لم يكن مأخوذًا بها.

❁ وبعضهم يقول: إن من دخله كان آمنًا، أي آمنًا من عذاب الله[1] (من سائر الضوابط الشرعية الأخرى)، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) وهذا قول ضعيف، ففي «الصحيح» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ... فذكر حديث الشفاعة الطويل وفيه: «**فو الذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم**».

MOSTAFALADAW.COM

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧] وبينات على ماذا؟ وما هي هذه الآيات البينات؟

ج: أما معنى قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾، أي: دلالات وعلامات واضحات، فهي دلالات وعلامات على قدرة الله ﷻ، ودلالات وعلامات على أن الذي بناه إنما هو إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما الآيات البينات فمنها مقام إبراهيم عليه السلام، والمراد به هنا الصخرة التي كان إبراهيم عليه السلام يقف عليها حتى يتمم بناء الكعبة من أعلى، فكان فيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام[1]، وهذا مما يدل على أن الذي بناه إبراهيم عليه السلام.

ثم من الآيات البينات تعظيم الله ﷻ لمن دخل هذا البيت وأمره سبحانه بتأمين من دخل البيت، فكان الرجل يدخل مكة فيرى فيها قاتل أبيه وقاتل أخيه ولا يتعرض له بسوء.

س: رجل أصاب ما يستوجب حدًّا وهو داخل الحرم هل يقام عليه الحد داخل الحرم؟

ج: الجمهور من العلماء على أن من أصاب حدًّا داخل الحرم[2] أُقيم عليه الحد فيه، نقل ذلك القرطبي عن ابن العربي ولفظه: والجمهور من العلماء على أن الحدود تقام في الحرم، وقد أمر النبي ﷺ بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار

---

(١) كما قال أبو طالب في لاميته:

ومـــوطيء إبـــراهيم في الصـــخر رطبـــة ... علـــى قدميـــه حافيًـــا غيـــر ناعـــل

(٢) المراد بالحرم هنا مكة كلها وما يلحق بها كمنى ونحوها، وليس المراد المسجد فقط.

mostafadow.com

الكعبة[١].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما من أصاب الحد فيه فإنه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه الحد، ونقل الإجماع على ذلك.

❀ ❀ ❀

س: رجل قتل رجلًا ثم لاذ بالحرم فماذا نصنع به؟

ج: يُخرج من الحرم ثم يُقتل، وقد نقل ابن جرير الطبري الاتفاق على ذلك، لكنه نقل الخلاف في صفة الإخراج الذي يُخرج به من الحرم، فمن الناس من يخرجه جبرًا، ومنهم من يرى أن يقاطع فلا يُباع له ولا يُشتري منه ولا يُتعامل معه حتى يخرج من الحرم، فإذا خرج من الحرم قتل[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: «**اقتلوه**». وأخرجه مسلم (١٣٥٧).

(٢) قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قال لنا قائل: وما دلالتك على أن الإخراج العائذ بالبيت – إذا أتاه مستجيرًا به من جزيرةٍ جرّها أو حدٍّ أصابه من الحرم – جائز لإقامة الحد عليه وأخذه بأجريرة، وقد أقررت بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ قد جعل من دخله آمنًا ومعنى (الآمن) غير الخائف فيما هما فيه مختلفان؟

قيل: قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الإخراج العائذ من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الإخراج، لأخذه بما لزمه واجب على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه، وإنما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه، فقال بعضهم: السبب الذي يجوز إخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيه وإيواء: وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها.

وقال آخرون منهم: بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الإخراج، فلما كان إجماعًا من الجميع على أن الحكم لله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها إخراجه منه لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليها، ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراجه به منه كان اللازم

س: اذكر بعض الأدلة على حرمة مكة والحرم؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

٢- قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

=لهم ولإمامهم إخراجه منه بأي معنى أمكنهم إخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجًا منه إذا كان لجأ إليه من خارج على ما قد بينا قبل.

وبعد، فإن الله ﷻ لم يضع حدًّا من حدوده عن أحدٍ من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة**» ولا خلاف بين جميع الأمة أن عائذًا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ يؤاخذ بالعقوبة فيه، ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزم عباده من قتل أو غيره، = أعظم البقاع إلى الله كحرم الله وحرم رسوله ﷺ، ولكنا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرم الله لإقامة الحد لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثه، فمعنى الكلام -إذ كان الأمر على ما وصفنا- ومن دخله كان آمنًا ما كان فيه، فإن كان ذلك كذلك فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائذًا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه.

هذا وقد وردت في ذلك جملة آثار منها:

ما أخرجه الطبري (٧٤٥٤) حيث قال: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾، وهذا كان في الجاهلية، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ إلى حرم الله لم يتناول ولم يُطلب، فأما في الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله، من سرق فيه قطع، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد، ومن قتل فيه قُتِلَ وإسناده حسن.

وأخرج الطبري أيضًا بأسانيد صحيحة إلى حماد والحسن وعطاء أنه يُخرج من الحرم فيقام عليه الحد.

وأخرج من جملة أسانيد إلى ابن عباس رضي الله عنهما ما حاصله: أن من أحدث حدثًا في غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرض له ولم يبايع ولم يُكلم ولم يؤوَ حتى يخرج من الحرم، فإذا خرج من الحرم أخذ فأقيم عليه الحد.

Mostafawy.com

٣- قول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤].

٤- قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

٥- قول النبي ﷺ يوم فتح مكة[(١)]: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلي خلاها**» فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: «**إلا الإذخر**».

٦- قول النبي ﷺ: «**لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح**»[(٢)].

٧- قول النبي ﷺ: «**إن إبراهيم حرم مكة...**»[(٣)].

٨- قول أبي شريح العدوي[(٤)]: لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولًا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أُذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامريء يؤمن بالله واليوم الآخر**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، وهو عند البخاري أولًا من مرسل مجاهد، ثم عقبه بالمتصل عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وله عدة طرق عن أنس أيضًا في «الصحيحين» وعن غير أنس كذلك في «الصحيحين»، وغيرهما أيضًا.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه مرفوعًا.

Mostafa Adwi.com

أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي في ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب».

❁ ❁ ❁

س: ما هي الآية التي استدل بها الجمهور على وجوب الحج، وهل من أدلة أخرى على وجوب الحج؟

ج: أما آية وجوب الحج عند الجمهور فهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وثمَّ جملة أدلة أخرى على وجوب الحج، فضلًا عن الإجماع المنعقد على وجوبه على القادر مرة واحدة في العمر، أما الأدلة على وجوبه غير الآية الكريمة فمنها:

❁ قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس.... وحج البيت**»(١).

❁ قول النبي ﷺ: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»(٢).

❁ قول النبي ﷺ: «**الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله.... وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»(٣)، وثم أدلة أخرى يأتي ذكرها في مظانه إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٨، ٤٥١٥)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا**»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**».

(٣) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Nostrapdf.com

س: ما هو السبيل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]؟

ج: لأهل العلم جملة أقوال في تفسير السبيل هنا:

❁ فمنهم: من يرى أن السبيل هو الزاد والراحلة، وقد ورد بذلك حديث ضعيف عن رسول الله ﷺ[1].

❁ ومنهم: من يرى أن المراد بالسبيل: الصحة.

❁ ومنهم: من يرى أن المراد بالسبيل: الطاقة للوصول إلى الحج، والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن المراد بالسبيل: ما يحتاج إليه الحاج لحجة من راحلة وزاد وصحة وأمن في الطريق ومحرم للمرأة ونحو ذلك.

وهذا الذي اختاره الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء: إن ذلك على قدر الطاقة؛ لأن السبيل في كلام العرب: الطريق، فمن كان واجدًا طريقًا إلى الحج لا مانع له منه – من زمانة أو عجزٍ أو عدوٍّ أو قلة ماء في طريقه أو زادٍ أو ضعف عن المشي – فعليه فرض الحج لا يجزيه إلا أداؤه، فإن لم يكن واجدًا سبيلًا – أعني بذلك –: فإن لم يكن مطيقًا للحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد إليه طريقًا ولا يستطيعه؛ لأن الاستطاعة إلى ذلك هي القدرة عليه، ومن كان عاجزًا عنه ببعض الأسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل.

(١) انظر بيان ما فيه في كتابنا «جامع أحكام النساء» (أبواب الحج والعمرة).

Mostafa.com

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] على وجه الإجمال؟

ج: المعنى والله أعلم: فرض واجب على الناس لله ﷻ أن يحجوا.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالكفر في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وما هو المعنى الإجمالي للآية الكريمة؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن المراد بالكفر هنا: هو الكفر بالله ﷻ، ومنهم من قال: إن المراد بالكفر هنا: الكفر بفريضة الحج، أي: من كفر بفرض الحج ولم يره واجبًا[1].

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فالمراد به والله أعلم: من جحد فريضة الحج وأنكرها وكفر بها فإن الله غني عنه عمله وحجه بل وعن جميع الخلق من الإنس والجن، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

MOSTAFALAW.COM

(١) وثمَّ أقوال أُخر منها: ألا يكون معتقدًا في حجة أن له الأجر عليه ولا أن عليه بتركه إثمًا ولا عقوبة، وبعض العلماء يرى أن المراد: ومن كفر بالآيات التي في مقام إبراهيم، ومنهم من قال غير ذلك، = والصواب قول من قال: (من جحد فريضة الله وأنكرها وكفر بها فإن الله غني عن العالمين).

س: ما مدى صحة حديث: «من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره مات يهوديًا أو نصرانيًا»؟

ج: الحدث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

MostafaBayoumi.com

س: ما المراد بسبيل الله في قوله تعالى: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٩٩]؟

ج: المراد بسبيل الله هنا: دين الله وكذلك قيل: إن المراد: رسول الله ﷺ الذي يوصل إلى دين الله.

وقد يأتي لسبيل الله معانٍ أُخر وذلك في مواطن أُخر على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

❀ ❀ ❀

س: بين المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؟

ج: قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ حق خوفه، وهو أن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى.

وأورد ابن جرير الطبري أثرًا من طرق عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: أن يُطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر[(١)].

وقد روي هذا الأثر عن ابن مسعود مرفوعًا إلا أن الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ رجح الوقف[(٢)]، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

MOSTAFADEV.COM

(١) أخرجه ابن جرير (٧٥٣٦ فما بعدها)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠٧٩)، وعبد الرزاق «التفسير» (١/ ١٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٠١) و (٨٥٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٩٧) من طرق عن زبيد بن الحارث اليامي عن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود موقوفًا عليه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وهو الراجح، أي: أن الوقف هو الراجح.

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في ذم الفرقة والاختلاف؟

ج: هناك من الآيات والأحاديث في ذم الفرقة والاختلاف، من هذه الآيات ما يلي:

- قول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].
- قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].
- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: ١٧٦].
- وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦].
- وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
- وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].
- وقال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].
- وقال سبحانه: ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣].
- وقال سبحانه: ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [المائدة: ١٤].

أما الأحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة نذكر منها ما يلي:

MoswarAdvw.com

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا**».

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال[٢]: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

❁ وعن أبي مسعود رضي الله عنه[٣] قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم....**» الحديث.

❁ وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»[٤].

❁ وعن ابن مسعود رضي الله عنه[٥] قال: سمعت رجلًا قرأ آية وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فجئت به النبي ﷺ فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «**كلاهما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**».

❁ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[٦] قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفْقأُ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «**بهذا أُمرتم أو لهذا خُلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت**

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥).

(٣) أخرجه مسلم (٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٧٦) وفي غير موضع من «صحيحه».

(٦) جده هو: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، والحديث عند ابن ماجة (٨٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٨، ١٩٥).

Mostafa Adawy.com

الأمم قبلكم» (حسن).

قال: فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلسٍ تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه.

۞ وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال: «**استوصوا بأصحابي خيرًا، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى إن الرجل ليبتديء بالشهادة قبل أن يُسألها. فمن أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**»[(١)].

۞ حديث ابن عباس[(٢)] رضي الله عنهما قال: لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: «**هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده**» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله[(٣)]، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**».

قال عبيد الله (أحد رواة الحديث): فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.

۞ وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه[(٤)] قال: خرج النبي ﷺ بليلة القدر فتلاحى

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، وقد تحدثت عنه في تحقيق للمنتخب لعبد بن حميد رقم (٢٣) بما فيه الكفاية.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٢) وفي غير موضع، ومسلم (حديث ١٦٣٧) وغيرهما.

(٣) الذي كان يقول ذلك هو عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٢٣) وغيره.

Nosrawy.com

رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**».

وله سياق آخر عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر قبل أن تُبان له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوِّض ثم أُبينت له أنها في العشر الأواخر، فأمر بالبناء فأُعيد، ثم خرج على الناس فقال: «**يا أيها الناس إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان...**» الحديث.

والشاهد منه أن العلم بليلة القدر رفع للاختلاف، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية منسوخة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؟

ج: في هذا قولان لأهل العلم:

❁ فمنهم: من يرى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ **[التغابن: ١٦]**.

❁ ومنهم من يرى أنها ليست بمنسوخة بل هي محكمة، ورأى بعض هؤلاء أن قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ مبين لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فعليه يكون المعنى: (فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم) قال القرطبي: وهذا أصوب[1].

---

(١) مستند القائلين بتصويب عدم النسخ، أن عدم النسخ هو الأصل، وأيضًا يُصار إلى النسخ إذا لم يُمكن الجمع، ولكن ما دام الجمع ممكنًا فالمصير إليه أولى، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALABIB.COM

ج: المعنى والله أعلم: حافظوا على إسلامكم واثبتوا عليه وسلوا الله الثبات عليه في حياتكم وصحتكم وسلامتكم حتى تموتوا عليه، ففي الغالب[١] أن من عاش على شيء وداوم عليه مات عليه.

❁ أما الأحاديث في معنى هذه الآية الكريمة فمنها: حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يُحب أن يؤتي إليه**»[٢].

❁ **ومنها:** حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله** ﷻ»[٣].

❁ وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ولو أن قطرة من الزقوم قطرت لأَمَرَّت على أهل الأرض عيشتهم،، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزَّقوم**»[٤].

---

(١) هذا في الغالب، ولكن – عياذًا بالله – قد يتقلب قلب شخص من الإيمان إلى الكفر فيختم له بسوء – عياذًا بالله من ذلك – وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**فو الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**».

وفي بعض طرق هذا الحديث: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة – فيما يرى الناس –**....» ولكن كما جاء في الحديث القدسي: يقول الله سبحانه: «**أنا عند ظن عبدي به**» فنسأله سبحانه الوفاة على الإسلام والإيمان وهو راضٍ عنا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) هذا الحديث أخرجه أحمد (١/ ٣٠١، ٣٣٨)، والترمذي (٢٥٨٥)، وقال حديث حسن صحيح، =

س: ما هو المراد بحبل الله في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ج: أصل الحبل هو السبب الذي يُتوصل به إلى البغية والمراد.

❁ أما المراد بحبل الله في الآية الكريمة فمنهم من يقول: إنه عهد الله، ومستنده في ذلك قول الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

❁ ومن العلماء من يقول: إن حبل الله هو القرآن، وقد وردت بذلك أحاديث

=وابن ماجة (٤٣٢٥)، والطيالسي (حديث ٢٦٤٢)، ومن طريقه الطبراني في «الصغير» (٢/ ٥١)، وأخرجه أيضًا النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣١٣)، والبغوي في «التفسير» (٢/ ٧٧ ط. دار طيبة)، وفي «شرح السنة» (١٥/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ١/ ٤٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩٤، ٤٥١)، وقل: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وابن حبان في «موارد الظمآن» (٢٦١١)، وفي «الإحسان» (٩/ ٢٧٨) من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ.... فذكره.

لكن أخرجه أحمد (١/ ٣٣٨) من طريق فضيل بن عياض، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٦١) من طريق يحيى ابن عيسى كلاهما (أي: فضيل ويحيى) عن الأعمش عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس موقوفًا مختصرًا بلفظ: «**لو أن قطرة من زقوم جهنم نزلت على أهل الأرض أفسد على الناس معايشهم**» ففيه واسطة بين الأعمش ومجاهد (وهو أبو يحيى القتات وهو لين الحديث)، ثم إنه موقوف، وقد تكلم بعض أهل العلم في رواية الأعمش عن مجاهد وقالوا: لا يصح منها شيء إلا ما قال فيها الأعمش: سمعت.

والذي يبدو لي بعد هذا البحث أن المرفوع من هذا الحديث هو أن النبي ﷺ قال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾» أما قوله: «**ولو أن قطرة من الزقوم**.....» إلى آخره موقوف من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

MOSTAFAADWY.COM

مرفوعة إلى رسول الله ﷺ لكن فيما وقفت عليه منها ضعف، فمن هذه الأحاديث.

❁ حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتاب الله هو حبل الله المتين**» لكن في إسناده الحارث الأعور وهو كذاب.

❁ **ومنها:** حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذا القرآن هو حبل الله المتين**» لكن في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف.

❁ **ومنها:** حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رسول الله ﷺ: «**كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**» لكن إسناده عطية العوفي وهو ضعيف.

❁ لكن مع هذا كله قال فريق من أهل العلم: إن حبل الله المراد به هنا القرآن، وممن قال بهذا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] وغيره.

❁ ومن العلماء من يقول: إن حبل الله هو القرآن والعهد الذي عهد فيه.

❁ ومنهم من يقول: إن حبل الله هو الجماعة.

❁ ومنهم من يقول: إنه إخلاص التوحيد لله.

❁ ومنهم من يقول: إنه الإسلام.

وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو ما يتوصل به إلى مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالقرآن يُتوصل به لذلك، وكذلك الإسلام، وكذلك الجماعة، وكذلك إخلاص التوحيد لله، وكذلك التمسك بعهد الله عَزَّوَجَلَّ وأوامره. والله تعالى أعلم.

MOSTAFADAWY.COM

(١) قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٥٧٠): حدثنا أبو كريب قال: حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال: حبل الله: القرآن، وإسناده صحيح.

س: ما المراد بنعمة الله في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

ج: المراد – والله أعلم –: نعمة التأليف بين القلوب والاجتماع على الإسلام وترك القتال فيما بينهم، كما قال رسول الله ﷺ للأنصار يوم حنين: «**ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي...**»(١)، فقد كانت العداوة بين الأوس والخزرج (وهما من الأنصار) على أشدها في الجاهلية، واستمرت الحروب بينهم سنين طويلة حتى جاءهم رسول الله ﷺ فجمعهم الله ﷻ عليه بعد فرقة، وهداهم بعد ضلالة، وأعزهم بعد ذلة، وألف بين قلوبهم بعد شتات.

۞ أما النعمة في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ﴾ يعني – والله أعلم: نعمة الإسلام والإيمان فهي أعظم النعم على الإطلاق.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟

---

(١) أخرج البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، وأحمد (٤/ ٤٢) من حديث عبد الله بن زيد ابن عاصم رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله يوم حُنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟**» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله = أمنُّ، قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**» قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن، قال: «**لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**».

mostafalabib.com

ج: المعنى – والله أعلم –: أنكم كنتم على حافة النار فإذا متم على الكفر فقد سقطتم في حفرة النار، فأنقذكم الله تعالى بما منَّ به عليكم من الإسلام والإيمان.

❁ ❁ ❁

س: من في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] هل هي للتبعيض أو لبيان الجنس؟

ج: من هنا – والله أعلم – للتبعيض بمعنى: وليكن بعضكم دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

وقال بعض العلماء: إن من هنا لبيان الجنس، والمعنى: لتكونوا كلكم كذلك، والقول الأول أرجح؛ وذلك لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

❁ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١] ولم يُمكن كل الناس في الأرض.

❁ ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله فرض على الكفاية، وقد يتعين في بعض الأحيان على بعض الأشخاص، لقول رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فلسانه، فإنه يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم حديث (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

Nosrfan.com

س: اذكر بعض الأدلة التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

❁ وقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

❁ وقول الله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

❁ وقال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

❁ وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

❁ وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ – ٣].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

mostafa.ayy.com

❁ وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

❁ وقال سبحانه: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] إلى غير ذلك من الآيت.

أما أحاديث رسول الله ﷺ فكثيرة في هذا الباب، منها:

❁ حديث رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

❁ وقول النبي ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والوقع فيها....**»(٢).

❁ وقول النبي ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو سمعه أو علمه**».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: هل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ضوابط؟

ج: نعم له ضوابط: منها:

❁ أن يكون عالمًا بحكم ما يأمر به وما ينهي عنه وما يدعو إليه، لقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

❁ أن يكون عالمًا (في الجملة) بقضية المفاسد والمصالح، فهذه أساس وأصل في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرُبَّ منكر غُيِّر فأتى بمنكر

---

(١) صحيح وتقدم تخريجه قريبًا، وهو عند مسلم.

(٢) صحيح وقد تقدم تخريجه وسياقه بطوله.

MOSTAFAADWY.COM

أعظم منه، والله ﷻ أخبر أنه لا يحب الفساد، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال النبي ﷺ: «**يا عائشة لولا أن قومك حديثٌ عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون**»(١).

والأدلة على هذا كثيرة.

❁ ومنها: أن يكلل دعوته بلين الجانب والخلق الحسن؛ لقول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

❁ ولقول النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه**»(٢).

❁ وأن يعرف المواطن التي تحتاج إلى شدة فيشتد، والمواطن التي تحتاج إلى لين فَيُلين، وأن يكون مُلمًّا بأحوال الناس، فيُذكر حيث يرى أن الذكرى تنفع؛ لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩].

❁ وحري به أن يكون صالحًا في نفسه وخاصة فيما يدعو الناس إليه؛ لقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ولقول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواضع من «صحيحه» منها (١٢٦)، (١٥٨٣)، و...، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

وفي بعض الروايات: «**لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم عليه السلام**».

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وعند مسلم أيضًا (٢٥٩٢) من حديث جرير ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «**من يُحرم الرفق يُحرم الخير**».

Mostafa Adly.com

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾.

س: من هم الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات؟

ج: هم اليهود والنصارى في قول جمهور المفسرين، ومن الناس من قال: إنهم المبتدعة من هذه الأمة، والقول الأول أولى في هذا المقام، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض طوائف المبتدعة من هذه الأمة؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن أصول الفرق الضالة ست وهي: الحرورية، والقدرية، والجهمية، المرجئة، والرافضة، والجبرية، ثم انقسمت كل فرقة منهم إلى عدة فرق.

ويضاف إليهم أيضًا الناصبة.

وانظر «تفسير القرطبي» رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ١٠٣)، «الفِصَل في الملل والنحل» لابن

MOSTAFAADAWY.COM

حزم، وسائر مصنفات أهل السنة في الملل والنحل.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧] وجوه من التي تبيض ووجوه من التي تسود؟

ج: أما الذين تبيض وجوههم يوم القيامة فهم أهل التوحيد والإيمان، فإن الله ﷻ يسألهم يوم القيامة هل تريدون شيئًا فيقولون «**ألم تُبيِّضْ وجوهنا**....» الحديث.

ومنهم: أقوام يزداد بياض وجوههم وهم أول زمرة تدخل الجنة كما قال النبي ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة**»(١).

ومنهم: حفظة حديث رسول الله ﷺ الملبغون له؛ لقول النبي ﷺ: «**نضرَّ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها**»(٢).

❁ أما الذين تسود وجوههم يوم القيامة ففيهم جملة أقوال للعلماء:

❁ فمنهم من قال: إنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة.

❁ ومنهم من قال: إنهم المرتدون من هذه الأمة، وشاهدهم على ذلك قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) هذا حديث ثابت صحيح بل هو متواتر عن رسول الله ﷺ.

Mostafa Adly.com

۞ ومن أهل العلم من قال: إنهم المنافقون فهم قد شهدوا ألا لا إله إلا الله ثم ارتدوا.

۞ ومنهم من قال: هم عموم الكفار لقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧] والخلود لايكون إلا مع الكفر. ولقول الله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤٢]، أما كيف يلتئم هذا مع قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ فإن المراد بالإيمان هنا الإيمان المأخوذ عليهم وهم في صلب أبيهم آدم، والمذكور في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

۞ أو الإيمان الذين أقروا به لما سئلوا من خلق السموات والأرض فقالوا: الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وكما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

۞ واختار ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه عنى بذلك جميع الكفار، وعلل ابن جرير ذلك بقوله: وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين، أحدهما سودًا وجوهه، والآخر بيضًا وجوهه، فمعلوم إذا لم يكن هناك إلا هذا الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوِّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهه، فلا وجه إذًا لقول قائل: (عنى: بقوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض) وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعًا، وإذا دخل

mostafa-adawy.com

جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة كان معلومًا أنها المرادة بذلك.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أسلوب بلاغي حيث قدم أولًا ﴿تَبْيَضُّ﴾ ثم قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ﴾ فما هو نوع هذا الأسلوب؟

ج: يطلق العلماء على هذا الأسلوب اللف والنشر، أو أسلوب التلوين، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: كان في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ما المراد بها؟

Nooralabw.com

ج: كان في هذا الموطن لها معان ذكرها العلماء، منها:

۞ خلقتم ووجدتم خير أمة، على أساس أن (كان) هي كان التامة.

۞ كنتم في اللوح المحفوظ مكتوبين أنكم خير أمة.

۞ كنتم عند من سبقكم من أهل الكتاب مذكورين أنكم خير أمة، وأهل الكتاب يعلمون ذلك عندهم.

۞ وقيل: إن (كان) زائدة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، والمعنى أنتم خير أمة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، كما في قول شعيب عليه السلام لقومه، وقال سبحانه للمؤمنين من أمة محمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما هو أقوى وجه لانتفاع الأمم بأمة محمد ﷺ؟

ج: أقوى وجه انتفاع تنتفع فيه الأمم بأمة محمد ﷺ أن أمة محمد ﷺ تقاتل هذه الأمم حتى تُدخلها الإسلام فتنجيها من عذاب الله يوم القيامة، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام(١).

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١١٦١)، والنسائي في «التفسير» (٩١)، والطبري في «التفسير» (٧٦١٦).

MOSTAFALADY.COM

س: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فضيلة للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وضحها؟

ج: وجه هذه الفضيلة: أن الخيرية في هذه الأمة منوطة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وإيمانها بالله، فإذا تخلت عن إيمانها بالله وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر سُلبت منها تلك الخيرية، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المخاطب بهذه الآية هم أصحاب محمد ﷺ خاصة[(١)]، لكن الصحيح من أقوال العلماء: أن المخاطب بها عموم أمة محمد ﷺ، ويدخل فيهم الصحابة رضي الله عنهم بالدرجة الأولى.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فالخطاب وإن كان لأصحاب رسول الله ﷺ إلا أن الأمة جميعها لهم تبع، وكذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] إلى غير ذلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرج النسائي في «التفسير» (٩٢)، والطبري في «التفسير» (٧٦٠٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١١٥٧) من طريق سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ.

MOSTAFAADAWY.COM

س: أي أمة محمد ﷺ أفضل، أولها أم آخرها؟

ج: أفضل أمة محمد ﷺ هم أولها، وذلك لقول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم....**».

ولقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**».

❁ ولقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

❁ ولقول الله ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠- ١٤] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

وقد ورد بعض الأحاديث تُشعر بأن آخر هذه الأمة قد يفضل أولها كحديث: «**مثل أمتي مثل الغيث لا يدري أوله خير أم آخره**» وحديث: «**لمثل المتمسك بما أنت عليه أجر خمسين منكم**» ونحوها، لكنها أحاديث ضعاف لا تثبت عن رسول الله ﷺ، ولا تقاوم الأحاديث الجياد التي أسانيدها كالجبال في «الصحيحين» وغيرهما، فضلًا عن آيات الكتاب العزيز التي وردت في بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ(١).

س: اذكر بعض فضائل أمة محمد ﷺ؟

ج: من فضائل أمة محمد ﷺ ما يلي:

❁ قول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) وإن شئت المزيد من التفصيل في هذا الباب، ومزيدًا من فضائل أصحاب النبي ﷺ فارجع إلى كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» فقد حوة – بتوفيق الله سبحانه – ما تقر به عين الباحث عن = فضائل أصحاب محمد ﷺ.

Mostafa Adwan.com

❁ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

❁ قول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الباب فكثيرة، منها:

❁ قول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم....»(١).

❁ وقول النبي عليه السلام: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل»(٢).

❁ وقول النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا تبع اليهود غدًا، والنصارى بعد غدٍ»(٣).

❁ وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا، حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعلموا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس، فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابَين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا، ونحو كنا أكثر

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) صحيح وقد تقدم.

(٣) أخرجه الطبراني (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

nosweabar.com

عملًا، قال: قال الله ﷻ: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء»[(١)].

❁ وقال رسول الله ﷺ: «مثل المسلمين واليهود والنصارى(٢) كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملًا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا فاستأجر قومًا فعلموا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين»[(٣)].

❁ وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك قال: يقول: أخرج بعث الناس، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكون ثلث أهل الجنة» قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرَّقمة في ذراع الحمار»[(٤)].

❁ وقال النبي ﷺ: «عُرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمرُّ معه الأُمة، والنبي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) أي: الذين كانوا قبل رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي ولا بالذي أرسلت به إلا من أهل النار».

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

mostafabadr.com

يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألف قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟، قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون....» الحديث[١].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر.....» فذكر الحديث[٢].

❁ ❁ ❁ ❁

س: أهل الإيمان في الغالب قلة، وأهل الفسق والعصيان والكفر والفجور في الغالب كثرة دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

❁ قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

MOSTAFAADAWY.COM

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1] [آل عمران: ١١٠].

❁ وقول الله جل ذكره: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

❁ وقول الله تعالى: ﴿نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ [ص: ٢٤].

❁ وقول الله ﷻ في شأن نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

❁ وقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك، قال: يا رب وما بعث الناس، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**»[2].

❁ وقول النبي ﷺ: «**إنما أنتم في الأمم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض أو الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود**»[3].

❁ وقول النبي ﷺ: «**عرض عليَّ الأمم فرأيت النبي يمر ومعه الرجل والنبي يمر ومعه الرجلان....**» الحديث[4].

❁ ❁ ❁

س: لماذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

ج: قال بعض أهل العلم: قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان

(١) أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٦٢٥) بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ذم الله أكثر الناس، وأخرجه أيضًا ابن حاتم (١١٧٨) في «التفسير».

(٢) صحيح وقد تقدم كله.

(٣) صحيح وقد تقدم كله.

(٤) صحيح وقد تقدم كله.

MOSTAFALADAWY.COM

بالله هنا، لأن من الأمم السابقة من آمن بنبيه عليه السلام، فاشترك مع هذه الأمة في الإيمان، لكن فاقه أهل هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

۞ وقد يقال: إن الواو لا تقتضي الترتيب في كل الأحوال، بل تقتضي مطلق التشريك، كما بيناه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] والله أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

س: كثير من الناس يقول: (رحمني الله وإياكم في مستقر رحمته) فهل ورد لكلمة مستقر رحمته ذكر في الكتاب والسنة؟

ج: لم أقف لكلمة مستقر رحمته على ذكر في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، والله أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

س: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] اذكر بعض المؤمنين من أهل الكتاب؟

ج: من المؤمنين من أهل الكتاب عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان يهوديًّا فأسلم، ومنهم عدي بن حاتم الطائي الذي كان نصرانيًّا فأسلم، ومنهم تميم الداري الذي كان نصرانيًّا فأسلم، ومنهم أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها كانت يهودية

MOSTAFAADLY.COM

فأسلمت رضي الله عنها.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١]؟

ج: المراد بالأذى في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ أي: لن ينالوا منكم شيئًا إلا أذى يسيرًا بألسنتهم كقولهم: عزيز ابن الله والمسيح ابن الله، وكذلك بقولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم، وبقولهم: إن الله ثالث ثلاثة، وبطعنهم في محمد وعيسى عليهما السلام، وبإلقاء الشبه على الأسماع وتخويف ضعفة الإيمان من المسلمين، وبتحريفهم التوراة والإنجيل.

وعلى العموم فالمراد بالأذى هنا الضرر اليسير.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ لأصحاب النبي ﷺ، والمعنى: أن أهل الكتاب لن ينالوا من أصحاب محمد ﷺ إلا أذى.

س: قوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] خطاب لمن؟

ج: هذا الخطاب إما أنه لأصحاب النبي ﷺ، وعليه فلا إشكال في الآية الكريمة، فإن اليهود والنصارى لما قاتلوا أصحاب محمد ﷺ ولّي اليهود والنصارى الأدبار، ثم لم يُنصروا.

وقد يقال: إن هذا خطاب لعموم أمة محمد ﷺ المتبعين لشريعته العالمين بها، وهنا يخرج العلمانيون والشيوعيون والأشتراكيون الذين قاتلوا اليهود فولوا الأدبار، والله تعالى أعلم.

فيقال لأهل الإيمان: إنكم ما دمتم مستمسكين بإيمانكم متبعين لكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، فلن ينال اليهود والنصارى منكم شيئًا، أما إذا فرطتم في دينكم وعصيتم ربكم ونبيكم ﷺ حل بكم من البلاء على قدر ذلك، والله أعلم.

mostafatlibrary.com

س: ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]؟

ج: المراد والله تعالى أعلم: أن الذُّل والصغار جُعلا ملصقين بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به ويحيط به من كل جانب، فمعنى ضربت عليهم الذلة: لصقت بهم وأُحيطت فيُحَارَبوا فتُقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسم أموالهم.

وقيل: إن المراد بالذِّلة هنا الجزية، والله أعلم.

س: ما هو المراد بحبل الله وحبل من الناس في الآية الكريمة: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]؟

ج: قيل: إن المراد بحبل من الله هو الإسلام.

وحبل من الناس هو العهد والذمة.

وقيل: إن حبل الله هو الذمة والعهد الذي أعطاهما الله ﷻ لليهود والنصارى إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

❁ وحبل من الناس: هو عقود المصالحة التي يجريها إمام المسلمين مع اليهود والنصارى، فيزيد فيها الإمام تارة وينقص تارة أخرى، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

س: ما معنى المسكنة في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢]؟

ج: قيل: إن المسكنة هي الجزية، وقيل: إن اليهودي يُظهر من نفسه دائمًا المسكنة، وإن كان ثريًّا، وقيل غير ذلك.

❀ ❀ ❀

س: ضرب الله ﷻ الذل والمسكنة على اليهود وباءوا بغضب من الله، كل ذلك لكونهم يفكرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق، وأيضًا لعصيانهم واعتدائهم، ومن المعلوم أن اليهود الموجودين على عهد رسول الله ﷺ لم يقتلوا نبيًا فكيف تُسحب الآية عليهم؟

ج: لا يلزم أن يكون كل يهودي قد ارتكب كل ما ذكر، فالمسكنة تتنزل على كل شخص بحسب جرائمه التي اقترفها، والذلة والمسكنة مضروبتان على كل يهودي سواء المتقدم منهم أو المتأخر، أما المتقدم منهم فلكونه باشر قتل الأنبياء في عصره، وأما المتأخر منهم فلكونه رضي بما صنع المتقدم من قتل واعتداء، وأيضًا فالجميع[1] كانوا يكفرون بآيات الله.

❀ ❀ ❀

س: العصيان والتمرد قد يؤدي إلى الكفر، وضح ذلك، وبيِّن صورة من جرائم بني إسرائيل؟

---

(١) إلا من أسلم منهم.

MostafaLabady.com

ج: أما كون العصيان قد يؤدي إلى الكفر فقد ذكر الله ﷻ ذلك فبين سبحانه أن كفر بني إسرائيل بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق سببه هو العصيان والاعتداء فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقال الله سبحانه في شأن نبيه محمد ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فالفتنة، هي الشرك[(١)]، والمخالفة عن أمر الله ﷻ معصية، ولكن قد يؤدي الإكثار من المخالفة والعصيان إلى الشرك، كما ذكره بعض أهل العلم، والله تعالى أعلم[(٢)].

ولقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ معنى آخر وهو: إننا إنما ضربنا عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بالغضب لعصيانهم واعتدائهم، والله أعلم.

أما بالنسبة لجرائم بني إسرائيل المتعددة التي لا تكاد تنتهي فمنها ما أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٢١٥) من حديث ابن مسعود ﵁ قال: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم من آخر النهار[(٣)].

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

س: قال تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) وتطلق على غير الشرك أيضًا.

(٢) ونُقل عن بعض العلماء قولهم: من ابتلى بترك الآداب وقع في ترك السنن، ومن ابتلي بترك السنن وقع في ترك الفريضة، ومن ابتلي بترك الفريضة وقع في استحقار الشريعة، ومن ابتلى باستحقار الشريعة وقع في الكفر.

قلت: ويشهد له حديث رسول الله ﷺ: «.... **فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام**».

(٣) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود حدثنا شعبة عن سليمان الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر الأزدي عن عبد الله بن مسعود قال... فذكره.

MOSTAFALADAWY.COM

[الدخان: ٣٢] وقال في شأن أمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كيف تجمع بين الآيتين؟

ج: وجه الجمع أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] أن المراد عالمي زمانهم، والله أعلم.

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾.

س: من هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣]؟

ج: فيهم قولان:

الأول: لا تستوي أمة محمد ﷺ مع أهل الكتاب.

الثاني: لا يستوي أهل الكتاب فيما بينهم، فمنهم الصالح ومنهم الطالح.

MOSTAFA.BLOGSPOT.COM

ويشهد للقول الأول ما أخرجه أحمد بإسناد حسن[١] من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: «**أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحدٌ يذكر الله هذه الساعة غيركم**» قال: وأنزل الله هؤلاء الآيات: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥]، فهذا يؤيد صحة القول الأول.

۞ وثمَّ سبب نزول آخر أخرجه ابن أبي حاتم[٢] من حديث ابن عباس ﷺ، قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا ومنحوا فيه، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾، لكن في إسناده مجهول.

لكن كلا المعنيين للآية صحيح، والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞

س: هل القول بأن قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ﴾ المراد به أمة محمد وأهل الكتاب، المعنى واضح وهو أنه لا تستوي أمة محمد وأهل الكتاب لكن على القول بأن قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ﴾ هم أهل الكتاب بعضهم مع بعض يكون هناك محذوف فما هو؟

---

(١) وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم «التفسير» (١٢٢٦)، والطبري (٧٦٦٢).

(٢) ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٢٢٠)، وفي إسناد مجهول، وأخرجه أيضًا الطبري (٧٦٤٤).

MOSTAFADIY.COM

ج: التقدير أن يقال: إن أهل الكتاب لا يستوون، فمنهم أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل....، وأمة شقية غوية كافرة عاصية لم تذكر في السياق لدلالة السياق عليها؛ لأن ذكر أحد الضدين يغني عن ذكر الضد الآخر.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]؟

ج: أمة قائمة أي: مستقيمة على أوامر الله ﷻ، مقيمة لحدوده وفرائضه كما قال النبي ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة...**»[1] الحديث، وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي: ملازمًا للاقتضاء، ملازمًا للمطالبة.

وقال بعض أهل العلم: إن معنى قوله تعالى: ﴿قَآئِمَةٌ﴾ أي: مهتدية، وقيل: عادلة، وبعضهم قال: ﴿قَآئِمَةٌ﴾ أي: مطيعة، وكلها ترجع إلى معنى واحد، والله أعلم.

وبعض العلماء يقول: إن المراد بقائمة (أي: قائمة في الصلاة) تتلو القرآن فيها، وهذا المعنى جزء من المعنى الأول، والتفسير بالعموم أولى والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] ظاهره يفيد أنهم يتلون القرآن في سجودهم فهل هذا الظاهر صحيح؟

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

MOSTAFAADAWY.COM

ج: هذا الظاهر ليس بصحيح؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا**»(١). فلابد من تأويل الآية إذا تأويلًا لا يتعارض مع حديث رسول الله؛ لأن القرآن وحي والسنة وحي كذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقد زعم بعض أهل العلم أن المراد بقوله تعالى هنا: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلون، ورد ابن جرير الطبري هذا التأويل، وقال: وإنما معنى الكلام: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم، وهم مع ذلك يسجدون فيها، فـ (السجود) هو السجود المعروف في الصلاة.

❁ ❁ ❁

س: هل العجلة مذمومة في كل وقت؟

ج: العجلة ليست مذمومة فيما يقرب من الله ﷻ؛ بل علينا أن نعجل بعمل ما يقربنا إلى الله ﷻ.

❁ قال الله سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

❁ وقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: «**أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو تُرى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب ﷻ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم**».

Mostafalabib.com

۞ وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١].

۞ وقال سبحانه: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

۞ وقال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

وفي الأثر: (التؤدة في كل شيء خير إلا في أمر الآخرة).

۞ ۞ ۞

س: اذكر معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ [آل عمران: ١١٥]، وبعض الآيات في معناها؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وما يفعلوا من خير فلن يضيع ثوابه عليهم بل يدخره الله لهم ويكافئهم الله به، كما قال سبحانه:

۞ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

۞ وكما قال سبحانه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

۞ وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

۞ وقال: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩].

۞ وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

Nosrgallery.com

س: وضح المثل المذكور في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧]؟

ج: فحوى هذا المثل – والله أعلم-: أن الله ﷻ شبه الأموال التي ينفقها الكفار في هذه الحياة الدنيا للصد عن سبيل الله، ولنيل الشهرة والاستكثار من المفاخر والمكارم وحسن الذكر؛ هذه الأموال شبهها الله ﷻ بحرث زرعه أقوام يرجون ثماره، فجاءته ريح شديدة فيها برد محرق وجليد فأحرقته، فكذلك شركهم ذهب بثواب أموالهم التي أنفقوها[1]، والله تعالى أعلم، فعلى ذلك:

الأموال التي أنفقت مثلها: مثل الحرث.

والشرك: مثله مثل: ريح فيها صر.

فالريح التي فيها صر دمرت الحرث وأهلكته، وكذلك الشرك ذهب بثواب الأموال وأضاعه، والله تعالى أعلم.

وهذا قول لابن القيم ﷺ في هذا المثل أيضًا.

قال ابن القيم ﷺ: «التفسير القيم» (ص ٢١٤):

هذا مثل ضربة الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته، فشبه سبحانه تعالى ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر ولا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع

(١) ولهذا أمثلة كثيرة في الكتاب العزيز، قال الله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

MOSTAFALABIB.COM

رسله بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفقه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدًّا يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته، واختلف في الصرِّ، فقيل: هو البرد الشديد، وقيل: النار، قاله ابن عباس، وقال ابن الأنباري: إنما وصفت الريح بأنها صر لتصريتها عند الالتهاب، وقيل: الصرِّ: الصوت الذي يصحب الرياح من شدة هبوبها.

والأقوال الثلاثة متلازمة، فهو برد شديد يحرق ليبسه الحرث كما تحرقه النار، وفيه صوت شديد.

وفي قوله: ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ تنبيه على أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة، حتى أهلكت زرعهم وأيبسته، فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

Nosrpalaw.com

س: ما هو المراد ببطانة الرجل؟

ج: بطانة الرجل هم: خاصته والمقربون إليه الذين يستشيرهم في أموره، ويطلعهم على أسراره، ومنه قول النبي ﷺ: «**ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة؛ إلا وكانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله ﷻ**»[(١)].

س: وضح باختصار معنى الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [آل عمران: ١١٨]؟

ج: ينهي الله ﷻ المؤمنين – في هذه الآية الكريمة – أن يتخذوا لأنفسهم بطانة ممن ليس على دينهم وطريقتهم وسنتهم من الكفار واليهود والنصارى وأهل الأهواء والفسق والفجور، يطلعونهم على أسرارهم ويشاورنهم في آرائهم ويُسندون إليهم أمورهم، وذلك لأن هؤلاء الذين ليسوا على ديننا من المذكورين لا يدخرون جهدًا لإضلالنا، ولا يُقصرون في إغوائنا وإفسادنا وغشنا وإنزال المشقة بنا.

س: هل تقبل شهادة الكفار؟ وشهادة العدو على عدوه هل تجوز؟

ج: جمهور أهل العلم على رد شهادة الكفار مطلقًا[(٢)]، واستدلوا بأدلة منها

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) رأى الجمهور نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (٥/ ٢٩٢).

MOSTAFALAWY.COM

تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

❁ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

❁ وبقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

❁ وبقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

❁ ويقول النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم....»[(١)] الحديث.

❁ ويقول ابن عباس الذي أخرجه البخاري (٢٦٨٥): يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

❁ بينما ذهب فريق من العلماء إلى قبولها مطلقًا (إلا على المسلمين)[(٢)].

❁ وتوسط فريق ثالث وقبل شهادة أهل الملة الواحدة على بعضهم، وعدم شهادة أهل ملة على أهل ملة أخرى (مثلًا رأى أن النصارى يشهد بعضهم على

---

(١) في شرح هذا الحديث تفصيل فحواه: إن أتى أهل الكتاب بما يوافق كتابنا أقررناه، وإذا أتوا بما يخالف ديننا وما في كتابنا رددناه، وإن أتوا بشيء لا يوافق ولا يخالف توقفنا فيه، والله أعلم.

(٢) ولعله يأتي مزيد إن شاء الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ في موطنه من سورة المائدة إن شاء الله.

MOSTAFANAWY.COM

بعض، وكذلك اليهود، ولكن لا يشهد يهودي على نصراني) وذلك لقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

ولكن بإمعان النظر في الآية الكريمة يجد أن إغراء العداوة والبغضاء بين الملة الواحدة أيضًا، فإن الله ﷻ قال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

❁ أما شهادة العدو على عدوه فالأكثر أيضًا على عدم قبولها لهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ونقل القرطبي القول بعدم الجواز عن أهل المدينة وأهل الحجاز، وحكى عن ابن بطال أنه حكى عن ابن شعبان أنه قال: أجمع العلماء على أنه لا تجوز شهادة العدو على عدوه في شيء، وإن كان عدلًا، والعداوة تزيل العدالة، فكيف بعداوة الكافر؟!!!.

قلت: ولنا تحفظ على دعوى الإجماع، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: المؤمن عليه أن يكون كيسًا فطنًا يفهم مدلولات الألفاظ ومخارجها، وخاصة تلك التي تصدر من أهل النفاق والزندقة، وقد حثنا الله ﷻ على فهم ذلك، وضح الآيات التي تشير إلى ذلك؟

ج: من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ

MOSTAFAABWS.COM

ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

❁ وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

❁ وقال سبحانه: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: ٢].

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] تحبون من؟

ج: قيل: المراد المنافقون (وهو أقوى الأقوال) لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقيل: الإباضية (فئة من الخوارج)، وقيل: المراد اليهود، وقيل غير ذلك، والأول أقوى، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]؟

ج: لأهل العلم جملة أقوال في ذلك، منها:

❁ تحبون لهم الإسلام والهداية، وهم يحبون لكم الكفر.

❁ تحبونهم لما بينكم وبينهم من قرابة ومصاهرة ورضاع ونحو ذلك، ولكنهم لا يحبونكم، وذلك كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]، أي: لا عهدًا ولا قرابةً.

❁ تحبونهم فتخالطونهم وتتخذون منهم بطانات وتفشون إليهم الأسرار ﴿وَلَا

MOSTAFAADAWY.COM

يُحِبُّونَكُمْ ﴾ ولا يفعلون معكم مثل ما تفعلوه معهم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩]؟

ج: بعض العلماء يرى ان المراد بالكتاب هنا القرآن فأنتم يا أصحاب محمد تؤمنون بكل ما جاء في القرآن، ولكن أهل النفاق يؤمنون ببعض ويكفرون بالبعض الآخر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨].

وبعض العلماء يرى أن المراد بالكتاب هنا عموم الكتب التي نزلت على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فالمؤمنون يؤمنون بها، أما اليهود والنصارى وأهل النفاق فيؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف يَسْلَم المؤمن من كيد الفجار وشر الأشرار؟

ج: يسلم بإذن الله بأمور منها:

❁ الصبر وتقوى الله ﷻ. كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وللعلماء في الصبر هنا أقوال منها:

❁ الصبر على ما أمر الله به من ترك اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، وعموم

MOSTAFALABBY.COM

الصبر على أوامر الله والثبات عليها، والتقوى المراد بها هنا: اتقاء المعاصي والشرك.

❁ والاستعانة بالصلاة أيضًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

❁ الاستغفار والتضرع واللجوء إلى الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

❁ قول حسبنا الله ونعم الوكيل، فقد قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

❁ **ومنها:** ترك أرض الفتن لحديث الرجل لاذي قتل تسعة وتسعين نفسًا[(١)]، وحديث: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»[(٢)]، ولأن البكر الذي يزني يُغرب عن البلاد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أرد، فقبضته ملائكة الرحمة».

(٢) أخرجه البخاري (حديث رقم ١٩) وفي عدة مواطن آخر من صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري

MOSTAFALAWY.COM

ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٩] كيف لم يموتوا والله إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون؟

ج: الله ﷻ هنا لم يقل لهم موتوا، ولكنه أمر نبيه ﷺ والمسلمين أن يقولوا لهم: موتوا بغيظكم، والمعنى: ادعوا عليهم أن يموتوا والغيظ يملأ قلوبهم، فإن الله سبحانه سيوسع على المؤمنين، ويفتح لهم البلاد، ويُدر عليهم الخيرات، وهذا كله لا يزيد أهل النفاق إلا غيظًا يملأ قلوبهم ويموتون وهذا الغيظ مستحوذ على قلوبهم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ

=رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFALAWY.COM

كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾.

س: ما هو العامل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٢١] ومن المراد بهذا الخطاب، وما صلة هذه الآية بالتي قبلها؟

ج: العامل هو: (واذكر) والمعنى: واذكر إذ غدوت، وهذا الخطاب موجه – كما هو واضح – لرسول الله ﷺ، والمراد منه أمته، وصلة الآية بالتي قبلها أن الله ﷻ بين لأهل الإيمان في الآية التي قبل هذه الآية – أن الصبر وتقوى الله يكفي الله بهما كيد الأعداء ويردُّه، أما العصيان فهو سبب للخذلان والهزيمة، كما وقع في غزوة أحد من بعض أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

س: في أي يوم كان هذا: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]؟

ج: عند جمهور المفسرين أن ذلك كان يوم أحد، وتأيد قولهم بإطباق أهل السير والتفسير أن قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، كان يوم أحد.

وقد قيل في ذلك أقوال أُخر، منها: أن ذلك كان يوم الأحزاب، وقول ثان: أن ذلك كان يوم بدرٍ، وكلا القولين ضعيف، والله تعالى أعلم.

MOSTAFADIYA.COM

س: الأهل قد تطلق على الزوجة، وتطلق على عموم أهل البيت والأقارب، وضح ذلك بأدلته؟

ج: أما كون الأهل قد تطلق على الزوجة، فمنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] فقد قال جمهور المفسرين: إنه عليه الصلاة والسلام خرج من عند عائشة رضي الله عنها.

❁ ومنه أيضًا قول النبي ﷺ - في حديث الإفك -: «**من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، ووالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا**»(١).

❁ أما كونها تطلق على غير الزوجة أيضًا فلقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وبضميمة حديث الكساء على ما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦].

❁ ❁ ❁ ❁

س: من هما الطائفتان اللتان قال الله عز وجل فيهما: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ وما هي صورة هذا الفشل؟

ج: الطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة، وذلك لقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]، قال: نحن الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة، وما نحب - أو ما يسرني - أنها لم تنزل لقول الله

---

(١) تقدم حديث الإفك وبُيِّن أنه في «الصحيحين».

MOSTAFALADAWY.COM

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[١] [آل عمران: ١٢٢].

أما صورة الفشل فهي: أنهما همتا أن ينصرفا عن رسول الله ﷺ بعد أن تسرب إليهما بعض الجبن والخور، فمعنى تفشلا: تجبنا وتتخاذلا عن نصرة رسول الله ﷺ، ولكن الله ﷻ ثبتهما، ولم ينصرفا مع من أنصرف وانفض عن رسول الله ﷺ من أهل النفاق.

❁ ❁ ❁

س: كم كان عدد المؤمنين يوم بدر؟

ج: كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر.

وقد أخرج البخاري[٢] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيفًا على ستين، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين.

وفي رواية[٣] عن البراء أيضًا قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

❁ وقد وقع عند مسلم من حديث ابن عباس[٤] رضي الله عنهما قال: حدثني عمر: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٨)، ومسلم (٢٥٠٥) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٣٩٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣).

MOSTAFAADAWY.COM

عشر.. الحديث، لكن قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[(١)]: لكن أخرجه أبو عوانة وابن حبان بإسناد مسلم بلفظ: (بضعة عشر).

قلت (القائل مصطفى): والأمر في هذا قريب والجمع ممكن بأن يكون بعض من عدَّ أصحاب بدر عدَّ من استصغر منهم، والآخر لم يعدُّهم، أو يكون عدَّ نفسه وعدَّ رسول الله ﷺ، والآخر لم يدخل ذلك في العدد، أو أن أحدهم عدَّ السقاوة والأعين، والآخر لم يعدهم أو نحو ذلك، وكل ذلك قريب.

والأثبت أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: أين توجد بدر، ولماذا سميت بهذا الاسم؟

ج: بدر موضع بين مكة والمدينة، التقى عنده رسول الله ﷺ والمشركون، فهزم الله الشرك وأهله في ذلك اليوم عند ذلك الموضع، وقد سميت بهذا الاسم كسائر البلدان التي سميت بأسماء، ولا يكاد يُعرف لها تعليل.

وقال بعض العلماء: إنها سميت بدرًا نسبة إلى بئرٍ فيها يُقال لها: بدر.

وقيل: سميت ببدر لأن صاحب البئر رجل يقال: بدر[(٢)].

والأول عليه الأكثرون، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٤١).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣٣٥ - ١٣٣٦) بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال: إنما سميت بدرًا لأنها كانت بئرًا لرجل يسمى بدرًا.

MostafaAdawy.com

س: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] كيف وُصِفَ المؤمنون بالذلة هنا، والله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؟

ج: لابد من تأويل الذل في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ حتى تنسجم الآيتان معًا، وعليه فإن الأكثرين من أهل العلم أوَّلوا الذلة في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بمعنى: قلة العدد وضعف الحال، وقلة السلاح وعدم القدرة على مقاومة العدو، وهي كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وبعض أهل العلم يؤول الذلة تأويلًا آخر فيقول: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: في أعين الكفار والمنافقين، كما قال أهل النفاق: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

لكن القول الأول عليه الأكثرون، ألا وهو تفسير الذلة بالقلة، والله أعلم.

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]؟

ج: المراد والله أعلم فاتقون، فإن تقواكم لي هي شكر نعمتي، أي: فاتقون لعلكم بتقواكم لي تكونوا قد أديتم شكر نعمتي، والله تعالى أعلم.

MOSTAFAADWAN.COM

س: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤- ١٢٥] متى كان هذا؟ مع ملاحظة أنه قد ورد في هذا الباب قوله تعالى – وذلك يوم بدر –: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]؟

ج: بعض أهل العلم يقولون: إن هذا كله كان يوم بدر.

أمدهم الله بألف من الملائكة مردفين.

ثم أمدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين.

ثم أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين.

وممن قال بهذا القول: قتادة[١] رَحِمَهُ اللَّهُ، وقريب منه قول الحسن رحمة الله تعالى[٢].

❁ وقال بعض أهل العلمك إما أُمد المسلمون بألف ثم بثلاثة آلاف يوم بدر، ثم أُخبروا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين ببدر فوعِد المؤمنون أنهم سيُمدون بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين إذا جاء مدد المشركين، فلم يأت مدد المشركين، ولم يُمد المسلمون بخمسة آلاف[٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٧٥٤) بإسناد حسن عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: في قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ - أمدوا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف - ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة.

(٢) أخرج ابن جرير (٧٧٤٥) من طريق محمد بن سنان، قال: حدثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الآية كلها: هذا يوم بدر.

(٣) أخرج الطبري (٧٧٤٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣٥٠) بإسناد صحيح عن الشعبي (عامر بن

۞ وقال فريق من أهل العلم: إنما أُمِدَّ المسلمون يوم بدر بألف من الملائكة فقط لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وأما قوله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فهي وعود مشروطة، فلما لم يأت مدد المشركين، لم يأت الثلاثة آلاف ولا الخمسة.

۞ وقال بعض أهل العلم: إن قوله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] لا يفهم منه صراحة أنهم مُدوا أم لم يُمدوا، وممن قال بهذا القول: ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ(١).

۞ وقال بعض أهل العلم: إنما أُمد المسلمون بألف ثم بثلاثة آلاف يوم بدر،

=شراحيل) أنه قال: إن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين، فشق عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: فبلغت كرزًا الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يُمد المسلمون بالخمسة.

وإسناده صحيح إلى الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ لكنه مرسل.

(١) قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ «التفسير» (٧/ ١٨٠): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه قال للمؤمنين: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة، فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددًا لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة آلاف خمسة آلاف إن صبوا لأعدائهم واتقوا الله، ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يُمدوا بهم، وقد يكون الله عَزَّوَجَلَّ أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك، ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة الآلاف، وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أُدموا لم يُهزموا، ويُنال منهم ما نيل منهم، فالصواب فيه أن يقال كما قال الله تعالى ذكره.

MOSTAFABADR.COM

ووعدُوا إن صبروا وجاءهم العدو أن يُمدوا بخمسة آلاف، فلما جاءهم العدو يوم أُحد ولم يصبروا ولم يتقوا ولم يطيعوا رسول الله ﷺ فيما أمرهم به من الثبات في أماكنهم لم يُمدوا بالملائكة(١).

۞ وبالنظر في أقوال جمهور المفسرين مع النظر إلى ما قدمنا ذكره نجد أن قول أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٤] أن ذلك كان يوم بدر، بينما ذهب قليل منهم إلى أن ذلك كان يوم أحد، وقد أورد الرازي رحمه الله وغفر له حجج الفريقين في «تفسيره»(٢).

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣٥٢)، والطبري (٧٧٦٠) بإسناد صحيح عن عكرمة قال: لم يُمدوا يوم أحد ولا بمَلَكٍ واحد، وهذا رغم أنه صحيح إلى عكرمة إلا أنه مرسل أيضًا، فعكرمة تابعي لم يشهد القصة.

(٢) قال الرازي رحمه الله (٨/ ٢٠٩) في قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] فيه مسائل:

= المسألة الأولى: اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر أو يوم أحد، ويتفرع على هذين القولين بيان العامل في (إذ) فإن قلنا: هذا الوعد حصل يوم بدر كان العامل في (إذ) قوله: ﴿نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ والتقدير إذ نصركم الله ببدر وأنتم أذلة تقول للمؤمنين، وإن قلنا: إنه حصل يوم أُحد كان ذلك بدلًا ثانيًا من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ إذا عرفت هذا فنقول: القول الأول إنه (يوم أحد) وهو مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق، والحجة عليه من وجوه:

الحجة الأولى: أن يوم بدر إنما أُمد رسول الله ﷺ بألفٍ من الملائكة، قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال: ٩] فكيف يليق بما ذكر من ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر؟

الحجة: الثانية: أن الكفار كانوا يوم بدرٍ ألفًا أو ما يقرب منه، والمسلمون كانوا على الثلث منهم؛ لأنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله تعالى يوم بدرٍ ألفًا من الملائكة فصار عدد الكفار مقابلًا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين فلا جرم وقعت الهزيمة على الكفار، فكذلك يوم أحد كان عدد المسلمين ألفًا وعدد الكفار ثلاثة آلاف، فكان عدد المسلمين على الثلث من عدد الكفار في هذا اليوم كما في يوم بدر، فوعدهم الله في هذا اليوم أن ينزل ثلاثة آلاف من الملائكة؛ ليصير عدد الكفار مقابلًا بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين، فيصير ذلك دليلًا على أن المسلمين يهزمونهم في هذا =

=اليوم كما هزموهم يوم بدر، ثم جعل الثلاثة آلاف خمسة آلاف لتزداد قوة قلوب المسلمين في هذا اليوم ويزول الخوف عن قلوبهم، ومعلوم أن هذا المعنى إنما يحصل إذا قلنا: إن هذا الوعد إنما حصل يوم أحد.

الحجة الثالثة: أنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] والمراد: ويأتوكم أعداؤكم من فورهم، ويوم أحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم بل هم ذهبوا إلى الأعداء.

فإن قيل: لو جرى قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٤] في يوم أحد، ثم إنه ما حصل هذا الإمداد حصل الكذب، والجواب عليه من وجهين:

الأول: أن إنزاله خمسة آلاف من الملائكة كان مشروطًا أن يصبروا ويتقوا في المغانم، ثم إنهم لما لم يصبرواولم يتقوا في المغانم بل خالفوا أمر الرسول ﷺ، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط، وأما إنزاله ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك المؤمنين الذين بوَّأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد، فهذا يدل على أنه ﷺ إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط.

الوجه الثاني في الجواب: لا نسلم أن الملائكة ما نزلت، روى الواقدي عن مجاهد قال: حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا، وروي أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب = فأخذه ملك في صورة مصعب، فقال رسول الله ﷺ: «تقدم يا مصعب» فقال الملك: لست بمصعب، فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أُمد به، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: كنت أرمي السهم يومئذٍ فيرده عليَّ رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت أنه ملك، فهذا ما نقوله في تقرير هذا الوجه.

إذا عرفت هذا فنقول: نظم الآية على هذ التأويل أنه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] أي: يجب أن يكون توكلهم على الله لا على كثرة عددهم وعُددهم، فلقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، = فكذلك هو قادر على مثل هذه النصرة في سائر المواضع، ثم بعدهذا أعاد الكلام إلى قصة أحدٍ فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

القول الثاني: أن هذا الوعد كان يوم بدر، وهو قول أكثر المفسرين، واحتجوا على صحته بوجوه:

الحجة الأولى: أن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴿١٢٣﴾ ..... إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٣، ١٢٤] كذا وكذا فظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى نصرهم ببدر حينما قال الرسول للمؤمنين هذا الكلام، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا الكلام يوم

س: هل شهدت الملائكة القتال يوم بدرٍ، وهل باشرت قتالًا في ذلك اليوم؟

=بدر.

الحجة الثانية: أن الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة كان مطلقًا غير مشروط بشرط فوجب أن يحصل، وهو إنما حصل يوم بدرٍ لا يوم أحد، وليس لأحد أن يقول إنهم نزلوا لكنهم ما قاتلوا؛ لأن الوعد كان بالإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وبمجرد الإنزال لا يحصل الإمداد بل لابد من الإعانة، والإعانة حصلت يوم بدرٍ ولم تحصل يوم أحد، ثم القائلون بهذا القول أجابوا على دليل الأولين فقالوا:

أما الحجة الأولى (وهي قولكم): الرسول ﷺ إنما أُمد يوم بدرٍ بألف من الملائكة (فالجواب عنها) من وجهين:

الأول: أنه تعالى أمد أصحاب الرسول ﷺ بألف ثم زاد فيهم ألفين فصاروا ثلاثة آلاف ثم زاد ألفين آخرين فصاروا خمسة آلاف فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لهم: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بألف من الملائكة؟ فقالوا: بلى، ثم قال: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف؟ فقالوا: بلى، ثم قال لهم: إن تصبوا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف، وهو ما روي أنه ﷺ قال لأصحابه: «**أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قالوا: نعم، قال: «**أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني أرجوا أن تكون نصف أهل الجنة**».

الوجه الثاني في الجواب: أن أهل بدر إنما أمدوا بألف على ما هو مذكور في سورة الأنفال، ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد إمداد قريش بعددٍ كثير فخافوا وشق عليهم ذلك لقلة عددهم، فوعدهم الله بأن الكفار إن جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة، ثم إنه لم يأت قريشًا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن إمداد المسلمين بالزيادة على الآلف.

= وأما الحجة الثانية: وهي قولكم: إن الكفار كانوا يوم بدر ألفًا فأنزل الله ألفًا من الملائكة، ويوم أحد ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف.

فالجواب: أنه تقريب حسن، ولكنه لا يوجب أن يكون الأمر كذلك بل الله تعالى قد يزيد وقد ينقص في العدد بحسب ما يريد.

وأماالحجة الثالثة: وهي التمسك بقوله: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥]:

فالجواب عنه: أن المشركين لما سمعوا أن الرسول وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم، واجتمعوا وقصدوا النبي ﷺ، ثم إن الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا، فأخبرهم الله تعالى أنه إن يأتوكم = من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة.

فهذا حاصل ما قيل في تقرير هذين القولين، والله أعلم بمراده.

Nostrabook.com

ج: نعم شهدت الملائكة القتال يوم بدر وباشرت القتال، والأدلة على ذلك كثيرةٌ منها:

❁ قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

❁ قول الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وهذا في يوم بدر كما هو واضح من سياق الآيات، وقد أطبق أهل العلم على ذلك.

❁ وأخرج مسلم (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**» فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمده الله بالملائكة، قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فتحدَّث بذلك رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٧٦٣).

Mostafa Abdo.com

فقال: «**صدقت، ذاك من مدد السماء الثالثة**» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

❁ وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال يوم بدرٍ: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»(١).

❁ وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، قال: قيل لعلي ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو قال: يشهد الصف.

❁ وعن رفاعة بن رافع(٣) الزرقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟ قال:«**من أفضل المسلمين**» - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة.

❁ ❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] تنبيه على شيء ما هو؟

ج: التنبيه إنما هو على أن الغرض أن يكون توكلهم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا على الملائكة الذين أُمدوا بهم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٤٧)، وأبو يعلي (١/ ٢٨٣- ٢٨٤)، والحاكم (٣/ ١٣٤) بإسناد صحيح، والقائل لهما هو رسول الله ﷺ كما هو واضح في رواية أبي يعلي وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٢).

MOSTAFAADWY.COM

خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٧]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن الله ﷻ نصركم ببدر؛ ليهلك ويقطع ويقتل طائفة من الكفار ويهدم ركنًا من أركان الشرك، فيرجع أهل الكفر الباقون مكبوتين محزونين خائبين لم ينالوا ما طمعوا فيه.

وقد صح عن قتادة في هذه الآية أنه قال: فقطع الله يوم بدر طرفًا من الكفار وقتل صناديدهم – رءوسهم وقادتهم في الشر[(١)].

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

س: ما هو سبب النزول الصحيح لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

ج: لهذه الآية أكثر من سبب نزول صحيح، وكما هو معلوم فقد تعدد أسباب النزول الصحيحة للآية الواحدة، فيحدث أمرٌ مثلًا، ثم أمرٌ آخر، ثم أمرٌ ثالث فتنزل الآية فيهم جميعًا.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣٨٢)، وابن جرير الطبري (٧٧٩٦).

MOSTAFAADWY.COM

أما أسباب النزول التي صحت لهذه الآية الكريمة فمنها:

❁ حديث ابن عمر[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأولى من الفجر يقول: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**» بعد ما يقول: «**سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد**» فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

❁ حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله**» فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢].

❁ وثم أسباب نزول أخرى وردت لهذه الآية وفيها مقال، وما قدمناه من أسباب نزول لها فهي صحيحة، وأصح ما ورد في هذا الباب، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: بين معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

ج: المعنى والله أعلم: ليس لك يا محمد من أمر خلقي شيء إلا أن تنفذ فيهم أمري وتبلغهم ما أُرسلت به، أما ما وراء ذلك فالأمور كلها لله وحده بقضاء الله وقدره، فهو سبحانه المالك لأمرهم إن شاء أهلكهم في هذه الحياة الدنيا أو قطع طرفًا منهم، وإن شاء كبتهم فأخزاهم وأحزنهم وردهم خائبين، وإن شاء هداهم وتاب عليهم، وإن شاء عذبهم في الآخرة، فالأمور كلها لله يفعل ما يشاء ويحكم ما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٩) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

Nostrapdf.com

يريد.

وقال بعض العلماء: إن قول النبي ﷺ: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**»[1] استبعاد من رسول الله ﷺ لهدايتهم وتوفيقهم، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ تقريب لما استبعده رسول الله ﷺ. وهذا القول أحد أفراد القول المتقدم، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: على أي أساس نُصب قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

ج: بعض العلماء يرى أن قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ فالمعنى: ليقطع طرفًا.... أو يكبتهم، أو يتوبَ عليهم أو يُعذبهم.

وبعضهم يرى أن (أو) بمعنى (إلى أن) فالمعنى: ليس لك من الأمر شيء إلى أن يتوب عليهم فتفرح بذلك أو يعذبهم فتشتفي بذلك.

وبعضهم يرى أن (أو) بمعنى حتى ولذلك نصبت (يتوبَ) وهو قريب من المعنى المتقدم، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالظلم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

---

(١) صحيح وقد تقدم.

MOSTAFAADAWY.COM

ج: المراد بالظلم هنا: الشرك، فإن الذين شجوا نبيهم ﷺ كانوا مشركين، والظلم يطلق على الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما جاء في تأويل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩]؟

ج: أمثل ما قرأته في تفسير هذه الآية ما كتبه الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: يعني بذلك تعالى ذكره: ليس لك يا محمد من الأمر شيء، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها دونك ودونهم، يحكم فيهم بما يشاء ويقضي فيهم ما أحب فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه، وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليه بالعفو والصفح، والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم.

❁ ❁ ❁

س: هل يلزم لمغفرة الله ﷻ للذنوب أن يستغفر العبد من تلك الذنوب؟

ج: التحقيق يقتضي أنه لا يلزم الاستغفار من الذنب حتى يغفر، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

❁ قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

MOSTAFALADAWY.COM

❁ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

❁ وقول الله تعالى: ﴿❁ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

❁ وقول النبي ﷺ لما ذكر عددًا من الكبائر فقال: «**فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**»(١).

❁ وقصة البغي الإسرائيلية التي كانت تسعى بفرجها فوجدت كلبًا يلهث من العطش فنزعت موقها فسقته فغفر الله لها(٢).

هذا وليس المراد التزهيد في الاستغفار، ولكن المراد بيان أصل من الأصول ألا وهو أن الله ﷻ يغفر لمن شاء ما شاء ولا يعظم عليه شيء ولا يعجزه شيء، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء وفضله وإحسانه سابغ وعفوه وغفرانه كائن لمن مات لا يشرك به شيئًا.

هذا وقد جاء في الحث على الاستغفار ما لا يكاد يحصى من النصوص تأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: بعض العلماء يرى أن من استحل(٣) الربا يكفر، هل لهم من دليل؟

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٢)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما كلبٌ يُطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأت بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقعها فسقته فغُفر لها به**».

(٣) من استحل الربا المراد منه من قال: إن الربا حلال، وليس المراد به من اختلف في صورة من صور

MOSTAFADIY.COM

ج: استدل بعض العلماء لذلك بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١] قال صديق حسن خان في تفسير «فتح البيان»: قال كثير من المفسرين وفيه أنه يكفر من استحل الربا.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ ﴾ [آل عمران: ١٣٠] هل يستفاد منه أن الشخص له أن يأكل القليل من الربا الذي لا يصل إلى أن يكون أضعافًا مضاعفة؟ وكيف توجه الآية إذن؟

ج: لا يستفاد من الآية أن الربا يجوز أكل القليل منه، وإنما الآية وصفت حال أهل الجاهلية في شأن الربا وحرَّمته، فقد قال جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية: إن الرجل كان يداين الرجل المبلغ إلى أجلٍ مثلًا فإذا حل الأجل ولم يجد المدين ما يسدد به الدين طلب من صاحب الدين تأخيره مع الزيادة فيه، ويتكرر هذا فيتضاعف المبلغ القليل أضعافًا فنهوا عن ذلك.

أما قليل الربا وكثيره فمحرم من نصوصٍ أخر مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

=الربا هل هي حرام أم حلال، وكذلك ليس المراد كل من رابي فهو كافر، فالمرابي مرتكب لكبيرة من الكبائر، أما مستحل الربا فهو كافر وإن لم يرابِ، والله تعالى أعلم.

Mostafalabw.com

ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

❁ وقد رأى النبي ﷺ آكل الربا يسبح في نهر أحمر مثل الدم، وعلى شط النهر رجل قد جمع أحجارًا كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الي قد جمع عنده الحجارة فيغفر له فاه فيلقمه حجرًا فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه كما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا... الحديث[1].

وقد ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ﴾ خرج مخرج الغالب كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١] فليس معناه تجويز قتل الأولاد لغير الإملاق، وكما قال تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣] فالجمهور على تحريم الربيبة، سواء كانت في الحجر أو لم تكن في الحجر[2].

❁ ❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] يفيد أن النار إنما أُعدت للكافرين فقط فهل هذا صحيح؟

ج: صحيح أن النار أُعدت للكافرين، ولكنها يدخلها أيضًا مسلمون ممن لم

(١) الحديث أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، وظاهره أنه في رؤيا منامية، وقد رأى بعض العلماء أن رؤيا الأنبياء وحي لقول الخليل إبراهيم: إني رأيت في المنام أني أذبحك.

(٢) وبعض العلماء يرى أن الربيبة لا تحرم إلا إذا كانت في الحجر لظاهر الآية.

MOSTAFAADAWY.COM

يغفر لهم من أكلة الربا والزناة والقتلة ونحوهم، كما ورد في حديث المفلس الذي يأتي بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار(١).

ثم كيف يوجه قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ مع ما ذكرنا؟، أجاب العلماء على ذلك بوجوه:

أولها: أن الكافرين هم أصحابها الأصليون الذين لا يخرجون منها كما قال سبحانه: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ومن ثم ذكرت النار بأنها أعدت للكافرين، إذ الوارد عليها من أهل الإسلام والداخل فيها منهم إنما يدخلها ثم يخرج، وذلك كما قال النبي ﷺ: «**إنما بنيت المساجد لذكر الله وإقام الصلاة وتلاوة القرآن**»(٢)، مع تجويز بعض الأمور الأخرى فيها كالتقاضي والإصلاح بين الناس وربط الأسير ونحو ذلك.

فقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] ليس على سبيل الحصر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام = وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**».

(٢) أخرج مسلم (حديث ٢٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزرموه دعوه**» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**» أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنَّه عليه.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثاني: أن النار دركات كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ **[النساء: ١٤٥]**، وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ **[غافر: ٤٦]**، فقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ إشارة إلى تلك الدركات التي أعدت للكافرين.

الثالث: أن المراد من وصف النار بأنها مُعدة للكافرين تعظيم الزجر.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] عقب النهي عن أكل الربا تهديد لآكل الربا وضحه؟

ج: وجه هذا التهديد أن الله ﷻ عقب النهي عن أكل الربا بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، أي: وأطيعوا الله والرسول فيما أمركم به، ومما أمركم به ترك الربا، فإن لم تطيعوه ابتعدت عنكم الرحمة واستحققتم العذاب، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

MOSTAFAADAWY.COM

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم –: وبادروا إلى فعل ما يجلب لكم المغفرة من ربكم ﷻ، من شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وصلاة وصيام وحج وصدقة واستغفار وتوبة وإخلاص وسائر أعمال البر، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا عُبر بالعرض في قوله تعالى: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

❁ أنه عبر بالعرض ليدل على عظم الطول واتساعه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في صفة قريش الجنة ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن: ٥٤] أي: فما ظنك بالظهائر، فعليه فالطول لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ وبعض العلماء يقول: إن عرضها كطولها.

❁ وبعض العلماء يقول: إنما عُبر بالعرض؛ ليدل على الاتساع، كما يقول القائل: هذه دعوى عريضة أو بلاد عريضة أي: كبيرة متسعة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALADAWY.COM

س: قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] هل هو على ظاهره أم له مدلول آخر؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن الآية على ظاهرها، وأن السموات والأرض تقرن بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض، فذلك عرض الجنة، وهذا قول الجمهور[(١)] من المفسرين.

❁ وبعض أهل العلم يقول: إن المراد بيان الاتساع فشبه عرض الجنة بأوسع ما علمه الناس من خلق الله تعالى.

❁ ❁ ❁ ❁

س: قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فأين النار؟

ج: ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل نحو هذا السؤال فأجاب بقوله: أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار، وإذا جاء النهار أين يكون الليل[(٢)].

---

(١) عزاه إليهم القراطبي في التفسير، وصديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان».

(٢) أخرجه الطبري رحمه الله: (٧٨٣٣، ٧٨٣٤، ٧٨٣٥) من طرق عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: تقولون (جنة عرضها السموات والأرض) أين تكون النار، فقال له عمر: أرأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل؟ أرأيت الليل إذا جاء أين يكون النهار؟ فقال: إنه لمثلها في التوراة، فقال له صاحبه: لم أخبرته؟! فقال له صاحبه: دعه إنه لكلٍّ موقنٌ.

وهذا إسناد صحيح.

وقال ابن جرير أيضًا (٧٨٣٦): حدثني أحمد بن حازم، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: حدثنا جعفر بن برقان، قال: حدثنا يزيد بن الأصم أن رجلًا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال: تقولون: (جنة =

MOSTAFAABW.COM

س: ما المراد بالسراء والضراء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال منها:

=عرضها السموات والأرض) فأين النار؟ فقال ابن عباس: أرأيت الليل إذا جاء أين يكون النهار وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟.

* ورجاله ثقات إلا أحمد بن حازم لم أقف على من وثقه، وقد ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

* وقال البزار رَحِمَهُ اللَّهُ (نقلًا عن ابن كثير): حدثنا محمد بن معمر، حدثنا المغيرة ابن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ قال: «**أرأيت الليل إذا جاء ليس كل شيء فأين النهار؟**» قال: حيث شاء الله قال: «**وكذلك النار تكون حيث شاء الله** عَزَّوَجَلَّ».

* ورجاله ثقات إلا عبيد الله بن عبد الله الأصم لم أقف على أحدٍ وثقه إلا ابن حبان، وروى عنه ثلاثة، وأخرج له مسلم، وقال عنه الحافظ: مقبول (وهو عنده مقبول إذا توبع وإلا فلين).

والذي تطمئن إليه نفسي ان هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ، وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٨٣١): حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني مسلم بن خالد عن ابن خثيم عن سعيد بن أبن راشد عن يعلي بن مرة، قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخًا كبيرًا قد فُنِّد، قال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فناول الصحيفة رجلًا عن يساره، قال قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية فإذا كتاب صاحبي (إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟) فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟**».

وفي إسناده ضعف فمسلم بن خالد هو الزنجي ضعيف، وإن كان قد توبع إلا أن سعيد ابن أبي راشد أيضًا مجهول، وانظر أيضًا أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤١) تجد خلافًا آخر على سعيد بن أبي راشد.

Mostafa.com

أن السراء: هي اليسر.

والضراء: هي العسر.

وقيل: السراء: هي الرخاء.

والضراء: هي الضيق.

وقيل: السراء: المنشط[١].

والضراء: المكره[٢].

وقيل: السراء المراد بها: النفقة في الحياة.

وقيل: النفقة في السراء (العرس والولائم).

والنفقة في الضراء: (النوائب والمآتم).

والحاصل: أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله ﷻ والإنفاق في سبيله.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج: المراد والعلم عند الله تعالى: الذين امتلأت قلوبهم وصدورهم غيظًا مما آذاهم به الناس، ومع ذلك فهم يكظمون[٣] هذا الغيظ ولا يمضونه في الناس، ويزداد الفضل ويرتفع الأجر إذا كانوا قادرين على إمضائه ولكنهم تركوه لله ﷻ.

❀ ❀ ❀

---

(١) المنشط: هو الأمر الذي يحبه الرجل وينشط له.

(٢) المكره: هو الأمر الذي يبغضه الرجل ويكره فعله.

(٣) فالكظيم: الممتليء حزنًا وهمًّا وغمًّا قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

MostafaLadwa.com

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج: المعنى والله أعلم: التاركين عقوبة من أساء إليهم وأذنب في حقهم واستحق المؤاخذة.

وبعض العلماء يقول: إن المراد بالناس هنا هم الخدم والمماليك، لكن الصحيح من قول أهل العلم أن الآية عامة غير قاصرة على المماليك والخدم، وإن كان المماليك والخدم داخلين فيها.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث التي وردت في الحث على كظم الغيظ والعفو عن الناس؟

ج: منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

❁ ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

❁ ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥].

❁ وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

Mostafa4dawy.com

أما الأحاديث في ذكرة فكثيرة:

❁ منها قول النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١).

❁ ونحوه قول النبي ﷺ: «**ما تعدون الصرعة فيكم؟**» قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: «**ليس بذلك ولكنَّه الذي يملك نفسه عند الغضب**»(٢).

❁ وقول رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله قل لي قولًا ينفعني وأقلل عليَّ فيه لعلِّي أعيه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارًا كل ذلك يقول: «**لا تغضب**»(٣).

❁ ونحوه أن رجلًا قال: يا رسول الله أوصني قال: «**لا تغضب**» قال الرجل: ففكرت حين قال ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله(٤).

❁ وجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد اعدل(٥) وصبر عليه رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٢٠) بهذا اللفظ بسند صحيح، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه البخاري (٦١١٦) بلفظ: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «**لا تغضب**» فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**».

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٣) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل قال: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي...**» (٣٦١٠). ومسلم (ص ٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

MOSTAFABAKRY.COM

س: ما المراد بالمحسنين في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؟

ج: إما أن يقال: إن المحسنين هم الذين يعبدون الله ﷻ كأنهم يرونه فينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس لاعتقادهم أن الله ﷻ يراهم أو كأنهم يرون الله ﷻ[1].

❁ أو يقال: إن مقام الإحسان هنا كمقامه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] فالعدل: هو القصاص، والإحسان: هو العفو، وهذا يتناسب مع قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وبالجملة فإن الإحسان كتبه الله في كل شيء كما جاء عن رسول الله ﷺ[2] فالإنفاق فيه إحسان على الفقراء، وحدُّ الشفرة فيه إحسان على الذبيحة.

❁ ❁ ❁

س: هل من شروط المتقين ألا يأتوا بفواحش؟

ج: الأصل في المتقي أنه يجتنب الفواحش كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) كما ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير الإحسان: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». أخرجه مسلم في «صحيحه» وقد تقدم.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**».

MOSTAFAADAWY.COM

ولكن قد تزل قدم رجل من المتقين - أعاذنا الله والمؤمنين - فيقع في فاحشة من الفواحش، ولكنه يتذكر ذنبه ويندم على فعله ويستغفر الله ﷻ منه، فلا يخرج حينئذٍ عن حيز المتقين، قال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ثم طفق يذكر صفاتهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فلم يخرج الله ﷻ المتقي التائب النادم غير المصر على الذنب عن حيز المتقين.

وقد قال نبي الله موسى ﷺ: «**إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب - قتله النفس**»[(١)].

وقد قال تعالى في شأن موسى: ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ [طه: ٤٠].

۞ ۞ ۞

س: ما المراد بالفاحشة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؟

ج: الفاحشة تطلق على كل قبيح وخارج عن الحد، وتطلق على كل معصية.

۞ لكنها اختصت بالزنا[(٢)]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرج الطبري (٧٨٤٦) من طريق العباس بن عبد العظيم، قال: حدثنا حبان، قال: حدثنا حماد، عن ثابت، عن جابر ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ قال: زنى القوم ورب الكعبة.

MOSTAFAADWY.COM

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

أما إطلاقها على ما هو خارج عن الحد فمنه قول النبي ﷺ: «**يا عائشة متى عهدتيني فاحشًا**»(١).

فالمراد الفحش من القول، ومنه قولهم: أفحش فلان في كلامه إذا تكلم بالفحش، وقيل للرجل الطويل طولًا زائدًا: إنه فاحش الطول.

❁ وقال بعض العلماء: إن الفاحشة تطلق على كل كبيرة.

❁ والذي يظهر لي أن المراد بالفاحشة في الآية الكريمة الكبيرة، ومنها الزنا، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بظلم النفس في قوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؟

ج: الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم –: أن المراد بظلم النفس هنا ما دون الكبيرة من قبلة أو نظرة أو معانقة ونحو ذلك، وقد اختار هذا أكثر المفسرين، وبعض العلماء يقول: عن الفاحشة ظلم النفس، وظلم النفس فاحشة أيضًا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة**» فلما جلس تطلق له النبي ﷺ، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ... فذكره.

MOSTAFALADWY.COM

س: ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؟

ج: من العلماء من قال: هو ذكر الله باللسان، والمراد: الاستغفار من الذنوب التي اقترفوها.

ومنهم من قال: هو ذكر الله بالقلب، والمعنى: أنهم ذكروا وعيد الله ﷻ لمن عصاه، وذكروا عظمة الله ﷻ فاستحيوا منه، وذكروا أنهم مسئولون أمام الله ﷻ عما اقترفوه، وذكروا نهي الله ﷻ عن الفعل الذي فعلوه، وذكروا العرض على الله ﷻ، وذكروا أيضًا أن الله فتح لهم باب التوبة حتى يستغفروا الله ﷻ من ذنوبهم، ذكروا ذلك كله فسألوا ربهم ﷻ أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحة لهم عن العقوبة عليها.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث التي تحث على التوبة والاستغفار؟

ج: الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة نورد منها ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿❁ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

❁ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

❁ وقال نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

Mostafabw.com

❁ وقال ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣].

❁ وأثنى الله على المحسنين فقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

❁ وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤].

أما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة منها:

❁ قول النبي ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

❁ وقول النبي ﷺ: «**الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**»(٢).

وفي رواية(٣): «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**».

❁ وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: هل من مستغفر فأغفر له...**».

❁ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن**

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجها مسلم.

MOSTAFALADY.COM

إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: بعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»[١].

❁ وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال: رب أذنبت ذنبًا فاغفره فقال ربه: أعلم عبدي أنه له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا، فقال: رب أذنبت – أو أصبت – آخر فاغفره فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا، وربما قال: أصاب ذنبًا، فقال: رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء»[٢].

❁ وقال النبي ﷺ: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم»[٣].

❁ وقال النبي ﷺ: «إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»[٤].

❁ وقال النبي ﷺ: «إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه»[٥].

❁ ❁ ❁

س: هل المصر على المعصية كافر؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩) في «المسند» وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٨) من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وأحمد (١١٥، ١٢٨، ٩٧١)، والحاكم (٢/ ٩٨-٩٩).

(٥) ورد في ثنايا حديث الإفك.

MOSTAFAADLY.COM

ج: المصر على المعصية ليس بكافر[١]، ولكنه على خطر عظيم، أو الأدلة على عدم كفره فمنها:

❁ قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

❁ قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

❁ وقول النبي ﷺ لما ذكر جملة من الكبائر: «**فمن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**».

❁ وقصة البغي من بغايا بني إسرائيل التي كانت تزني فوجدت كلبًا يلهث من العطش فنزعت موقها فسقته فغفر الله ﷻ لها[٢].

❁ وقصة الصحابي الذي كانت يكثر من شرب الخمر، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك، فقال النبي ﷺ: «**إنه يحب الله ورسوله**»[٣].

❁ وقول النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٤].

❁ وحديث البطاقة وفيه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ سيخلّص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل**

---

(١) إلا إذا استحل معلومًا من الدين بالضرورة كأن يقول مثلًا: الزنا حلال، ونحو ذلك.

(٢) صحيح أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب ﵁ أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقب حمارًا، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتى به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنة ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه فو الله ما علمت أنه يحب الله ورسوله**».

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (ص ٩٥) من حديث أبي ذر مرفوعًا: «**ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**».

MOSTAAB.COM

مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالإصرار على المعصية؟

ج: للعلماء في المراد بالإصرار أقوال منها:

❁ الاستمرار على المعصية وعدم الإقلاع عنها.

❁ الثبوت[(٢)] عليها من غير استغفار.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] يعلمون ماذا؟

ج: للعلماء في ذلك أقوال، منها:

❁ وهم يعلمون أن الإصرار يضر.

❁ يعلمون أن الله ﷻ لا يتعاظمه العفو عن الذنوب، بل هو سبحانه يغفر

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، واحمد (٢/ ٢١٣، ٢٢١، ٢٢) وابن ماجة (٤٣٠٠) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، وهو صحيح.

(٢) ومنهم من قال: السكوت عليها وترك الاستغفار.

MOSTAFAADWY.COM

الذنوب جميعًا.

❁ يعلمون أن الله يتوب على من تاب.

❁ يعلمون أنهم قد أذنبوا.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦] عاملين بماذا؟

ج: المراد والله أعلم: العاملين بطاعة الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]؟

Nosrawy.com

ج: المعنى[١] والله أعلم أنه قد تقدمتكم أمم وسبقتكم قرون مكذبون برسلي تاركون توحيدي معذبون لعبادي فأمهلتهم على تكذيبهم وشركهم وإيائهم لعبادي إلى أجل أجلته لهم ثم أخذتهم وانتقمت لرسلي ولعبادي منهم، فكأن الآية الكريمة فيها تصبير للمؤمنين على ما أصابهم من قتل وجراح يوم أحد من أهل الشرك والتكذيب، وفيها أيضًا تحذير لأهل الشرك من البقاء على شركهم وتكذيبهم وتنبيههم على أن ما حدث لهم يوم أُحدٍ من نصرٍ في الظاهر إنما هو استدراج لهم، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: هل تجوز زيارة ديار الذين ظلموا أنفسهم وأنزل الله العذاب عليهم؟

ج: بعض أهل العلم يذهب إلى الجواز بل وإلى الاستحباب إذا كان ذلك للعبرة والعظة والتذكرة، لقول الله ﷻ: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

وبعض العلماء يضيق في هذا الباب؛ لأن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجر[٢] قال

---

(١) هذا المعنى مع بعض الزيادات.

(٢) المراد به ديار ثمود، وهم قوم صالح عليه السلام كما هو معلوم، ولا أدري هل هذا خاص بأصحاب الحجر ام بعموم الظالمين؛ لقوله عليه السلام: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا**»، فالله أعلم.

* قال صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان»: والمطلوب من هذا السير المأمور به هو حصول المعرفة بذلك، فإن حصلت بدونه فقد حصل المقصود، وإن كان لمشاهدة الآثار زيادة غير حاصلة لمن لم يشاهدها، والأمر للندب لا على سبيل الوجوب.

* وقال القاسمي «محاسن التأويل» (ص ٩٧٨): والأمر بالسير والنظر لما أن لمشاهدة آثار المتقدمين

Mostafa Adawy.com

لأصحابه: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم**» ثم تَقَنَّعَ بردائه وهو على الرحل[(١)].

ولأنه لم يرد أن الصحابة ﷺ كانوا يتعمدون السفر لمشاهدة آثار الظالمين، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالسير في قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]؟

ج: لأهل العلم قولان فيه:

أحدهما: أنه السير في السفر، والذهاب إلى أماكنهم، والمعنى: إذا سرتم في أسفاركم عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم.

الثاني: أنه التفكر، ومعنى انظروا: اعتبروا، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: إلى ماذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨] الآية؟

ج: بعض العلماء يقول: هذا إشارة إلى القرآن الكريم، وبعضهم يقول: هو الإشارة إلى ما تقدم من أخبار المذكورين في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

=أثرًا في الاعتبار والروعة أكثر من أثر السماع.

قلت: ويؤيده قول النبي ﷺ: «**ليس الخبر كالمعاينة**».

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٠) من حديث ابن عمر ﷺ.

MOSTAFA ADEL .COM

والذي يبدو لي أن المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ﴾ إشارة للقرآن بما فيه من أخبار المؤمنين وهلاك الظالمين، والله أعلم بمراده.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالهدى والموعظة في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]؟

ج: المراد بالهدى: هو الكلام الهادي إلى سبيل الحق وطريق الرشاد المأمور بسلوكه.

والمراد بالموعظة: الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين، والله أعلم بمراده.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] على ماذا حزن المسلمون؟

ج: حزن المسلمون على أمور منها:

❁ قتل إخوانهم من المسلمين يوم أُحد، وما أصاب المسلمين من هزيمة يومها.

❁ ما أصاب النبي ﷺ من شجِّ رأسه وكسر رباعيته.

❁ ما فات من الغنيمة، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALAW.COM

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؟

ج: الآية التي في معناها هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾ [النساء: ١٠٤].

س: قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠] متى مس الكفار القرح المذكور في هذه الآية؟

ج: لأهل العلم قولان في هذا الباب:

١- منهم من قال: إن القرح الذي أصاب الكفار أصابهم يوم بدر، وعليه فالمعنى: لا تهنوا ولا تحزنوا أيها المؤمنون، فإن تكونوا أصبتم بشيء يوم أحد من قتل وجراح يوم أحد فقد أصاب القوم مثله يوم بدر.

وقد يَرِدُ عليهذا القول إشكال، وهو أن الله ﷻ قال للمؤمنين بشأن يوم أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فالآية الكريمة أفادت أن المسلمين أصابوا ضعف ما أصيبوا به فكيف يجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فالإجابة على هذا يقال: إن من قتل من المسلمين يوم أحد كالذي قتل من المشركين ببدر، وحاز المسلمون الظفر بالأسرى الذين أسروم يوم بدر وكان عددهم تقريبًا عدد من قُتل، والله أعلم.

٢- القول الثاني قول من قال: إن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أن ذلك كان يوم أحد، فقد كانت الدولة والغلبة للمسلمين في أول النهار فنالوا من

Mostafa.com

الكفار ثم تحولت عليهم الدائرة فنال منهم أهل الشرك، والقول الأول أولى، وذلك لأن ما ناله المسلمون من المشركين أو النهار لا يساوى ما ناله المشركون من المسلمين آخر النهار، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وما الحكمة من مداولة الأيام بين الناس؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ فالمراد بالأيام: الأيام الكائنة بين الأمم في حروبها، أو أيام الحياة الدنيا بصفة عامة، أما قوله تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ أي: نصرِّفها.

والمعنى الإجمالي: أنه في بعض الأيام التي يتقابل فيها المسلمون مع المشركين ينتصر المسلمون وتكون لهم الدولة والغلبة، وفي أيام أخر ينتصر المشركون وتكون لهم الدولة[(١)]، كما قال الشاعر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسر

❁ أما الحكمة من مداولة الأيام بين الناس فقد ذكر ابن القيم بعضها[(٢)] فقال: ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائمًا دخل معهم المسلمون

---

(١) وقد يكون المعنى أعم من أيام الحروب بمعنى: أن الحياة الدنيا لا تبقى لأحد على حال، فهذا اليوم صحيحًا وغدًا سقيمًا وعكسه، وهذا اليوم معافي وغدًا مبتلي وعكسه، وهذا اليوم غنيًّا وغدًا فقيرًا وعكسه، وهذا اليوم يولد له وآخر يموت له وعكسه، وهذا اليوم منتصرًا وغدًا منهزمًا، ونحو ذلك، والله أعلم.

(٢) نقلًا عن تفسير القاسمي.

MostafaDaw.com

وغيرهم، ولم يميز الصادق من غيره، ولو انتُصر عليهم دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن يجمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق، وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٠] قال ابن القيم: حكمة أخرى وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإنما يترتبان على المعلوم إذا صار مُشاهدا واقعًا في الحس. والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] (١) هذه الآية ظاهرها أن الله ﷻ إنما فعل ذلك ليكتسب ذلك العلم، فكيف يتفق هذا مع المعلوم لدى الجميع أن الله ﷻ يعلم كل شيء قبل حدوثه؟

ج: لأهل العلم في دفع هذا الإشكال أقوال:

أولها وأشهرها – وهو رأي الجمهور –: أن المراد بالعلم هنا المشاهدة والرؤيا، أي لِنرى.

الثاني: أن هذا من باب التمثيل، أي: فعلنا فعل من يريد أن يعلم.

الثالث: أن المراد بالعلم هنا التمييز، أي: لتمييز الثابتين على الإيمان من

(١) ونظيرها في الإشكال قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

MostafaLaw.com

غيرهم.

وثمَّ أقوال أُخر في هذا الباب، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ما المراد به؟

ج: المراد – والله أعلم –: ليكرم من شاء منكم بالشهادة في سبيله.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢]؟

ج: بعض العلماء يقول هنا: إن هذا استفهام معناه النهي، والمعنى – والله أعلم –: لا تحسبوا.

❀ ❀ ❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]؟

ج: المعنى الإجمالي والله أعلم: أفحسبتم يا أصحاب محمد ويا أتباع محمد أن تدخلوا الجنة وتنالوا شرف الشهادة والإكرام من الله ﷻ وترتفع منازلكم عنده من غير أن تسلكوا طريق المجاهدين الصابرين، ومن غير أن أن يبتليكم الله ﷻ بالشدائد والمكاره حتى يعلم الله المجاهد منكم والصابر!!!

❀ ❀ ❀

MOSTAFAALDWY.COM

س: جاءت جملة آيات من كتاب الله ﷻ وكذلك جملة أحاديث توضح أنه لابد من الابتلاء في هذه الحياة الدنيا، اذكر طرفًا منها؟

ج: الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا منها:

❁ قول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

❁ وقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١- ٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

❁ وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

❁ وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

أما الأحاديث فكثيرةٌ:

Mostafalaily.com

❁ منها: قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي[١].

❁ ما ذكره النبي ﷺ عن الراهب والغلام (اللذين وردت قصتهما مع قصة أصحاب الأخدود الذين خُدَّت لهم الأخاديد) إذ قال الراهب للغلام: «**إنك خير مني وإنك ستبتلى**»[٢].

❁ قول النبي ﷺ: «**يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه**»[٣].

❁ وقال خباب بن الأرت رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وما يصده ذلك عن دينه**»[٤].

❁ ❁ ❁

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم حديث (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**».

(٤) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

MOSTAFAADAWY.COM

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالموت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]؟

ج: قال بعض أهل العلم في ذلك أقوالًا منها:

❁ أن المراد بالموت هنا: لقاء العدو وقتاله.

❁ أن المراد: الشهادة في سبيل الله.

والذي يظهر لي – والله أعلم –: أن المراد: الثبات عند مجاهدة الأعداء وقتالهم إلى النصر أو الشهادة في سبيل الله ﷻ، كما فعل أنس بن النضر رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

س: هل يشرع تمني الموت؟

ج: لا يشرع تمني الموت إلا إذا خشي الشخص على نفسه الفتنة في دينه، وها

MOSTAFALABW.COM

هي بعض الأدلة على ذلك:

❁ قول النبي ﷺ: «**ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مُسيئًا فلعله أن يستعيب**»(١).

❁ قول النبي ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت من ضرٍّ أصابه، فإن كان لابد فاعلًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(٢).

❁ قول خباب بن الأرت رضي الله عنه وقد اكتوى سبع كيات... ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به(٣).

أما الأدلة على جواز تمني الموت خشية الفتنة في الدين فمنها:

❁ قول مريم عليها السلام: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣].

❁ وقول سحرة فرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

❁ وقول النبي ﷺ: «**وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون**»(٤).

❁ وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم إني كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط(٥).

❁ أما ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله: «**اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى**»(٦)

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، والنسائي (٤/ ٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١)، والنسائي (٤/ ٤).

(٤) أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٥/ ٢٤٣).

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٨٢٤) من طريق سعيد بن المسيب عن عمر، وفي سماع سعيد عن عمر خلاف.

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٧٤)، ومسلم (٣٤٤٤) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

MOSTAFAADWY.COM

فهو إيثار منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للآخرة على الدنيا، فإنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خُيِّر بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار الرفيق الأعلى.

❁ أما قول يوسف ﷺ للموت في قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فهو طلب لحسن الخاتمة. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما هو المراد بتمني الشهادة؟ وما حكم تمنيها؟ وهل يشرع للمرأة أن تتمنى الشهادة في سبيل الله؟

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتمني الموت يرجع من المسلمين إلى تمني الشهادة المبنية على الثبات والصبر على الجهاد لا إلى قتل الكفار لهم؛ لأنه معصية وكفر[1]، ولا يجوز إرادة المعصية، وعلى هذا يُحمل سؤال المسلمين من الله أن يرزقهم الشهادة فيسألون الصبر على الجهاد وإن أدى إلى القتل.

وتمني الشهادة مستحب، وقد قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل ثم أُحيا ثم أُقتل**»[2].

❁ وقال النبي ﷺ: «**ما من عبدٍ يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيدَ لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن**

---

(١) كأنه يشير إلى أن الذي يتمنى أن يُقتل أهل الإسلام وينتصر أهل الكفر فقد وقع في المعصية، بل ووقع في الكفر.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

Mostafa.com

يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»[١].

❁ وقال النبي ﷺ: «**يؤتي بالرجل من أهل الجنة فيقول الله ﷻ: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول: أي رب خير منزلٍ فيقول: سل وتمنَّ فيقول: أسألك أن تُرُدَّني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشرً مرات، لما يرى من فضل الشهادة**»[٢].

❁ وقال عليه الصلاة والسلام: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[٣].

❁ ويشرع للمرأة أن تسأل ربها ﷻ الشهادة، وذلك لما ورد عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: نام النبي ﷺ يومًا قريبًا مني ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال ﷺ: «**أناس من أمتي عرضوا عليَّ يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرَّة**»، قالت فادع الله أن يجعلني منهم، «فدعا لها»، ثم نام الثانية ففعل مثلها، فقالت مثل قولها فأجاب مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «**أنت من الأولين**»، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول من ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزواتهم قافلين فنزلوا الشام فقرَّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.

❁ ❁ ❁

س: هل يشرع تمني لقاء العدو؟

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي رواية للبخاري: «**فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**».

(٢) أخرجه أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٣/ ٥٥) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه، ونحوه عند مسلم أيضًا من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تصبه**».

MOSTAFALATIFY.COM

ج: يُكره تمني لقاء العدو؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**»[(١)].

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣] بعد قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾؟

ج: بعض أهل العلم يقول: إن هذا ذكر للتأكيد كقول الله ﷻ: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

❁ وبعض أهل العلم يقول: إن الرؤية قد تأتي بمعنى العلم كقول القائل: أرى أن الصواب كذا وكذا، فأُتي بالنظر في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ لبيان أن المراد بالرؤية العلم.

وقيل المعنى: وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣] هل فيه إضمار؟

ج: نعم ذكر بعض أهل العلم أن فيه إضمارًا، والمعنى: فقد رأيتموه وأنتم تنظرون فلم فررتم وانهزمتهم؟!!!

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ١٥٦)، ومسلم في المغازي (٨/ ٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

MOSTAFALADAWY.COM

س: ما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] نافية فنفت ماذا؟

ج: الذي يظهر لي – والله أعلم –: أنها نفت أن يكون محمد إلهًا.

س: صحابي كريم تلا هذه الآية عند وفاة رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، من هو هذا الصحابي، وما مناسبة ذكره للآية الكريمة؟

ج: الصحابي هو أبو بكر رضي الله عنه، ومناسبة تلاوته هذه الآية الكريمة أنه أقبل على فرسٍ من مَسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم رسول الله ﷺ وهو مُغشًّى بثوبٍ حِبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها[1].

وعن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم

(١) أخرج البخاري (٤٤٥٣) من حديث عائشة، وذلك بإسناده إلى الزهري عن أبي سلمة عن عائشة فذكرته، ثم قال البخاري: قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس فذكر ما هو أعلاه.

Mostafa.com

يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ إلى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، فأخبرني[1]، سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلُّني رجلايَ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالشاكرين في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؟

ج: المراد بالشاكرين في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ الثابتون على دينهم، وما منَّ الله به عليهم من توفيق وإيمان وهداية.

❀ ❀ ❀

س: ما معنى بإذن الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: بقضاء الله وقدره وأمره.

❀ ❀ ❀

(١) القائل هو: الزهري أحد رواة الحديث.

MOSTAFALADAWY.COM

س: هـذه الآيـة الكريمـة: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] مطلقة فهل قيدت وما الذي قيدها؟ اذكر مثالًا آخر على شاكلتها من التنزيل؟

ج: نعم قيدت – على رأي كثير من أهل العلم – والذي قيدها قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ الآية [الإسراء: ١٨].

أما المثال الذي على شاكلتها فقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: قولـه تعـالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] بيِّن معناه، واذكر الآيات في هذا المعنى وكذلك بعض الأحاديث؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن من أراد بعمله الدنيا وأعراضها ومتاعها أعطاه الله ﷻ ما قسم له من ذلك، ولا يكون له نصيب في الآخرة، أما من أراد الجزاء الأخروي، وما عند الله ﷻ من الكرامة أعطاه الله من ذلك أيضًا.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، منها:

❁ قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

❁ وقولـه تعـالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ

MostafaAdwi.com

حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

أما الأحاديث فمنها:

❁ قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١).

❁ وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعطى بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها»(٢).

❁ ❁ ❁

س: اذكر عدة آيات وأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن

---

(١) أخرجه البخاري (١) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٠٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

MostafaAdawy.com

تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾؟

ج: أما الآيات والأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدًا، منها:

❁ قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [الحجر: ٤، ٥].

❁ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢، ٤٣].

❁ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].

❁ وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

أما أحاديث رسول الله ﷺ فمنها:

❁ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وكل الله بالرحم ملكًا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه**»[(١)].

❁ وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقة مث لذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح...**»[(٢)] الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٣١٨) وفي غير موضعٍ من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

mostafalabib.com

❁ وحديث ابن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي ﷺ: «**قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يجعل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حلِّه**»(١).

❁ وقول النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: ما هي النكتة في طلب الربيين المقاتلين المغفرة من ربهم ﷻ بين يدي القتال وذلك في قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]؟

ج: النكتة في ذلك: أن هؤلاء الربيين بما علموه من علم يعلمون أن الذنوب من أقوى أسباب الهزائم أمام الأعداء، وأن الشيطان يستزل بها العباد، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فلما علموا ذلك أقبلوا على الاستغفار من صغار الذنوب وكبارها، سائلين الله ﷻ الثبات والنصر، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

MOSTAFALAWY.COM

س: بين معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؟

ج: أما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ أنهم ما ضعفوا وما جنبوا لما أصيبوا بالجراح التي أصيبوا بها وأصيب بها إخوانهم في سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي: وما تسرب إليهم الضعف عند سماع خبر قتل نبيهم عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ أي: وما استذلوا وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالذنوب والإسراف في الأمور في قول الربيين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالذنوب هنا الصغائر والإسراف في الأمور المراد بها الكبائر.

وأصل الإسراف تجاوز الحد، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]، وكما قال سبحانه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، فالإسراف في الشيء هو تجاوز الحد فيه، فإن قيل قد ورد في دعاء النبي ﷺ أنه طلب من الله أن يغفر له ذنبه وإسرافه في أمره، فكيف يجاب على هذا قلنا: إن هذا من النبي ﷺ على سبيل التواضع منه عليه السلام، وعلى سبيل تعليم أمته كذلك، والله أعلم.

MOSTAFAADWY.COM

س: لما وصف ثواب الآخرة بالحسن في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] ما المراد بثواب الآخرة؟

ج: وصف ثواب الآخرة بالحسن، لأنه النعيم الحسن الباقي وهو المعتد به الذي لا يزول كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فلا تشوب هذا النعيم شائبة ولا تعكره الدلاء ولا الأكدار بخلاف نعيم الدنيا فمهما كان فتشوبه الشوائب، ثم إن نعيمها منقطع، والله تعالى أعلم.

أما المراد بثواب الآخرة فهو الجنة وما فيها من النعيم المقيم ورضوان رب العالمين.

س: ما هي صلة هذه الآيات: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨] بغزوة أحد؟

ج: صلة ذلك – والله أعلم –: أن هذا تأنيب من الله ﷻ للذين فرُّوا يوم أُحد وتركوا قتال عدوهم لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتل فعوتبوا وقيل لهم: هلا فعلتم مثل ما فعل الربيون من قبلكم لما قاتلوا مع أنبيائهم فإنهم لم يضعفوا للجراح التي أصابتهم ولم يتخاذلوا بعد قتل نبيهم ولم يستذلوا لعدوهم ويخضعوا له، والله أعلم.

MOSTAFALADAW.COM

س: ما هو سبب وصف الربيين بالإحسان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧، ١٤٨]؟

ج: وجه ذلك: أنهم لما تواضعوا لله واعترفوا بذنوبهم وإسرافهم في أمرهم وطلبوا من الله الثبات والنصر على أعدائه وصفهم الله ﷻ بالإحسان، والله أعلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

س: نهانا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جملة مواطن عن طاعة الكفار، اذكر جملة من هذه المواطن؟

ج: من هذه المواطن: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].

❁ ووصف الله سبحانه قوم فرعون بالفسق لما أطاعوه، فقال سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤].

❁ وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠ - ١٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ [النساء: ٦٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

❁ ❁ ❁

س: ما هو إيراد قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل

Mostafa.com

عمران: ١٥٠] عقب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]؟

ج: وجهه – والله أعلم: الحث على موالاة الله ﷻ وترك موالاة الذين كفروا فالله سبحانه هو خير الناصرين فليعتصم به الذين آمنوا وليستنصروا به ولا يستنصروا بغيره، فأهل الكفر عاجزون متحيرون، فكيف تطلبون النصرة منهم وتتركون طلبها من الله ﷻ وهو خير الناصرين.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] هل الطاعة هنا عامة في كل شيء أم في أشياء مخصوصة؟

ج: الذي يظهر لي – والله أعلم-: أنها مخصوصة بأمور الدين وما يتعلق بها، فإذا كان هناك رجل كافر مثلًا وأمر ولده بشيء من أمور الدنيا فأطاعه ولده فيه لا يدخل تحت هذه الآية، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من الوسائل التي ينصر الله ﷻ بها جنده في هذه الحياة الدنيا قذف الرعب في قلوب أعدائه الكافرين، اذكر أدلة على ذلك؟

ج: من هذه الأدلة:

❁ قوله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا

MOSTAFALAWY.COM

لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

❁ وقوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»(١).

❁ ونحوه قول النبي ﷺ: «ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه الله في قلوب أعدائي»(٢).

❁ وقد أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» من طريق حبيب بن صهبان قال: قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي: ما يمنعكم أن تعيروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة يعني دجلة(٣) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم أقحم فرسه في دجلة فلما أقحم، أقحم الناس فلما رآهم العدو، فقالوا: ديوان(٤) فهربوا.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ الآية [آل عمران: ١٥١] ذم للتقليد، وضح ذلك؟

ج: نعم في الآية الكريمة ذم للتقليد، ففيها إيذان بأن المتبع هو البرهان والحجة اللذان أتيا من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فذم الله وَجَلَّ المشركين لاتباعهم ما لم ينزل الله به سلطانًا.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، ونحوه من حديث أبي موسى مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد ومسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا.

(٣) يعني: نهر دجلة.

(٤) ديوان أي: شيطان.

والأثر عند ابن أبي حاتم (١٥٦٢).

Mostafalabw.com

س: الكافر قلبه ممتليء خوفًا وفزعًا وهلعًا، والمؤمن قلبه ممتليء إيمانًا وطمأنينة، هل هذا صحيح؟ اذكر أدلة تدل على ذلك.

ج: نعم، الأمر على ذلك أما الأدلة التي تدل على ذلك فمنها:

❁ قول الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].

❁ وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

س: كان النصر يوم أحد في أول النهار للمؤمنين، وضح ذلك بأدلة من الكتاب والسنة؟

ج: أما الأدلة من الكتاب فمنها: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

أما من السنة فمنها: ما أخرجه البخاري[1] من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لقينا المشركين يومئذٍ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله وقال: لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا، فلما لقيناه هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

MOSTAFALAW.COM

سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله[١]: عهد إليَّ النبيُّ ﷺ أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صُرفت وجوههم، فأصيب سبعون قتيلًا، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «**لا تجيبوه**»، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: «**أجيبوه**»، قالوا: ما نقول، قال: «**قولوا الله أعلى وأجل**»، قال أبو سفيان: لنا العزَّى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «**أجيبوه**»، قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا الله مولانا ولا مولى لكم**» قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مُثْلَة لم آمر بها ولم تسؤني.

❁ وأخرجه البخاري[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي، قال: قالت: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، قال عروة: فما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل.

❁ ❁ ❁

س: قد يوجد في الصالحين من تزل قدمه في معصية بل في كبيرة ولا يخدش ذلك في استقامته ما دام من المقلعين المستغفرين، وضح ذلك بأدلته؟

ج: نعم قد يحدث ذلك، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير القرون وخير

---

(١) هو: ابن جبير.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٥).

MOSTAFALADWY.COM

الأمم وخير الناس كان فيهم من سرق، وفيهم من زنى، ومنهم من يريد الدنيا، كما قال الله في كتابه: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ولكن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وقد قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٥].

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالعفو في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

ج: لأهل العمل قولان في هذا الباب:

أحدهما: عفا عنكم أي: غفر ذنوبكم التي ارتكبتموها بمخالفتكم أمر نبيكم ﷺ.

الثاني: عفا عنكم تجاوز عنكم ولم يستأصلكم بل أبقى أكثركم. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بعصيانهم الأمر في قوله تعالى: ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

ج: المراد: عصيان الرماة أمر رسول الله ﷺ إذ أمرهم بالثبات في مواقعهم، فلم

MOSTAFAADWI.COM

يثبتوا فيها. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما هو المحبوب الذي أراه الله لأصحاب نبيه ﷺ؟

ج: المحبوب هو: الغنيمة التي ظهرت بوادرها ولاحت مطالعها من قتل المشركين وهرب نسائهم في الجبل، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما هو جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

ج: لأهل العلم قولان هنا:

❁ منهم من يقول: إن جواب الشرط محذوف دلَّ عليه صدر الآية الكريمة، والمعنى: حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره أو صرتم فريقين.

❁ ومنهم من يقول: إن جواب الشرط مذكور، والمعنى: حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم وعصيتم، وهذا من باب التقديم والتأخير، والواو دخلت في ذلك، ومعناه السقوط، كما يقال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤] معناه: ناديناه.

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ المعنى: فتحت، وكقوله

MOSTAFAADWY.COM

تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] المعنى: اقترب. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما هو الوعد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

ج: بعض أهل العلم يقول: هذا الوعد هو قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] وهذا مشروط.

ومنهم من يقول: هو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

❁ وبعض العلماء يقول: إن الله ﷻ وعدهم النصر فقال لهم نبيه ﷺ: «**إنا لن نزال غالبين ما دمتم في مكانكم هذا**»(١).

❁ ❁ ❁

س: المعاصي سبب لزوال النعم، اذكر ما يشهد لذلك من قصة أحد؟

ج: الشاهد لذلك من قصة أحد أن الله ﷻ نصر المؤمنين أول النهار لما كانوا مستمسكين بأمر رسول الله ﷺ وحافظ الرماة فيهم على مواقعهم، كما أمرهم النبي ﷺ، فلاحت لهم علامات النصر وبشائره، ثم لما خالفوا أمر رسول الله ﷺ وتركوا مواقعهم صارت تلك المخالفة سببًا لانهزام المسلمين وقتل جمع عظيم من

---

(١) في ثبوت هذه اللفظة في الحديث نظر، والله أعلم.

MOSTAFAADEL.COM

فضلائهم وكبرائهم وشج رأس نبيهم ﷺ. وزوال الغنيمة وتحولها منهم إلى عدوم. والله تعالى أعلم.

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

س: (إذ) في قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣] متعلق بماذا؟

ج: متعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فالمعنى: ولقد عفا عنكم إذ تصعدون، وذلك لأن الفرار كبيرة، فعفا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهم عنها. والله أعلم.

MOSTAFAALBOY.COM

س: ما هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]؟

ج: المراد – والله أعلم –: والرسول يدعوكم من ورائكم.

وقد قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جعل النبي ﷺ على الرَّجالة يوم أحد عبد الله بن جبير وأقبلوا منهزمين فذاك (إذ يدعوهم الرسول في أُخراهم)[(١)].

❀ ❀ ❀

س: العقوبة قد يطلق عليها ثواب. اذكر مثالين لذلك ووضح معنى الثواب؟

ج: أما المثال الأول فهو قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

والمثال الثاني قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٠].

وأصل معنى الثواب الرجوع، ومنه قولهم: ثاب إليه عقله أي: رجع إليه عقله، وقولهم: ثاب إلى رشده، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، ولذلك أطلق على الشيب ثيبًا لرجوعها إلى بيت أبيها، أو لأن الواطيء عائد إليها.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٧).

MOSTAFALAWY.COM

س: ما هو المراد بالباء في قوله تعالى: ﴿بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣]؟

ج: لأهل العلم فيها ثلاثة أقوال وهي: مع، أي: مع غم، والثاني: بعد، أي: بعد غم، والثالث: على، أي: على غم، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٣] كيف أثابهم غمًا بغم لكيلا يحزنوا؟ فالمعهود أن الغم يُحزن والغم الآخر يحزن أكثر؟

ج: هذه الآية الكريمة فيها معنى لطيف قد يغفل عنه البعض ألا وهو أن الشخص قد يبتلي بمصيبة فيحزن فيبتلى بمصيبة أعظم فيحزن حزنًا شديدًا، فإذا كشف الله ﷻ المصيبة العظمى انكشفت معها المصيبة الأولى، فيكون كشف المصيبة الأعظم فضل من الله ﷻ إذ أنسى الشخص المصيبة الأولى، وهذا الذي حدث في أُحد، فابتلى المسلمون بمصيبة تمثلت في فوات الغنيمة منهم وفي قتل عددٍ من خيارهم وفي شج رأس نبيهم ﷺ، فكان هذا غمٌّ اغتم له المسلمون وحزنوا بسببه، ثم بعد ذلك دبت في الناس مقولةٌ ألا وهي: (إن محمدًا قد قتل) فاغتم المسلمون لذلك غمًّا شديدًا جدًّا أنساهم الغم الأول، ثم لما كشف الله الغم الثاني وتبين للناس أن النبي ﷺ حيٌّ لم يقتل ذهب الغمان معًا الغم الأول والغم الثاني، فذهب الحزن وذهب معه الندم على فوات الغنيمة، والحمد لله رب العالمين.

ومثال آخر يوضح هذا نضربه ونسوقه حتى يزداد معنى الآية وضوحًا، قد يكون رجلٌ في عمله مثلًا فيفاجأ بقائلٍ يقول له: إن بيتك قد احترق فيغتم لذلك ويحزن،

Nostrabook.com

ثم ما يلبث فترة حتى يأتيه قائل آخر فيقول له: إن أولادك وزوجتك وأموالك قد احترقوا جميعًا في البيت، فيحزن لذلك حزنًا شديدًا ما بعده حزن، ثم ما يلبث أن يأتيه آتٍ فيقول له: الحمد لله لم يُصب أي ولدٍ من أولادك بسوء ولم تصب زوجتك بمكروه ولم تصب الأموال بشيء فحينئذ يذهب الغمان جميعًا ويحمد الرجل ربَّه ﷻ.

هذا وقد قال بعض العلماء أقوالًا أخر مرجوحة في تفسير هذه الآية الكريمة، فمنهم من قال: إن قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] معناه: أثابكم غمًّا بسبب الغم الذي سببتموه لنبيكم بمخالفتكم أمره[١]، ولكن هذا المعنى لا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٣] والصواب من القول هو ما قدمناه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وما المراد بظن الجاهلية؟

ج: معنى ذلك – والله أعلم-: أن أهل النفاق يظنون بالله ﷻ غير الحق، كما يظن أهل الجاهلية في الله ﷻ.

أما ظن أهل الجاهلية في الله ﷻ فله صور منها.

❁ أنهم ظنوا أن الله ﷻ لن ينصر دينه، ولن يعلي كلمته، وأن الإسلام سينتهي ويزول ويُباد أهله.

---

(١) وذلك لأن النبي ﷺ أمر الرماة أن لا يتحركوا من أماكنهم فخالفوا أمره ونزلوا للمشاركة في الغنيمة..

MostafaLabiry.com

۞ وظنوا أيضًا أن لن ينقلب[١] الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا.

۞ وكذبوا أيضًا بقدر الله ﷻ فقالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

۞ وقد ذكر ابن القيم رحمه الله: (في كتابه «زاد المعاد» ٣/ ٢٢٩) صورًا من الظن السيىء بالله ﷻ منها: أنه قال:

۞ فمن ظن بأن الله لا ينصر رسوله ولا يُتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويُعليهم ويُظفرهم بأعدائه ويُظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يُديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذلَّ حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله.

وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته.

وكذلك من أنكر أن يكون قدَّر ما قدَّره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فوتها، وأن تلك الأسباب المكروهة المفضية إليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لإفضائها إلى ما يحب، وإن كانت مكروهة له فما قدَّرها سدًى ولا أنشأها ولا خلقها باطلًا ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وقال أيضًا: فمن قَنَطَ من رحمته وآيس من روحه فقد ظن به ظن السوء.

---

(١) ينقلب أي: يرجع.

۞ ومن جوَّز عليه أن يعذب أولياءه، مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه[1] فقد ظن به ظن السوء.

۞ ومن ظن أنه يترك خلقه سدًى معطلين عن الأمر والنهي ولا يُرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملًا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.

۞ ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء.

۞ ومن ظن أنه يُضَيِّعُ عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد، أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قدرة ولا إرادة في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه

---

(١) قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].
وقال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].
وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].
وقال تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩].
= وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].
وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].
وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].
وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

MOSTAFALADAWY.COM

ورسله ويجريها على أيديهم يضلُّون بها عباده، وأنه يحسنُ منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم أسفل السافلين ويُنعم على من استنفذ عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه، فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن السوء.

ثم قال: وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله أو عطَّل حقائق ما وصف به نفسه ووصفته به رسله فقد ظن به ظن السوء.

إلى آخر ما ذكره رحمه الله وعفا عنه.

❁ ❁ ❁ ❁

س: قال الله سبحانه: ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ما هو الذي أخفوه في أنفسهم فلم يبدوه لرسوله الله ﷺ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

١- هو قولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٢- الذي أخفوه هو الإسرار على الكفر، وشكهم في أمر النبي ﷺ ورسالته.

٣- تكذيبهم بقدر الله ﷻ وقولهم: لو كنا في بيوتنا ما قُتلنا.

٤- الندم على حضور المعركة.

❁ ❁ ❁ ❁

س: المراد بالأمر في قول أهل النفاق: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾

MostafaAdwi.com

﴿ [آل عمران: ١٥٤]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد بالأمر هنا المشورة؛ فالمعنى على ذلك: أنهم قالوا: هل لنا من الأمر من شيء، فلو كان الأمر بأيدينا ما خرجنا للقتال حيث نقتل ها هنا، ولو استشرنا لم نُشر بالخروج إلى حيث نقتل، فأجابهم الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: يقدر ما يشاء ويفعل ما يريد، ولو كنتم في بيوتكم لخرج الذين كُتب عليهم القتل إلى حيث يقتلون.

❁ ومن العلماء من قال: إن المراد بالأمر أمر النصر والظفر.

❁ ومنهم من قال: إنه القدر، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر رجلًا من القائلين: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]؟ ومناسبة ذلك؟

ج: القائل هذا هو معتب بن قشير فقد قال الزبير رضي الله عنه: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره قال: فو الله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا، فحفظتها منه وفي ذلك أنزل الله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، لقول معتب[1].

❁ ❁ ❁

(١) ذكره محمد بن إسحاق قال حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير... فذكره.

وأخرجه الطبري في «التفسير» (٨٠٩٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٩٧)، وإسناده صحيح.

Nesrabady.com

س: من هي الطائفة التي غشيها النعاس يوم أحد والطائفة التي لم يغشها؟

ج: الطائفة التي غشيها النعاس يوم أحد هي الطائفة المؤمنة أهل اليقين والإيمان والتوكل الصادق الذين خرجوا للقتال مع رسول الله ﷺ طلبًا للأجر من الله ﷻ وطلبًا لإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة في سبيل الله ﷻ، وكان منهم أبو طلحة رضي الله عنه فقد قال رضي الله عنه: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أُحد قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط ويأخذه[1].

وكان منهم الزبير رضي الله عنه[2].

❁ أما الطائفة التي لم يغشها النعاس فهم أهل النفاق الذين خرجوا وهم في شك من أمرهم طمعًا في الغنيمة ورغبةً في الدنيا، فلما لم ينالوها جعلوا يتأسفون على الخروج ويندمون عليه، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: بين معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، واذكر بعض فوائد النعاس في موطن كأحد؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أن الشخص قد يكون مهمومًا همومًا شديدة تراكمت به من كل اتجاه وصوب وحدبٍ ففجأة يصيبه الله بشيء من النعاس ولو قليل فيفيق منه وقد ذهبت كل همومه وأحزانه وكأنه لم يكن به شيء.

وهكذا كان المسلمون يوم بدر وأحد ففي يوم بدر راعهم كثرة عدد عدوهم

(١) أخرجه البخاري رحمه الله (٤٥٦٢).

(٢) وسيأتي الحديث عنه بذلك قريبًا إن شاء الله.

MOSTAFALADAWY.COM

وعُدَده فأنزل الله عليهم النعاس، كما قال سبحانه: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١].

ويوم أحد كذلك أصيبوا بشيء من هذا القلق والخوف فأنزل الله ﷻ عليهم بعد الغم أمنة نعاسًا أي: نعاسًا جعله الله ﷻ أمانًا وسكينة.

❁ أما فوائد النعاس في مواطن كأحد فقد ذكر الرازي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ بعضها فقال: واعلم أن ذلك النعاس فيه فوائد:

أحدها: أنه وقع على كافة المؤمنين لا على الحد المعتاد، فكان ذلك معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، ولا شك أن المؤمنين متى شاهدوا تلك المعجزة الجديدة ازدادوا إيمانًا مع إيمانهم، ومتى صاروا كذلك ازداد جدهم في محاربة العدو ووثوقهم بأن الله تعالى منجز وعده.

وثانيها: أن الأرق والسهر يوجبان الضعف والكلال، والنوم يفيد عود القوة والنشاط واشتداد القوة والقدرة.

وثالثها: أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألقى الله النوم على عين من بقي منهم لئلا يشاهدوا قتل أعزتهم فيشتد الخوف والجبن في قلوبهم.

ورابعها: أن الأعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم، فبقاؤهم في النوم مع السلامة في مثل تلك المعركة من أدل الدلائل على أن حفظ الله وعصمته معهم، وذلك مما يزيل الخوف عن قلوبهم ويورثهم مزيد الوثوق بوعد الله. والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) لا يخفى علينا بفضل الله – ما في «تفسير الرازي» من أخطاء وزلات وهفوات بل وبلايا وضلالات، لكن نأخذ من تفسيره ما نرى أنه أجاد فيه، وبالله التوفيق.

Mostafa Abu Sen

س: اذكر بعض الحِكَم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد؟

ج: أفرد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بحثًا لهذه الحكم والغايات في كتابة «زاد المعاد» (٣/ ٢١٨)، فقال: وقد أشار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى تمام ستين آية.

فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية، والفشل، والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة، وتحرزًا من أسباب الخذلان.

۞ **ومنها**: أن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يدالوا مرة، ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائمًا، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتصرَ عليهم دائمًا، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة.

۞ **ومنها**: أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدال علينا المرة وندال

MOSTAFABAKRY.COM

عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تبتلي، ثم تكون لهم العاقبة[١].

❁ ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهرًا مَنْ ليس معهم فيه باطنًا،ن فاقتضت حكمة الله ﷻ أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رءوسهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مخبآتهم، وعاد تلويحهم تصريحًا، وانقسم الناس إلى كافر، ومؤمن، ومنافق، انقسامًا ظاهرًا، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًا في نفس دورهم، وهم معهم لا يفارقونهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم.

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أي: ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد، وما كان الله ليطلعكم على الغيب الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء، فإنهم متميزون في غيبه وعلمه، وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزًا مشهودًا، فيقع معلومهُ الذي هو غيب شهادة. وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾، استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب، سوى الرسل، فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما قال: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله، فإن آمنتم به وأيقنتم، فلكم أعظم الأجر والكرامة.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٧)، وفي عدة مواطن «صحيحه»، ومسلم (حديث ١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

❁ ومنها: استخراج عبوديةِ أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقًّا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

❁ ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا، لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء، والشدة والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليقُ بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

❁ ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة، والكسرة، والهزيمة، ذلوا وانكسروا، وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعه النصر إنما تكون مع ولاية الذل والإنكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥] فهو – سبحانه –: إذا أراد أن يعز عبده، ويجبره، وينصره، كسره أولًا، ويكون جبره له، ونصره، على مقدار ذلة وانكساره.

❁ ومنها: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

❁ ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغني طغيانًا وركونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار

mostafawy.com

الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته، قيض له من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه، لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه.

❁ ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أني تخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.

❁ ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم، وقد ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤١]، فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم، وإحياء عزائمهم وهممهم، وبين حسن التسلية، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت أدلة الكفار عليهم فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فقد استويتم في القرح والألم، وتباينتم في الرجاء والثواب. كما قال: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]، فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس، وأنها عرض حاضر، يقسمها دولًا بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة، فإن عزها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدًا واقعًا في الحس.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء، فإنه يحب الشهداء من عباده، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها، وقد اتخذهم لنفسه فلابد أن ينيلهم درجة الشهادة. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، تنبيه لطيف الموقع جدًّا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه يوم أحد، فلم يشهدوه، ولم يتخذ منهم شهداء، لأنه لم يحبهم، فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم، وما أعطاه من استشهد منهم، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه.

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم، وهو تمحيص الذين آمنوا، وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب، ومن آفات النفوس، وأيضًا، فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين، فتميزوا منهم، فحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم وتمحيص ممن كان يظهر أنه منهم، وهو عدوهم.

Mostafa Adawy.com

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي محق الكافرين بطغيانهم، وبغيهم، وعدوانهم، ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله، والصبر على أذى أعدائه، وإن هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه، فقلل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، أي: ولما يقع ذلك منكم، فيعلمه فإنه لو وقع لعلمه، فجازاكم عليه بالجنة، فيكون الجزاء على الواقع المعلوم، لا على مجرد العلم، فإن الله لا يجزي العبد على مجرد علمه فيه دون أن يقع معلومه، ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه. فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

قال ابن عباس: ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة، رغبوا في الشهادة، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون إخوانهم، فأراهم الله ذلك يوم أحد، وسببه لهم، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

❁ ومنها: أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصًا بين يدي موتِ رسول الله ﷺ، فثبَّتهم، ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم عن مات رسول الله ﷺ، أو قتل بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يقتلوا فإنهم إنما يعبدون رب محمد، وهو حي لا يموت، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به، فكل نفس ذائقة الموت وما بعث محمد ﷺ ليخلد لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لابد منه سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان: إن محمدًا قد قتل، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، والشاكرون: هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا، فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله ﷺ، وارتد من ارتدَّ على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله وأعزهم وظفَّرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم، ثم أخبر سبحانه أنه جعل لكل نفس أجلًا لابد أن تستوفيه، ثم تلحق به، فَيَرِدُ الناسُ كلهم حوض المنايا موردًا واحدًا، وإن تنوعت أسبابه، ويصدرون عن موقف القيامة مصدر شتى، فريق في الجنة وفريق في السعير، ثم أخبر سبحانه أن جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون، فما وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله، وما ضعفوا، وما استكانوا، وما وهنوا عند القتل، ولا ضعفوا، ولا استكانوا، بل تلقوا الشهادة بالقوة، والعزيمة، والإقدام، فلم يُستشهدوا مدبرين مستكينين أذلة، بل استشهدوا أعزة كرامًا مقبلين غير مدبرين، والصحيح: أن الآية تتناول الفريقين كليهما.

ثم أخبر سبحانه عما استنصرت به الأنبياء وأممهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم بربهم، أن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم على أعدائهم، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧، ١٤٨]، لما علم القوم أن العدو إنما يدال عليهم بذنوبهم، وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها، وأنها نوعان: تقصير في حق أو تجاوز لحد، وأن النصرة منوطة بالطاعة، قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ثم علموا أن ربهم ﷻ إن لهم يثبت أقدامهم وينصرهم، لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم، ونصرها على أعدائهم، فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم، وأنه

إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا، فوفوا المقامين حقهما: مقام المقتضي، وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه، ومقام إزالة المانع من النصرة، وهو الذنوب والإسراف، ثم حذرهم سبحانه من طاعة عدوهم، وأخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة، وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد.

ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين، وهو خير الناصرين فيمن والاه فهو المنصور.

ثم أخبرهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم، والإقدام على حربهم، وأنه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم، وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله، وعلى قدر الشرك يكون الرعب، فالمشرك بالله أشد شيء خوفًا ورعبًا، والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح، والمشرك له الخوف والضلال والشقاءُ.

ثم أخبرهم أنه صدقهم وعده في نصرتهم على عدوهم، وهو الصادق الوعد، وأنهم لو استمروا على الطاعة ولزوم أمر الرسول لاستمرت نصرتهم، ولكن انخلعوا عن الطاعة وفارقوا مركزهم، فانخلعوا عن عصمة الطاعة ففارقتهم النصرة، فصرفهم عن عدوهم عقوبة وابتلاء، وتعريفًا لهم بسوء عواقب المعصية، وحسن عاقبة الطاعة.

ثم أخبر أنه عفا عنهم بعد ذلك، وأنه ذو فضل على عباده المؤمنين. قيل للحسن: كيف يعفو عنهم، وقد سلط عليهم أعداءهم حتى قتلوا منهم من قتلوا، ومثلوا بهم، ونالوا منهم ما نالوه؟ فقال: لولا عفوه عنهم، لاستأصلهم، ولكن بعفوه

MOSTAFAADAWY.COM

عنهم دفع عدوهم بعد أن كانوا مجمعين على استئصالهم، ثم ذكرهم بحالهم وقت الفرار مصعدين، أية: جادين في الهرب والذهاب في الأرض، أو صاعدين في الجبل لا يلوونَ على أحدٍ من نبيهم ولا أصحابهم، والرسول يدعوهم في أخراهم: «**إليَّ عباد الله، وأنا رسول الله**» فأثابهم بهذا الهرب والفرار، غمًّا بعد غم: غم الهزيمة والكسرة، وغم صرخة الشيطان فيهم بأن محمدًا قد قتل.

وقيل: جازاكم غمًّا بما غممتم رسوله بفراركم عنه، وأسلمتموه إلى عدوه، فالغم الذي حصل لكم جزاء على الغم الذي أوقعتموه بنبيه، والقول الأول أظهر لوجوه:

أحدها: أن قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ **[آل عمران: ١٥٣]**، تنبيه على حكمة هذا الغم بعد الغم، وهو أن ينسيهم الحزن على ما فاتهم من الظفر، وعلى ما أصابهم من الهزيمة والجراح، فنسوا بذلك السبب، وهذا إنما يحصل بالغم الذي يعقبه غم آخر.

الثاني: أنه مطابق للواقع، فإنه حصل لهم غمُّ فوات الغنيمة، ثم أعقبه غم الهزيمة، ثم غم الجراح التي أصابتهم، ثم غم القتل، ثم غم سماعهم أن رسول الله ﷺ قد قتل، ثم غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم، وليس المراد غمين اثنين خاصة، بل غمًّا متتابعًا لتمام الابتلاء والامتحان.

الثالث: أن قوله: ﴿بِغَمٍّ﴾ من تما الثواب، لا أنه سبب جزاء الثواب والمعنى: أثابكم غمًّا متصلًا بغم، جزاء على ما وقع منهم من الهروب وإسلامهم نبيهم ﷺ وأصحابه، وترك استجابتهم له وهو يدعوهم، ومخالفتهم له في لزوم مركزهم، وتنازعهم في الأمر، وفشلهم، وكل واحد من هذه الأمور يوجب غمًّا يخصه، فترادفت عليهم الغموم كما ترادفت منهم أسبابها وموجباتها، ولولا أن تداركهم

MOSTAFAADLY.COM

بعفوه، لكان أمرًا آخر.

ومن لطفه بهم، ورأفته، ورحمته، أن هذه الأمور التي صدرت منهم كانت من موجبات الطباع، وهي من بقايا النفوس التي تمنع من النصرة المستقرة، فقيض لهم بلطفه أسبابًا أخرجها من القوة إلى الفعل، فترتب عليها آثارها المكروهة، فعلموا حينئذ أن التوبة منها والاحتراز من أمثالها ودفعها بأضدادها أمر متعين، لا يتم لهم الفلاح والنصرة الدائمة المستقرة إلا به، فكانوا أشد حذرًا بعدها ومعرفة بالأبواب التي دخل عليهم منها.

وربما صحت الأجسام بالعلل.

ثم إنه تداركهم سبحانه برحمته، وخفف عنهم ذلك الغم، وغيبه عنهم بالنعاس الذي أنزله عليهم أمنًا منه ورحمة، والنعاس في الحرب علامة النصرة والأمن، كما أنزله عليهم يوم بدر، وأخبر أن من لم يصبه ذلك النعاس، فهو ممن أهمته نفسه لا دينه ولا نبيه ولا أصحابه، وأنهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير، وهي ابتلاء ما في صدورهم، وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق، فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، والمنافق ومن في قلبه مرض لابد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه.

ثم ذكر حكمة أخرى: وهو تمحيص ما في قلوب المؤمنين، وهو تلخيصه وتنقيته وتهذيبه، فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع، وميل النفوس وحكم العادة، وتزيين الشيطان، واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى، فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة، ولم تتمحص منها، فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون

كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده، وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك، فكانت نعمته سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة، وقتل من قتل منهم، تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم، فله عليهم النعمة التامة في هذا وهذا.

ثم أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن تولي من تولى من المؤمنين الصادقين في ذلك اليوم، وأنه بسبب كسبهم وذنوبهم، فاستزلهم الشيطان بتلك الأعمال حتى تولوا، فكانت أعمالهم جندًا عليهم، ازداد بها عدوهم قوة، فإن الأعمال جند للعبد وجند عليه ولابد، فللعبد كل وقت سرية من نفسه تهزمه، أو تنصره، فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه فأعمال العبد تسوقه قسرًا إلى مقتضاها من الخير والشر، والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعامى، ففرار الإنسان من عدوه، وهو يطيقه إنما هو بجند من عمله، بعثه له الشيطان وأستزله به.

ثم أخبر سبحانه: أنه عفا عنهم، لأن الفرار لم يكن عن نفاق ولا شك، وإنما كان عارضًا، عفا الله عنه، فعادت شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها، ثم كرر عليهم سبحانه: أن هذا الذي أصابهم إنما أتوا فيه من قبل أنفسهم، بسبب أعمالهم، فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وذكر هذا بعينه فيما هو أعمُّ من ذلك في السور المكية فقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: ﴿أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، فالحسنة والسيئة ها هنا: النعمة والمصيبة فالنعمة من الله من بها عليك والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك، فالأول فضله، والثاني

عدله، والعبد يتقلب بين فضله وعدله، جار عليه فضله، ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه، وختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ بعد قوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ إعلامًا لهم بعموم قدرته وعدله، وأنه عادل قادر، وفي ذلك إثبات القدر والسبب، فذكر السبب، وأضافه إلى نفوسهم، وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه، فالأول ينفي الجبر، والثاني ينفي القول بإبطال القدر، فهو يشاكل قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

وفي ذكر قدرته ها هنا نكتة لطيفة، وهي أن هذا الأمر بيده وتحت قدرته، وأنه هو الذي لو شاء لصرفه عنكم، فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره، ولا تتكلوا على سواه، وكشف هذا المعنى وأوضحه كل الإيضاح بقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير، وهي أن يعلم المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤية يتميز فيه أحد الفريقين من الآخر تمييزًا ظاهرًا، وكان من حكمة هذا التقدير تكلم المنافقين بما في أنفسهم فسمعه المؤمنون، وسمعوا رد الله عليهم وجوابه لهم، وعرفوا مؤدي النفاق وما يؤول إليه، وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة، فيعود عليه بفساد الدنيا والآخرة، فلله كم من حكمة في ضمن هذه القصة بالغة، ونعمته على المؤمنين سابغة، وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتنبيه، وتعريف بأسباب الخير والشر ومآلهما وعاقبتهما.

ثم عزّى نبيه وأولياءه عمن قتل منهم في سبيله أحسن تعزية، وألطافها وأدعاها إلى الرضى بما قضاه لهم، فقال: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم

Nofarabdw.com

مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه، وأنهم عنده، جريان الرزق المستمر عليهم، وفرحهم بما آتاهم من فضله، وهو فوق الرضى، بل هو كمال الرضى، واستبشارهم بإخوانهم باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته،ن ذكرهم سبحانه في أثناء هذه المحنة بما هو من أعظم مننه ونعمته عليهم التي إن قبلوا بها كل محنة تنالهم وبلية، تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة، ولم يبق لها أثر البتة، وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم إليهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى، ومن الشقاء إلى الفلاح، ومن الظلمة إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، فكل بلية ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدًّا في جنب الخير الكثير، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم به من الخير، فأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا، وأنها بقضائه وقدره ليوحدوا ويتكلوا، ولا يخافوا غيره، وأخبرهم بما لهم فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره، وليتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته، وسلاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة، وعزّاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوهم فيه، ولا يحزنوا عليهم، فله الحمد كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه، وعز جلاله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

❀ ❀ ❀

س: ما هما الجمعان المذكوران في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [آل عمران: ١٥٥]؟

ج: الجمعان هما جمع المؤمنين وجمع المشركون.

❀ ❀ ❀

س: اذكر صاحبيًا جليلًا فر يوم أحد وعفا الله ﷻ عنه؟

ج: هذا الصحابي الجليل هو الخليفة البار الراشد عثمان بن عفان[1] رضي الله عنه الحيي الكريم الذي كانت تستحي منه الملائكة والذي أنفق جل أمواله في سبيل الله

(١) وقد جاء ذلك في «صحيح البخاري» (٣٦٩٨)، وقال ابن عمر رضي الله عنهما مدافعًا عنه: (أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له).

قلت: وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

MOSTAFALAPW.COM

وجل.

❀ ❀ ❀

س: قال بعض أهل العلم: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها اذكر دليلًا على هذا؟

ج: الدليل هو قول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

❀ ❀ ❀

س: ما معنى استزلهم؟ وكيف استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا؟

ج: استزلهم أي أوقعهم (أو طلب وقوعهم) في الزلة وهي الخطيئة، وقد ذكر بعض العلماء في ذلك أقوالًا، منها أن القوم (الذين فروا) كانوا قد ارتكبوا أخطاء فيما سلف (إما قبل القتال، وإما في أثنائه بتركهم مواقعهم ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ) فخشوا أن يواجهوا العدو وهم على هذه الحال من الذنوب فدفعهم ذلك إلى الفرار، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: الإيمان بالقدر يورث طمأنينة في القلب، والاعتراض على القدر يورث حسرة في القلب، وضح ذلك.

ج: أما ذلك فهو واضح، فإن الله وجل قال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ

وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]، فالمؤمن دائمًا راضٍ بأقدار الله ﷻ عليه حامدًا لله ﷻ في السراء والضراء.

أما الكافر فلكونه غير راض بأقدار الله فالحسرة دائمًا مقذوفة في قلبه، كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] فنهى الله ﷻ عباده المؤمنين عن التشبه بالكافرين في مقالتهم عن إخوانهم الذين ماتوا وقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فإن الله ﷻ جعل ذلك الندم وهذا القول حسرة في قلوب الكافرين. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: من المراد بالذين كفروا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] ومن المراد بإخوانهم؟

ج: أما الذين كفروا فيقول فريق من العلماء: إنهم المنافقون فهم الذين كانوا يثبطون المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ ❁ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨]، وفريق من العلماء يرى أن الآية عامة في كل كافر جاحد ومنافق، والله أعلم.

أما المراد بإخوانهم فلها وجوه منها: إخوانهم الذين أسلموا، ❁ ومنها: إخوانهم في النسب الذين خرجوا للجهاد، ❁ ومنها: إخوانهم في الكفر، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

ABOUTFARABIYA.COM

س: الإيمان والجهاد في سبيل الله والثبات عليهما حتى الموت أو القتل خير من متاع الدنيا الفاني وضح ذلك بأدلته؟

ج: أما الأدلة على ذلك فكثيرة، منها:

❁ قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

❁ وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

❁ وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى (ما) في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؟

ج: بعض أهل العلم يرى أن (ما) هنا صلة زائدة كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا

نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣] فمعناها: فبنقضهم ميثاقهم، وكقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ ﴾ [نوح: ٢٥] فالمعنى: فمن خطيئاتهم، وكقوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [ص: ١١] فالمعنى: جندٌ هنالك، وكقوله تعالى: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٠] فالمعنى: عن قليل فهي زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ [يوسف: ٩٦] فالمعنى: فلما جاء البشير.

❁ ومن أهل العلم من يرى أنها استفهام للتعجب، والمعنى فبأي رحمة من الله لنت لهم مع أن المعصية التي فعلوها (بفرارهم عنك يوم أحد) كانت كبيرة، وأصبت من ورائها بما أُصبت به ومع ذلك ليَّن الله ﷻ قلبك لهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: فبرحمة الله ﷻ عليك وعلى أصحابك ورأفته بك وبهم وجعلك الله لينًا سهلًا لأصحابك فأصحبت تتحمل أذاهم وتعفو عنهم إذا قصروا في حقك وتتغاضى عن ذي الجرم منهم إذا أجرم في حقك، كل هذا من فضل الله عليك وعليهم إذ سهل لهم أخلاقك وحسنها لك ولهم.

س: صفة رسول الله ﷺ في التوراة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، اذكر ما يدل على ذلك؟

ج: ورد في «صحيح البخاري»[1] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٨).

Mostafa Adly.com

للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله ﷻ حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.

❁ ❁ ❁

س: الداعي إلى الله ﷻ عليه أن يتحلى بالخلق الحسن كاللين والرفق بمن يدعوهم إلى الله ﷻ وبمن اتبعوه، وضح ذلك وبين هل يطرد ذلك في جميع الأحوال؟

ج: نعم، على الداعي إلى الله ﷻ أن يتحلى بمكارم الأخلاق التي منها اللين وخفض الجناح، كما قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وكما قال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكما قال الله ﷻ عن رسوله ﷺ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكما قال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]، وكما قال النبي ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه**»[(١)]، إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب.

❁ ولكن هذا اللين لا يطرد في كل الأحوال فإذا احتاج المقام إلى شدة اشتد الشخص، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [النور: ٢] وكما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ

(١) صحيح وقد تقدم وقد أخرجه مسلم.

Nosrabbaw.com

عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم: ٩]، وكما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

❁ فإذا لم يُفضِ اللين والرفق إلى إهمال أو إضاعة حدٍّ من حدود الله فالرفق محمود.

❁ وإذا طُمع من وراء الشدة – في بعض الأحيان – في نفع اشتد الشخص على أن تكون نيته خالصة لله وعمله خالصًا لله ﷻ.

❁ وإذا كان المقام مقام تعامل مع أهل النفاق ورجا الشدة في التعامل معهم فإن الله سبحانه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم: ٩].

ومن أراد الله ﷻ به خيرًا فقهه في الدين وبيَّن له المواطن التي ينبغي أن يَلين فيها فيَلين والمواطن التي ينبغي أن يشتد فيها فيشتد[1]، والله تعالى أعلم.

س: لماذا أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه مع أن الله ﷻ قادر على أن يُريه وجوه الحق والصواب في الأمور التي يستشير فيها أصحابه؟

ج: من أهل العلم من قال: إنه عليه السلام أُمر بمشاورة أصحابه تطييبًا لقلوبهم وجبرًا لخاطرهم وتأليفًا لهم.

❁ ويظهر لي وجه ثالث ألا وهو أنه عليه السلام أمر بالاستشارة ليصل بإذن الله ثم باستشارتهم إلى أوفق الآراء وأسد الآراء كما ورد عن رسول الله ﷺ في حروبه.

❁ وثمَّ وجه آخر ألا وهو أنهم إذا استشيروا في أمرٍ فأشاروا برأيٍ فيه ثم أصابهم من ورائه شيء كانوا أرضي بقدر الله ﷻ عليهم منهم إذا لم يستشاروا.

❁ ووجه آخر أنهم لما زلت أقدامهم وفروا من حول رسول الله ﷺ ربما

---

(١) وانظر كتابنا «مفاتيح الفقه في الدين».

MOSTAFAADWY.COM

يتسرب إليهم اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ لعظم الذنب الذي ارتكبوه من الفرار، فالأمر بمشاورتهم بعد العفو عنهم والاستغفار لهم يرد إليهم بإذن الله ما يتقووا به على الشيطان وما يتقربون به إلى الرحمن ﷻ ويفتح لهم أبواب الخير وأعمال البر والطاعات.

وهذا قد يستفيد منه الدعاة إلى الله ﷻ، فإذا آذاهم شخص واعترف بذنبه معهم عفوًا عنه وقربوه أكثر وأكرموه بدرجة أوسع ولم يغلقوا أبواب الخير في وجهه، وبالله ﷻ التوفيق.

س: هل يُستشار المؤمنون في كل الأمور؟

ج: لا يستشارون في كل الأمور، وإنما يستشارون في الأمور التي تهم عامتهم، لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] أما الأمور الخاصة فقد يستشار فيها أهل الاختصاص والمعرفة بها فقط، وثَمَّ أمور أخرى لا تحتاج إلى استشارات[(١)].

❀ ❀ ❀

س: اذكر بعض المواطن التي استشار فيها رسول الله ﷺ أصحابه؟

ج: استشار النبي ﷺ في عدة مواطن:

❀ استشارته لهم في غزوة بدر[(٢)].

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ «التفسير» (١٧٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها =

MOSTAFAADAWY.COM

❁ واستشارته لهم في أسارى بدر[١].

❁ واستشارته لهم في قصة الإفك فاستشار[٢] عليًّا وأسامة وبريرة، واستشار عموم أصحابه في شأن المنافقين الذين طعنوا في عرضه عليه السلام، وقال لهم: «**أشيروا عليَّ في قوم أبنوا أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا**»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة: «**لا تعجلي حتى تستشيري أبويك**»[٤].

❁ ❁ ❁

س: وضح باختصار معنى قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؟

ج: المعنى – والله أعلم –: فاعف عنهم فيما فرطوا فيه معك وفيما ارتبكوه في حقك من فرارهم عنك في الغزوة، ونحو ذلك.

واستغفر لهم: في الذنوب التي افترفوها في حق أنفسهم وحق الله عز وجل.

وشاورهم في الأمر: في الأمر العام الذي يهم عمومهم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

=إلى برك الغماد لفعلنا... فذكر الحديث.

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: فلما اسروا الأسرى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**»..... الحديث.

(٢) كلاهما صحيح، وهما في حديث الإفك وقد تقدم.

(٣) كلاهما صحيح، وهما في حديث الإفك وقد تقدم.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ..... الحديث.

وفيه (قصة التخيير) قال النبي ﷺ: «**يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك**....» الحديث.

ARCHIVE.COM

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؟

ج: المعنى والله أعلم: إذا انتهيت إلى رأي بعد استشارة أصحابك فامض في هذا الأمر الذي أراك الله إياه أو أوحاه الله إليك وقذفه في قلبك ولا تتردد ولا يكن اعتمادك وتوكلك إلا على الله ﷻ وحده. فلا يكن اعتمادك على مشورتهم وإن عملت بما أشاروا عليك به. والله أعلم بمراده.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى التوكل على الله؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

❁ أن التوكل على الله معناه: الاعتماد على الله مع إظهار العجز.

❁ **ومنها:** أن لا تعص الله ﷻ من أجل رزقك.

❁ **ومنها:** أن لا تطلب لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازنًا غيره ولا لعملك شاهدًا غيره.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض فوائد التوكل على الله؟

ج: من فوائد التوكل على الله ﷻ ما يلي:

❁ أن الله ﷻ يكفي المتوكل ويحفظه بحفظه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

MOSTAFALADWY.COM

❁ ومنها: أنه سبب لدخول الجنة بغير حساب كما قال رسول الله ﷺ في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغي حساب: «**هم الذين لا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»(١).

❁ ❁ ❁ ❁

❁ ومنها: أنه سبب للرزق كما قاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»(٢).

❁ ومنها: أنه من تمام الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

❁ ❁ ❁ ❁

س: النصر والتمكين دائمًا من عند الله ولا يكون إلا من عند الله، اذكر جملة أدلة على ذلك؟

ج: أما الأدلة على ذلك ففي غاية الكثرة فمنها:

❁ قول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وقد تقدم.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١/ ٣٠- ٥٢)، وابن ماجة (٤١٦٤)، والحاكم (٤/ ٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسكت عليه الذهبي كلهم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وهو صحيح.

MOSTAFALABW.COM

❁ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

❁ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

❁ وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

❁ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

❁ وكذلك التمكين من الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

❁ وقال تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

❁ وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥، ٦]. إلى غير ذلك من الآيات.

Mostafa.com

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١]؟

ج: المعنى والله أعلم: ما كان لنبي أن يأخذ لنفسه شيئًا من الغنيمة قبل القسمة، فالغلول ليس من صفات الأنبياء، ولا يكون نبيًّا من غلَّ.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١]؟

ج: لأهل العلم قولان في ذلك:

الأول: أن من غلَّ يوافي يوم القيامة بوزر ما صنع ويلاقي جزاء ما صنع، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣١].

الثاني: أن من غلَّ (أي: سرق شيئًا من الغنيمة) يأتي حاملًا هذا الذي سرقه على ظهره يوم القيامة. والله تعالى أعلم.

MOSTAFA.DAWY.COM

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في ذم الغلول؟

ج: الأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة نذكر منها:

❁ حديث رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**».

❁ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغُلول فعظمه وعظم أمره قال: «**لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت**[1] **فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك**»[2].

❁ وأخرج البخاري أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو، قال: كان على ثُقل النبي ﷺ رجل يقال له كِركَرة، فمات فقال رسول الله ﷺ: «**هو في النار**» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلَّها[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد؟ فقال

---

(١) الصامت: الذهب والفضة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٧٤).

MOSTAFABOOKS.COM

رسول الله ﷺ: «**كلا إني رأيته في النار في بردة غلَّها – أو عباءة**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**» قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[(١)].

❁ وأخرج الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقًا، فقال: «**إياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء**» قال: لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه[(٢)].

❁ وعن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ قال: «**فهلا جلس في بيت أبيه – أو بيت أمه – فينظر أيهدي له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تَيْعَر**» ثم رفع يده حتى رأينا عُفرة إبطيه «**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ثلاثًا**»[(٣)].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢]؟

ج: المعنى والله أعلم: أفمن اتبع رضوان الله فلم يغل كمن رجع وهو غال.

وقال: أفمن اتبع رضوان الله وتبع رسول الله ﷺ يوم أحد من المؤمنين كمن خالف أمره ونكص على عقبيه ورجع من المنافقين.

وقيل: إن الآية أعم من ذلك ففحواها لا يستوي الصالح مع الطالح، والله

---

(١) أخرجه مسلم، وأحمد (١/ ٣٠).

(٢) أخرجه الطبري «التفسير» (٨١٦٣)، وفي رواية عنده: أن سعدًا قال: قد علمت يا رسول الله أني أُسأل فأعطي فأعفني، فأعفاه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٩٧)، وأخرجه مسلم (١٨٣٢).

Mostaqbaliy.com

تعالى أعلم.

س: قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣] وضح معناه؟

ج: المعنى -والله أعلم-: هو ذوو درجات عند الله، والمراد: أن أهل الإيمان متفاوتون في الدرجات، وأهل الكفر متفاوتون في الدركات كذلك.

أما كون أهل الإيمان متفاوتين في الدرجات.

❁ فلقول النبي ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»(١).

❁ ولقوله عليه السلام: «**إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء**»(٢).

❁ ولقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥].

❁ ولقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧- ١١].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد «المسند» (٣/ ٢٦) وفي «الفضائل» (١٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفي آخره: «**وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**» وإسناده حسن لشواهده، وله طريق آخر عن الترمذي (٣٦٥٨) من حديث أبي سعيد أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»، وأخرجه أحمد (٣/ ٢٧و ٩٣)، وأبو داود (٣٩٨٧)، وابن ماجة (٩٦)، وأبو يعلي (٢/ ٣٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٩٧٤)، وهو صالح للشواهد فيستشهد به للحديث الأول والله أعلم.

MostafaLabiad.com

س: من المراد بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن المراد عموم المؤمنين، وهي كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت: ٦]، وكقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١].

ومن العلماء من قال: إن المراد بالمؤمنين هنا العرب لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] والقول الأول أولى والله تعالى أعلم.

س: ما هو وجه الامتنان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؟

ج: وجه الامتنان من وجوه:

الأول: بعثة الرسول ﷺ من البشر.

الثاني: تلاوة الرسول ﷺ للآيات عليهم.

الثالث: تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة بعد الضلال الذي كانوا فيه.

والله تعالى أعلم.

MOSTAFA.WWW.COM

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾

MOSTAFALADAWY.COM

س: ما هو سبب نزول قول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٥]؟

ج: سبب نزولها هو ما أخرجه أحم (١/ ٣٠)[١] مطولًا من حديث عمر رضي الله عنه

---

(١) قال أحمد في «المسند» (١/ ٣٠): حدثنا أبو نوح قراد أنبأنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال: نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه وعليه ردؤاه وإزاره، ثم قال: «**اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدًا**» قال: فما زال يستغيث ربه ﷻ ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ﷻ فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله ﷻ المشركين، فقتل منهم سبعون رجلًا، وأسر منهم سبعون رجلًا، فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًّا وعمر

وفيه: فلما كان يوم أُحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكُسِرَتْ رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه، وأنزل الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] ما هي المصيبة التي أصيب بها المؤمنون، وما هما المثلان اللذان أصابهما المؤمنون؟

=رضي الله عنهم، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**»، قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه، ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريبًا لعمر فأضرب عنقه، وتمكن عليًا رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه: غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وغذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما قال: فقال النبي ﷺ: «**الذي عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة، وأنزل الله** ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]» من الفداء ثم أحل الله لهم الغنائم، فلما كان يوم أحدٍ من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرَّ أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ، وكُسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] الآية بأخذكم الفداء. وإسناده حسن.

noorlibrary.com

ج: أما المصيبة التي أصيب بها المؤمنون فهي قتل سبعين منهم يوم أحد، وشج رأس نبيهم ﷺ.

أما المثلان اللذان أصابهما المؤمون، ففيهما قولان:

۞ القول الأول: وهو قول الجمهور أن المراد أنه كما قتل من المسلمين يوم أحدٍ سبعون، فقد قتلوا هم يوم بدرٍ سبعين وأسروا سبعين من المشركين.

۞ القول الثاني: أنهم انتصروا يوم بدر، وانتصروا أيضًا يوم أحد في أول المعركة.

والقول الأول أقوى، والله أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞

س: ما معنى: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]؟

ج: المعنى – والله أعلم-: من أين حدث لنا هذا ونحن مؤمنون، ومعنا رسول الله ﷺ يأتيه الوحي من السماء، وديننا دين الحق، وعدونا كافر بالله مكذب بلقائه.

۞ ۞ ۞ ۞

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]؟

ج: المعنى والله أعلم: أنكم أنتم المتسببون فيه لأنفسكم بما ارتكبتموه من معاص، وبما فعلتموه من مخالفة أمر نبيكم ﷺ.

۞ ۞ ۞ ۞

MostafaLabbar.com

س: تسليط قوم على قومٍ يكون بإذن الله، وكف يدِ قوم عن قوم يكون بإذن الله أيضًا اذر من الكتاب والسنة ما يؤيد ذلك؟

ج: الآيات والأحاديث على ذلك كثيرة منها:

۞ قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

۞ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

۞ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الحشر: ٦].

أما الأحاديث فكثيرة نذكر منها:

۞ قصة سارة عليها السلام لما دخلت على جبار من الجبابرة (وقد قيل له ها هنا رجل معه امرأة من أحسن النساء، فأرسل إلى إبراهيم عليه السلام فجيء به وبها... الحديث) ومد يديه لتناولها، فقالت: اللهم كف يد الكافر، فأُخذ. فقال لها: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق[1].... الحديث.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه، فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأُتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا

❁ ومنها: الغلام (الذي ورد ذكره في قصة الملك والراهب والساحر وأصحاب الأخدود) أخذوه ليلقوه من فوق شاهق فرجف الجبل بهم وأنجاه الله، وأخذوه ليلقوه في اليم فرجف بهم البحر فأغرقهم الله وأنجاه[١].

❁ ومنها: قول النبي ﷺ لعمر في شأن ابن الصياد: «**إن يكن الذي ترى** – أي: الدجال – **فلن تستطيع قتله**»[٢].

❁ ومنها: محاولة الدجال قتل الرجل الذي هو من خيار الناس (أو خير الناس) فلا يستطيع قتله ولا يُسلط عليه[٣].

=أضرك ففعلت وأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أراضي وأعطها هاجر».

قال: «فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم ﷺ انصرف، فقال لها: مهيم، قالت: خيرًا كف الله يد الكافر وأخدم خادمًا».

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء.

والحديث أخرجه البخاري مختصرًا مرفوعًا (٥٠٨٤)، ومطولًا موقوفًا (٣٣٥٨).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله (٢٩٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد، ففر الصبيان وجلس ابن صياد، فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك، فقال له النبي ﷺ: «**تربت يداك أتشهد أني رسول الله؟**» فقال: لا، بل تشهد أني رسول الله، فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتى أقتله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله**».

(٣) أخرجه البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري، قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: «**يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خيار الناس – فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يُحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشدَّ بصيرةً مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه**».

وفي رواية لمسلم من حديث أبي سعيد أيضًا مرفوعًا: «**يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين،**

MOSTAFALADWA.COM

❁ **ومنها:** حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، قال: عنده أعرابي فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثًا**» ولم يعاقبه وجلس[(١)].

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر مثالًا للإذن الكوني القدري ومثالًا للإذن الديني الشرعي؟

ج: أما مثال الإذن الكوني القدري، فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

=فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد، فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا، فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه، قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشج، فيقول: خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربًا، قال: فيقول أو ما تؤمن بي؟ قال فيقول أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم فيستوي قائمًا، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أما قذفه في النار وإنما ألقى به في الجنة»، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (ص ١٧٨٦ حديث ٨٤٣).

MOSTAFAADLY.COM

❁ أما الإذن الديني الشرعي فكقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ادْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧]؟

ج: لأهل العلم فيها أقوال منها:

❁ كثروا سواد المسلمين.

❁ رابطوا في الثغور دفاعًا عن ديار المسلمين.

❁ قاتلوا دفاعًا عن أعراضكم وحريمكم وأموالكم إن لم تروا القتال في سبيل الله. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقول أهل النفاق: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]؟

ج: المرادا والله تعالى أعلم: لو نعلم أنه يجري اليوم قتالٌ ما أسلمناكم لعدوكم ولا تركناكم له.

❁ وقيل: المعنى: لو نحسن القتال لقاتلنا معكم.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة ذكر الأفواه في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران:

MOSTAFAADWI.COM

١٦٧]؟

ج: بعض العلماء يقول: إن هذا لتأكيد أن القول لم يصدر من القلوب بل صدر من الأفواه فقط كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما هو الذي يقوله أهل النفاق بألسنتهم، وما هو الذي تضمره قلوبهم؟

ج: أما الذي يقولونه بأفواههم فهو نطقهم بالإيمان، وبيان أنهم أنصار الله، أما الذي تضمره قلوبهم فهو الكفر وعداوة الله ورسله والمؤمنين. والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٨]؟

ج: المعنى والله أعلم: أن المتخلفين عن الجهاد، القاعدين عنه قالوا لأهل النفاق من إخوانهم وأمثالهم عن الذين قتلوا في سبيل الله: لو أطاعونا ما قتلوا.

❀ ❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]؟

ج: المعنى والله أعلم: إن كنتم تظنون أن القعود يسلم به الشخص وينجو به من الموت أو القتل، فادفعوا عن أنفسكم الموت، وردوه عنكم إن كنتم صادقين،

MOSTAFALADAWY.COM

ولكن الموت لابد وأنه آت إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟

ج: يوضح المعنى الإجمالي لهذه الآية ما أخرجه مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا[1]: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ١/ ٣٣): قوله ﷺ: «فقال لهم الله تعالى هل تشتهون شيئًا» هذا مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم، إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر، ثم رغبهم في سؤال الزيادة، فلم يجدوا مزيدًا على ما أعطاهم، فسألوه حين رأوه أنه لابد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى، ويستلذوا بالقتل في سبيله تعالى. والله أعلم.

MOSTAFALAWY.COM

يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا(١).

❁ وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار.

❁ وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩] يعني: الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿أَمْوَٰتًۢا﴾ يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتًا لا يحسون شيئًا، ولا يتلذذون، ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (كما نقل عنه القاسمي ص ١٠٣٦): إن الله تعالى عزَّى نبيه ﷺ وأولياءه عمن قُتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لهم بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الآيات، فجمع لهم إلى الحياة الدائمة منزلة القرب منه، وأنهم عنده وجريان الرزق المستمر عليهم، وفرحهم بما آتاهم من فضله وهو فوق الرضا، بل هو كمال الرضا، واستبشارهم بإخوانهم الذين باجتماعهم بهم يتم سرورهم ونعيمهم، واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت من نعمته وكرامته وذكرهم سبحانه في هذه المحنة بما هو أعظم منه ونعمه عليهم التي قابلوا بها كل محنة تنالهم وبلية تلاشت في جنب هذه المنة والنعمة، ولم يبق لها أثر البتة وهي منته عليهم بإرسال رسول من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وينقذهم من الضلال الذي كانوا فيه قبل إرساله إلى الهدى، ومن الشقاء إلى الفلاح، ومن الظلمة إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، فكل بلية

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٨٧).

Mostafa Adly.com

ومحنة تنال العبد بعد حصول هذا الخير العظيم له أمر يسير جدًّا في جنب الخير الكثير، كما ينال الناس بأذى المطر في جنب ما يحصل لهم من الخير، وأعلمهم أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا، وأنها بقضائه وقدره ليوحدوه ويتكلوا عليه ولا يخافوا غيره، وأخبرهم بما له فيها من الحكم لئلا يتهموه في قضائه وقدره، وليتعرف إليهم بأنواع صفاته وأسمائه، وسلاَّهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنيمة، وعزاهم عن قتلاهم بما نالوه من ثوابه وكرامته لينافسوا فيه، ولا يحزنوا عليهم، فله الحمد كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وﷻاله.

❁ ❁ ❁ ❁

س: هل حياة الشهداء عند ربهم حقيقة؟

ج: نعم هي حقيقية، ويشهد لذلك الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ويشهد لذلك الأحاديث الواردة في فضل الشهداء، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الشهادة في سبيل الله؟

ج: هذ جملة من الأحاديث الواردة في ذلك.

❁ عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**للتشهيد عند الل**

MOSTAFALABIB.COM

ست خصال(١): يغفر له في أول دفعة(٢) ويرى مقعده من الجنة ويجار(٣) من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر(٤)، ويوضع على رأسه تاجُ الوقار الياقوتةُ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين زوجةً من الحورِ(٥) ويُشفع في سبعين من أقاربه»(٦).

❁ عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ مُقنعٌ بالحديد. فقال: يا رسول الله، أقاتل أو أسلم؟ قال: «**أسلم ثم قاتل**» فأسلم ثم قاتل فقتل. فقال رسول الله ﷺ: «**عمل قليلًا وأجر كثيرًا**»(٧).

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تضمن(٨) الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسلي فهو عليَّ ضمان أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو**

(١) قال المباركفوري «تحفة الأحوذي» (٥/ ٣٠٣): قوله: «الشهيد عند ربه ست خصال» لا يوجد مجموعها لأحد غيره.

(٢) أي: الدفقة من الدم.

(٣) يجار: أي: يُحفظ ويأمن من عذاب القبر.

(٤) قال القاري: فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، قيل: هو عذاب النار، وقيل: العرض عليها، وقيل: هو وقت يؤمر أهل النار بدخولها، وقيل: ذبح الموت فييأس الكفار من التخلص من النار بالموت، وقيل وقت إطباق النار على الكفار، وقيل: النفخة الأخيرة، لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧].

أعاذنا الله من ذلك كله برحمته وفضله، ورزقنا الشهادة في سبيله آمين يا سميع يا مجيب.

(٥) أخرجه الترمذي (١٦٦٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجة حديث (٢٧٩٩).

(٦) أخرجه الترمذي (١٦٦٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجة حديث (٢٧٩٩).

(٧) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) في رواية «انتدب» قال الحافظ ابن حجر (١/ ٩٣): أي: سارع بثوابه وحسن جزائه، وقيل: بمعنى أجاب إلى المراد.... إلى آخره ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ.

غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»[١].

❁ عن أنس بن مالك ﷺ أن أم الربيع بنت البرآء – وهي أم حارثة بن سراقة – أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب[٢] – فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء[٣]. قال ﷺ: «**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الفردوس الأعلى**»[٤].

❁ عن أبي هريرة ﷺ أن عمرو بن أقيش كان له ربًا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه. فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد. قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد. قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد. فلبس لأمته[٥] وركب فرسه، ثم توجه،

---

(١) رواية البخاري لهذا الحديث مفرقة، جزء في موطن وآخر في موطن، والحديث أخرجه البخاري (٣٦ وفي غير موضع)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) قال الحافظ: «سهم غرب» أي: لا يعرف راميه، او لا يعرف من أين أتى، أو جاء على غير قصد من راميه.

(٣) قال الخطابي: أقرها النبي ﷺ على قولها: «اجتهدت عليه في البكاء» فيؤخذ منه الجواز، وتعقبه الحافظ بقوله: كان ذلك قبل تحريم النوح فلا دلالة فيه، فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد، وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) من حديث أنس ﷺ.

(٥) أي: درعه وسلاحه.

MOSTAFALADIY.COM

قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو. قال: إني قد آمنت.

فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحًا، فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حمية لقومك أو غضبًا لهم أو غضبًا لله؟ فقال: بل غضبًا لله ولرسوله فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة[١].

❁ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**أخذ الراية(٢) زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له**». وقال: «**ما يسرنا أنهم عندنا**». قال أيوب: (أحد رجال الإسناد): أو قال: «**ما يسرهم أنهم عندنا**»[٣] وعيناه تذرفان.

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها، فقلت: يا رسول الله أسهم لي، فقال بعض بني سعيد بن العاص[٤]: لا تسهم له يا رسول الله. فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابن قوقل. فقال ابن سعيد بن العاص: واعجبًا لوبر تدلي علينا من قدوم ضأن ينعي عليَّ قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي ولم يهني عليه يديه[٥]. قال: فلا أدري أسهم له أم لم يسهم له[٦].

(١) أخرجه أبو داود بإسناد حسن (حديث ٢٥٣٧)، وهو موقوف، لكن لا يقال من قبيل الرأي، وانظر كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص ٣٦٧).

(٢) وذلك في غزوة مؤتة. والحديث أخرجه البخاري (٣٠٦٣)، والنسائي (٤/ ٢٦).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٦، ١٧): «ما يسرهم أنهم عندنا» أي: لما رأوا من الكرامة بالشهادة، فلا يعجبهم أن يعودوا إلى الدنيا، كما كانوا من غير أن يستشهدوا مرة أخرى.

(٤) هو: أبان بن سعد.

(٥) قال الحافظ في الفتح: المراد منه قول أبان: أكرمه الله على يدي ولم يهني على يديه، وأراد بذلك أن أن النعمان استشهد بيد أبان فأكرمه الله بالشهادة، ولم يقتل أبان على كفره فيدخل النار، وهو المراد بالإهانة، بل عاش أبان حتى تاب وأسلم وكان إسلامه قبل خيبر بعد الحديبية، وقال ذلك بحضرة النبي ﷺ وأقره عليه.

(٦) والحديث أخرجه البخاري (٢٨٢٧).

MOSTAFALABWY.COM

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**»[١].

❁ عن أنس رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ أقوامًا من بني سليم إلى بني عامر في سبعين، فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم مني قريبًا فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذا أومأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلًا أعرج صعد الجبل، قال همام: وأراه آخر معه، فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ: أن بلِّغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، ثم نسخت بعد[٢]، فدعا عليهم أربعين صباحًا، على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله[٣].

❁ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به[٤] ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي، فسمع صوت نائحة فقيل: ابنة عمرو – أو أخت عمرو – فقال: «**لم تبكي؟! أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها**»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وإسناده حسن.

(٢) أي: نسخ تلاوة، ولكنه باقٍ حكمًا.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) الذي يمثل به هو من تقطع أجزاؤه أو بعضها كأن يجدع أنفه أو تقطع أذنه أو منذاكيره أو تشق بطنه أو غير ذلك.

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٦٣): فهذا الجليل القدر الذي تظله الملائكة بأجنحتها لا ينبغي أن يبكي عليه بل يفرح له بما صار إليه.

قلت: والبكاء بدون نوح ولا صياح ولا عويل أمر جائز، وقد ذرفت عينا رسول الله ﷺ لما جاءه خبر قتل زيد وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم.

MOSTAFAADAWY.COM

قلت لصدقة (القائل هو البخاري): أمنه حتى رفع؟ قال: ربما قاله.

أخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

❁ عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخر الآية.

أخرجه البخاري ومسلم.

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينًا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري – جد عاصم بن عمر بن الخطاب – فانطلقوا حتى إذا كان بالهدأة[1] – وهو بين عسفان ومكة – ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم قريبًا من مائتي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد[2] وأحاط بهم القوم فقالوا: أنزلوا وأعطونا

(١) هو مكان على بعد سبعة أميال من عسفان، قاله ابن إسحاق.

(٢) الفدفد: الموضع المرتفع. قاله ابن كثير.

MOSTAFADEV.COM

بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فو الله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموه بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة – يريد القتلى – وجرروه وعاجلوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقيعة بدر، فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حتى أتاه قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد بمكة، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إنه لرزق من الله رزقه خبيبًا، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتهما، اللهم أحصهم عددًا:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امريء قتل صبرًا، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا. وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حيث حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء

Mostafalabwy.com

منه يعرف، وكان قد قتل رجلًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة[١] من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئًا[٢].

❁ عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قلت؟**». قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين، فإن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لي ذلك**»[٣].

❁ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجب ربنا عَزَّ وَجَلَّ غزا في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ فانهزم – يعني أصحابه – فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما**

---

(١) قال الحافظ «فتح» (٧/ ٣٨٤): الظلة بضم المعجمة: السحابة، والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة: الزنانير، وقيل: ذكور النحل، ولا واحد له من لفظه.
قال: وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة فإذا أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن.

(٢) أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي.

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ١/ ٢٩): فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو: أن يقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير = مدبر. ثم قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله ﷺ: «**إلا الدين**» ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى. قلت: وهذا ما يؤيده الحديث التالي.
والحديث أخرجه مسلم والترمذي، وهو صحيح.

MOSTAFAADWY.COM

عندي حتى أهريق دمه»[(١)].

❁ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: «**في الجنة**». فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل[(٢)]. أخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

❁ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ بسيسة[(٣)] عينًا[(٤)] ينظر ما صنعت عير[(٥)] أبي سفيان فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «**إن لنا طلبة[(٦)] فمن كان ظهره[(٧)] حاضرًا فليركب معنا**»، فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة، فقال: «**لا إلا من كان ظهره حاضرًا**» فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**» فدنا

---

(١) أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ «شرح مسلم» (٥/ ١/ ٤٣): فيه ثبوت الجنة للشهيد، وفيه المبادرة بالخير وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفس.

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ١/ ٤٤): وهو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر من الأنصار من الخزرج، يقال: حليف لهم.

(٤) عينًا: أي متجسسًا ورقيبًا.

(٥) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من الأمتعة، قال النووي: وقال: قال في المشارق، العير هي: الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات، قال: ولا تسمى عيرًا غلا إذا كانت كذلك.
وقال الجوهري في الصحاح: العير: الإبل تحمل الميرة وجمعها عيرات بكسر العين وفتح الياء.

(٦) أي: شيئًا نطلبه.

(٧) الظهر: الدواب التي تركب.

= وفي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إنا لنا طلبة**»: استحباب التورية في الحرب وأن لا يبين الإمام جهة إغارته وإغارة سراياه، لئلا يشيع ذلك فيحذرهم العدو، ذكر ذلك النووي رَحِمَهُ اللَّهُ.

Mostafadawy.com

المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**»، قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض. قال: «**نعم**». قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ**»، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءه أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[(١)].

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**»[(٢)].

❁ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من قاتل في سبيل الله عز وجل من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها كالزعفران وريحها كالمسك، ومن جرح جرحًا في سبيل الله فعليه طابع الشهداء**»[(٣)].

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل**

---

(١) قال النووي رحمه الله (٥/ ١/ ٤٦): فيه جواز الأنغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جمهور العلماء. والحديث أخرجه مسلم وأحمد.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة بإسناد صحيح.

mostafawy.com

الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى»[(١)].

۞ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتي بالرجل من أهل الجنة، فيقول الله ﷻ: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك. فيقول: أي رب خير منزل. فيقول: سل وتمن. فيقول: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة**»[(٢)].

۞ عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قال: أما هذه الدار فدار الشهداء**»[(٣)].

---

(١) في رواية للبخاري (٢٨١٧) «فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة».

قال ابن بطال: هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة، قال: وليس في أعمال البر ما نبذل فيه النفس غير الجهاد، فلذلك عظم فيه الثواب.

وقال النووي «شرح مسلم» (٥/ ١/ ٢٤): هذا من صرائح الأدلة في عظيم فضل الشهادة، والله المحمود المشكور.

وأما سبب تسميته شهيدًا: فقال النضر بن شميل: لأنه حي، فإن أرواحهم شهدت وحضرت دار السلام وأرواح غيرهم إنما تشهدها يوم القيامة. وقال ابن الأنباري: إن الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام يشهدون له بالجنة. وقيل: لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالى له من الثواب والكرامة. وقيل: لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه، وقيل: لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله. وقيل: لأن عليه شاهدًا بكونه شهيدًا وهو الدم. وقيل: لأنه ممن يشهد على الأمم يوم القيامة بإبلاغ الرسل الرسالة إليهم، وعلى هذا القول يشاركهم غيرهم في هذا الوصف.

والحديث أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد والنسائي بإسناد صحيح.

(٣) هذا الحديث جزء من حديث طويل في رؤيا للنبي ﷺ رآها ثم قصها على أصحابه بعد صلاة الفجر، وقد أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها آخر كتاب التعبير (حديث ٧٠٤٧) ومسلم = والنسائي.

وفي هذا القدر فضيلة ظاهرة للشهداء وعلو منزلة دارهم وحسنها.

Mostafalaw.com

۞ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن**»(١).

وأخرج أحمد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، وفي قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا**»(٢).

س: ورد في الحديث: «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة» وورد في حديث ابن مسعود عن الشهداء: «أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل... الحديث» فما هي مزية الشهداء على سائر المؤمنين؟

ج: أجاب الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على نحو هذا فقال: فأرواح الشهداء كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها. والله أعلم.

۞ ۞ ۞

س: ما هو سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟

---

(١) أخرجه مسلم. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال علماؤنا: ذِكر الدَّين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقة بالذمم كالغصب، وأخذ المال بالباطل، وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات، فإن كان هذا أولى ألا يغفر بالجهاد من الدَّين فإنه أشد، والقصاص في هذا كله بالحسنات والسيئات حسبما وردت به السنة الثابتة.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وكأن الشهداء: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم: من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدي عليهم برزقهم هناك ويُراح. والله أعلم.

MOSTAFABOOKS.COM

ج: سبب نزولها ما ورد من حديث ابن عباس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طيرٍ خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتهوي إلى قناديل من ذهبٍ في ظل العرش، فلما وجدوا طيب شربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله ﷻ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]**».

❀ ❀ ❀ ❀

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠] وما وجه استبشارهم؟

ج: **المعنى والله أعلم**: ما ذكره أهل العلم كالطبري وابن كثير وغيرهما.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني بذلك تعالى ذكره: يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على منهاجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه، فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون أنهم إذا صاروا كذلك ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني بذلك: لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا، ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها للخفض

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٥).

noorabaalbayan.com

الذي صاروا إليه والدَّعة والزُّلفة.

۞ وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

۞ أما وجه استبشارهم ففيه ثلاثة أقوال ذكرها ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي:

الأول: أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء أخبر الشهداء بأني قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم فاستبشروا وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة. قاله سعيد بن جبير.

الثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل. قاله قتادة.

الثالث: أن الشهيد يؤتي بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر بقدومه، كما يستبشر أهل الغائب به. قاله السدي.

۞ ۞ ۞

﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم

MOSTAFALADY.COM

مُّؤْمِنِينَ ﴾.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١]؟

ج: المعنى والله أعلم: لا يبطل جزاء أعمال من آمن برسوله وصدقه واتبعه وعمل بما أمر.

س: ما المراد بالاستبشارين في الآيتين ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾ [آل عمران: ١٧٠] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: ١٧١]؟

ج: المراد بالاستبشار الأول: السرور لإخوانهم الذين سيقبلون عليهم، والمراد بالثاني: السرور لما سينالهم هم من فضل الله ونعمته.

س: ما المراد بالنعمة والفضل في قوله تعالى: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: ١٧١]؟

ج: بعض أهل العلم يقول: النعمة هي الثواب والجزاء، والفضل هو الزيادة.

وبعض العلماء يقول: النعمة والفضل هي الرحمة والرزق، والله أعلم.

MOSTAFALAWY.COM

(١٠٠٠) أحمر
أسود

س: قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧١] ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ [آل عمران: ١٧١]، هل في ذلك السياق لطيفة؟

ج: نعم يورد بعض أهل العلم هنا لطيفة ألا وهي: أن الشهداء كان استبشارهم الأول هو سرورهم من أجل إخوانهم القادمين عليه، والاستبشار الثاني هو فرحهم لأنفسهم فقدموا فرحتهم لإخوانهم على فرحتهم لأنفسهم، والله أعلم.

❀ ❀ ❀ ❀

س: من هم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، اذكر اثنين منهم؟

ج: هم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحٍ إلى حمراء الأسد[1] لما دعاهم النبي ﷺ إلى الخروج إليها لملاقاة عدوهم على ما بهم من ألم الجراح.

وكان منهم: أبو بكر والزبير رضي الله عنهما، كما ورد في «صحيح البخاري» من حديث عائشة رضي الله عنها: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ، وانصرف عنه

(١) وأكثر الروايات الواردة في هذا الباب – رغم ما بها من مقال – تفيد أنها حمراء الأسد، ومن العلماء من قال: إن هذه الاستجابة من الصحابة كانت من العام المقبل حيث تواعد أبو سفيان ورسول الله ﷺ موسم بدر للقاء فيه، وتخلف أبو سفيان وسميت بدر الصغرى أو بدر الموعد، ولم أقف لهذا على إسناد صحيح، والوارد فيه ضعيف.
واختار ابن كثير رحمه الله أن الصحيح أن السياق نزل في شأن حمراء الأسد، وكذلك اختاره الطبري أيضًا، وحمراء الأسد موطن، وسيأتي ذكره في سبب النزول.

Mostafa Adly.com

(١٠٠١) أحمر
أسود

المشركون خاف أن يرجعوا قال: من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلًا منهم أبو بكر والزبير[(١)].

❀ ❀ ❀

س: هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]؟

ج: لا أعلم لهذه الآية الكريمة سبب نزول سالمًا من العلل، وقد ورد عند ابن أبي حاتم (كما عزاه إليه ابن كثير في التفسير)، أثر من طريق عكرمة قال: لما رجع المشركون عن أُحدٍ قالوا: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم، ارجعوا؛ فسمع رسول الل ﷺ بذلك فندب المسلمون فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد – أو بئر أبي عيينة[(٢)] فقال المشركون: نرجع من قابل، فرجع رسول الله ﷺ فكانت تعد عزوة، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

وقد اختلف في وصله وإرساله[(٣)].

وأشار الحافظ ابن حجر إلى أن الصواب إرساله[(٤)].

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (٢٤١٨).

(٢) الشك من سفيان (أحد الرواة).

(٣) فرواه محمد بن عبد الله بن يزيد عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة مرسلًا، ورواه محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس متصلًا.

(٤) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» كتاب التفسير (٨/ ٧٧): ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس.

MOSTAFALARAWY.COM

(١٠٠٢) أحمر
أسود

س: أليس كل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح قد أحسنوا؟ فلماذا قيل في الآية الكريمة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]؟

ج: إذا كان المراد أنهم أحسنوا في استجابتهم للرسول ﷺ لما دعاهم وقد أصابهم القرح فنعم كلهم قد أحسنوا في ذلك وتكون (من)، في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، للتبيين.

ولكن قد يقال: إن من هؤلاء المستجيب لله والرسول قومًا محسنين معروفين بالإحسان قبل الغزوة أصلًا، ومتقين كذلك، فأضيف إلى إحسانهم وتقواهم استجابة لنداء رسول الله ﷺ فاستجابوا له مع ما بهم من قرح، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الأذكار التي يقولها من خاف قومًا أو من خوَّفه قوم؟

ج: من هذه الأذكار: قول: (حسبنا الله ونعم الوكيل) فقد قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1] [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

---

(١) ورد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، أخرجه البخاري (٤٥٦٣).
وفي رواية أخرى للبخاري (٤٥٦٤) عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار «حسبي

(١٠٠٣) أحمر
أسود

ومـا ورد في قولـه تعـالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

وقولـه تعـالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقولـه تعـالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٣- ٨٦].

ومن هذه الأذكار أيضًا: قول: (اللهم اكفنيهم بما شئت)[1].

س: ما المراد بقوله تعالى هنا: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٤]؟

ج: المراد – والله أعلم –: أنهم اتبعوا طاعة رسول الله ﷺ التي بها يرضى الله ﷻ عنهم.

MOSTAFALADWI.COM

=الله ونعم الوكيل».

(١) فقد قالها الغلام الذي ورد ذكره في حديث الملك والساحر والراهب والغلام وأصحاب الأخدود أخرجه مسلم (١٨/ ١٣٠).

وثمَّ حديث آخر في هذا الباب، وفيه كلام وهو حديث: «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم**».

(١٠٠٤) أحمر
أسود

س: ماذا حدث للمؤمنين لما فوَّضوا أمرهم إلى الله ﷻ؟

ج: أعطاهم الله ﷻ من الجزاء أربعة.

۞ نعمة منه سبحانه[١]، وفضل[٢]، وصرف السوء، واتباع الرضا فرضَّاهم عنه ورضي عنهم.

۞ ۞ ۞

س: قد يطلق العام في القرآن الكريم ويُراد به الخاص، اذكر مثالًا لذلك؟

ج: مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فالناس عامة لكن أريد بها هنا الخصوص، فالمقول لهم ناس (وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون)، والقائلون ناس (وهم إما أهل نفاق أو بعض الأعراب)، والذين جمعوا لهم ناس (وهم المشركون آنذاك أبو سفيان وأصحابه)، ومثال آخر قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

فالمحسودون ناس وهم رسول الله ﷺ، والحُسَّد ناس وهم أهل الكتاب والمنافقون وأهل الشرك والله تعالى أعلم.

۞ ۞ ۞

MOSTAFALADAWY.COM

---

(١) وهي العافية فلم يلقوا عدوهم.

(٢) وهو ما منَّ الله به عليهم من ثواب في الدارين.

(١٠٠٥) أحمر
أسود

س: هناك نعمة من الله قلما يلتفت إليها الناس ويولونها الشكر وهي نعمة كف الأذى عن المؤمنين، اذكر ما يؤيدها من الكتاب العزيز؟

ج: نعم وما أعظمها من نعمة وهي كف أيدي الظالمين عن أهل الإيمان، قال الله تعالى:

❁ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ [المائدة: ١١].

❁ وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ﴾ [النساء: ٩٠].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

MOSTAFALADWI.COM

س: اذكر بعض الأدلى على زيادة الإيمان؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة منها:

❁ قول الله ﷻ: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

❁ وقوله تعالى: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾ [التوبة: ١٢٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

❁ وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

(١٠٠٦) أحمر
أسود

۞ وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

۞ ومن السنة: قول رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برةٍ من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[(١)].

۞ ۞ ۞ ۞

س: ما المراد بالشيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؟

ج: فريق من أهل العلم يقول: إن المراد بالشيطان: الشيطان نفسه باعتبار ما يصدر منه من الوسوسة المقتضية للتثبيط.

۞ وقيل: المراد الشيطان باعتبار ما يلقيه على لسان أتباعه من المنافقين فيتكلمون به لتثبيط المؤمنين.

۞ وقيل: المراد بالشيطان هنا شيطان من شياطين الإنس قيل: إنه نعيم بن مسعود.

۞ والقول الأول أعم، والله تعالى أعلم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال منها:

۞ يخوفكم بأوليائه[(٢)] كقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢] أي:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وكذلك أخرجه مسلم (ص ١٨٢).

(٢) صح عن قتادة (عن ابن جرير الطبري في «التفسير» ٨٢٥٦) أنه قال: يخوِّف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن الكافر.

MOSTAFAADWY.COM

(١٠٠٧) أحمر
أسود

لينذر ببأسٍ، وكقوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] أي: لينذر بيوم التلاق.

والمعنى: أن الشيطان يوهمكم أن أولياءَه ذوو قوة وبأس شديد، وذوو عددٍ وعُدد لِترهبوهم وتتركوا حربهم.

❁ ومنها: يخوفكم من أوليائه.

❁ وقيل: يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

❁ ❁ ❁

س: من هم الذين يسارعون في الكفر وما هي صفة مسارعتهم فيه؟

ج: المسارعون في الكفر أقوال، منها:

Mostafawy.com

(١٠٠٨) أحمر
أسود

❁ أنهم المشركون، ومسارعتهم في الكفر تتمثل في تسارعهم في الأعمال المقوية للكفر كالتهيؤ لقتال النبي ﷺ ومحاربة دينه وشرعه.

❁ وقيل: إنهم المنافقون شهدوا بألسنتهم ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم سارعوا في الردة إلى الكفر بعد إيمانهم.

❁ وقيل: هم قوم من اليهود كتموا صفة محمد ﷺ.

قلت: ولا يمتنع أن يدخل كل المذكورين في الآية، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، ردٌّ على المعتزلة وضح ذلك؟

ج: نعم فيه رد على المعتزلة، فالمعتزلة يقولون: إن الشر لا يقع بإرادة الله فكذَّبوا في ذلك، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

❁ ❁ ❁

س: قال بعض أهل العلم: إن الحزن على كفر الكافر طاعة، والحزن على معصية العاصي طاعة، بمعنى: أن المسلم يحزنه أن يرى العاصي يعصي الله ﷻ،

Mosaraby.com

(١٠٠٩) أحمر
أسود

ويحزنه أن يرى المسلم يرتد عن دينه إلى الكفر، فكيف يُنهى عن هذه الطاعة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ١٧٦]؟

ج: قال بعض أهل العلم إن المنهي عنه والله أعلم هو الإفراط في الحزن على كفر الكافر ومعصية العاصي، كما قال الله تعالى لنبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وكما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وقيل لونٌ آخر وهو: أن المعنى لا تخف أن يضرك كفر الكافرين ولا كيد الكائدين. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦]؟

ج: المراد والله أعلم: جملة أقوال ذكرها العلماء منها:

❁ لن ينقصوا من ملك الله ﷻ شيئًا بكفرهم[(١)].

❁ أنهم لن يضروا أولياء الله ﷻ شيئًا.

❁ **الثالث**: أن المعنى جارٍ على ظاهره، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) كما جاء في حديث أبي ذر في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**».

MOSTAFALADWA.COM

(١٠١٠) أحمر
أسود

س: ما هو سبب مسارعة المسارعين إلى الكفر؟

ج: سببها والله أعلم: طمعهم في الدنيا، وقبل ذلك إرادة الله ﷻ ألا يجعل لهم حظًّا في الآخرة، فلذلك خذلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❀ ❀ ❀

س: وضح المعنى الإجمالي لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧]؟

ج: قال ابن جرير الطبري رحمه الله في معناها: يعني بذلك جل ثناؤه: المنافقين الذين تقدم إلى نبيه ﷺ فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر، فقال لنبيه ﷺ: إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه، ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضًا من الإيمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن إيمانهم شيئًا، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قِبَلَ لها به. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]؟

ج: المعنى والله أعلم: لا يظن هؤلاء الكفار أن تأخيرنا لهم في هذه الحياة الدنيا خيرٌ لهم، ولكن تأخيرنا لهم وإطالتنا أعمارهم في هذه الحياة الدنيا؛ ليكتسبوا معاصي فيزدادوا آثامًا مع آثامهم ويحملوا أوزارًا مع أوزارهم، والله تعالى أعلم.

MOSTAFAADEL.COM

(١٠١١) أحمر
أسود

س: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؟ وضح معنى هذه الآية الكريمة؟

ج: لأهل العلم في تحديد المخاطب بالآية أقوال:

❁ منها: أن المخاطب هم المشركون، والمعنى: ما كان الله ليترك أهل الإيمان على ما أنتم عليه يا أهل الكفر من كفر وشقاق وعداوة النبي ﷺ حتى يُفرِّق بين المؤمن والمنافق بما يلقيه من ابتلاءات ومحن وشدائد وقتل وجراح.

❁ ومنها: أن المخاطب هم المؤمنون، والمعنى: ما كان الله ليذركم يا أهل الإيمان على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين حتى تأتيكم المحن فيفرَّق بينكم وبين أهل النفاق وتعلموا – بما يسوقه الله من ابتلاءات – المؤمن الصابر من المنافق الفاجر، والله تعالى أعلم.

❁ وثمَّ قول آخر: أن الخطاب للمشركين، والمعنى: ما كان الله ليذر ما في أصلابكم ممن كتب الله له الإيمان في أصلابكم حتى يفصل بينكم وبين أولادكم المؤمنين الموجودين في أصلابكم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁

س: ما هو وجه إيراد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، في ثنايا الآية الكريمة؟

ج: المعنى والله أعلم: أن الله ﷻ أراد أن يخبركم بأهل الإيمان منكم وأهل النفاق، وجرت حكمته وسنته ألا يطلع أحدًا على الغيب فيقال له: هذا مؤمن وهذا

MOSTAFADEV.COM

(١٠١٢) أحمر
أسود

منافق (إلا من اجتباهم من الرسل)، فأراد الله ﷻ أن يطلعكم على أهل الإيمان وأهل النفاق بطريقة غير الاطلاع على الغيب، وهذه الطريقة هي الابتلاءات والمحن التي بها تتعرفون على مؤمنكم من النفاق الموجود معكم. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، يجتبيهم هنا بماذا؟

ج: بعض أهل العلم يقولون: إن المراد بالاجتباء هنا: الاجتباء بالاطلاع على بعض الغيب فيختار الله ﷻ بعض رسله لإطلاعهم على بعض غيبه بإذنه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]؟

وقال بعض العلماء: إن المراد بالاجتباء: اختيار من يشاء من الرسل لتفضيلهم على غيرهم، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، هل فيه إيماء إلى شيء؟

ج: نعم والله أعلم: فيه إرشاد إلى التصديق وعدم التشوف على علم الغيب، والمعنى والله أعلم: لا تشتغلوا بما لا يعنيكم من محاولة معرفة الغيب والاطلاع عليه، فليس لكم سبيل إلى ذلك، ولكن اشتغلوا بما يعنيكم من الإيمان والتصديق، والله تعالى أعلم.

MOSTAFALAW.COM

(١٠١٣) أحمر
أسود

س: ما هو الفرق بين الشح والبخل؟

ج: بعض أهل العلم يقول: الشح والبخل بمعنى واحد.

وبعضهم يقول:

البخل: هو الامتناع من إخراج ما حصل عندك.

والشح: الحرص على تحصيل ما ليس عندك.

وقيل: الشح هو البخل مع حرص. والله أعلم.

س: ما هو المراد بالبخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]؟

ج: جمهور العلماء على أن المراد بالبخل هنا: هو البخل بالمال الواجب على الإنسان إخراجه، ومن منع ما ليس بواجب عليه فليس ببخيل يستحق الوعيد الشديد الوارد في الآية الكريمة.

وبعض أهل العلم يقول: إن المراد بالبخل هنا: البخل بالعلم؛ إذ العلم فضل أيضًا كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، فاليهود كتموا صفة النبي ﷺ.

والقول الأول أقوى وعليه الأكثر، ويؤيده قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ

MOSTAFALADAWY.COM

(١٠١٤) أحمر
أسود

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك وسيأتي إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٠]؟

ج: المعنى والله أعلم: لا يحسبن البخيل أن جمعه المال وبخله بإخراج الواجب عليه فيه ينفعه، بل هو مضرة عليه في أُخراه، بل وفي دنياه أيضًا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]؟

ج: أخرج البخاري[1] في «صحيحه» ما يوضح معنى الآية الكريمة، وذلك بما رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثل له ماله شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوَّقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه – يعني بشدقيه – يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٨٠]**»، إلى آخر الآية.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (حديث ٤٥٦٥).

Mostafadawy.com

(١٠١٥) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الآثار والأحاديث والآيات الواردة في ذم البخل وبيان سوء عاقبة البخيل؟

ج: أما الآيات فمنها:

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

❁ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٧].

❁ وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٣، ٢٤].

❁ وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

❁ وقال تعالى: ﴿❁ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥- ٧٧].

❁ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨- ١٠].

❁ ولما انطلق أصحاب الجنة متخافتين يقولون: لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أصبحت قريتهم كالصريم.

Mostafa.com

(١٠١٦) أحمر
أسود

❁ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أما أحاديث النبي ﷺ فكثيرة في هذا الباب، منها:

❁ قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»(١).

❁ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إن أهل النار كل جعظري جوَّاظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون»(٢).

❁ وقال النبي ﷺ: «وشر ما في رجل شح هالع وجبن خالع»(٣).

❁ وقال النبي ﷺ: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من ثُديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تُخفي بنانه(٤)، وتعفو أثره(٥). وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع»(٦).

❁ وقال رسول الله ﷺ: «من سيدكم يا بني سلمة؟» قلنا: جدُّ ابن قيس على

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٣٠٤)، ومسلم (٧/ ٩٥ مع النووي) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٩) بإسناد حسن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٢)، وأبو داود (٣٥١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أي: تكون طويلة حتى تغطي أصابعه.

(٥) أي: تكون طويلة حتى تلحق بالأرض وتمحو أثر خطاه.

(٦) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٣٠٥)، ومسلم (٧/ ١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFABOOKS.COM

(١٠١٧) أحمر
أسود

أنا نبخِّلُهُ. قال: «**وأي داءٍ أدوأ من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح**»[(١)].

وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية، وكان يولم عن رسول الله ﷺ إذا تزوَّج.

❁ وقال رسول الله ﷺ: «**يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك وإن تمسكه شرٌّ لك ولا تُلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى**»[(٢)].

❁ وثبت في عدة أحاديث أن النبي ﷺ كان يتعوذ من البخل[(٣)].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا**

---

(١) أخرجه في «الأدب المفرد» حديث (٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا، وإسناده صحيح. وقد رواه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢١٩)، (٤/ ١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، لكن فيه: «**بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور**».

(٢) أخرجه مسلم (٧/ ١٢٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) منها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يأمر بهؤلاء الكلمات ويحدثهن عن النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**» أخرجه البخاري (١١/ ١٧٨ مع «الفتح»)، ومسلم (٨/ ٢٥٦ مع النووي).

ومنها: حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول: «**اللهم غني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل**» أخرجه البخاري (١١/ ١٧٩)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢٩).

ومنها: حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله يقول، كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها**».

أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٤١).

Nosrabadi.com

(١٠١٨) أحمر
أسود

محارمهم»[(١)].

❁ وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني...» الحديث، وفيه: «يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنك استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي...» الحديث[(٢)].

❁ وقال النبي ﷺ: «من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يُطوَّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»[(٣)].

❁ وقال النبي ﷺ: «لا يأتي رجل مولى له يسأله من فضلٍ عنده فيمنعه إلا دعي له يوم القيامة شجاع أقرع يتلمظ فضله الذي منع»[(٤)].

❁ وقال رسول الله ﷺ: «يكون كنز أحدهم يوم القيامة شجاعًا أقرع يفرُّ منه صاحبه فيطلبه ويقول: أنا كنزك، قال: والله لن يزال يطلبه حتى يبسط يده فليقمها

---

(١) أخرجه مسلم (١٦/ ١٣٤ مع النووي).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (مع النووي ١٦/ ١٢٥).

(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟!! قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

(٤) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٢٦٨)، والنسائي (٥/ ٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFABADY.COM

(١٠١٩) أحمر
أسود

فاه»[(١)]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ما رب النعم لم يُعط حقها تسلَّط عليه يوم القيامة فتخبط وجهه بأخفافها**».

وقال رسول الله ﷺ: «**من ترك بعده كنزًا مثُل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يتبعه فيقول: من أنت ويلك، فيقول: أنا كنزك الذي خلفت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبع سائر جسده**»[(٢)].

وقد تقدمت بعض الأحاديث في هذا الباب في أوائل هذه السورة المباركة فراجعها إن شئت.

أما الآثار، فمنها:

عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **[التوبة: ٣٤]** قال ابن عمر رضي الله عنهما: (من كنزهما فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال)[(٣)].

۞ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ قال: شجاع يلتوي برأس أحدهم[(٤)].

۞ وعن الأحنف بن قيس قال: (جلست إلى ملإٍ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكانزين،برضفٍ يحمى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد «المسند» (٥/ ٥)، والنسائي (٥/ ٨٢) من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» (١٢/ ٣٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) صحيح وقد أخرجه أبو يعلي رحمه الله (نقلًا من تفسير ابن كثير ١/ ٤٣٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٣/ ٢٧١)، وابن ماجه (١٧٨٧).

MostafaLaw.com

(١٠٢٠) أحمر
أسود

عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ثم ولَّى فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئًا، قال لي خليلي، قال قلت من خليلك؟ قال النبي ﷺ: «**يا أبا ذر أتُبصر أحدًا؟**» قال فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم قال: «**ما أحب أن لي مثل أُحدٍ ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير**» وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله)[(١)].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

(١) أخرجه الطبري (٧/ ٤٣٦) بإسناد صحيح إلى ابن مسعود.

(١٠٢١) أحمر
أسود

س: الرضا بالمعصية يُعد معصية، اذكر ما يؤيد ذلك من كتاب الله ﷻ؟

ج: الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١] فالمخاطبون ما قتلوا نبيًّا، ولكن أسلافهم من اليهود هم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق، وهؤلاء أقروهم ورضوا بأفعالهم فنُسب القتل إليهم.

وهذا أيضًا كقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٤، ١٥] فالذي عقر الناقة واحد ولكن القبيلة (ثمود) أقروه على ذلك فنسب الذنب إليهم جميعًا، والله أعلم.

س: من هم القائلون: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]؟

ج: هم اليهود، وقد أطبق المفسرون على ذلك، وجاء في بعض الآثار أنهم قالوا ذلك لما نزلت آية[1] الصدقة، والله أعلم.

س: على أي أساس نُصب (قتلَهم) في قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ [آل عمران: ١٨١]؟

ج: نُصب على المفعولية أي: وسنكتب قتلهم الأنبياء.

(١) أعني قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

MOSTAFA ABWE.COM

(١٠٢٢) أحمر
أسود

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٢]؟

ج: المعنى والله أعلم: ذلك بما اقترفتموه من ذنوب سالفة وافتراءات على الله وقتل لرسل الله.

❀ ❀ ❀

س: هل عهد الله ﷻ إلى اليهود أن لا يؤمنوا لنبي حتى يأتيهم بقربان تأكله النار؟

ج: الذي نستطيع أن نجزم به أن هذا العهد، وإن وجد لا يتطرق إلى نبينا محمد ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «وأحلت لي الغنائم»، ثم بعد ذلك نقول: إن بعض أهل العلم قال: هذا كذب من اليهود في دعواهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، ومنهم من قال: إن ذلك كان ثابتًا في التوراة لكنه كان مثبتًا فيها باستثناء عيسى ومحمد عليهما السلام فأخفى اليهود هذا الاستثناء والله تعالى أعلم[١].

---

(١) وفي هذا الباب أخرج البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ ملكَ بُضْعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر، اشتري غنمًا او خَلِفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنَا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحُبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يدُ رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول فجاءوا برأس بقرة من لاذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».

Mostafa.com

س: الاشتراك في المصيبة في الحياة الدنيا قد يهونها، ولكن في الآخرة لا ينفع هذا الاشتراك، وضح هذا بأدلته؟

ج: ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قصص الأنبياء الصالحين مع أممهم وأذى أقوامهم لهم وحث نبيه ﷺ على الصبر كما صبروا، فقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [فاطر: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢ - ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات، فإن كان مشركو قريش قد كذبوا وأُوذيت منهم فقد كذبت أمم من قبلهم وأُوذي منهم أنبياؤهم كذلك، فاصبر كما صبر أخوانك من الرسل.

❁ وقال النبي ﷺ لفاطمة: «**يا بنية إنه قد حلَّ بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا....**».

وقد قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولا يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس معهم بالتأسي

أما في الآخرة فلا ينفع الاشتراك في العذاب، فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩].

Mostafa Adly .com

(١٠٢٤) أحمر
أسود

س: الموت شيء لابد منه، اذكر من الآيات ما يؤيد ذلك؟

ج: أما الآيات على ذلك فمنها:

۞ قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

۞ قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

۞ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

۞ وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

۞ وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

۞ وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥].

۞ وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

۞ ۞ ۞

س: ما المراد بمتاع الغرور في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؟

ج: أما المتاع فقال جمهور المفسرين ما حاصله: إنه ما يتمتع به الإنسان وينتفع به ثم يزول ولا يبقى.

MOSTAFALAW.COM

(١٠٢٥) أحمر
أسود

والغُرور قيل: هو مصدر من قول القائل: غرني فلان فهو يغرُّني غرورًا بضم الغين، وأما إذا فتحت الغين من الغَرور فهو صفة الشيطان الغَرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله في معصية الله فيما يستوجب به عقوبته. قاله الطبري، وقال أيضًا: ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ يقول إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فأنتم تتلذذون بما متعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره، يقول تعالى ذكره: ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها فإنما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون انتهى.

❁ وجاء في الغرور أقوال مختصرة منها: الغرور: الباطل، ❁ ومنها: أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمنيه من طول البقاء.

وذكر بعض المفسرين عن سعيد بن جبير أنه قال: هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، فأما من يشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منها. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

﴿ ❁ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

MOSTAFAADWY.COM

(١٠٢٦) أحمر
أسود

س: ما هو وضع اللام في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران: ١٨٦]؟

ج: بعض أهل العلم يقول: هذه اللام هي لام القسم، والمعنى: والله لتبلون، والله أعلم.

س: ما هي صورة الابتلاء في المال وفي النفس؟

ج: أما صورة الابتلاء في المال فتتمثل في:

- ذهابه ونقصانه.
- ما فرض الله فيه من الزكوات والحقوق هل تؤدي إلى أهلها أم لا؟
- ماذا من وراء هذا المال هل من ورائه البطر والأشر وكفران النعم، أم من ورائه الشكر والحمد؟

أما صورة الابتلاء في النفس فتتمثل في:

- المصائب أو الجراح والقتل.
- ما فرض على الشخص من عبادات وجهاد وكلمة حق ونحو ذلك.
- الأمراض والأسقام.
- المصيبة بالأحباب والعشائر والأقربين، والله أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

(١٠٢٧) أحمر
أسود

س: اذكر بعض الصور الأذى التي يسمعها المؤمنون من أهل الكتاب ومن الذين أشركوا؟

ج: من صور هذا الأذى قول اليهود: عزير ابن الله، وقولهم: يد الله مغلولة، وقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم – مع النصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، إلى غير ذلك، وكذلك يسمعون من النصارى قولهم: المسيح ابن الله، وقولهم: إن الله ثالث ثلاثة، وقولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم، وطعن هؤلاء وأولئك في رسول الله ﷺ.

۞ ومن صور الأذى التي تسمع من الذين أشركوا: قولهم في رسول الله ﷺ: (ساحر – شاعر – مجنون – كذاب) إلى غير ذلك من الافتراءات، وطعنهم في أزواجه ﷺ وطعنهم في أصحاب كذلك.

وقد ورد في هذا الباب حديث أسامة بن زيد (١) رضي الله عنهما وفيه أنه قال: إن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فَدَكِيَّة وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبي ابن سلول، وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بن أُبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبد الله ابن أُبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبِّروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله ابن أُبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا فلا تؤذينا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٦)، ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٥٧).

(١٠٢٨) أحمر
أسود

ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يُخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: «**يا سعد ألم تسمع ما قال أبو خباب** – يريد عبد الله بن أُبي – **قال كذا وكذا**»، قال سعد ابن عبادة: يا رسول الله أعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحيرة على أنه يتوجوه فيعصبونه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصطبرون على الأذى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١٠٩]، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أُبي ابن سلول ومن معه من المشركين: هذا أمرٌ قد توَّجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالصبر في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال، فمنهم من قال: إن المراد بالصبر هنا ترك المؤاخذة والمقابلة بالإساءة، فيمر المؤمن باللغو مرور الكرام ويسمع أذاه بأذنه

MOSTAFAALOBY.COM

(١٠٢٩) أحمر
أسود

ويتغاضى عن ذلك؛ لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين، كما قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وكما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]، وكما قال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وكما قال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] إلى غير ذلك.

❁ ومن العلماء من يرى أن المراد بالصبر هنا: الصبر على مجاهدتهم والإنكار عليهم، والصبر على التمسك بدينكم رغم طعن الطاعنين فيه، والله تعالى أعلم.

س: من المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟

ج: لأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: هم اليهود والنصارى.

الثاني: هم اليهود خاصة.

الثالث: هم كل العلماء.

❁ ❁ ❁

س: إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟

ج: في هذا قولان للعلماء:

MOSTAFAALADWY.COM

(١٠٣٠) أحمر
أسود

فمنهم من قال: هذا يرجع إلى الكتاب، فقوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي: لتبينن الكتاب.

ومنهم من قال: إن الضمير يرجع إلى محمد ﷺ، والمعنى: لتبينن الكتاب.

ومنهم من قال: إن الضمير يرجع إلى محمد ﷺ، والمعنى: لتبينن صفة محمد ﷺ وشأنه ولا تكتموا من ذلك شيئًا.

❁ والقول الأول أعم: لأنه يدخل فيه القول الثاني، ولا شك أن الذين أُوتوا الكتاب مأمورين بتبيين كل الكتاب وعدم كتمانه.

❁ ❁ ❁

س: كيف أخذ الله الميثاق من الذين أوتوا الكتاب؟

ج: أخذ الميثاق منهم على لسان أنبيائهم عليهم السلام.

س: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] هل ينسحب على علماء هذه الأمة أيضًا؟

ج: نعم ينسحب على علماء هذه الأمة أيضًا، وهذا قول أكثر أهل العلم، وأخرج الطبري بإسناده إلى قتادة رحمه الله قال في هذه الآية: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئًا فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإن كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين[1]، كان يقال: (مثلُ علمٍ لا يُقال به كمثل كنزٍ لا ينفق منه، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب) وكان يقال: (طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واعٍ) هذا رجل علم علمًا فعلَّمه وبذله ودعا إليه رجل سمع خيرًا فحفظه ووعاه وانتفع به.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٨٣٢٤) بإسناد حسن إلى قتادة رحمه الله، وقوله: كان يقال، لا يدري من قائله.

mostafawy.com

(١٠٣١) أحمر
أسود

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم[١] فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ قال: «**من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار**»[٢].

❁ وقال الرازي في «تفسيره»: اعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مختصًا باليهود والنصارى فإنه لا يبعد أيضًا دخول المسلمين فيه؛ لأنهم أهل القرآن وهو أشرف الكتب.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟

ج: المعنى والله أعلم: أنهم أخفوا الحق وكتموه حفاظًا على جاههم رئاستهم فخشوا إن أظهروا صفة محمد ﷺ أن تنتقل الرئاسة منهم إلى غيرهم وأن تذهب دنياهم ووجاهتهم فيها، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨]؟

---

(١) أي: مسلك الذين أوتوا الكتاب فنبذوه، وراء ظهورهم.

(٢) له طرق متعددة عن رسول الله ﷺ، وإن كانت مفرداتها لا تخلو من مقال إلا أن بعض أهل العلم صححه بمجموع طرقه، والله أعلم.

MOSTAFALADAWY.COM

(١٠٣٢) أحمر
أسود

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

۞ أن قومًا من اليهود كانوا يفرحون بما أتوه من أنواع الخبث والغش والتلبيس على ضعفة المسلمين ويحبون أن يُحمدوا بأنهم أهل برٍّ وتقوى وصدق وديانه وعفاف.

۞ أنهم يحرفون نصوص التوراة ويفسرونها بتفسيرات باطلة، ويروجونها عند الرعاع، ويحبون أن يحمدوا من الرعاع على ذلك.

۞ وأنظر ما سيأتي من أسباب نزول الآية الكريمة.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا مانع أن تكون الآية نزلت في كل ذلك أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

س: اذكر سبب نزول قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية [آل عمران: ١٨٨]؟

ج: سبب نزولها هو ما أخرجه البخاري[١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٨]، وقال ابن عباس[٢]: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي

(١) أخرج البخاري (٤٥٦٧).

(٢) وأخرجه البخاري (٤٥٦٨) من طريق علقمة بن وقاص أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابنِ

Mostafalabib.com

(١٠٣٣) أحمر
أسود

ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى أتوا[1]؟ وما هو الذي أتوه؟

ج: أتوا معناها فعلوا كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾ [النساء: ١٦]

والذي أتوه فيه جملة أقوال منها:

❁ أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق.

❁ تبديلهم التوراة.

❁ إيثارهم الفاني من الدنيا على الثواب.

❁ إضلالهم الناس.

❁ اجتماعهم على تكذيب رسول الله ﷺ.

❁ نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده.

❁ اتفاقهم على محاربة رسول الله ﷺ.

❁ تخلفهم عن الغزوات.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALABW.COM

=عباس فقل: لئن كان امرؤٌ فرح بما أوتي وأحب أن يُحمد بما لم يعمل مُعذبًا لنعذبن أجمعون.

(١) تنبيه: ورد في الآية قراءة أخرى وهي (آتوا) بالمد ومعناها (أعطوا).

(١٠٣٤) أحمر
أسود

س: اذكر حديثين في ذم المتشبع بما لم يُعط؟

ج: الحديث الأول هو قول رسول الله ﷺ: «**من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة**»(١)، والثاني قوله ﷺ: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»(٢).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

(١) أخرجه مسلم (ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه مرفوعًا وكذلك أخرجه البخاري (٦٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠)، من حديث أسماء رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن لي ضرة فهل عليَّ جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور**». وله طرق أخرى عن النبي ﷺ.

(١٠٣٥) أحمر
أسود

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾.

س: هذه الآيات العشر من آخر سورة آل عمران ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثبت أن النبي ﷺ قرأها في موطن فما هو؟

ج: ثبت أن النبي ﷺ قرأها لما استيقظ لصلاة الليل، ففي «الصحيحين» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة – وهي خالته – قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ في طولها حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران[1] ثم قام إلى شنٍّ معلقةٍ فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي.... الحديث[2].

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) في بعض الروايات نص عليها فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٧١) مع «الفتح»، ومسلم (مع النووي ٧١/ ٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

MOSTAFALABWY.COM

(١٠٣٦) أحمر
أسود

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى الآية يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلًا، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم، ولهذا قال: ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليانها.

❁ وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا احتجاج من الله عَزَّوَجَلَّ على قائل ذلك[١]، وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرِّف الأشياء والمسخر ما أحب، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده، فقال جل ثناؤه: تدبروا أيها الناس وأعتبروا فيما أنشأته وخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفما عقبت بينه وبين الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون في هذا لمعاشكم وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومُدَّكر وآيات وعظات، فمن كان منكم ذو لُب وعقل يعلم أن من نسبني إلى أني فقير وهو غني، كاذب مفتر، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأصَرِّفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم، فكيف ينسب إلى فقرل من كان كل ما به عيش – ما في السموات والأرض – بيده وإليه، أم كيف يكون غنيًّا من كان رزقه بيد غيره إذا شاء رزقه وإذا شاء حرمه، فاعتبروا يا أولي الألباب.

---

(١) يعني: الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

Mostafabdy.com

(١٠٣٧) أحمر
أسود

س: ما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ١٩١]؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

- فمنهم من قال: إن المراد بالذكر هنا: (عموم الذكر).
- ومنهم من قال: إن المراد بالذكر هنا: الصلاة.
- ومنهم من قال: إن المراد بالذكر هنا: الخوف.

أما القول الأخير فلا وجه له عندي هنا، والقول الثاني خاص، وأعمها وأولاها القول الأول، إذ هو ظاهر الكتاب العزيز، والثاني داخلٌ في، والله أعلم.

س: هل يشرع للرجل أن يذكر الله ﷻ مضطجعًا؟

ج: نعم يُشرع ذكر الله ﷻ مضطجعًا؛ لقول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[1] [آل عمران: ١٩١].

ولقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾ [النساء: ١٠٣].

ولقول النبي ﷺ: «صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى

(١) أخرج الطبري (٨٣٥٥) بإسناد ثابت إلى قتادة قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يُسرًا من الله وتخفيفًا.

NOSTRADAMUS.COM

(١٠٣٨) أحمر
أسود

جنب»[(١)].

❁ ولقول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[(٢)].

وقال النبي ﷺ: «**من تعار(٣) من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي – أو دعا – استجيب، فإن توضأ قبلت صلاته**»[(٤)].

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] محذوف دل عليه السياق ما هو هذا المحذوف؟

ج: المحذوف هو قوله: (قائلين)، والمعنى: ويتفكرون في خلق السموات والأرض قائلين: ربنا ما خلقت هذا باطلًا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قال أولو الألباب: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]،

---

(١) أخرجه البخاري (١١١٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صل قائمًا**....» الحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٦٨ مع النووي).

(٣) التعار: هو اليقظة مع صوت، وذكر البعض أنه الاستيقاظ، وذكر آخرون أنه التقلب على الفراش ليلًا مع كلام.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٣٩ مع «الفتح») من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFALOBNY.com

(١٠٣٩) أحمر
أسود

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]، ومن المسلمين من يدخل النار ثم يخرج كما في حديث الملفس وغيره فكيف نجمع بين الآيتين مع الحديث؟

ج: أجاب بعض العلماء على هذا بأن حملوا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ على المخلدين فيها.

وبعض العلماء أطلق الآية الأولى في المخلدين وغيرهم، ولكن عنده الخزي نسبي، ثم يزال الخزي عن الموحدين إذا خرجوا من النار، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: من المراد بالظالمين في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]؟

ج: ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالظالمين هنا المشركون، وذلك لثبوت الشفاعة في أهل التوحيد، والله تعالى أعلم.

❀ ❀ ❀

س: من هو المنادي الذي ينادي للإيمان في قول أولي الألباب: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]؟

ج: لأهل العلم قولان في ذلك:

أحدهما: أنه الرسول ﷺ، وعليه الأكثر.

الثاني: أنه القرآن الكريم.

MOSTAFALADWY.COM

(١٠٤٠) أحمر
أسود

س: ما معنى اللام في قوله تعالى: ﴿﴾ [آل عمران: ١٩٣]؟ اذكر أمثلة لذلك؟

ج: اللام هنا بمعنى (إلى) كقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] أي: أوحى إليها، وكقوله المؤمنين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] أي: إلى هذا.

س: طلب أولو الألباب من ربهم ﷻ أولًا ثلاثة أشياء وهي مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، والوفاة مع الأبرار، اشرح المراد بكل منها؟

ج: اعلم أولًا: أن الغفران، هو الستر والتغطية، والتكفير: كذلك هو التغطية، فالمعنى اللغوي للغفران والتكفير قريب جدًّا، بل قد يتحد، أما ما هو وجه دعائهم بقولهم: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣] فللعلماء فيه أقوال:

❁ منها: أنهما بمعنى واحد وهو طلب محو الخطايا، والتكرير إنما هو للإلحاح في الطلب وللتأكيد عليه، فالمقام مقام دعاء، ويستحب الإلحاح في الدعاء.

❁ الثاني: أن المراد بالذنوب هنا: الكبائر، والمراد بالسيئات: الصغائر، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

❁ الثالث: المراد بالذنوب: هي الذنوب التي تقدمت وسلفت والمراد

(١٠٤١) أحمر
أسود

بالسيئات: هي الذنوب التي ستأتي.

❁ **الرابع**: أن المراد بالغفران ما يزول بالتوبة والاستغفار، والمراد بالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة.

❁ **الخامس**: أن الذنب ما ارتبكه الشخص مع علمه بكونه معصية، والسيئة هي التي فعلت مع الجهل بكونها معصية وذنبًا.

أما قولهم: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فالأبرار أولًا قيل: هم الأنبياء والصالحون، ومعنى قولهم: توفنا مع الأبرار: اقبضنا إليك إذا قبضتنا في عداد الأبرار واحشرنا معهم، وقيل: ألحقنا بالصالحين، وقيل: وفقنا للعمل بأعمالهم حتى نحشر معهم، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: (الأبرار)[1] قد تأتي بمعنى عام وقد تأتي بمعنى أضيق، وضح ذلك؟

ج: تأتي الأبرار أحيانًا بمعنى واسع وهو: (الصالحون)، فيكون معنى الأبرار: الصالحين: أو جمع (بَرٍّ) وهم الذين برُّوا الله ﷻ بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضي عنهم، وأحيانًا تأتي بمعنى أضيق وهم أنهم أصحاب اليمين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: ٥، ٦]، كما قال سبحانه: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[2]

---

(١) وأصلها من الاتساع مأخوذ من البرِّ.

(٢) مطلع الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٧].

(١٠٤٢) أحمر
أسود

[المطففين: ٢٧، ٢٨].

فالأبرار هنا هم أصحاب اليمين يشربون من كأس ممزوجة (مخلوطة) من تسنيم، والتسنيم يشربها المقربون، فالمقربون يشربون من التسنيم صرفًا (خالصة) وتمزج هذه العين لأصحاب اليمين مزجًا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقولهم: ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؟

ج: الأظهر أن المراد: ربنا وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك عليهم الصلاة والسلام.

وثمَّ قول آخر وهو: ربنا وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: قد علم أولو الألباب أن ربهم ﷻ لا يخلف الميعاد فما هو وجه قولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

❁ منها: أن الله ﷻ أعلمهم على ألسنة رسله عليهم السلام أنه ناصرهم ومُعزهم ومُعلي دينه وكلمته فسألوا ربهم ﷻ أن ينجز لهم ما وعدهم عاجلًا غير آجل، فكأنهم قالوا: قد علمنا أنك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجِّل خزيهم وانصرنا عليهم.

MOSTFAADAWY.COM

(١٠٤٣) أحمر
أسود

❁ الثاني: أنهم قالوا: إنك لا تخلف الميعاد من باب سؤال الله ﷻ بصفاته وأفعاله كما يقول القائل: اشفني أنت الشافي.

❁ الثالث: أنهم دعوا بهذا الدعاء على جهة العبادة والخضوع، كما قال: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الأنبياء: ١١٢] وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق.

❁ الرابع: أن الله سبحانه وعد من آن بالجنة فسألوا أن يكونوا ممن وعُد بذلك دون الخزي والعقاب.

وقريب منه ما ذكره الطبري حيث قال: قال بعضهم: ذلك قول خرج مخرج المسألة ومعناه الخبر، قالوا: وإنما تأويل الكلام ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيام، قالوا: وليس ذلك على أنهم قالوا: (إن توفيتنا مع الأبرار فأنجز لنا ما وعدتنا)؛ لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد، وأن ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء، ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه.

والذي اختاره ابن جرير نحو القول الأول الذي قدمناه، أي: لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم فعجل لهم[1] خزيهم ولنا الظفر عليهم... والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ[2] بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]؟

ج: قوله تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ فيه أقوال منها:

---

(١) أي: لأهل الكفر.

(٢) قيل: إن (من) في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ بمعنى الكاف فيكون المعنى بعضكم كبعض.

MOSTAFADIY.COM

(١٠٤٤) أحمر
أسود

❁ رجالكم مثل نسائكم في ثواب الطاعة.

❁ بعضكم من بعض في الموالاة والنصرة في الدين كما قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

❁ ❁ ❁

س: كيف تجري الأنهار من تحت الجنات؟

ج: بعض أهل العلم يقولون: تجري من تحتها، أي: من خلالها، وبعضهم يقول: تجري من تحتها، أي: من تحت قصورها.

❁ ❁ ❁

س: اذكر حديثًا في فضل: (الذين قاتلوا في سبيل الله وأوذوا في سبيله)؟

ج: أخرج الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرين الذين تُتقي بهم المكاره، إذا أُمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت، وهي في صدره، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأُوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون: (ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا، فيقول الرب جل ثناؤه: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي)، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿سَلَٰمٌ**

MOSTAFALABWY.COM

(١٠٤٥) أحمر
أسود

عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]»[(١)].

س: على المسلم أن يكون كيسًا فطنًا عاقلًا ورعًا، لا يغتر بما عليه أصحاب الدنيا من دنياهم، فكل ذلك ذاهب لا مفر وزائل لا محالة والباقيات الصالحات خير عند ربك من ذلك كله، والمتاع الذي يعيش فيه الكافر إنما هو إلى حين، اذكر من الآيات ما يوضح ذلك؟

ج: الآيات في هذا الباب كثيرة نورد منها:

❁ قول الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

❁ وقال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨].

❁ وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [غافر: ٤].

❁ وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٨٣٧٠).

Mostafa Adly.com

(١٠٤٦) أحمر
أسود

لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

❁ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠].

❁ وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٣- ٣٥].

❁ وقال سبحانه -عن قارون-: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٧٩- ٨١].

❁ وقال تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤].

❁ وقال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق: ١٧].

❁ وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص: ٦١].

❁ وقال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [آل عمران:

MOSTAFALAMY.COM

(١٠٤٧) أحمر
أسود

١٩٦]؟

ج: المعنى والله أعلم: لا تغتر بما فيه الكفار من سلامة في أسفارهم ورجوعهم وأرباح في تجارتهم وترقيهم في مناصبهم واستمتاعهم بدنياهم، فكل ذلك متاع فإن زائل يُمتعون به، ثم مأواهم إلى النار، هي مثواهم وبئس المصير.

س: من أهل الكتاب طائفة مؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر وهم أهل الكتاب الذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ. اذكر بعض الآيات الدالة على ذلك؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

❁ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص: ٥٢- ٥٤].

❁ وقوله تعالى: ﴿ ❁ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣- ١١٥].

Nostrapraw.com

(١٠٤٨) أحمر
أسود

❁ وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ۚ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩].

❁ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ومن هؤلاء عبد الله بن سلام، والنجاشي، وعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنهم وغيرهم.

❁ ❁ ❁

س: ما هو أصل معنى الرباط، وما معنى ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؟

ج: أصل الرباط: أن يربط كل فريق من المتحاربين خيله أو إبله بالثغر استعدادًا للآخر. ومعنى: ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ أي: أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم فيها كما يربطها أعداؤكم. وسيأتي في ذلك مزيد إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ ففيه أقوال منها:

❁ اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا لرخاء، فلا تدعوه لخوف ولا لفقر ولا لجوع ولا لنقصٍ في الأنفس والثمرات ولا يطغيكم الغنى كذلك فتنصرفوا عن دينكم، ويلتحق بهذا الصبر على فرائض الله عز وجل وأوامره.

MOSTAFALADWY.COM

(١٠٤٩) أحمر
أسود

❁ ومنها: (اصبروا) على البلاء والأمراض.

❁ ومنها: (اصبروا) على لقاء العدو.

والذي يظهر لي أن كل هذا يدخل في قوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾، والله أعلم.

❁ أما قوله تعالى: ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أي: صابروا عدوكم فغالبوهم في الصبر على شدائد الحروب ولا تهنوا في ابتغائهم.

وقيل: صابروا عدوكم أي: نازلوهم وقاتلوهم.

فإن قيل: فهذا المعنى يدخل في قوله: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ فيجاب بأن هذا من باب عطف الخاص على العام كما قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

❁ أما قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: المرابطة هي المرابطة على الثغور لدفع شر الأعداء وحفظ بيضة المسلمين.

وقيل: إن المراد بالمرابطة: انتظار الصلاة بعد الصلاة لحديث: «**وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**»(١).

❁ وقيل: إن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ كل ما يتعلق بك وحدك من صبر على التكاليف وصبر على البلاء وصبر على الجهاد و... ﴿وَصَابِرُواْ﴾ كل من كان مشتركًا بينك وبين غيرك.

﴿وَرَابِطُواْ﴾ المرابطة: الاحتراز عن الأخلاق الذميمة، والمحافظة على الأخلاق الحميدة.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**» وفي رواية: «**فذلكم الرباط فذلكم الرباط**».

MOSTAFALAWY.COM

(١٠٥٠) أحمر
أسود

وقال البعض: اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورابطوا في دار الأعداء، واتقوا إله الأرض والسماء؛ لعلكم تفلحون في دار البقاء، والله تعالى أعلم.

س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل الرباط في سبيل الله ﷻ؟

ج: من هذه الأحاديث ما يلي:

❁ قول رسول الله ﷺ: «كُلُّ الميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويُؤمن من فُتان القبر»(١).

❁ وقول رسول الله ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأُجري عليه رِزْقُهُ وأمن الفُتَّان»(٢).

❁ وقول النبي ﷺ: «طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة ففي الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع»(٣).

❁ وقول النبي ﷺ: «رباط يوم سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها»(٤).

❁ وعن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال: إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين

(١) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) أخرجه مسلم والنسائي من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا.
(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٤) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا.

MOSTAFA ADLY.COM

(١٠٥١) أحمر
أسود

فأطنبوا[١] السير حتى كانت عشية فحضرت صلاة عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارسي فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوزان عن بكرة[٢] آبائهم بظُعُنِهم[٣] وَنَعَمهم[٤] وشائِهم[٥] اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله**» ثم قال: «**من يحرسنا الليلة؟**» قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله، قال: «**اركب**» فركب فرسًا له وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «**استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه ولا نُغرَّن (ولا يُغَرَّن) (٦) من قِبَلِكَ**» فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين، ثم قال: «**هل أحسستم فارسكم؟**» قالوا: يا رسول الله ما أحسسناه ثوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يُصلي وهو يلتفت إلى الشِّعب حتى إذا قضى صلاته وسلَّم فقال: «**أبشروا فقد جاء فارسكم**» فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلم وقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحت اطلعت الشعبتين كليهما فنظرت فلم أر أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هل نزلت الليلة؟**» قال: لا، إلا مُصليًا أو قاضيًا حاجة[٧]، فقال له رسول الله ﷺ: «**قد أوجبت(٨) فلا عليك أن لا تعمل بعدها**»[١].

---

(١) أطنبوا أي: أسرعوا السير فتعبت بعض الإبل، من قوله: أطنب في الكلام إذا بالغ فيه.

(٢) أي: جاءوا جميعًا لم يتخلف منهم أحد.

(٣) الظعن: المراد بهن النساء.

(٤) النعم: المراد بها الإبل.

(٥) جمع شاة.

(٦) أي: لا يأتينا العدو من ناحيتك على غفلة أو غرة.

(٧) المراد بالحاجة هنا: البول أو الغائط.

(٨) أي: لا ضرر عليك ولا جناح عليك في ترك العمل النفل بعد هذه الحراسة، لأنها تكفيك لدخول

Mostafabdw.com

(١٠٥٢) أحمر
أسود

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

=الجنة (أي: مع الفرائض الأخرى). والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح من حديث سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه.